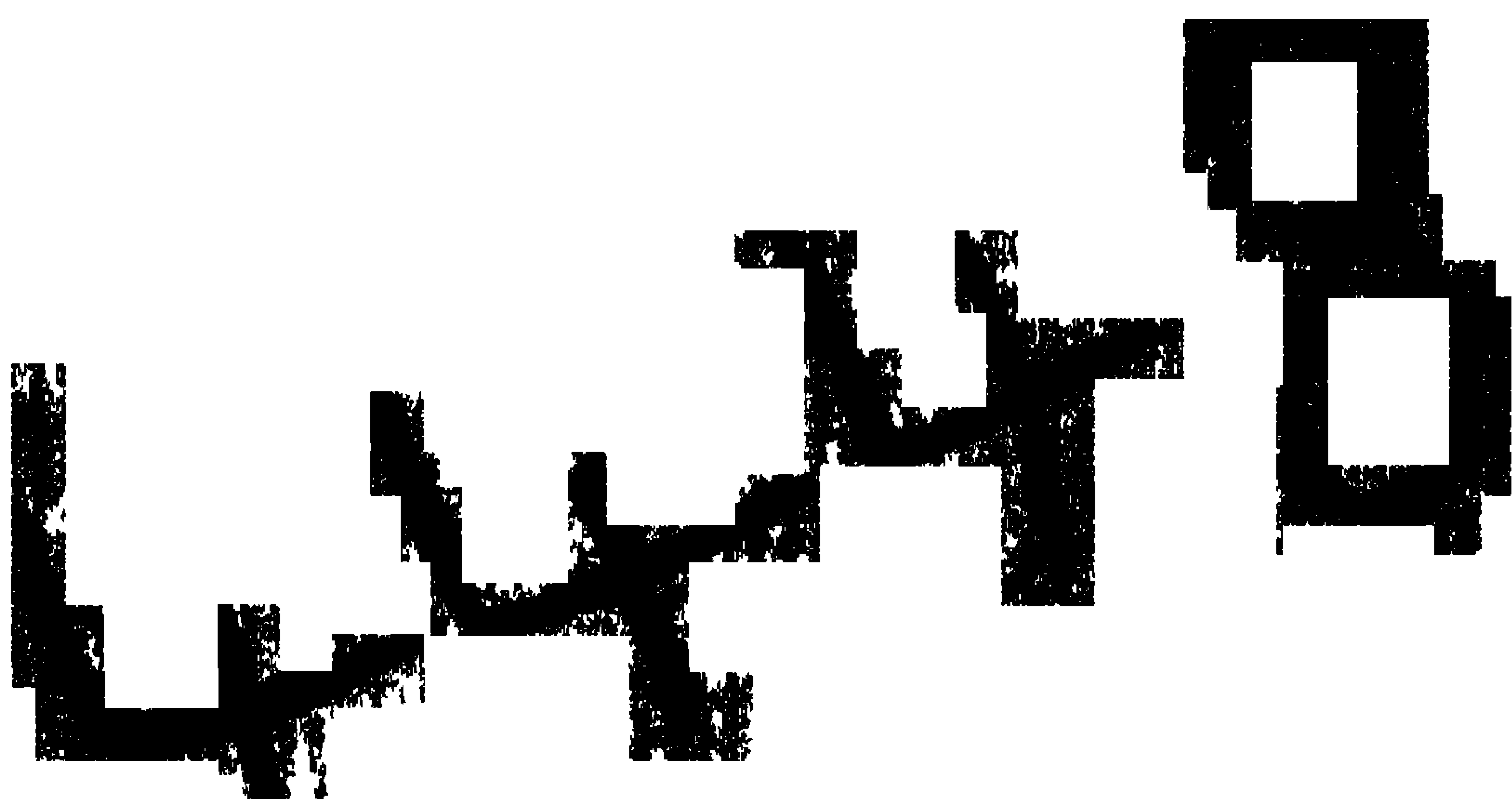


﴿ الجزء الثالث ﴾

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

﴿ ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الثالث من
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام
الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى
قدست أسراره ﴾

﴿ تنبيه ﴾

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد
آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح
الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة
على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع
بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة
مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع
من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

﴿ طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القول فى تاويل قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) يعنى تعالى ذكره بقوله تلك الرسل الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة كموسى بن عمران وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وشمويل وداود وسائر من ذكر نبأهم فى هذه السورة يقول تعالى ذكره هؤلاء رسلى فضلت بعضهم على بعض والذى كلمته منهم موسى صلى الله عليه وسلم ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا أبو عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال يقول منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات يقول كلم الله موسى وأرسل محمدا الى الناس كافة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه * ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى بعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب فان العدو ليرعب منى على مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأحلت لى الغنائم ولا تحل لاحد كان قبلى وقيل لى سل تعطه فاختبأتها شفاعة لامتى فهى نائلة منكم ان شاء الله من لا يشرك بالله شيأ ﴿ القول فى تاويل قوله (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) يعنى تعالى ذكره بذلك وآتينا عيسى بن مريم البينات وآتينا عيسى بن مريم الحجج والادلة على نبوته من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وما أشبه ذلك مع الانجيل الذى أنزلته اليه فبينت فيه ما فرضت عليه ويعنى تعالى ذكره بقوله وأيدناه وقويناه وأعناه بروح القدس يعنى بروح الله وهو جبريل وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم فى معنى روح القدس والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تاويل قوله (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات) يعنى تعالى ذكره بذلك ولو أراد الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يعنى من بعد الرسل الذين وصفهم بانه فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات بعد عيسى بن مريم وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه ويعنى بقوله من بعد ما جاءتهم البينات يعنى من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق وأوضح لهم السبيل وقد قيل ان الهاء والميم فى قوله من بعدهم من ذكر ... بعد ذكر موسى وعيسى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) القرآت لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع والتنوين وكذلك فى سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك فى سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم الوقوف بالحق ط للابتداء با... المرسلين ه الجزء الثالث على بعض ... لانه لو وصل صار الجار و... صفة لبعض فينصر... ان تفضيل الرسل الى ... فيكون موسى عليه السلام من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط لعدول القدس ط من كفر ط ما يريد ه

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى ۞ القول في تأويل قوله (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) يعني تعالى ذكره بذلك ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتتلوا فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتتال والاختلاف وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحدانية الله ورسالة رسله ووحي كتابه فكفر بالله وبآياته بعضهم وآمن بذلك بعضهم فاخبر تعالى ذكره انهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصي بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بانهم على خطأ تعمدا منهم للكفر بالله وآياته ثم قال تعالى ذكره لعباده ولو شاء الله ما اقتتلوا يقول ولو أراد الله أن يحجزهم بعصمته وتوفيقه اياهم عن معصيته فلا يقتتلوا ما اقتتلوا ولا اختلفوا ولكن الله يفعل ما يريد بان يوفق هذا لطاعته والايمان به فيؤمن به ويطيعه ويخذل هذا فيكفر به ويعصيه ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) يعني تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم من أموالكم وتصدقوا منها وآتوا منها الحقوق التي فرضناها عليكم وكذلك كان ابن جريج يقول فيما بلغنا عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم قال من الزكاة والتطوع من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة يقول ادخروا لانفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم بالنفقة منها في سبيل الله والصدقة على أهل المسكنة والحاجة وايتاء ما فرض الله عليكم فيها وابتاعوا بها ما عنده مما أعده لاوليائه من الكرامة بتقديم ذلك لانفسكم ما دام لكم السبيل الى ابتياعه بما ندبتم اليه وأمرتكم به من النفقة من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه يقول لا تقدرون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه بالنفقة من أموالكم التي أمرتكم به أو ندبتكم اليه في الدنيا قادرين لانه يوم جزاء وثواب وعقاب لا يوم عمل واكتساب وطاعة ومعصية فيكون لهم الى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ أو بالعمل بطاعة الله سبيل ثم أعلمهم تعالى ذكره أن ذلك اليوم مع ارتفاع العمل الذي ينال به رضى الله أو الوصول الى كرامته بالنفقة من الاموال اذ كان لا مال هنالك يمكن ادراك ذلك به يوم لا مخالة فيه نافعة كما كانت في الدنيا فان خليل الرجل في الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة له على من حاوله بمكروه وأراده بسوء والمظاهرة له على ذلك فآيسهم تعالى ذكره أيضا من ذلك لانه لا أحد يوم القيامة ينصر أحدا من الله بل الاخلاء بعضهم لبعض عدو الا المتقين كما قال الله تعالى ذكره وأخبرهم أيضا انهم يومئذ مع فقدهم السبيل الى ابتياع ما كان لهم الى ابتياعه سبيل في الدنيا بالنفقة من أموالهم والعمل بايديهم وعدمهم النصراء من الخلال والظهراء من الاخوان لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخلة وغير ذلك من الاسباب فبطل ذلك كله يومئذ كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة اذا صاروا فيها فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص وانما معناه من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لاهل الكفر بالله لان أهل ولاية الله والايمان به يشفع بعضهم لبعض وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * وكان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة قد علم الله أن ناسا يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض فاما يوم القيامة فلا خلة الا خلة المتقين * وأما قوله والكافرون هم الظالمون فانه يعني تعالى ذكره بذلك والجاحدون لله المكذبون به وبرسوله هم الظالمون يقول هم الواضعون جحودهم في غير موضعه والفاعلون غير ما لهم فعله والقائلون ما ليس لهم قوله وقد دللنا على معنى الظلم بشواهده فيما مضى قبل بما

ولا شفاعة ط الظالمون ٥ التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الآية التي هي اتيان التابوت وغلبة الجبابرة على يد داود وهو صبي فقير آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرائيل وفيه تشريف عظيم لجبرائيل كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتها حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من أمتك ليحتملوا شدائد الجهاد كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم أكد ذلك بقوله وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة ودراسة وفيه أيضا تسلية للنبي فيما يراه من الكفار وأهل النفاق من الخلاف والشقاق كما رآه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا كرر فقال تلك الرسل أي الذين تعرفهم وأنت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من فضله الله بان كلمه الله من

أغنى عن اعادته وفى قوله تعالى ذكره فى هذا الموضع والكافرون هم الظالمون دلالة واضحة على صحة ما قلناه وأن قوله ولا خلة ولا شفاعة انما هو مراد به أهل الكفر فلذلك اتبع قوله ذلك والكافرون هم الظالمون فدل بذلك على أن معنى ذلك حرمنا الكفار النصرة من الاخلاء والشفاعة من الاولياء والاقرباء ولم نكن لهم فى فعلنا ذلك بهم ظالمين اذ كان ذلك جزاء منا لما سلف منهم من الكفر بالله فى الدنيا بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الافعال التى أوجبوا بها العقوبة من ربهم * فان قال قائل وكيف صرف الوعيد الى الكفار والآية مبتدأة بذكر أهل الايمان قيل له ان الآية قد تقدمها ذكر صنفين من الناس أحدهما أهل كفر والآخر أهل ايمان وذلك قوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم عقب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به بحض أهل الايمان به على ما يقربهم اليه من النفقة فى طاعته وفى جهاد أعدائه من أهل الكفر قبل مجىء اليوم الذى وصف صفته وأخبر فيه عن حال أعدائه من أهل الكفر به اذ كان قتال أهل الكفر به فى معصيته ونفقتهم فى الصد عن سبيله فقال تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا أنفقوا أنتم مما رزقناكم فى طاعتى اذ كان أهل الكفر بى ينفقون فى معصيتى من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه فيدرك أهل الكفر فيه ابتياع ما فرطوا فى ابتياعه فى دنياهم ولا خلة لهم يومئذ تنصرهم منى ولا شافع لهم يشفع عندى فتنجيهم شفاعته لهم من عقابى وهذا يومئذ فعلى بهم جزاء لهم على كفرهم وهم الظالمون أنفسهم دونى لانى غير ظلام لعبيدى وقد حدثنى محمد بن عبد الرحيم قال ثنى عمرو بن أبى سلمة قال سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال الحمد لله الذى قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون ۞ القول فى تأويل قوله (الله لا اله الا هو الحى القيوم) قد دللنا فيما مضى على تأويل قوله الله وأما تأويل قوله لا اله الا هو فان معناه النهى عن أن يعبد شئ غير الله الحى القيوم الذى صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره فى هذه الآية يقول الله الذى له عبادة الخلق الحى القيوم لا اله سواه لا معبود سواه يعنى ولا تعبدوا شيأ سواه الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم والذى صفته ما وصف فى هذه الآية وهذه الآية ابانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به المختلفون فى البينات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره انه فضل بعضهم على بعض واختلفوا فيه فاقتتلوا فيه كفرا به من بعض وايمانا به من بعض فالحمد لله الذى هدانا للتصديق به ووفقنا للاقرار به وأما قوله الحى فانه يعنى الذى له الحياة الدائمة والبقاء الذى لا أول له يحد ولا آخر له بامد اذ كان كل ما سواه فانه وان كان حيا فلحياته أول محدود وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها وينقضى بانقضاء غايتها وبما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحى حى لا يموت حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله * وقد اختلف أهل البحث فى تأويل ذلك فقال بعضهم انما سمى الله نفسه حيا لصرفه الامور مصارفها وتقديره الاشياء مقاديرها فهو حى بالتدبير لا بحياة * وقال آخرون بل هو حى بحياة هى له صفة * وقال آخرون بل ذلك اسم من الاسماء تسمى به فقلناه تسليما لامره وأما قوله القيوم فانه الفيعول من القيام وأصله القيووم سبق عين الفعل وهى واو ياء ساكنة فاندغمتا فصارتا ياء مشددة وكذلك تفعل العرب فى كل واو كانت للفعل عينا سبقتها ياء ساكنة ومعنى قوله القيوم القائم برزق ما خلق وحفظه كما قال أمية

لم يخلق السماء والنجوم * والشمس معها قمر يقوم
قدره المهيمن القيوم * والحشر والجنة والنعيم
* الا لأمر شأنه عظيم *

غير مغير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع ابعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا أى له وقيل حال من بعضهم أى ذا درجات وقيل مصدر فى موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكأنه قال ورفعنا بعضهم رفعات وأيد عيسى بروح القدس (٤) ومع ذلك قد نالهم من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف أمم أولئك ولكن ما قضاه الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم أن الامة أجمعت على أن بعض الانبياء أفضل من بعض وعلى أن محمدا أفضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى الشهادة وفى الاذان وفى التشهد ولم يكن ذلك لسائر الانبياء ومنها أنه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله أحق أن يرضوه واجابته باجابته يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومنها أن معجزاته أكثر وقد ترتقى الى ألف من جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على ألفى معجز وأزيد لان التحدى وقع باقصر سورة هى الكوثر وأنه ثلاث آيات وكل ثلاث آيات من القرآن تصلح للتحدى فيكون معجزا برأسه ومنها أن معجزته وهى القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت مع أن معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهى الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها أنه اجتمع فيه من الخصال الجليلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم ولهذا الاشارة بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أى أطلعناك على و بنحو

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله القيوم قال القائم على كل شئ حدثنى المثنى قال ثنا اسحق عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم قيم كل شئ يكلؤه ويرزقه ويحفظه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى القيوم وهو القائم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الحى القيوم قال القائم الدائم ﴿القول فى تاويل قوله (لا تاخذه سنة ولا نوم) يعنى تعالى ذكره بقوله لا تاخذه سنة لا ياخذه نعاس فينعس ولا نوم فيستثقل نوما والوسن خثورة النوم ومنه قول عدى بن الرقاع

وسنان قصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

ومن الدليل على ما قلنا من انها خثورة النوم فى عين الانسان قول الاعشى ميمون بن قيس

تعاطى الضجيع اذا أقبلت * بعيد النعاس قبيل الوسن

(وقال آخر) باكرتها الاعراب فى سنة النوم * فتجرى خلال ٧ شوك السيال

يعنى عند هبوبها من النوم ووسن النوم فى عينها يقال منه وسن فلان فهو يوسن وسنا وسنة وهو وسنان اذا كان كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله لا تاخذه سنة قال السنة النعاس والنوم هو النوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله لا تاخذه سنة قالا نعسة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله لا تاخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنة وهو دون النوم والنوم الاستثقال حدثنى المثنى قال ثنا اسحق أبو زهير عن جويبر عن الضحاك لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس والنوم الاستثقال حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله سواء حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لا تاخذه سنة ولا نوم أما سنة فهو ريح النوم الذى ياخذ فى الوجه فينعس الانسان حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع لا تاخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنان بين النائم واليقظان حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا منجاب بن الحرث قال ثنا على بن مسهر عن اسمعيل عن يحيى بن رافع لا تاخذه سنة قال النعاس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا تاخذه سنة ولا نوم قال الوسنان الذى يقوم من النوم لا يعقل حتى ربما أخذ السيف على أهله وانما عنى تعالى ذكره بقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لا تحله الآفات ولا تناله العاهات وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهم ذى الفهم ويزيلان من أصاباه عن الحال التى كان عليها قبل أن يصيباه فتاويل الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا الله لا اله الا هو الحى الذى لا يموت القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال الى حال لا تاخذه سنة ولا نوم لا يغيره ما يغير غيره ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الاحوال وتصريف الليالى والايام بل هو الدائم على حال والقيوم على جميع الايام لو نام كان مغلوبا مقهورا لان النوم غالب النائم قاهره ولو وسن لكانت السموات والارض وما فيهما دكا لان قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته والنوم شاغل المدبر عن التدبير والنعاس مانع المقدر عن التقدير بوسنه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال وأخبرنى الحكم بن أبان عن

أحوالهم وسيرهم فاخترت أنت منها أجودها وأحسنها فانه لا يجوز أن يكون مامورا بالاقتداء بهم فى أصول الدين لانه تقليد ولا فى الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن المراد محاسن الاخلاق ومنها أنه بعث الى الخلق كافة وكان يتحمل اعباء الرسالة أكثر فيكون ثوابه أزيد ومنها أن هذا الدين أفضل والالم ينسخ به سائر الاديان فيكون شارعه أفضل ومنها أن تكون أمته أفضل (٥) كنتم خير أمة أخرجت للناس واذا كان التابع أفضل فالمتبوع أفضل ومنها ان أمته أكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين أثرا قويا فى علو شأن المتبوع ومنها ان كل نبى نودى فى القرآن فقد نودى باسمه يا آدم اسكن يا موسى انى أنا الله وناديناه أن يا ابراهيم يا عيسى انى متوفيك وأما النبى صلى الله عليه وسلم فانه نودى بقوله يا أيها النبى يا أيها الرسول بل أقسم بحياته لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وأما الاحاديث فى هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا واتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا باعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا باعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن ابراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجى الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى

عكرمة مولى ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى سأل الملائكة هل ينام الله فأوحى الله الى الملائكة وأمرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه وينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب باحداهما الاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله يقول فكذلك السموات والارض في يديه حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل قال ثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى صلى الله عليه وسلم على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله تعالى ذكره فأرسل الله اليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض ۞ القول في تأويل قوله (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) يعني تعالى ذكره بقوله له ما في السموات وما في الارض انه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود وانما يعني بذلك انه لا تنبغي العبادة لشيء سواه لان المملوك انما هو طوع يد مالكه وليس له خدمة غيره الا بأمره يقول فجميع ما في السموات والارض ملكي وخلقي فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه لانه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه ولا يطيع سوى مولاه وأما قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعني بذلك من ذا الذي يشفع لمماليكه ان أراد عقوبتهم الا ان يخليه ويأذن له بالشفاعة لهم وانما قال ذلك تعالى ذكره لان المشركين قالوا ما نعبد أوثاننا هذه الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى ذكره لهم لي ما في السموات والارض مع السموات والارض ملكا فلا ينبغي العبادة لغيري فلا تعبدوا الاوثان التي تزعمون انها تقربكم مني زلفى فانها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيأ ولا يشفع عندي أحد لاحد الا بتخليتي اياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي ۞ القول في تأويل قوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) يعني تعالى ذكره بذلك انه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما لا يخفى عليه شيء منه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الآخرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعلم ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله يعلم ما بين أيديهم ما مضى امامهم من الدنيا وما خلفهم ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي يعلم ما بين أيديهم قال ما بين أيديهم فالدنيا وما خلفهم فالآخرة وأما قوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فانه يعني تعالى ذكره انه العالم الذي لا يخفى عليه شيء محيط بذلك كله محص له دون سائر من دونه وانه لا يعلم أحد سواه شيأ الا بما شاء هو أن يعلمه فأراد بعلمه وانما يعني بذلك ان العبادة لا تنبغي لمن كان بالاشياء جاهلا فكيف يعبد من لا يعقل شيأ البتة من وثن وصنم يقول أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالاشياء كلها يعلمها لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولا يحيطون بشيء من علمه يقول لا يعلمون بشيء من علمه الا بما شاء هو أن يعلمهم ۞ القول في تأويل قوله (وسع كرسيه السموات والارض) اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية انه وسع السموات والارض فقال

فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر واسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت (٦) بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه في فضائل الصحابة ظهر علي بن أبي طالب من البعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان ذخائر كل ملك ينبغي أن تكون على مقدار من تحت مملكته فأمير المدينة يحتاج الى عدة أكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أعم من نبوة سائر الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم أعطي من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم وبدائع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤتى أحد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات سائر الانبياء كانت أعظم من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابراهيم ألقي في النار فانقلبت روحا وريحانا وأوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود ألان الحديد في يده وسليمان أعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا بعضهم بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب أن كون آدم مسجودا للملائكة لا يوجب كونه أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا

وآدم بين الماء والطين ونقل ان جبريل عليه السلام أخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا أعظم من السجود وانه تعالى يصلي نفسه على محمد الى يوم القيامة وسجود الملائكة لآدم ما كان الامرة واحدة على ان ذلك السجود أيضا انما كان لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في جبهته وان أول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك

ومن تأمل كتب دلائل النبوة وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة أفضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وأيضا التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا تليق بكل أحد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور والحاصل أن التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منهما ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث رآهم يزدرون بشأنه ويتعجبون من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال أنا أكرم الاولين والآخرين وأنا سيد العالمين وحيث رآهم يزدرون بشأن بعض الانبياء زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني على أنه لا يلزم من النهي عن شئ عدم مطابقة ذلك الشئ للواقع فقد يكون الشئ حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم أن تعترفوا بحقية جميع الانبياء وتؤمنوا بهم ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلم الله التقدير من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مصل فانه يكلم الله قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وانما الشرف في أن يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على أن موسى قد كلمه الله

بعضهم هو علم الله تعالى ذكره ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وسالم بن جنادة قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسع كرسيه قال كرسيه علمه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله وزاد فيه ألا ترى الى قوله ولا يؤده حفظهما وقال آخرون الكرسي موضع القدمين ذكر من قال ذلك حدثني علي بن مسلم الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثني أبي قال ثني محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن عمارة بن عمير عن أبي موسى قال الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وسع كرسيه السموات والارض فان السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وسع كرسيه السموات والارض قال كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي تجعل الملوك عليه أقدامهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن سفيان عن عمار الذهبي عن مسلم البطين قال الكرسي موضع القدمين حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وسع كرسيه السموات والارض قال لما نزلت وسع كرسيه السموات والارض قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والارض فكيف العرش فأنزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسع كرسيه السموات والارض قال ابن زيد فحدثني أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض * وقال آخرون الكرسي هو العرش نفسه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال كان الحسن يقول الكرسي هو العرش قال أبو جعفر ولكل قول من هذه الاقوال وجه ومذهب غير ان الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله ان يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال ان كرسيه وسع السموات والارض وانه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال باصابعه فجمعها وان له أطيطا كأطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا يحيى بن أبي بكر عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال جاءت امرأة فذكر نحوه وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه انه قال هو علمه وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره ولا يؤده حفظهما على ان ذلك كذلك فأخبر انه لا يؤده حفظ ما علم وأحاط به مما في السموات والارض وكما أخبر عن ملائكته انهم قالوا في دعائهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فأخبر تعالى ذكره ان علمه وسع كل شئ فكذلك قوله وسع كرسيه السموات والارض وأصل الكرسي العلم ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة ومنه قول الراجز في صفة قانص * حتى اذا ما احتازها تكرسا * يعني علم ومنه يقال للعلماء الكراسي لانهم المعتمد عليهم كما يقال أوتاد الارض يعني بذلك انهم العلماء الذين تصلح بهم الارض

واختلف في أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هل كلمه الله أم لا منهم من قال نعم بدليل قوله فأوحى الى عبده ما أوحى أو رده هنا بأن التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله ابليس حيث قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات وأجيب بأن قصة ابليس ليس فيها ما يدل على أنه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق أن المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهي الموجبة للعن كما في حق ابليس وأن عليك اللعنة الى يوم الدين وكما في أهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون أما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل ان المراد بيان أن الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابراهيم خليلا وأعطى داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على المناصب والمراتب أما اذا حملناها على المعجزات ففيه أيضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء أوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه أهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسب للطب لان كل ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد وهي القرآن تضاهي ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات وكان متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو أن يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تأملت الوجوه الثلاثة علمت أن محمدا كان مستجمعا للكل فمنصبه أعلى ومعجزته أبقى وقومه أكثر ودولته

ومنه قول الشاعر تحف بهم بيض الوجوه وعصبة * كراسي بالاحداث حين تنوب

يعني بذلك علماء بحوادث الامور ونوازلها والعرب تسمي أصل كل شيء الكرسي يقال منه فلان كريم الكرسي أي كريم الاصل قال العجاج

قد علم القدوس مولى القدس * ان أبا العباس أولى نفس * بمعدن الملك الكريم الكرسي

يعني بذلك الكريم الاصل و يروى في معدن العز الكريم الكرسي ﴿ القول في تأويل قوله (ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) يعني تعالى ذكره بقوله ولا يؤده حفظهما ولا يشق عليه ولا يثقله يقال منه قد آدني هذا الامر فهو يؤدني أودا وايادا ويقال ما آدك فهو لي آئد يعني بذلك ما أثقلك فهو مثقل لي بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يؤده حفظهما الا يثقل عليه لا يجهده حفظهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه شيء حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يوسف بن خالد السمتي قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة وحدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قالا جميعا أخبرنا جويبر عن الضحاك ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن عبيد عن الضحاك مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعني خلادا يقول سمعت أبا عبد الرحمن المديني يقول في هذه الآية ولا يؤده حفظهما قال لا يكبر عليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولا يؤده حفظهما قال لا يكبر به حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حفظهما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يعز عليه حفظهما قال أبو جعفر والهاء والميم والالف في قوله حفظهما من ذكر السموات والارض فتأويل الكلام وسع كرسيه السموات والارض ولا يثقل عليه حفظ السموات والارض وأما تأويل قوله وهو العلي فانه يعني والله العلي والعلي الفعيل من قولك علا يعلو علوا اذا ارتفع فهو عال وعلي والعلي ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته وكذلك قوله العظيم ذو العظمة الذي كل شيء دونه فلا شيء أعظم منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته واختلف أهل البحث في معنى قوله وهو العلي فقال بعضهم يعني بذلك وهو العلي عن النظير والاشباه وأنكروا أن يكون معنى ذلك وهو العلي المكان وقالوا غير جائز أن يخلو منه مكان ولا معنى لوصفه بعلو المكان لان ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان * وقال آخرون معنى ذلك وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه لانه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه كما وصف به نفسه انه على العرش فهو عال بذلك عليهم وكذلك اختلفوا في معنى قوله العظيم فقال بعضهم معنى العظيم في هذا الموضع المعظم صرف المفعل الى فعيل كما قيل للخمر المعتقة خمر عتيق وكما قال الشاعر

وكان الجر العتيق من الاسفنط مز وجة بماء زلال

وانما هي معتقة قالوا فقوله العظيم معناه المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه قالوا وانما يحتمل قول القائل هو عظيم أحد معنيين أحدهما ماوصفنا من انه معظم والآخر انه عظيم في المساحة والوزن قالوا وفي بطول القول بان يكون معنى ذلك انه عظيم في المساحة والوزن صحة القول بما قلنا * وقال آخرون بل تاويل قوله العظيم هو أن له عظمة هي له صفة وقالوا لا نصف عظمته بكيفية ولكنا نضيف ذلك اليه من جهة الاثبات وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظم المعروف من العباد لان ذلك تشبيه له بخلقه وليس كذلك وأنكر هؤلاء ماقاله أهل المقالة التي قدمنا ذكرها وقالوا لو كان معنى ذلك انه معظم لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق وأن يبطل معنى ذلك عند فناء الخلق لانه لا معظم له في هذه الاحوال وقال آخرون بل قوله انه العظيم وصف منه نفسه بالعظم وقالوا كل مادونه من خلقه فبمعنى الصغر لصغرهم عن عظمته ﴿ القول في تاويل قوله (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) اختلف أهل التاويل في معنى ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في قوم من الانصار أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصروهم فلما جاء الله بالاسلام أرادوا اكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار فقالوا لا ندع أبناءنا فانزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال كانت المرأة تكون مقلى ولا يعيش لها ولد قال شعبة وانما هو مقلاة فتجعل عليها ان بقي لها ولد لتهودنه قال فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم فقالت الانصار كيف نصنع بابنائنا فنزلت هذه الآية لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال من شاء أن يقيم أقام ومن شاء أن يذهب ذهب حدثنا حميد بن مسعود قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود وحدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عامر قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة لا يعيش لها ولد فتنذر ان عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم فجاء الاسلام وطوائف من أبناء الانصار على دينهم فقالوا انما جعلناهم على دينهم ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا واذ جاء بالاسلام فلنكرهنهم فنزلت لا اكراه في الدين فكان فصل مابين من اختار اليهودية والاسلام فمن لحق بهم اختار اليهودية ومن أقام اختار الاسلام ولفظ الحديث لحميد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود عن عامر بنحو معناه الا أنه قال وكان فصل مابينهم اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير فلحق بهم من كان يهوديا ولم يسلم منهم وبقي من أسلم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر بنحوه الا أنه قال اجلاء النضير الى خيبر فمن اختار الاسلام أقام ومن كره لحق بخيبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الا استكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية فانزل الله فيه ذلك حدثني المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال سالت سعيد بن جبير عن قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت هذه في الانصار قال قلت خاصة قال خاصة قال كانت المرأة في الجاهلية تنذر ان ولدت

أعظم وأوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك أفخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا للتعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الايتاء وأما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو ان أمتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من أمتهما لهما بل نازعوا وخالفوا وعن الواجب عليهم في طاعتهما أعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف أقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله أي ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم

لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي تستند لا محالة الى

داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر كما يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من أفعال نفسه ثم انه تعالى لما أمر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله وأعقبه بقوله من ذا (١٠) الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم أكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة

ولدا أن تجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه قال فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت النضير قالوا يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فيهم قال فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فهم منهم قال فأجلوهم معهم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الى لا انفصام لها قال نزلت في رجل من الانصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان فقدم تجار من الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما باعوا وأرادوا ان يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا فرجعا الى الشام معهم فأتى أبوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني تنصرا وخرجا فأطلبهما فقال لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب وقال أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يبعث في طلبهما فنزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ثم انه نسخ لا اكراه في الدين فأمر بقتال أهل القتال في سورة براءة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا اكراه في الدين قال كان في اليهود يهود أرضعوا رجالا من الاوس فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلائهم قال أبناؤهم من الاوس لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم أهلوهم وأكرهوهم على الاسلام ففيهم نزلت الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن خصيف عن مجاهد لا اكراه في الدين قال كان ناس من الانصار مسترضعين في بني قريظة فأرادوا أن يكرهوهم على الاسلام فنزلت لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد كانت النضير يهودا فأرضعوا ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم قال ابن جريج وأخبرني عبد الكريم عن مجاهد انهم كانوا قد دان بدينهم أبناء الاوس دانوا بدين النضير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود بن أبي هند عن الشعبي ان المرأة من الانصار كانت تنذر ان عاش ولدها لتجعلنه في أهل الكتاب فلما جاء الاسلام قالت الانصار يا رسول الله ألا نكره أولادنا الذين هم في يهود على الاسلام فأنزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود عن الشعبي مثله وزاد قال كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الاسلام اجلاء بني النضير فمن خرج مع بني النضير كان منهم ومن تركهم اختار الاسلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا اكراه في الدين الى قوله العروة الوثقى قال هذا منسوخ حدثني سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ووائل عن الحسن ان أناسا من الانصار كانوا مسترضعين في بني النضير فلما أجلوا أراد أهلوهم أن يلحقوهم بدينهم فنزلت لا اكراه في الدين * وقال آخرون بل معنى ذلك لا يكره أهل الكتاب على الدين اذا بذلوا الجزية ولكنهم يقرون على دينهم وقالوا الآية في خاص من الكفار ولم ينسخ منها شيء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال أكره عليه هذا الحي من العرب لانهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الاسلام ولا يكره عليه أهل الكتاب اذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى عنهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله لا اكراه في الدين قال هو هذا الحي

طالوت أعقبه تارة أخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم وعن الحسن أنه مختص بالزكاة لان قوله من قبل أن يأتي يوم كالوعيد وانه لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على أنه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الآية وعيد وانما الغرض أن يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من أعماله ومعنى قوله لا بيع أنه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب أو يكتسب مالا حتى ينفق منه ولا خلة لا مودة لان كل أحد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أو لان الخوف الشديد غالب على كل أحد تذهل كل مرضعة عما أرضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل أراد والتاركون من الزكاة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين أي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله ووجدوا

ماء لوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها التي توقعهم الشفاعة من الاصنام و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعني والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وأما المسلم فانه ينفق في سبيل الله [illegible] كثيرا وفائدة الفصل أنهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التاويل تلك آيات الله أسراره (11) وأنواره ورموزه واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجاة في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في حجر القربات وأرسلوا الى أهل الغدر والغفلات وعبدة طواغيت الهوى وأصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجونهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وأنت عبرت المكونات فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله وقت وابتليت بسفارة جبريل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك أن تقول ما أوذي نبي مثل ما أوذيت لان غيرك ما سقي من شرب سقيت فما أوذي بفطام مثل ما أوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى أن التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من أهل الفضل أنوار ولانوارهم آثار على قدر واستعلاء أضواء أنوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام يمتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

من العرب أكرهوا على الدين لم يقبل منهم الا القتل أو الاسلام وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ولم يقتلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قوله لا اكراه في الدين قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الاوثان فلم يقبل منهم الا لا اله الا الله أو السيف ثم أمر فيمن سواهم بان يقبل منهم الجزية فقال لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا اكراه في الدين قال كانت العرب ليس لها دين فاكرهوا على الدين بالسيف قال ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس اذا أعطوا الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا يقول لغلام له نصراني يا جرير اسلم ثم قال هكذا كان يقال لهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال وذلك لما دخل الناس في الاسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية * وقال آخرون هذه الآية منسوخة وانما نزلت قبل أن يفرض القتال ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فابى المشركون الا أن يقاتلوهم فاستأذن الله في قتالهم فاذن له وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية في خاص من الناس قال عنى بقوله تعالى ذكره لا اكراه في الدين أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء اقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه وأنكروا أن يكون شئ منها منسوخا وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا كتاب اللطيف من البيان عن أصول الاحكام من ان الناسخ غير كائن ناسخا الا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما فاما ما كان ظاهره العموم من الامر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل واذ كان ذلك كذلك وكان غير مستحيل أن يقال لا اكراه لاحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم انه أكره على الاسلام قوما فابى أن يقبل منهم الا الاسلام وحكم بقتلهم ان امتنعوا منه وذلك كعبدة الاوثان من مشركي العرب وكالمرتد عن دينه دين الحق الى الكفر ومن أشبههم وانه ترك اكراه آخرين على الاسلام بقبوله الجزية منه واقراره على دينه الباطل وذلك كاهل الكتابين ومن أشبههم كان بينا بذلك أن معنى قوله لا اكراه في الدين انما هو لا اكراه في الدين لاحد ممن حل قبول الجزية منه بادائه الجزية ورضاه بحكم الاسلام ولا معنى لقول من زعم ان الآية منسوخة الحكم بالاذن بالمحاربة فان قال قائل فما أنت قائل فيما روي عن ابن عباس وعمن روي عنه من أنها نزلت في قوم من الانصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الاسلام قلنا ذلك غير مدفوعة صحته ولكن الآية قد تنزل في خاص من الامر ثم يكون حكمها عاما في كل ما جانس المعنى الذي أنزلت فيه فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما ذكر ابن عباس وغيره انما كانوا قوما دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الاسلام لهم فنهى الله تعالى ذكره عن اكراههم على الاسلام فانزل بالنهي عن ذلك آية يعم حكمها كل من كان في مثل معناهم ممن كان على دين من الاديان التي يجوز أخذ الجزية من أهلها واقرارهم عليها على النحو الذي قلنا في ذلك ومعنى قوله لا اكراه في الدين لا يكره أحد في دين الاسلام عليه وانما أدخلت الالف واللام في الدين تعريفا للدين الذي عنى الله بقوله لا اكراه فيه وانه هو الاسلام وقد يحتمل أن يكون أدخلتا عقيبا من الهاء المنوية في الدين فيكون معنى الكلام حينئذ وهو العلي

وخاص يمتاز به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت فى الانوار على قدر التفاوت فى الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور فى بدو الخلقة لا فى حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوجدان فى قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة فى الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين أوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات أنوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد يبقى بعضهم فى مكان من أماكن السموات كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى آدم ليلة المعراج فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهرون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء السادسة وابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ما بقى فى مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين أو أدنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما أخبر عن فضيلة الخواص بانها كانت تفضيله اياهم أخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم أخبر عن اجراء الفضل انه فى الانفاق والبذل فخاطب أهل الايمان أى ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها فى مصارفها العامة والخاصة أنفقوا ملكنا ومالنا فى صلاح أنفسكم واغتنموا مساعدة الامكان فى تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل أن يأتى يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس فى سوق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

العظيم لا اكراه فى دينه قد تبين الرشد من الغى وكان هذا القول أشبه بتأويل الآية عندى وأما قوله قد تبين الرشد فانه مصدر من قول القائل رشدت فأنا أرشد رشدا ورشدا ورشادا وذلك اذا أصاب الحق والصواب وأما الغى فانه مصدر من قول القائل قد غوى فلان فهو يغوى غيا وغواية وبعض العرب تقول غوى فلان يغوى والذى عليه قراءة القراء ما ضل صاحبكم وما غوى بالفتح وهى أفصح اللغتين وذلك اذا غوى الحق وتجاوزه فضل فتأويل الكلام اذا قد وضح الحق من الباطل واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه فتميز من الضلالة والغواية فلا تكرهوا من أهل الكتابين ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه على دينكم دين الحق فان حاد عن الرشاد بعد استبانته له فالى ربه أمره وهو ولى عقوبته فى معاده ۞ القول فى تأويل قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) اختلف أهل التأويل فى معنى الطاغوت فقال بعضهم هو الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن حسان بن فايد العبسى قال قال عمر بن الخطاب الطاغوت الشيطان حدثنى محمد بن المثنى قال ثنى ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق عن حسان بن فايد عن عمر مثله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عمن حدثه عن مجاهد قال الطاغوت الشيطان حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى قال الطاغوت الشيطان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله فمن يكفر بالطاغوت قال الشيطان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الطاغوت الشيطان حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان * وقال آخرون الطاغوت هو الساحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية انه قال الطاغوت الساحر وقد خولف عبد الاعلى فى هذه الرواية وأنا ذاكر الخلاف بعد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا عوف عن محمد قال الطاغوت الساحر * وقال آخرون بل الطاغوت هو الكاهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال الطاغوت الكاهن حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قال الطاغوت الكاهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فمن يكفر بالطاغوت قال كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم أخبرنى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أنه سمعه يقول وسئل عن الطواغيت التى كانوا يتحاكمون اليها فقال كان فى جهينة واحد وفى أسلم واحد وفى كل حى واحد وهى كهان ينزل عليها الشيطان والصواب من القول عندى فى الطاغوت انه كل ذى طغيان على الله فعبد من دونه اما بقهر منه لمن عبده واما بطاعة ممن عبده انسانا كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شئ وأرى ان أصل الطاغوت الطغووت من قول القائل طغى فلان يطغو اذا عدا قدره فتجاوز حده كالجبروت من التجبر والخلبوت من الخلب ونحو ذلك من الاسماء التى تأتى على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء ثم نقلت لامه أعنى لام الطغووت فجعلت له عينا وحولت عينه فجعلت مكان لامه كما قيل جذب وجبذ وجابذ وجاذب وصاعقة وصاقعة وما أشبه ذلك من الاسماء التى على هذا المثال فتأويل الكلام اذا فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به ويؤمن بالله يقول ويصدق بالله انه الهه وربه ومعبوده فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه كما حدثنى أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا ابن أبى مريم عن حميد بن

عقبة

ولا ينفعه خلة خليل دنيوي لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا أرسلنا بالرسل وأنزلنا الكتب وأمرناهم بالانفاق و واعدناهم الثواب وحذرناهم العقاب وقد أعذر من أنذر والله المستعان

(الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم

عقبة عن أبي الدرداء انه عاد مريضا من جيرته فوجده في السوق وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد فسألهم يريد أن ينطق قالوا نعم يريد أن يقول آمنت بالله وكفرت بالطاغوت قال أبو الدرداء وما علمكم بذلك قالوا لم يزل يرددها حتى انكسر لسانه فنحن نعلم انه انما يريد أن ينطق بها فقال أبو الدرداء أفلح صاحبكم ان الله يقول فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ۞ القول في تاويل قوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) والعروة في هذا المكان مثل للايمان الذي اعتصم به المؤمن فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بالعروة الوثقى الشيء الذي له عروة يتمسك بها اذ كان كل ذي عروة فانما يتعلق من أراده بعروته وجعل تعالى ذكره الايمان الذي تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله من أوثق عرى الاشياء بقوله الوثقى والوثقى فعلى من الوثاقة يقال في الذكر هو الاوثق وفي الانثى هي الوثقى كما يقال فلان الافضل وفلانة الفضلى وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بالعروة الوثقى قال الايمان حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال العروة الوثقى هو الاسلام حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي السوداء عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله ثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي السوداء الهندي عن سعيد بن جبير مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فقد استمسك بالعروة الوثقى مثله ۞ القول في تاويل قوله (لا انفصام لها) يعني تعالى ذكره بقوله لا انفصام لها لا انكسار لها والهاء والالف في قوله لها عائدة على العروة ومعنى الكلام فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه اياه واسلامه عند حاجته اليه في أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الاشياء التي لا يخشى انكسار عراها وأصل الفصم الكسر ومنه قول أعشى بني ثعلبة

ومبسمها عن شنب النبا * ت غير كسر ولا منفصم

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا انفصام لها قال لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا انفصام لها لا انقطاع لها ۞ القول في تاويل قوله (والله سميع عليم) يعني تعالى ذكره والله سميع ايمان المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند اقراره بوحدانية الله وتبرئه من الانداد والاوثان التي تعبد من دون الله عليم بما عزم عليه من توحيد الله واخلاص ربوبيته قلبه وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والاصنام والطواغيت ضميره وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفى عليه أمر حتى يجازي كلا يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضمرته نفسه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ۞ القول في تاويل قوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) يعني تعالى ذكره بقوله الله ولي الذين آمنوا نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه يخرجهم من الظلمات يعني بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وانما عنى بالظلمات في هذا الموضع الكفر وانما جعل

وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

القراآت تعرف مما مر * الوقوف الا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا عن الضمير وخبرا آخر محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقدر لمشيئته مبتدأ بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم ه الغي ج لان من للشرط مع فاء التعقيب الوثقى ط قد قيل للاستئناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة أي استمسك بها غير منفصمة لها ط عليم ه آمنوا الا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم أو مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ه * التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط الانواع الثلاثة أعني علم التوحيد وعلم

الاحكام وعلم القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة فى الزام الاحكام والتكاليف وفى هذا النسق أيضا رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من أسلوب الى أسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وبصيرأ قرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماقرئت هذه الآية فى دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما فى القرآن فقال لهم على رضى الله عنه أين أنتم من آية الكرسى ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم عليه السلام وسيد العرب أنت وسيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وعن على رضى الله عنه أنه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال عليه السلام فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حى يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فلا أزال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو أشرف من غيره لان ذلك يقتضى نوع مناسبة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ماسواه ولما كانت الآية مشتملة من

الظلمات الكفر لان الظلمات حاجبة للابصار عن ادراك الاشياء واثباتها وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن ادراك حقائق الايمان والعلم بصحته وصحة أسبابه فاخبر تعالى ذكره عباده انه ولى المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم فموفقهم لادلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعى الكفر وظلم سواتر أبصار القلوب ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به فقال والذين كفروا يعنى الجاحدين وحدانيته أولياؤهم يعنى نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم الطاغوت يعنى الانداد والاوثان الذين يعبدونهم من دون الله يخرجونهم من النور الى الظلمات يعنى بالنور الايمان على نحو مابينا الى الظلمات ويعنى بالظلمات ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الايمان وحقائق أدلته وسبله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الضلالة الى الهدى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت الشيطان يخرجهم من النور الى الظلمات يقول من الهدى الى الضلالة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والظلمات الكفر والنور الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات يخرجونهم من الايمان الى الكفر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله تعالى ذكره الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الكفر الى الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات يقول من الايمان الى الكفر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد أو مقسم فى قول الله الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات قال كان قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى أى يخرج الذين آمنوا الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال يخرجونهم من النور الى الظلمات حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت منصورا عن رجل عن عبدة بن أبى لبابة قال فى هذه الآية الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قال هم الذين كانوا آمنوا بعيسى بن مريم فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وأنزلت فيهم هذه الآية وهذا القول الذى ذكرناه عن مجاهد وعبدة ابن أبى لبابة يدل على أن الآية معناها الخصوص وانها ان كان الامر كما وصفنا نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من عبدة الاوثان الذين لم يكونوا مقرين بنبوة عيسى وسائر الملل التى كان أهلها تكذب بعيسى فان قال قائل أو كانت النصارى على حق قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوا به قيل من كان منهم على ملة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فكان على حق واياهم عنى الله تعالى ذكره بقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله فان قال قائل فهل يحتمل أن يكون قوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أن يكون معنيا به غير الذين ذكر مجاهد وعبدة انهم عنوا به من المؤمنين بعيسى أو غير أهل الردة والاسلام قيل نعم يحتمل أن يكون معنى ذلك والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم وبين الايمان ويضلونهم فيكفرون فيكون تضليلهم اياهم حتى يكفروا اخراجا منهم لهم من الايمان يعنى صدهم اياهم عنه وحرمانهم اياهم خيره وان لم

يكونوا

يكونوا كانوا فيه قبل كقول الرجل أخرجني والدي من ميراثه اذا ملك ذلك في حياته غيره فحرمه منه خطيئة ولم يملك ذلك القائل هذا الميراث قط فيخرج منه ولكنه لما حرمه وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يحرمه قيل أخرجه منه وكقول القائل أخرجني فلان من كتيبته يعني لم يجعلني من أهلها ولم يكن فيها قط قبل ذلك وكذلك قوله يخرجونهم من النور الى الظلمات يحتمل أن يكون اخراجهم اياهم من الايمان الى الكفر على هذا المعنى وان كان الذي قاله مجاهد وغيره أشبه بتأويل الآية فان قال لنا قائل وكيف قال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور فجمع خبر الطاغوت بقوله يخرجونهم والطاغوت واحد قيل ان الطاغوت اسم لجماع وواحد وقد يجمع طواغيت واذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد كان نظير قولهم رجل عدل وقوم عدل ورجل فطر وقوم فطر وما أشبه ذلك من الاسماء التي تأتي موحدة في اللفظ واحدها وجمعها وكما قال العباس بن مرداس * فقلنا أسلموا انا أخوكم * فقد برئت من الاحن الصدور

القول في تأويل قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني تعالى ذكره بذلك هؤلاء الذين كفروا أصحاب النار أهل النار الذين يخلدون فيها يعني في نار جهنم دون غيرهم من أهل الايمان الى غير غاية ولا نهاية أبدا

القول في تأويل قوله (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك) يعني تعالى ذكره بقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ألم تر يا محمد بقلبك الذي حاج ابراهيم يعني الذي خاصم ابراهيم يعني ابراهيم نبي الله صلى الله عليه وسلم في ربه أن آتاه الله الملك يعني بذلك حاجه فخاصمه في ربه لان الله آتاه الملك وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من الذي حاج ابراهيم في ربه ولذلك أدخلت الى في قوله ألم تر الى الذي حاج وكذلك تفعل العرب اذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله قالوا أما ترى الى هذا والمعنى هل رأيت مثل هذا أو كهذا وقيل ان الذي حاج ابراهيم في ربه جبار كان ببابل يقال له نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل انه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك قال هو نمرود بن كنعان حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر بن عدي عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه قال كنا نحدث انه ملك يقال له نمرود وهو أول ملك تجبر في الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هو اسمه نمرود وهو أول من تجبر في الارض حاج ابراهيم في ربه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك قال ذكر لنا أن الذي حاج ابراهيم في ربه كان ملكا يقال له نمرود وهو أول جبار تجبر في الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال هو نمرود بن كنعان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو نمرود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني زيد بن أسلم بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول هو نمرود قال ابن جريج هو نمرود ويقال انه أول ملك في الارض

القول في تأويل قوله (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله

نعوت جلاله وأوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى أقصى الغايات ونهاية التصورات ولنشتغل بالتفسير أما لفظ الله فقد مر تفسيره في أول الكتاب وأما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وأما الحي القيوم فقد سلف أيضا معناهما في شرح الاسماء الا أنا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان أعظم أسماء الله (١٥) الحي القيوم ويؤكده ما روينا من قصة بدر ولو كان ذكر أشرف منه لذكره وقتئذ في السجود وأما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصلح ان يعلم ويقدر أو هو الدراك الفعال فاورد عليه ان هذا لا يقتضي المدح لمشاركة أخس الحيوانات اياه في ذلك ونحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شئ يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح أن يقال أحيي الموات وأحيي الله الارض فان كمال حال الارض أن تكون معمورة وكمال حال الاشجار أن تكون مورقة نضيرة ولما كان كمال حال الجسم أن يكون بحيث يصح أن يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حياة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته وأما القيوم فيطلق لمجموع اعتبارين أحدهما أنه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني أن غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته وبجميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في تحققه الى وجود ذينك الجزأين فيقدح في كونه قيوما ومنها أنه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزأين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها أن لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم

وقـد ثبت أنه واحد ومنها انه ليس فى جهة يشار اليها والا كان متحيزا ومنها أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعـلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حياته وما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته وذاته مقوم لغيره (١٦) والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها أنه قادر على كل المقدور واذ والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما لغـيره و يعلم منـه استناد كل الممكنات اليـه بواسطة أو غـير واسطة و يلزم منه القول بالقضاء والقدر والحى أصـله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء فى الياء عنـد اجتمـاعهما وكلا الياءين أصل وقال ابن الانبارى أصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء مشـددة و زيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغـة قائم وأصـله قيووم على فيعول فجعلت الياء السا كنـة والواو الاولى ياء مشـددة ولو كان قووما على فعول لقيـل قووم وعن عمر أنه قرأ الحى القيام وقـرئ القيم ثم لما بين انه حى قيوم أكد ذلك بقوله لا تأخـذه سـنة ولا نوم ولهذا فقـد العاطف بينهما وكذا فيما يعقبهما والسنة ما يتقدم النوم مـن الفتور والذى يسمى النعاس أى لا يأخذه نعاس فضلا أن يأخذه نوم أو نقول نفى الاخص أولا ثم نفى الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفى النوم أولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على نفى الاخص لم يلزم منـه نفى الاعم والمعنى أنه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ان ساعة اختل أمر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع وأهمل انك لوسنان نائم ومما يدل على أن السهو والغفلة والنوم على الله محال هو أن هذه الاشياء اما أن تكون عبارات عن عدم العلم أو عن اضداد العلم وعلى التقديرين فجوازها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى

يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهـدى القوم الظالمين) يعنى تعـالى ذكره بذلك ألم تر يا محمد الى الذى حاج ابراهيم فى ربه حين قال له ابراهيم ربى الذى يحيي و يميت يعنى بذلك ربى الذى بيده الحياة والموت يحيي من يشاء و يميت من أراد بعد الاحياء قال أنا أفعـل ذلك فاحيي وأميت أستحيي من أردت قتـله فلا أقتله فيكون ذلك منى احياء له وذلك عنـد العرب يسمى احياء كما قال تعالى ذكره ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وأقتل آخر فيكون ذلك منى اماتة له قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله الذى هو ربى يأتى بالشمس من مشرقها فأت بها ان كنت صادقا انك اله من مغربها قال الله تعالى ذكره فبهت الذى كفر يعنى انقطع و بطلت حجته يقال منه بهت يبهت بهتا وقـد حكى عن بعض العرب انها تقول بهذا المعنى بهت و يقـال بهت الرجل اذا افتريت عليه كذبا بهتا و بهتانا و بهاتة وقد روى عن بعض القراء انه قرأ فبهت الذى كفر بمعنى فبهت ابراهيم الذى كفر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة فى قوله اذ قال ابراهـيم ربى الذى يحيي و يميت قال أنا أحيي وأميت وذكر لنا أنه دعا برجلين فقتل أحدهـما واستحيا الآخر فقال أنا أحيي هذا أنا أستحيي من شئت وأقتل من شئت قال ابراهيم عنـد ذلك فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أنا أحيي وأميت أقتـل من شئت وأستحيي من شئت أدعه حيا فلا أقتله وقال ملك الارض مشرقها ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران بختنصر ونمرود بن كنعان لم يملكها غيرهم حدثنا الحسن بن يحيي قال أخـبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسـلم أن أول جبار كان فى الارض نمرود فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنـده الطعام فخرج ابراهيم يمتار مع من يمتار فاذا مر به ناس قال من ربكم قالوا أنت حتى مر ابراهـيم قال من ربك قال الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهـيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر قال فرده بغـير طعام قال فرجع ابراهيم على أهله فمر على كثيب أعفر فقال الا آخـذ من هذا فآتى به أهلى فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم فاخذ منه فأتى أهله قال فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هى باجود طعام رآه فصنعت له منه فقربته اليه وكان عهده باهله ليس عندهم طعام فقال من أين هـذا قالت من الطعام الذى جئت به فعلم أن الله رزقه فحمد الله ثم بعث الله الى الجبار ملكا أن آمن بى واتركك على ملكك قال وهل رب غـيرى فجاءه الثانية فقال له ذلك فابى عليه ثم أتاه الثالثة فابى عليـه فقال له الملك اجمع جموعـك الى ثلاثة أيام فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليـه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهـم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم تبق الا العظام والملك كما هو لم يصبه من ذلك شئ فبعث الله عليـه بعوضة فدخلت فى منخره فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسـه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة عام فعـذبه الله أربعمائة سنة كملكه وأماته الله وهو الذى بنى صرحا الى السمـاء فأتى الله بنيانه من القواعد وهو الذى قال الله فاتى الله بنيانهم من القواعد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبـد الرحمن بن زيد بن أسـلم فى قول الله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه قال هو نمرود كان بالموصل والناس يأتونه فاذا دخلوا عليـه قال من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم فلما دخل ابراهيم ومعه بعير خرج يمتار به لولده قال فعرضهم كلهـم فيقول من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم حتى عرض ابراهيم مرتين فقال من ربك قال ربى الذى يحيي و يميت قال أنا أحيي وأميت

ان شئت قتلتك فامتك وان شئت استحييتك قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين قال اخرجوا هذا عني فلا تعطوه شيأ فخرج القوم كلهم قد امتاروا وجوالقا ابراهيم يصطفقان حتى اذا نظر الى سواد جبال أهله قال ليحزنني صبيتي اسمعيل واسحق لو اني ملأت هذين الجوالقين من هذه البطحاء فذهبت بهما قرت عينا صبيتي حتى اذا كان الليل أهرقته قال فملأهما ثم خيطهما ثم جاء بهما فترامى عليهما الصبيان فرحا وألقى رأسه في حجر سارة ساعة ثم قالت ما يجلسني قد جاء ابراهيم تعبا لغبا لو قمت فصنعت له طعاما الى أن يقوم قال فأخذت وسادة فأدخلتها مكانها وانسلت قليلا قليلا لئلا توقظه قال فجاءت الى احدى الغرارتين ففتقتها فاذا حواري من النقي لم يروا مثله عند أحد قط فأخذت منه فطحنته وعجنته فلما أتت توقظ ابراهيم جاءته حتى وضعته بين يديه فقال أي شئ هذا يا سارة قالت من جوالقك لقد جئت وما عندنا قليل ولا كثير قال فذهب ينظر الى الجوالق الآخر فاذا هو مثله فعرف من أين ذاك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال هو يعني نمرود فانا أحيي وأميت فدعا برجلين فاستحيا أحدهما وقتل الآخر قال أنا أحيي وأميت قال أي أستحيي من شئت فقال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما خرج ابراهيم من النار أدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت أنا أدخل أربعة نفر فادخلهم بيتا فلا يطعمون ولا يسقون حتى هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا وتركت اثنين فماتا فعرف ابراهيم أن له قدرة بسلطانه وملكه على أن يفعل ذلك قال له ابراهيم فان ربي الذي يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وقال ان هذا انسان مجنون فاخرجوه ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها وأن النار لم تأكله وخشي أن يفتضح في قومه أعني نمرود وهو قول الله تعالى ذكره وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فكان يزعم انه رب وأمر بابراهيم فأخرج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول قال أنا أحيي وأميت أحيي فلا أقتل وأميت من قتلت قال ابن جريج كان أتى برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فقال أنا أحيي وأميت قال أقتل فأميت من قتلت وأحيي قال أستحيي فلا أقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال ذكر لنا والله أعلم ان نمرود قال لابراهيم فيما يقول أرأيت الهك هذا الذي تعبدوه وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود فانا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون قد امته وأعفو عن الآخر فاتركه وأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب أعرف انه كما تقول فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع اليه شيأ وعرف انه لا يطيق ذلك يقول تعالى ذكره فبهت الذي كفر يعني وقعت عليه الحجة يعني نمرود وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يهدي أهل الكفر الى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة لان أهل الباطل حججهم داحضة وقد بينا ان معنى الظلم وضع الشئ في غير موضعه والكافر وضع جحوده ما جحد في غير موضعه فهو بذلك من فعله ظالم لنفسه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن

ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فأوحى الله اليهم أن يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم أعطاه قارورتين مملوأتين في كل يد واحدة وأمره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى أن نام في آخر الامر فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان أنه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب أن ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز شك والشك في مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما وأكده بما أكد رتب عليه حكما وهو قوله له ما في السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له ويلزم منه أن يكون حكمه جاريا في الكل ولا يكون لغيره في شئ من الاشياء حكم الا باذنه وأمره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار أي لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه الا باذنه كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا أو لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء عن مجاهد وعطاء والسدي أي يعلم ما كان قبلهم من أمور الدنيا وما كان بعدهم من أمور الآخرة الضحاك والكلبي ما بين أيديهم الآخرة

لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين أيديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض أنه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به

ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق والله لا يهدى القوم الظالمين أى لا يهديهم فى الحجة عند الخصومة لما هم عليه من الضلالة ۞ القول فى تأويل قوله (أو كالذى مر على قرية) يعنى تعالى ذكره بقوله أو كالذى مر على قرية نظير الذى عنى بقوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه من تعجيب محمد صلى الله عليه وسلم منه وقوله أو كالذى مر على قرية عطف على قوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه وانما عطف بقوله أو كالذى على قوله الى الذى حاج ابراهيم فى ربه وان اختلف لفظاهما لتشابه معنييهما لان قوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه بمعنى هل رأيت يا محمد كالذى حاج ابراهيم فى ربه ثم عطف عليه بقوله أو كالذى مر على قرية لان من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه وان خالف لفظه لفظه وقد زعم بعض نحويى البصرة ان الكاف فى قوله أو كالذى مر على قرية زائدة وان المعنى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم أو الذى مر على قرية وقد بينا فيما مضى قبل انه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شئ لا معنى له بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واختلف أهل التأويل فى الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فقال بعضهم هو عزير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن ناجية بن كعب أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال عزير حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو خزيمة قال سمعت سليمان بن بريدة فى قوله أو كالذى مر على قرية قال هو عزير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال ذكر لنا انه عزير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قوله أو كالذى مر على قرية قال الربيع ذكر لنا والله أعلم ان الذى أتى على القرية هو عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال عزير حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أو كالذى مر على قرية قال عزير حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انه هو عزير حدثنى يونس قال قال لنا سالم الخواص كان ابن عباس يقول هو عزير * وقال آخرون هو أرميا بن حلقيا وزعم محمد بن اسحق ان أرميا هو الخضر حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال اسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى اسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول فى قوله انى يحيى هذه الله بعد موتها ان أرميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف فى ناحية الجبل فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال هو أورميا حدثنى محمد بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال سمعت عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن قيس ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير فى قول الله أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال كان نبيا وكان اسمه أرميا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن عبد الله بن عبيد مثله ثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى بكر بن ٧ قال يقولون والله أعلم انه أرميا وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره عجب نبيه صلى الله عليه وسلم ممن قال اذ رأى قرية خاوية على عروشها انى يحيى هذه الله بعد موتها مع علمه انه ابتدأ خلقها من غير شئ فلم يقنعه علمه بقدرته

٧ هنا بياض بالاصل

هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى أذن لهم فى تلك الشفاعة أم لا فانهم لا يحيطون بشئ من علمه أى من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل أن يراد ولا يعلمون الغيب الا باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيأ الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم أولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه فى السموات وفى الارض ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارضين أعظم وأجل وان ذلك مما ينقطع دون الاعياء الى أدنى درجة من درجاتها أوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشئ اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى أى لم يحتمل غير ذلك وأما الكرسى فاصله التركب والتلبد ومنه الكرسى بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض أوراقها على بعض والكرسى لما يجلس عليه لتركب خشباته وللمفسرين فى معناه ههنا أقوال فعن الحسن أنه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسى لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدى أنه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس

على ابتداء احتى قال انى يحييها الله بعدموتها ولا بيان عندنا من الوجه الذى يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك وجائز أن يكون ذلك عزيرا وجائز أن يكون ارميا ولا حاجة بنا الى معرفة اسمه اذلم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك وانما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على احيائه خلقه بعد مماتهم واعادتهم بعد فنائهم وانه الذى بيده الحياة والموت من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل باطلاعه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما يزيل شكهم فى نبوته ويقطع عذرهم فى رسالته اذ كانت هذه الانباء التى أوحاها الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه من الانباء التى لم يكن يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ولم يكن علم ذلك الا عند أهل الكتاب ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وقومه منهم بل كان أميا وقومه أميون فكان معلوما بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجره ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك الا بوحى من الله اليه ولو كان بعلم المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبا يقطع العذر ويزيل الشك ولكن القصد كان الى ذم قبله فابان تعالى ذكره لخلقه واختلف أهل التاويل فى القرية التى مر عليها القائل انى يحيى هذه الله بعد موتها فقال بعضهم هى بيت المقدس ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه قال لما رأى أرميا هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال انى يحيى هذه الله بعد موتها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد ابن معقل انه سمع وهب بن منبه قال هى بيت المقدس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عمن لا يتهم انه سمع وهب بن منبه يقول ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انه بيت المقدس أتى عليه عزير بعد ما خربه بختنصر البابلى **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها انه مر على الارض المقدسة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله أو كالذى مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر بها عزير بعد اذ خربها بختنصر **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أو كالذى مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر عليها عزير وقد خربها بختنصر * وقال آخرون بل هى القرية التى كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ذكره ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قال قرية كان نزل بها الطاعون ثم اقتص قصتهم التى ذكرناها فى موضعها عنه الى أن بلغ فقال لهم الله موتوا فى المكان الذى ذهبوا يبتغون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون قال ومر بها رجل وهى عظام تلوح فوقف ينظر فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله لم يتسنه والصواب من القول فى ذلك كالقول فى اسم القائل انى يحيى هذه الله بعد موتها سواء لا يختلفان ۞ القول فى تاويل قوله (وهى خاوية على عروشها) يعنى تعالى ذكره بقوله وهى خاوية وهى خالية من أهلها وسكانها يقال من ذلك خوت الدار تخوى خواء وخويا وقد يقال القرية خويت والاول أعرب وأفصح وأما فى المرأة اذا كانت نفساء فانه يقال خويت تخوى خوى منقوصا وقد يقال فيها خوت تخوى كما يقال فى الدار وكذلك خوى الجوف يخوى خواء شديدا ولو قيل فى الجوف ما قيل فى الدار وفى الدار ما قيل فى الجوف كان

انه قال الكرسى موضع القدمين وينبغى أن تحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضى الى التشبيه ككونه موضع قدم الروح الاعظم أو ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا أسرار لا أحب اظهارها ولو شاء الله أن يطلع عليها عبدا من عبيده فهو أعلم بمحارم أسراره وقيل المراد من الكرسى ان السلطان والقدرة والملك له لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمى أصل كل شئ الكرسى أولانه تسمية للشئ باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسى وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسى وأيضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى الارض كما يقال لهم أوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسى ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشرى وتقريره أنه يخاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا فى ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله فى أرضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل أيدى الملوك وكذلك ما ذكر فى القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم أثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا أن المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى العرش والكرسى ولا يؤده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وأمره فى الكل على نعت واحد وصورة واحدة علوية كانت الاجسام أو سفلية كبيرة أو صغيرة ثم بين أنه مع كونه مقوما

الممكنات مقيما الارضين والسموات متعال عن المتغيرات ومقدس عن المتزمنات فقال وهو العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم للمكان ومديم للزمان قوله سبحانه لا اكراه في الدين الآية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك أنه لم يبق للكافر علة في اقامته على الكفر الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار وينافيه الاكراه والاجبار ونحو ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي يقال بان الشئ واستبان وتبين وبين أيضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد تبين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه أي تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت وأصله من طغى الا ان لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي أنه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك أنه يفرد في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فأما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالتأنيث لارادة الآلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل ما طغى وانما جعلت هذه الاشياء أسبابا للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله من يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر لا بد أن يتوب أولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك

صوابا غير ان الفصيح ما ذكرت وأما العروش فانها الابنية والبيوت واحدها عرش وجمع قليله أعرش وكل بناء فانه عرش ويقال عرش فلان اذا بنى بيتا يعرش ويعرش عرشا ومنه قول الله تعالى ذكره وما كانوا يعرشون يعني يبنون ومنه قيل عريش مكة يعني به خيامها وأبنيتها وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس خاوية خراب قال ابن جريج بلغنا ان عزيرا خرج فوقف على بيت المقدس وقد خربه بختنصر فوقف فقال أبعد ما كان لك من المقدس والمقاتلة والمال ما كان فحزن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهي خاوية على عروشها قال هي خراب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال مر عليها عزير وقد خربها بختنصر حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وهي خاوية على عروشها يقول ساقطة على سقفها * القول في تاويل قوله (قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام) ومعنى ذلك فيما ذكرت أن قائله لما مر ببيت المقدس أو بالموضع الذي ذكر الله انه مر به خرابا بعد ما عهده عامرا قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فقال بعضهم كان قيله ما قال من ذلك شكا في قدرة الله على احيائه فاراه الله قدرته على ذلك فضرب به المثل له في نفسه ثم أراه الموضع الذي أنكر قدرته على عمارته واحيائه احياء ما رآه قبل خرابه أعمر ما كان قبل خرابه وذلك ان قائل ذلك كان فيما ذكر لنا عهده عامرا باهله وسكانه ثم رآه خاويا على عروشه قد باد أهله وشتتهم القتل والسبا فلم يبق منهم بذلك المكان أحد وخربت منازلهم ودورهم فلا يبقى الا الاثر فلما رآه كذلك بعد الحال التي عهده عليها قال على أي وجه يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها استنكارا فيما قاله بعض أهل التاويل فاراه كيفية احيائه ذلك بما ضربه له في نفسه وفيما كان مرادا به وطعامه ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره باظهاره احياء ما كان عجبا عنده في قدرة الله احياؤه لرأي عينه حتى أبصره ببصره فلما رأى ذلك قال اعلم ان الله على كل شئ قدير وكان سبب قيله ذلك كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني انه كان يقول قال الله لارمياحين بعثه نبيا الى بني اسرائيل يا أرميا من قبل ان أخلقك اخترتك ومن قبل ان أصورك في رحم أمك قدستك ومن قبل ان أخرجك من بطنها طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعي نبأتك ومن قبل ان تبلغ الاشد اخترتك ولامر عظيم اجتبيتك فبعث الله تعالى ذكره أرميا الى ملك بني اسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبينه قال ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ونسوا ما كان الله صنع بهم وما نجاهم من عدوهم سنحاريب فاوحى الله الى أرميا ان ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم احداثهم ثم ذكر ما أرسل الله به أرميا الى قومه من بني اسرائيل قال ثم أوحى الله الى ارمياء اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا وحي ربه صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال ملعون يوم ولدت فيه ويوم لقيت التوراة ومن شر أيامي يوم ولدت فيه فما أبقيت آخر الانبياء الا لما هو أشر علي لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الانبياء من بني اسرائيل فمن أجلي تصيبهم الشقوة والهلاك فلما سمع الله تضرع الخضر وبكاءه وكيف يقول ناداه أرميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله وعزتي العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبني اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك في ذلك ففرح عند ذلك ارميا لما قال له ربه وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر ربي بهلاك بني اسرائيل أبدا ثم أتى ملك

بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تانيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام أقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور والسامع كأنه ينظر اليه بعينه فتزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشئ من غير أن يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله لاانفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع أولى قيل ان الموصول ههنا محذوف أى التى لاانفصام لها كقوله وما منا الاله مقام معلوم أى من له وقيل معنى قوله لا اكراه فى الدين لاتكرهوا فى الدين على أنه اخبار فى معنى النهى والاكراه الزام الغير فعلى ٧ هذا لايرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو فى أهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم وأما الكفار الذين تهودوا أو تنصروا فقيل انهم لايقرون على ذلك و يكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون روى أنه كان لانصارى من بنى سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لاأدعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله يدخل بعضى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه أى لاتقولوا لمن دخل فى الدين بعد الحرب أنه دخل مكرها لانه اذا رضى بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لاتنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما فى قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما فى قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء

بنى اسرائيل وأخبره بما أوحى الله اليه ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدمناها لانفسنا وان عفا عنا فبقدرته ثم انهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتمادوا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حتى لم يكونوا يتذكرون الآخرة وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها فقال ملكهم يابنى اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل ان يمسكم باس من الله وقبل ان يبعث عليكم ملوك لارحمة لهم بكم فان ربكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير رحيم من تاب اليه فابوا عليه أن ينزعوا عن شئ مما هم عليه وان الله ألقى فى قلب بختنصر بن نعون بن زادان أن يسير الى بيت المقدس ثم يفعل فيه ما كان جده سنجاريب أراد أن يفعله فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى ملك بنى اسرائيل الخبر أن بختنصر أقبل هو وجنوده يريدكم فارسل الملك الى أرميا فجاءه فقال يا أرميا أين ما زعمت لنا ان ربنا أوحى اليك أن لايهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الامر فى ذلك فقال أرميا للملك ان ربى لايخلف الميعاد وأنا به واثق فلما اقترب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم بعث الله ملكا من عنده فقال له اذهب الى أرميا فاستفته وأمره بالذى يستفتيه فيه فاقبل الملك الى أرميا وقد تمثل له رجلا من بنى اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال رجل من بنى اسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى فاذن له فقال الملك يانبى الله أتيتك أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به لم آت اليهم الا حسنا ولم آلهم كرامة فلا تزيدهم كرامتى اياهم الا اسخاطا لى فافتنى فيهم يانبى الله فقال له أحسن فيما بينك و بين الله وصل ما أمرك الله به أن تصل وأبشر بخير فانصرف عنه الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل الذى جاءه فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك فى شأن أهلى فقال له نبى الله أوما طهرت لك أخلاقهم بعد ولم ترمنهم الذى تحب فقال يانبى الله والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا وقد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته ويجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر بجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بنى اسرائيل فدعا أرميا فقال يانبى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم ان الملك أقبل الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذى كنت استفتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أولم يأن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واعلم أنما قصدهم فى ذلك سخطى فلما أتيتهم اليوم رأيتهم فى عمل لايرضى الله ولا يحب الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أى عمل رأيتهم قال يانبى الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ولو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبى وصبرت لهم ورجوتهم ولكن غضبت اليوم لله ولك فاتيتك لاخبرك خبرهم وانى أسألك بالله الذى هو بعثك بالحق الا مادعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال أرميا يامالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لاترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فى أرميا أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال يامالك السماء ويا أرحم الراحمين أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى أرميا انهم لم يصبهم الذى أصابهم الا بفتياك التى أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبى صلى الله عليه وسلم انها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرات وانه رسول

عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب

يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان ألطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من ألطافه في حق الكافر وذلك أنه يخرجهم من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا آمن والمؤمن الاصلي ولا يبعد أن يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع تشابه ومثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم أنهم ما كانوا قط في النار ويروى أنه صلى الله عليه وسلم سمع انسانا قال أشهد أن لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور فانه أراد بهما الكفر والايمان الا قوله في أول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر أن الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية أنوار تزداد النفس بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم من النور

ربه نظار أرميا حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى أرض بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا كل من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم تسعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمهم فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمة وكان من أولئك الغلمان * دانيال * وعزاريا * وميسايل * وحنانيا * وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبا وثلثا قتل وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وبالصبيان التسعين الالف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي ذكر الله تعالى ذكره نبي الله باحداثهم وظلمهم فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بني اسرائيل أقبل أرميا على حمار له معه عصير من عنب في زكرة وسلة تين حتى أتى ايليا فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام وحماره وعصيره وسلة تينه عنده حيث أماته الله ومات حماره معه فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ثم بعثه الله تعالى فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فنظر الى حماره يتصل بعض الى بعض وقد مات معه بالعروق والعصب ثم كيف كسي ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق ونظر الى عصيره وتينه فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير * فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم ان الله على كل شيء قدير ثم عمر الله أرميا بعد ذلك فهو الذي يرى بفلوات الارض والبلدان حدثني محمد بن عسكر وابن زنجويه قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول أوحى الله الى أرميا وهو بأرض مصر أن الحق بأرض ايليا فان هذه ليست لك بأرض مقام فركب حماره حتى اذا كان ببعض الطريق ومعه سلة من عنب وتين وكان معه سقاء جديد فملأه ماء فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى والمساجد ونظر الى خراب لا يوصف فلما رأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وسار حتى تبوأ منها منزلا فربط حماره بحبل جديد وعلق سقاءه وألقى الله عليه السبات * فلما نام نزع الله روحه مائة عام فلما مرت من المائة سبعون عاما أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوسك فقال ان الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت فقال الملك أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل ولما يصلحه من أداة العمل فأنظره ثلاثة أيام فانتدب ثلثمائة قهرمان ودفع الى كل قهرمان ألف عامل وما يصلحه من أداة العمل فساروا اليها قهارمته ومعهم ثلثمائة ألف عامل فلما وقعوا في العمل رد الله روح الحياة في عين أرميا وآخر جسده ميتا فنظر الى ايليا وما حولها من القرى والمساجد والانهار والحروث تعمل وتعمر وتجدد حتى صارت كما كانت وبعد ثلاثين سنة تمام المائة رد اليه الروح فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة وقد أتى على ذلك ريح مائة عام وبرد مائة عام وحر مائة عام لم تتغير ولم تنتقص شيئا وقد نحل جسم أرميا من البلى فأنبت الله له لحما جديدا ونظر عظامه وهو ينظر فقال له الله انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما

فلما

فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله انى يحيى هذه الله بعد موتها ان أرميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم رد الله من ردمن بنى اسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته يعمر ونها ثلاثين سنة تمام المائة فلما ذهبت المائة رد الله روحه وقد عمرت على حالها الاولى فجعل ينظر الى العظام كيف تلتام بعضها الى بعض ثم نظر الى العظام كيف تكسى عصبا ولحما فلما تبين له ذلك قال أعلم أن الله على كل شئ قدير فقال الله تعالى ذكره انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قال فكان طعامه تينا في مكتل وقلة فيها ماء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وذلك أن عزيرا مر جائيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين فلما مر بالقرية فرآها وقف عليها وقلب يده وقال كيف يحيى هذه الله بعد موتها ليس تكذيبا منه وشكا فأماته الله وأمات حماره فهلكا ومر عليهما مائة سنة ثم ان الله أحيا عزيرا فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل له بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه الآية ۞ القول في تأويل قوله (ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) يعنى تعالى ذكره بقوله ثم بعثه ثم أثاره حيا من بعد مماته وقد دللنا على معنى البعث فيما مضى قبل وأما معنى قوله كم لبثت فان كم استفهام في كلام العرب عن مبلغ العدد وهو في هذا الموضع نصب بلبثت وتأويله قال الله له كم قدر الزمان الذى لبثت ميتا قبل ان أبعثك من مماتك حيا قال المبعوث بعد مماته لبثت ميتا الى ان بعثتنى حيا يوما واحدا أو بعض يوم وذكر أن المبعوث هو أرميا أو عزير أو من كان ممن أخبر الله عنه هذا الخبر وانما قال لبثت يوما أو بعض يوم لان الله تعالى ذكره كان قبض روحه أول النهار ثم رد اليه روحه آخر النهار بعد المائة العام فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت فكان ذلك عنده يوما لانه ذكر انه قبض روحه أول النهار وسئل عن مقدار لبثه ميتا آخر النهار وهو يرى أن الشمس قد غربت فقال لبثت يوما ثم رأى بقية من الشمس قد بقيت لم تغرب فقال أو بعض يوم كما قال تعالى ذكره وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون بمعنى بل يزيدون فكان قوله أو بعض يوم رجوعا منه عن قوله لبثت يوما وبنحو الذى قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال ذكر لنا انه مات ضحى ثم بعثه قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أنى يحيى هذه الله بعد موتها قال مر على قرية فتعجب فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله أول النهار فلبث مائة عام ثم بعثه في آخر النهار فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قال قال الربيع أماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج لما وقف على بيت المقدس وقد خربه بختنصر قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها كيف نعيدها كما كانت فأماته الله قال وذكر لنا انه مات ضحى وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام فقال كم لبثت قال يوما فلما رأى الشمس قال أو بعض يوم ۞ القول في تأويل قوله (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) يعنى تعالى ذكره بقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم تغيره السنون التى أتت عليه وكان طعامه فيما ذكر بعضهم

الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق واحد وما يرجع اليه طريقة واحدة وهو أيضا في نفسه واحد وأما الباطل فلا حصر له ولطرقه كما أن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من ينسب الى الطغيان كالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الى المبدأ الاول بالحقيقة وتنتهى الى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا أولئك الكفار أو هم من يطيعهم من الوسائط والوسائل أصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم أعاذنا الله من ذلك* التأويل الحى القيوم أشير بهما الى الاسم الاعظم لان اسمه الحى مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فان من لوازم الحى أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلى صفته الحى معانى جميع أسمائه وصفاته وعند تجلى صفته القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق وذهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحى القيوم اذ سلب الحى جميع أسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات فنفى التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى لانه حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم أخ الموت والموت ضد الحياة وهو الحى الحقيقى

سلة تين وعنب وشرابه قلة ماء وقال بعضهم بل كان طعامه سلة عنب وسلة تين وشرابه زق من عصير * وقال آخرون بل كان طعامه سلة تين وشرابه دن خمر او زكرة خمر وقد ذكرنا فيما مضى قول بعضهم في ذلك ونذكر مافيه فيما يستقبل ان شاء الله وأما قوله لم يتسنه ففيه وجهان من القراءة أحدهما لم يتسن بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه زائدة صلة كقوله فبهداهم اقتده وجعل فعلت منه تسنيت تسنيا واعتل في ذلك بان السنة تجمع سنوات فتكون تفعلت على صحة ومن قال في السنة سنينه فجائز على ذلك وان كان قليلا أن يكون تسنيت تفعلت بدلت النون ياء لما كثرت النونات كما قال تظنيت وأصله الظن وقد قال قوم هو مأخوذ من قوله من حمإ مسنون وهو المتغير وذلك أيضا اذا كان كذلك فهو أيضا مما بدلت نونه ياء وهو قراءة عامة قراء الكوفة * والآخر منهما اثبات الهاء في الوصل والوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم ويجعل فعلت منه تسنهت وتفعل أتسنه تسنها وقال في تصغير السنه سنيهة وسنيه أسنيت عند القوم واستنهت عندهم اذا أقمت سنة هذه قراءة عامة قراء أهل المدينة والحجاز والصواب من القراءة عندي في ذلك اثبات الهاء في الوصل والوقف لانها مثبتة في مصحف المسلمين ولانها وجه صحيح في كلتي الحالتين في ذلك ومعنى قوله لم يتسنه لم يأت عليه السنون فيتغير على لغة من قال أسنهت عندكم أسنه اذا أقام سنة وكما قال الشاعر

وليست بسنهاء ولا رجبية * ولكن عرايا في السنين الجوائح

فجعل الهاء في السنة أصلا وهي في اللغة الفصحى وغير جائز حذف حرف من كتاب الله في حال وقف أو وصل لاثباته وجه معروف في كلامها فان اعتل معتل بان المصحف قد ألحقت فيه حروف هن زوائد على نية الوقف والوجه في الاصل عند القراءة حذفهن وذلك كقوله فبهداهم اقتده وقوله ياليتني لم أوت كتابيه فان ذلك هو مما لم يكن فيه شك انه من الزوائد وانه ألحق على نية الوقف فاما ما كان محتملا أن يكون أصلا للحرف غير زائد فغير جائز وهو في مصحف المسلمين مثبت صرفه الى أنه من الزوائد والصلات على ان ذلك وان كان زائدا فيما لا شك انه من الزوائد فان العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به في حال القطع فيكون وصلها اياه وقطعها سواء وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك باثبات الهاء في الوصل والوقف غير أن ذلك وان كان كذلك فلقوله لم يتسنه حكم مفارق حكم ما كان هاؤه زائدة لا شك في زيادته فيه ومما يدل على صحة ما قلنا من أن الهاء في يتسنه من لغة من قال قد أسنهت والمسانهة ما حدثت به عن القاسم بن سلام قال ثنا ابن مهدي عن أبي الجراح عن سليمان بن عمير قال ثني هانئ مولى عثمان قال كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت فقال زيد سله عن قوله لم يتسن أو لم يتسنه فقال عثمان اجعلوا فيها هاء حدثت عن القاسم حدثنا محمد بن محمد العطار عن القاسم وحدثنا أحمد والعطار جميعا عن القاسم قال ثنا ابن مهدي عن ابن المبارك قال ثني أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن هانئ البربري قال كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فارسلني بكتف شاة الى أبي بن كعب فيها لم يتسن وفأمهل الكافرين ولا تبديل للخلق قال فدعا بالدواة فمحا احدى اللامين وكتب لا تبديل لخلق الله ومحا فأمهل وكتب فمهل الكافرين وكتب لم يتسنه ألحق فيها الهاء ولو كان ذلك من يتسن أو يتسنن لما ألحق فيه أي هؤلاء موضع الهاء ولا أمر عثمان بالحاقها فيها وقد روي عن زيد بن ثابت في ذلك نحو الذي روي فيه عن أبي بن كعب * واختلف أهل التاويل في تاويل قوله لم يتسنه فقال بعضهم بمثل الذي قلنا فيه من أن معناه لم يتغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن المفضل عن محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه لم يتسنه لم يتغير حدثنا بشر

فلا يلحقه مشهد الحياء من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه ماذون في الشفاعة موعود بها عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين أيديهم من أوليات الامور وقبل خلق الخلائق كقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نوري أول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي ألف عام وما خلفهم من أحوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشئ من علمه وانما هو شاهد على أحوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ويعلم أمورا آخرتهم وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من ذلك الا بما شاء أن يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره وسوف يجيء تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش استوى وأن العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانساني حفظ أسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء كلها ولما أظهر لمخلوقاته من العرش والكرسي والقلب المؤمن وسره علوا في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء وهو أولى بالمدح والثناء فقال وهو العلي العظيم فمن علا في الآخر والاولى فبإعلائه ومن عظم فبتعظيمه ثم أخبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمني مع أن التمني نوع من الاختيار وكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يتسنه لم يتغير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه يقول لم يتغير فيحمض التين والعنب ولم يختمر العصير هما حلوان كما هما وذلك انه مر جائيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين فاماته الله وأمات حماره ومر عليهما مائة سنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وقد أتى عليه مائة عام حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك بنحوه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لم يتسنه لم يتغير حدثنا سفيان قال ثنا أبي عن النضر عن عكرمة لم يتسنه لم يتغير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يتسنه لم يتغير فى مائة سنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن مضر قال يزعمون فى بعض الكتب ان أرمياء كان بايليا حين خربها بختنصر فخرج منها الى مصر فكان بها فأوحى الله اليه ان اخرج منها الى بيت المقدس فأتاها فاذا هى خربة فنظر اليها فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حى قائم على رباطه واذا طعامه سل عنب وسل تين لم يتغير عن حاله قال يونس قال لنا سالم الخواص كان طعامه وشرابه سل عنب وسل تين وزق عصير * وقال آخرون معنى ذلك لم ينتن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لم يتسنه لم ينتن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن جريج قوله الى طعامك قال سل تين وشرابك دن خمر لم يتسنه يقول لم ينتن وأحسب أن مجاهدا والربيع ومن قال فى ذلك بقولهما رأوا أن قوله لم يتسنه من قول الله تعالى ذكره من حمإ مسنون بمعنى المتغير لريح بالنتن من قول القائل تسنن وقد بينت الدلالة فيما مضى على أن ذلك ليس كذلك فان ظن ظان انه من الاسن من قول القائل أسن هذا الماء يأسن أسنا كما قال الله تعالى ذكره فيها أنهار من ماء غير آسن فان ذلك لو كان كذلك لكان الكلام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتأسن ولم يكن يتسنه فانه منه غير انه ترك همزه قيل فانه وان ترك همزه فغير جائز تشديد نونه لان النون غير مشددة وهى فى يتسنه مشددة ولو نطق من يتأسن بترك الهمز قيل يتسنن بتخفيف نونه بغير هاء تلحق فيه ففى ذلك بيان واضح انه غير جائز أن يكون من الاسن ﴿القول فى تأويل قوله (وانظر الى حمارك)﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وانظر الى حمارك فقال بعضهم معنى ذلك وانظر الى احيائى حمارك والى عظامه كيف أنشزها ثم أكسوها لحما * ثم اختلف متأولو ذلك هذا التأويل فقال بعضهم قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد ان أحياه خلقا سويا ثم أراد أن يحيى حماره تعريفا منه تعالى ذكره له كيفية احيائه القرية التى رآها خاوية على عروشها فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها مستنكرا احياء الله اياها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال بعثه الله فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم الى قوله ثم نكسوها لحما قال فنظر الى حماره يتصل بعض الى بعض وقد كان مات معه بالعروق والعصب ثم كساه ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق ونظر الى عصيره وتينه فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ثم ان الله أحيا عزيرا فقال كم

ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت تبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوب النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله وانابة القلب الى الفناء فى الله واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلى تبت اليك أى عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن عالمى زمانه بالايمان العيانى وشريكا مع القوم بالايمان البيانى كما قيل شعر

لى سكرتان وللندمان واحدة
شئ خصصت به من بينهم وحدى

ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن أن تكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شئ هالك الا وجهه ولا تكون أيضا من بطشك والا كانت منفصمة بل تكون من بطشة ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فهى للعوام توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تفنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين لان الثقلين وأعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها أبد الآبدين ثم أخبر عن تصرفات جذباته فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات

الغسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم أن الولاء والمحبة من قبل الكفار أى هم أولياء الطاغوت كقوله أندادا يحبونهم كحب الله فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان أو النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض أولئك أى أرواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام أصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) القراآت ربى الذى مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح أنا أحيى بالمد أبو جعفر ونافع وكذلك ما أشبهها من الهمزة المفتوحة والمضمومة وزاد أبو نشيط بالمد فى المكسورة فى قوله

لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه وانظر الى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس له لحم ولا دم ثم ان الله كسا العظام لحما ودما فقام حمارا من لحم ودم وليس فيه روح ثم أقبل ملك يمشى حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فنهق الحمار فقال أعلم ان الله على كل شئ قدير فتأويل الكلام على من تأوله قائل هذا القول وانظر الى احيائى حمارك والى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ولنجعلك آية للناس فيكون فى قوله وانظر الى حمارك متروك من الكلام استغنى بدلالة ظاهره عليه من ذكره وتكون الالف فى قوله وانظر الى العظام بدلا من الهاء المرادة فى المعنى لان معناه وانظر الى عظامه يعنى الى عظام الحمار * وقال آخرون منهم بل قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد ان نفخ فيه الروح فى عينه قالوا وهى أول عضو من أعضائه نفخ الله فيه الروح وذلك بعد أن سواه خلقا سويا وقبل أن يحيى حماره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان هذا رجلا من بنى اسرائيل نفخ الروح فى عينيه فنظر الى خلقه كله حين يحييه الله والى حماره حين يحييه الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بدأ بعينيه فنفخ فيهما الروح ثم بعظامه فأنشزها ثم وصل بعضها الى بعض ثم كساها العصب ثم العروق ثم اللحم ثم نظر الى حماره فاذا حماره قد بلى وابيضت عظامه فى المكان الذى ربطه فيه فنودى يا عظام اجتمعى فان الله منزل عليك روحا فسعى كل عظم الى صاحبه فوصل العظام ثم العصب ثم العروق ثم اللحم ثم الجلد ثم الشعر وكان حماره جذعا فأحياه الله كبيرا قد تسنن فلم يبق منه الا الجلد من طول الزمن وكان طعامه سل عنب وشرابه دن خمر قال ابن جريج عن مجاهد نفخ الروح فى عينيه ثم نظر بهما الى خلقه كله حين نشره الله والى حماره حين يحييه الله * وقال آخرون بل جعل الله الروح فى رأسه وبصره وجسده ميت فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه وطعامه وشرابه كهيئته يوم حل البقعة ثم قال الله له انظر الى عظام نفسك كيف ننشزها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول رد الله روح الحياة فى عين أرمياء وآخر جسده ميت فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة فى عنق الحمار لم تتغير جديدة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه فنظر الى حماره قائما قد مكث مائة عام والى طعامه لم يتغير قد أتى عليه مائة عام وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فكان أول شئ أحيا الله منه رأسه فجعل ينظر الى سائر جسده يخلق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن الضحاك فى قوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه فنظر الى حماره قائما والى طعامه وشرابه لم يتغير فكان أول شئ خلق منه رأسه فجعل ينظر الى كل شئ منه يوصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انه أول ما خلق الله منه رأسه ثم ركبت فيه عيناه ثم قيل له انظر فجعل ينظر فجعلت عظامه تواصل بعضها الى بعض وبعين نبى الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك فقال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وكان حماره عنده كما هو ولنجعلك آية للناس وانظر الى

العظام

العظام كيف ننشرها قال الربيع ذكر لنا والله أعلم انه أول ما خلق منه عيناه ثم قيل انظر فجعل ينظر الى العظام يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينيه فقيل أعلم ان الله على كل شيء قدير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن زيد قال قوله وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك واقفا عليك منذ مائة سنة ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام يقول وانظر الى عظامك كيف نحييها حين سألتنا كيف نحيي هذه الارض بعد موتها قال فجعل الله الروح في بصره وفي لسانه ثم قال ادع الآن بلسانك الذي جعل الله فيه الروح وانظر ببصرك قال فكان ينظر الى الجمجمة قال فنادى ليلحق كل عظم بأليفه قال فجاء كل عظم الى صاحبه حتى اتصلت وهو يراها حتى ان الكسرة من العظم لتأتي الى الموضع الذي انكسرت فيه فتلصق به حتى وصل الى جمجمته وهو يرى ذلك فلما اتصلت شدها بالعصب والعروق وأجرى عليها اللحم والجلد ثم نفخ فيها الروح ثم قال انظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له ذلك قال أعلم ان الله على كل شيء قدير قال ثم أمر فنادى تلك العظام التي قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها كما نادى عظام نفسه ثم أحياها الله كما أحياه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن نصر قال يزعمون في بعض الكتب ان الله أمات أرميا مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حي قائم على رباطه قال ورد الله اليه بصره وجعل الروح فيه قبل أن يبعث بثلاثين سنة ثم نظر الى بيت المقدس وكيف عمر وما حوله قال فيقولون والله أعلم انه الذي قال الله تعالى ذكره أو كالذي مر على قرية وهي خاوية الآية ومعنى الآية على تأويل هؤلاء وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى عظامك كيف ننشرها بعد بلاها ثم نكسوها لحما فنحييها بحياتك فتعلم كيف يحيي الله القرى وأهلها بعد مماتها ✽ وأولى الاقوال في هذه الآية بالصواب قول من قال ان الله تعالى ذكره بعث قائل أنى يحيي هذه الله بعد موتها من مماته ثم أراه نظير ما استنكر من احياء الله القرية التي مر بها بعد مماتها عيانا من نفسه وطعامه وحماره فجعل تعالى ذكره ما أراه من احيائه نفسه وحماره مثلا لما استنكر من احيائه أهل القرية التي مر بها خاوية على عروشها وجعل ما أراه من العبر في طعامه وشرابه عبرة له وحجة عليه في كيفية احيائه منازل القرية وجنانها وذلك هو معنى قول مجاهد الذي ذكرناه قبل وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان قوله وانظر الى العظام انما هو بمعنى وانظر الى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشرها ثم نكسوها لحما وقد كان حماره أدركه من البلى في قول أهل التأويل جميعا نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب فلم يكن صرف معنى قوله وانظر الى العظام الى انه أمر له بالنظر الى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر اليها ولا الى انه أمر له بالنظر الى عظام نفسه دون عظام الحمار واذا كان ذلك كذلك وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره كان الاولى بالتأويل أن يكون الامر بالنظر الى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه لان الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة ۞ القول في تأويل قوله (ولنجعلك آية للناس) يعني تعالى ذكره بذلك ولنجعلك آية للناس أمتناك مائة عام ثم بعثناك وانما أدخلت اللام مع الواو التي في قوله ولنجعلك آية للناس وهو بمعنى كي لان في دخولها في كي وأخواتها دلالة على انها شرط لفعل بعدها بمعنى ولنجعلك كذا وكذا فعلنا ذلك ولو لم تكن قبل اللام أعني لام كي واو كانت اللام شرطا للفعل الذي قبلها وكان يكون معناه وانظر الى حمارك لنجعلك آية للناس وانما عنى بقوله ولنجعلك آية ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي وشك في عظمتي وأنا القادر على فعل ما أشاء من اماتة واحياء وافناء وانشاء وانعام واذلال واقتار واغناء بيدي ذلك كله لا يملكه أحد دوني ولا يقدر عليه غيري وكان بعض أهل التأويل يقول كان آية للناس بانه جاء بعد مائة عام الى ولده وولد ولده شبابا وهم شيوخ ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال أخبرنا

تعالى انا الانذر واشباه ذلك ثمة وبابه مثل فئة وقد مر لبثت وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء أصلية مجزوم بلم أو هاء سكت وأجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كالحمار بالامالة على غير ليث وأبو حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وأبو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو بن شنبوذ عن أهل مكة ننشرها بالراء أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال أعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضموم على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ أبو بكر وحماد جزأ مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة ✽ الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ وأميت ط كفر ط الظالمين لا للعطف باو للتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك أي استيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما ط لتمام البيان له لالان قال جواب لما فقدره الوقف ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم ✽

✽ التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلاثا ولها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات بعث والنشر فالقصة الاولى مناظرة ابراهيم ملك

زمانه عن مجاهد هو نمروذ بن كنعان وهو أول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابراهيم ويحتمل أن يكون لنمروذ والهاء في ان آتاه قيل لابراهيم لانه أقرب في الذكر ولانه لا يجوز أن يؤتى الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٢٨) وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابراهيم ولا يبعد أن يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعنى أن آتاه الله أي لان الله آتاه الملك فابطره وأورثه الكبر والعتو أو جعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز أن يكون المعنى حاج وقت أن آتاه وعن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابراهيم الاصنام وسجنه نمروذ ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلابد أن يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان وأشكاله بصير باعضائه وأحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب ألم نخلقكم من ماء مهين ويروى أن الكافر دعا حينئذ بشخصين فاستبقى أحدهما وقتل الآخر وقال أنا أيضا أحيي وأميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه أكثر المفسرين أن ابراهيم عليه السلام لما رأى من نمروذ أنه ألقى تلك الشبهة عدل عن ذلك الى دليل آخر أوضح من الاول فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وأورد عليه أن الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب أن يذكر الجواب في الحال ازالة

اسحق قال ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان قال سمعت الاعمش يقول ولنجعلك آية للناس قال جاء شابا وولده شيوخ وقال آخرون معنى ذلك آية جاء وقد هلك من يعرفه فكان آية لمن قدم عليه من قومه ❊ ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال رجع الى أهله فوجد داره قد بيعت وبنيت وهلك من كان يعرفه فقال اخرجوا من داري قالوا ومن أنت قال أنا عزير قالوا أليس قد هلك عزير منذ كذا وكذا قال فان عزيرا أنا هو كان من حالي وكان فلما عرفوا ذلك خرجوا له من الدار ودفعوها اليه والذي هو أولى بتأويل الآية من القول أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر انه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موته واحياء الله اياه بعد مماته وعلى من بعث اليه منهم ❊ القول في تأويل قوله (وانظر الى العظام كيف ننشزها) قد دللنا فيما مضى قبل على أن العظام التي أمر بالنظر اليها هي عظام نفسه وحماره وذكرنا اختلاف المختلفين في تأويل ذلك وما معنى كل قائل بما قاله في ذلك بما أغنى عن اعادته وأما قوله كيف ننشزها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعضهم فانظر الى العظام كيف ننشزها بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين بمعنى وانظر كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك الى مواضع من الجسم وأصل النشز الارتفاع ومنه قيل قد نشز الغلام اذا ارتفع طوله وشب وهيئة نشوز المرأة على زوجها ومن ذلك قيل للمكان المرتفع من الارض نشز ونشز ونشازة فاذا أردت انك رفعته قلت أنشزته انشازا ونشزه واذا ارتفع يعني قوله وانظر الى العظام كيف ننشزها في قراءة من قرأ ذلك بالزاي كيف نرفعها من أماكنها من الارض فنردها الى أماكنها من الجسد وممن تأول ذلك هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ❊ ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله كيف ننشزها كيف نخرجها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي كيف ننشزها قال نخرجها وقرأ ذلك آخرون وانظر الى العظام كيف ننشرها بضم النون قالوا من قول القائل انشر الله الموتى فهو ينشرهم انشارا وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنى وانظر الى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما ❊ ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كيف ننشرها قال انظر اليها حين يحييها الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها قال كيف نحييها واحتج بعض قراء ذلك بالراء وضم نون أوله بقوله ثم اذا شاء أنشره فرأى من الصواب الحاق قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها به وقرأ ذلك بعضهم وانظر الى العظام كيف ننشرها بفتح النون من أوله وبالراء كأنه وجه ذلك الى مثل معنى نشر الشيء وطيه وذلك قراءة غير محمودة لان العرب لا تقول نشر الموتى وانما تقول أنشر الله الموتى فنشروا هم بمعنى أحياهم فحيوا هم ويدل على ذلك قوله ثم اذا شاء أنشره وقوله آلهة من الارض هم ينشرون وعلى انه اذا أريد به حيي الميت وعاش بعد مماته قيل نشر قول أعشى بني ثعلبة

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

وروي سماعا من العرب كان به جرب فنشر اذا عاد وحيي والقول في ذلك عندي أن معنى الانشار ومعنى الانشاز متقاربان لان معنى الانشاز التركيب والاثبات ورد العظام من العظام واعادتها لا شك أنه ردها الى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها اياها فهما وان اختلفا في اللفظ فمتقاربا المعنى وقد جاءت القراءة بهما

بهما الامتحنة تقطع العذر وتوجب الحجة فبأيهما قرأ القارئ فمصيب لانقياد معنييهما ولا حجة توجب لاحداهما من القضاء بالصواب على الاخرى فان ظن ظان أن الانشار اذا كان احياء فهو بالصواب أولى لان المأمور بالنظر الى العظام وهي تنشر انما أمر به ليرى عيانا ما أنكر بقوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها فان احياء العظام لا شك في هذا الموضع انما عني به ردها الى أماكنها من جسد المنظور اليه وهو يحيى لا اعادة الروح التي كانت فارقتها عند الممات والذي يدل على ذلك قوله ثم نكسوها لحما ولا شك ان الروح انما نفخت في العظام التي أنشزت بعد ان كسيت اللحم واذا كان ذلك كذلك وكان معنى الانشاز تركيب العظام وردها الى أماكنها من الجسد وكان ذلك معنى الانشار كان معلوما استواء معنييهما وانهما متفقا المعنى لا مختلفاه ففي ذلك ابانة عن صحة ما قلنا فيه وأما القراءة الثالثة فغير جائزة القراءة بها عندي وهي قراءة من قرأ كيف ننشرها بفتح النون وبالراء لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب ۞ القول في تأويل قوله (ثم نكسوها لحما) يعني تعالى ذكره بذلك ثم نكسوها أي العظام لحما والهاء التي في قوله ثم نكسوها لحما من ذكر العظام ومعنى نكسوها نلبسها ونواريها به كما يواري جسد الانسان كسوته التي يلبسها وكذلك تفعل العرب تجعل كل شيء غطى شيأ وواراه لباسا له وكسوة ومنه قول النابغة الجعدي

فالحمد لله الذي لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

فجعل الاسلام اذ غطى الذي كان عليه فواراه وأذهبه كسوة له وسربالا ۞ القول في تأويل قوله (فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير) يعني تعالى ذكره بقوله فلما تبين له فلما اتضح له عيانا ما كان مستنكرا من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك قال اعلم الآن بعد المعاينة والاتضاح به والبيان ان الله على كل شيء قدير ثم اختلفت القراء في قراءة قوله قال اعلم أن الله فقرأه بعضهم قال اعلم على معنى الامر بوصل الالف من اعلم وجزم الميم منها وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة ويذكرون انها في قراءة عبد الله قيل اعلم على وجه الامر من الله الذي أحيى بعد مماته فأمر بالنظر الى ما يحييه الله بعد مماته وكذلك روي عن ابن عباس حدثني أحمد بن يوسف التغلبي قال ثنا القاسم بن سلام قال ثني حجاج عن هرون قال هي في قراءة عبد الله قيل اعلم ان الله على وجه الامر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أحسبه شك أبو جعفر الطبري سمعت ابن عباس يقرأ فلما تبين له قال اعلم قال انما قيل ذلك له حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا أنه قيل له أنظر فجعل ينظر الى العظام كيف يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينيه فقيل اعلم أن الله على كل شيء قدير فعلى هذا القول تأويل ذلك فلما تبين له ما تبين من أمر الله وقدرته قال الله له اعلم الآن ان الله على كل شيء قدير ولو صرف متأول قوله قال اعلم وقد قرأه على وجه الامر الى أنه من قبل المخبر عنه بما اقتص في هذه الآية من قصته كان وجها صحيحا وكان ذلك كما يقول القائل اعلم ان قد كان كذا وكذا على وجه الامر منه لغيره وهو يعني به نفسه وقرأ ذلك آخرون قال أعلم على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به بهمز ألف أعلم وقطعها ورفع الميم بمعنى فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه قال أليس ذلك أعلم الآن انا أن الله على كل شيء قدير وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قراء أهل العراق وبذلك من التأويل تأوله جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما عاين من قدرة الله ما عاين قال اعلم أن الله على كل شيء قدير ثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول فلما تبين

لذلك الجهل والبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول أو في المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة تلك الشبهة واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم أن يترك ذلك الواجب مع انه في ايهام أن كلامه الاول كان ضعيفا وان سلمنا أن الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب أن يكون المنتقل اليه أوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع أظهر وأقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحياة لا قدرة للخلق عليه وأما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وأيضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات أقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وأيضا ان نمروذ لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عنه عند استدلال ابراهيم بطلوع الشمس أن يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو أورد هذا السؤال لكان من الواجب أن يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم أن الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة أسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فالذي حمل ابراهيم على أن ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق آخر وقالوا ان ابراهيم عليه السلام لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر أتدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء أم بوساطة الاسباب الارضية والسماوية أما الاول فلا سبيل اليه وأما الثاني فنظيره أو ما يقرب اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب

له قال اعلم أن الله على كل شئ قدير ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال يعني نبي الله صلى الله عليه وسلم يعني انشار العظام اعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال قال عزير عند ذلك يعني عند معاينته احياء الله حماره اعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال جعل ينظر الى كل شئ منه توصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نحوه ٭ وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ اعلم بوصل الالف وجزم الميم على وجه الامر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته بالامر بان يعلم ان الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه من احيائه اياه وحماره بعد موت مائة عام وبلائه حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى رده عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شئ قادر كذلك وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره لان ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره قولا للذي أحياه الله بعد مماته وخطابا له به وذلك قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها فلما تبين ذلك له جوابا عن مسئلته ربه انى يحيي هذه الله بعد موتها قال الله له اعلم ان الله الذي فعل هذه الاشياء على ما رأيت على غير ذلك من الاشياء قدير كقدرته على ما رأيت وأمثاله كما قال تعالى ذكره لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعد أن أجابه عن مسئلته اياه في قوله رب أرني كيف تحيي الموتى واعلم ان الله عزيز حكيم فأمر ابراهيم بان يعلم بعد ان أراه كيفية احيائه الموتى انه عزيز حكيم وكذلك أمر الذي سأل فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها بعد ان أراه كيفية احيائه اياها ان يعلم ان الله على كل شئ قدير ۞ القول في تأويل قوله (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) يعني تعالى ذكره بذلك ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرني وانما صلح أن يعطف بقوله واذ قال ابراهيم على قوله أو كالذي مر على قرية وقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه لان قوله ألم تر ليس معناه ألم تر بعينيك وانما معناه ألم تر بقلبك فمعناه ألم تعلم فتذكر فهو وان كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحيانا بما يوافق لفظه من الكلام وأحيانا بما يوافق معناه واختلف أهل التأويل في سبب مسئلة ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى فقال بعضهم كانت مسألته ذلك ربه انه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير فسأل ربه ان يريه كيفية احيائه اياها مع تفرق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الارض ليرى ذلك عيانا فيزداد يقينا برؤيته ذلك عيانا الى علمه به خبرا فأراه الله ذلك مثلا بما أخبر انه أمره به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ذكر لنا ان خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حدثت عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله رب أرني كيف تحيي الموتى قال مر ابراهيم على دابة ميت قد بلي وتقسمته الرياح والسباع فقام ينظر فقال سبحان الله كيف يحيي الله هذا وقد علم ان الله قادر على ذلك فذلك قوله رب أرني كيف تحيي الموتى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج بلغني ان ابراهيم بينا هو يسير على الطريق اذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزعت لحمها وبقي عظامها فلما ذهبت السباع وطارت الطير على الجبال والآكام فوقف وتعجب ثم قال رب قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطير رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليس الخبر كالمعاينة

ابراهيم عليه السلام بناء على معتقدهم وكانوا أصحاب تنجيم ان الاحياء والاماتة انما تحصلان بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت وفيه أيضا طريق آخر نذكره في التأويلات ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما وأفصح منهما القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوبا فيعلم منه أن الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته القصة الثانية قوله سبحانه أو كالذي مر مذهب الكسائي والفراء والفارسي وأكثر النحويين الى أنه معطوف على المعنى والتقدير أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كأنه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر

ولسنا بالجبال ولا الحديدا

وعن الاخفش أن الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر وعن المبرد انما يضمر الفعل في الثاني والتقدير ألم تر الى الذي حاج الى ابراهيم أو ألم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه أكثر المفسرين من المعتزلة أن المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله أنى يحيي استبعاد وانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على أن ذلك التبيين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله واعلم أن الله على كل شئ قدير وذهب سائر المفسرين الى أنه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك

حدثني

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد مر ابراهيم بحوت نصفه في البر ونصفه في البحر فما كان منه في البحر فدواب البحر تأكله وما كان منه في البر فالسباع ودواب البر تأكله فقال له الخبيث يا ابراهيم متى يجمع الله هؤلاء من بطون هؤلاء فقال يا رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * وقال آخرون بل كان سبب مسئلته ربه ذلك المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال لما جرى بين ابراهيم وبين قومه ما جرى مما قصه الله في سورة الانبياء قال نمرود فيما يذكرون لابراهيم أرأيت الهك هذا الذي تعبد وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت ثم ذكر ما قص الله من محاجته اياه قال فقال ابراهيم عند ذلك رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي من غير شك في الله تعالى ذكره ولا في قدرته ولكنه أحب أن يعلم ذلك وتاق اليه قلبه فقال ليطمئن قلبي أي ما تاق اليه اذا هو علمه وهذان القولان أعني الاول وهذا الآخر متقاربا المعنى في أن مسئلة ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عيانا ما كان عنده من علم ذلك خبرا وقال آخرون بل كانت مسئلته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلا فسأل ربه أن يريه عاجلا من العلامة له على ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلا ويكون ذلك لما عنده مؤيدا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له أن يبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم وليس في البيت فدخل داره وكان ابراهيم أغير الناس ان خرج أغلق الباب فلما جاء وجد في داره رجلا فثار اليه ليأخذه قال من أذن لك أن تدخل داري قال ملك الموت أذن لي رب هذه الدار قال ابراهيم صدقت وعرف أنه ملك الموت قال من أنت قال أنا ملك الموت جئتك أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلا فحمد الله وقال يا ملك الموت أرني الصورة التي تقبض فيها أنفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض فأعرض ابراهيم ثم نظر اليه فاذا هو برجل أسود تنال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة في جسده الا في صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشي على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر عند الموت من البلاء والحزن الا صورتك لكفاه فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال فأعرض فأعرض ابراهيم ثم التفت فاذا هو برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا في ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عند ربه من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه فانطلق ملك الموت وقام ابراهيم يدعو ربه يقول رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم أني خليلك قال أولم تؤمن بأني خليلك يقول تصدق قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بخلولتك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد ابن جبير ولكن ليطمئن قلبي قال بالخلة وقال آخرون قال ذلك لربه لأنه شك في قدرة الله على احياء الموتى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب في قوله ولكن ليطمئن قلبي قال قال ابن عباس ما في القرآن آية أرجى عندي منها حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال اتعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو أن يجتمعا قال ونحن يومئذ شببة فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الامة فقال عبد الله بن عمرو يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حتى ختم الآية فقال ابن عباس اما

والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو أرمياء ثم من هؤلاء من قال ان أرمياء هو الخضر عليه السلام وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان أرمياء هو النبي الذي بعثه الله عندما خرب بختنصر بيت المقدس وأحرق التوراة وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على أنه كان عالما به وبانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وأيضا قد شرفه الله تعالى [illegible] في قوله قال كم [illegible] قوله وانظر [illegible] نفس قصته من [illegible] وغيرها اكرام [illegible] أيضا روي عن ابن عباس أن بختنصر غزا بني اسرائيل فسبي منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها أحدا فعجب من ذلك وقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها أي من أين يتوقع عمارتها الا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في أن مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عنه في موته أبصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت أوصاله فسمع صوتا أيتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم أجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور

ان كنت تقول انه اوان أرجى منها لهذه الامة قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى قال فخذ أربعة من الطير ليريه **حدثني** زكرياء بن يحيى بن أبان المصرى قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثنى بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر نحوه *وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وهو قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن وان تكون مسئلته ربه ما سأله ان يريه من احياء الموتى لعارض من الشيطان عرض فى قلبه كالذى ذكرنا عن ابن زيد آنفا من ان ابراهيم لما رأى الحوت الذى بعضه فى البر وبعضه فى البحر قد تعاوره دواب البر ودواب البحر وطير الهواء ألقى الشيطان فى نفسه فقال متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فسأل ابراهيم حينئذ ربه ان يريه كيف يحيي الموتى ليعاين ذلك عيانا فلا يقدر بعد ذلك الشيطان ان يلقى فى قلبه مثل الذى ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك فقال له ربه أولم تؤمن يقول أولم تصدق يا ابراهيم بانى على ذلك قادر قال بلى يا رب لكن سألتك ان ترينى ذلك ليطمئن قلبى فلا يقدر الشيطان ان يلقى فى قلبى مثل الذى فعل عند رؤيتى هذا الحوت **حدثني** بذلك يونس قال أخبرنا ابن عبد الوهاب عن ابن زيد ومعنى قوله ليطمئن قلبي ليسكن ويهدأ باليقين الذى يستيقنه وهذا التأويل الذى قلنا فى ذلك هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله ليطمئن قلبي الى انه ليزداد ايمانا أو الى انه ليوقن ذكر من قال ذلك ليوقن أو ليزداد يقينا أو ايمانا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبي قال ليوقن ثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبي قال ليزداد يقيني **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولكن ليطمئن قلبي يقول ليزداد يقينا **حدثنا** بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن ليطمئن قلبي قال وأراد نبى الله ابراهيم ليزداد يقينا الى يقينه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر وقال قتادة ليزداد يقينا **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ولكن ليطمئن قلبي قال اراد ابراهيم ان يزداد يقينا **حدثني** المثنى قال ثنا محمد بن كثير البصرى قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو الهيثم عن سعيد ابن جبير ليطمئن قلبي قال ليزداد يقيني **حدثني** المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير ولكن ليطمئن قلبي قال ليزداد يقينا قال ثنا صالح بن مسمار قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا خلف بن خليفة قال ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد وابراهيم فى قوله ليطمئن قلبي قال لأزداد ايمانا مع ايمانى **حدثنا** صالح قال ثنا زيد قال أخبرنا زياد عن عبد الله العامرى قال ثنا ليث بن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير فى قول الله ليطمئن قلبي قال لأزداد ايمانا مع ايمانى وقد ذكرنا فيما مضى قول من قال معنى

من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير وقال أعلم أن الله على كل شئ قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا أن عزير بن شرحيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس أربعين ألفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا أنه يقرأ التوراة فلما أتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت فى موضع وأخرجت وعورضت بما أملاه فما اختلفا فى حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت المقدس وقال ابن زيد هى القرية التى خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كأن حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على سقوف المتهدمة وهذا من أحسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل أن يكون من خوى المنزل اذا خلا عن أهله وخوى بطن الحامل وعلى بمعنى عن أى خاوية عن عروشها ويجوز أن يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال فى الكشاف ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر كانه قيل هى خالية وهى على عروشها أى هى قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز أن يراد ان القرية خاوية مع كون أشجارها معروشة وكان التعجب من ذلك أكثر لان الغالب من القرية الخالية أن يبطل ما فيها من عروش الفواكه فأماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة أقرب فيكون أدخل فى كونه آية ثم بعثه أى احياه كما كان أولا لانهما مستعد الا النظر والاستدلال قوله

قوله ليطمئن قلبي باني خليلك وقال آخرون معنى قوله ليطمئن قلبي لاعلم انك تجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليطمئن قلبي قال اعلم انك تجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك وأما تأويل قوله قال أولم تؤمن فانه أولم تصدق كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وحدثنا احمد بن اسحق قال ثنا ابو احمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله اولم تؤمن قال أولم توقن باني خليلك ثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اولم تؤمن قال اولم توقن ۞ القول في تأويل قوله (قال فخذ اربعة من الطير) يعني تعالى ذكره بذلك قال الله له فخذ اربعة من الطير فذكر ان الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم ان اهل الكتاب الاول يذكرون انه اخذ طاوسا وديكا وغرابا وحماما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال فخذ اربعة من الطير قال ابن جريج زعموا انه ديك وغراب وطاوس وحمامة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فخذ أربعة من الطير قال فاخذ طاوسا وحماما وغرابا وديكا مخالفة أجناسها وألوانها ۞ القول في تأويل قوله (فصرهن اليك) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة فصرهن اليك بضم الصاد من قول القائل صرت هذا الامر اذا ملته اليه اصوره صورا ويقال اني اليكم لاصور أي مشتاق مائل ومنه قول الشاعر

الله يعلم انا في تلفتنا * يوم الفراق الى جيراننا صور

وهو جمع اصور وصور واء وصور مثل اسود وسوداء وسود ومنه قول الطرماح

عفائف الاذيال وان يصورها هوى * والهوى للعاشقين صروع

يعني بقوله وان يصورها هوى يميلها فمعنى قوله فصرهن اليك اضممهن اليك ووجههن نحوك كما يقال صر وجهك الي أي اقبل به الي ومن وجه قوله فصرهن اليك الى هذا التأويل كان في الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ويكون معناه حينئذ عنده قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك اذا قرئ كذلك بضم الصاد قطعهن كما قال توبة بن الحمير

فلما جذبت الحبل اطت نسوعه * باطراف عيدان شديد اسورها

فادنت لي الاسباب حتى بلغتها * بنهضي وقد كاد ارتقاء يصورها

يعني يقطعها واذا كان ذلك تأويل قوله فصرهن اليك كان في الكلام تقديم وتأخير ويكون معناه فخذ أربعة من الطير اليك فصرهن ويكون اليك من صلة خذ وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فصرهن اليك بالكسر بمعنى قطعهن وقد زعم جماعة من نحويي الكوفة انهم لا يعرفون فصرهن ولا فصرهن بمعنى قطعهن في كلام العرب وانهم لا يعرفون كسر الصاد وضمها في ذلك الا بمعنى واحد وانهما جميعا لغتان بمعنى الامالة وان كسر الصاد منها لغة في هذيل وسليم وأنشدوا لبعض بني سليم

وفرع يصير الجيد حتى كانه * على الليت قنوان الكروم الدوالح

يعني بقوله يصير يميل وان أهل هذه اللغة يقولون صاره وهو يصيره صيرا وصر وجهك الي أي أمله كما يقول صره وزعم بعض نحويي الكوفة انه لا يعرف لقوله فصرهن ولا لقراءة من قرأ فصرهن بضم الصاد وكسرها

من الشمس فقال أو بعض يوم والظاهر أنه علم أن ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير وأصله من السنة أي لم يأت عليه السنون لان مر السنين اذا لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على أن أصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عامله سنة واما أصلية على ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم أجرت الدار مسانهة وقيل أصله يتسنن امامن السن وهو التغير قال تعالى من حما مسنون أي متغير منتن واما من السنة أيضا بناء على ما نقل الواحدي من أن أصل سنة يجوز أن يكون سننة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى التقديرين أبدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن أبي علي الفارسي أن السن هو الصب فقوله لم يتسنه أي الشراب بقي بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنه وأما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه أن يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما أو بعض

وجهافى التقطيع الاأن يكون فصرهن اليك فى قراءة من قرأه بكسر الصاد من المقلوب وذلك ان تكون لام فعله جعلت مكان عينه وعينه مكان لامه فيكون من صرى يصرى صريا فان العرب تقول بات يصرى فى حوضه اذا استقى ثم قطع واستقى ومن ذلك قول الشاعر

صرت نظرة لو صادفت جوز دارع * غدا والعواصى من دم الجوف تنعر ٣

صرت قطعت نظرة ومنه قول الآخر

يقولون ان الشام يقتل أهله * فمن لى اذا لم آته بخلود

تعرب آبائى فهلا صراهم * من الموت ان لم يذهبوا وجدودى

يعنى قطعهن ثم نقلت ياؤها التى هى لام الفعل فجعلت عينا للفعل وحولت عينها فجعلت لامها فقيل صار يصير كما قيل عثى يعثى عثا ثم حولت لامها فجعلت عينها فقيل عاث يعيث فاما نحوى البصرة فانهم قالوا فصرهن اليك سواء معناه اذا قرئ بالضم من الصاد وبالكسر فى انه معنى به فى هذا الموضع التقطيع قالوا وهما لغتان احداهما صار يصور والاخرى صار يصير واستشهدوا على ذلك ببيت توبة بن الحمير الذى ذكرنا قبل وبيت المعلى بن جمال العبدى

وجاءت خلعة دهس صفايا * يصور عنوقها أحوى زنيم

بمعنى يفرق عنوقها ويقطعها وبيت خنسا * لظلت الشم منها وهى تنصار * يعنى بالشم الجبال انها تتصدع وتتفرق وبيت أبى ذؤيب

فانصرن من فزع وسد فروجه * غبر ضوار وافيان واجدع ٣

قالوا فلقول القائل صرت الشئ معنيان أملته وقطعته وحكوا سماعا صرنا به الحكم فصلنا به الحكم وهذا القول الذى ذكرناه عن البصريين من ان معنى الضم فى الصاد من قوله فصرهن اليك والكسر سواء بمعنى واحد وانهما لغتان معناهما فى هذا الموضع فقطعهن وان معنى اليك تقديمها قبل فصرهن من أجل انها صلة قوله فخذ أولى بالصواب من قول الذين حكينا قولهم من نحوى الكوفيين الذين أنكروا أن يكون للتقطيع فى ذلك وجه مفهوم الا على معنى القلب الذى ذكرت لاجماع جميع أهل التأويل على ان معنى قوله فصرهن غير خارج من احدى معنيين اما قطعهن واما اضممهن اليك بالكسر قرئ ذلك أو بالضم ففى اجماع جميعهم على ذلك على غير مراعاة منهم كسر الصاد وضمها ولا تفريق منهم بين معنيي القراءتين أعنى الكسر والضم أوضح الدليل على صحة قول القائلين من نحوى أهل البصرة فى ذلك ما حكينا عنهم من القول وخطأ قول نحوى الكوفيين لانهم لو كانوا انما تأولوا قوله فصرهن بمعنى فقطعهن على ان أصل الكلام فاصرهن ثم قلبت فقيل فصرهن بكسر الصاد لتحول ياء فاصرهن مكان رائه وانتقال رائه مكان يائه لكان لاشك مع معرفتهم بلغتهم وعلمهم بمنطقهم قد فصلوا بين معنى ذلك اذا قرئ بكسر صاده وبينه اذا قرئ بضمها اذ كان غير جائز لن قلب فاصرهن الى فصرهن ان يقرأه فصرهن بضم الصاد وهو مع اختلاف قراءتهم ذلك قد تأولوه تأويلا واحدا على أحد الوجهين اللذين ذكرنا ففى ذلك أوضح الدليل على خطأ قول من قال ان ذلك اذا قرئ بكسر الصاد بتأويل التقطيع مقلوب من صرى يصرى الى صار يصير وجهل من زعم ان قول القائل صار يصور وصار يصير غير معروف فى كلام العرب بمعنى قطع ذكر من حضرنا قوله فى تأويل قول الله تعالى ذكره فصرهن انه بمعنى فقطعهن حدثنا سليمان بن الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة

٣ هذا الشاهد وما قبله من الابيات فى هذا الموضع هو كذلك بالاصل ولا يخلو من تحريف فليراجع من مظانه اه مصححه

لوم فالجواب أن الشبهة كلما كانت أقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها أشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن أن يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول مدة لبثه بان شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة فى الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحياة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا أسود الرأس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير وأما فائدة الواو فى قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله فى القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة أى كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم ويحتمل أن يكون من النشر ضد الطى فان الحياة تكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء فى قوله من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ومن قرأ بالزاى فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة

عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فصرهن قال هى نبطية فشققهن حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية خذ أربعة من الطير فصرهن اليك قال انما هو مثل قطعهن ثم اجعلهن فى ارباع الدنيا ربعا ههنا وربعا ههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فصرهن قال قطعهن حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله فصرهن اليك يقول قطعهن حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن ابى مالك مثله. حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فصرهن قال قال جناح ذه عند رأس ذه ورأس ذه عند جناح ذه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم أبو عمرو عن عكرمة فى قوله فصرهن اليك قال قال عكرمة بالنبطية قطعهن حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن يحيى عن مجاهد فصرهن اليك قال قطعهن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فصرهن اليك انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا ثم اخلط لحومهن بريشهن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فصرهن اليك قال انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فصرهن اليك أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فصرهن اليك قال فرقهن قال أمر ان يخلط الدماء بالدماء والريش بالريش ثم جعل على كل جبل منهن جزأ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فصرهن اليك يقول فشققهن وهو بالنبطية صرى وهو التشقيق حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فصرهن اليك يقول قطعهن حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فصرهن اليك يقول قطعهن اليك ومزقهن تمزيقا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن اسحق فصرهن اليك أى قطعهن وهو الصور فى كلام العرب ففيما ذكرنا من اقوال من روينا قوله فى تاويل قوله فصرهن اليك أنه بمعنى فقطعهن اليك دلالة واضحة على صحة ما قلنا فى ذلك وفساد قول من خالفنا فيه واذ كان ذلك كذلك فسواء قرأ القارئ ذلك بضم الصاد فصرهن اليك أو كسرها فصرهن ان كانت اللغتان معروفتين بمعنى واحد غير ان الامر وان كان كذلك فان أحبهما الى ان أقرأ به فصرهن اليك بضم الصاد لانها أعلا اللغتين وأشهرهما وأكثرهما فى احياء العرب وعند نفر قليل من أهل التاويل أنها بمعنى أوثق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فصرهن اليك صرهن أوثقهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فصرهن اليك قال اضممهن اليك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فصرهن اليك قال اجمعهن ﴿ القول فى تاويل قوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا) اختلف أهل التاويل فى تاويل قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فقال بعضهم يعنى بذلك على كل ربع من أرباع الدنيا جزأ منهن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال اجعلهن فى أرباع الدنيا ربعا ههنا وربعا ههنا وربعا ههنا وربعا ههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى

لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف فى موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشرها الا انه لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم أكثر المفسرين على أن المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد أن العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى أحيا رأسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى أجزاء عظام نفسه فرآها (٣٥) تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيفيان قوله لبثت يوما أو بعض يوم انما يليق لمن لا يرى فى نفسه أثر التغير لا لمن شاهد أجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وأيضا قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التى أماتها وقيل هى عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شئ قدير قال أعلم ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قوله ضربنى وضربت زيدا أو التقدير فلما تبين له ما أشكل عليه من أمر الاماتة والاحياء قال أعلم وتاويله انى قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين أمر نفسه بذلك أو ان الله تعالى أمره بذلك كما فى آخر قصة ابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضى القراءة الاولى أولى لان الامر بالشئ انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك أما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شئ آخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد أمر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا أوردت القضية كلية نعم لو قيل أعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه أن يكون أمرا بتحصيل الحاصل على أن ذلك أيضا نوع فان الامر حينئذ يعود الى شئ آخر غير حاصل هو

قدم الشك فيما يستأنف من الزمان أي اتكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعترض الشك فيما فيما بعد وذلك كقوله للمتحرك تحرك أي واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراآت السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة * الثالثة (٣٦) قوله عم طوله واذ قال ابراهيم التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الى الذي أي ألم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهي انه لم ينسم عزير الى قصته بل قال أو كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم أثنى على الله أولا بقوله رب أرني وأيضا ان عزيرا استبعد الاحياء فارى ذلك في نفسه وابراهيم التمس ودعا بقوله أرني فارى ذلك في غيره ومعنى أرني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر أكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا أكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل أولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال أن يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر أنا أحيي وأميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابراهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب أرني كيف ابن تحيي الموتى لتنكشف هذه المسئلة عند نمرود واتباعه وروى ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي أي بنجاتي من القتل أو ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن

أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال لما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن ثم يجزئهن على أربعة أجبل فذكر لنا انه شكل على أجنحتهن وأمسك برؤسهن بيده فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم دعاهن فاتينه سعيا على أرجلهن ويلقى كل طير برأسه وهذا مثل آتاه الله ابراهيم يقول كما بعث هذه الاطيار من هذه الاجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذبحهن ثم قطعهن ثم خلط بين لحومهن وريشهن ثم قسمهن على أربعة أجزاء فجعل على كل جبل منهن جزأ فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم ثم دعاهن فاتينه سعيا يقول شدا على أرجلهن وهذا مثل أراه الله ابراهيم يقول كما بعثت هذه الاطيار من هذه الاجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن بعض أهل العلم ان أهل الكتاب يذكرون انه أخذ الاطيار الاربعة ثم قطع كل طير بأربعة أجزاء ثم عمد الى أربعة أجبال فجعل على كل جبل ربعا من كل طائر فكان على كل جبل ربع من الطاوس وربع من الديك وربع من الغراب وربع من الحمام ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله كما كنتن فوثب كل ربع منها الى صاحبه حتى اجتمعن فكان كل طائر كما كان قبل ان يقطعه ثم أقبلن اليه سعيا كما قال الله وقيل يا ابراهيم هكذا يجمع الله العباد ويحيي الموتى للبعث من مشارق الارض ومغاربها وشامها ويمنها فاراه الله احياء الموتى بقدرته حتى عرف ذلك بغير ما قال نمرود من الكذب والباطل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال فاخذ طاوسا وحمامة وغرابا وديكا ثم قال فرقهن اجعل رأس كل واحد وجؤشوش الآخر وجناحي الآخر ورجلي الآخر معه فقطعهن وفرقهن أرباعا على الجبال ثم دعاهن فجئنه جميعا فقال الله كما ناديتهن فجئنك فكما أحييت هؤلاء وجمعتهن بعد هذا فكذلك أجمع هؤلاء أيضا يعني الموتى وقال آخرون بل معنى ذلك ثم اجعل على كل جبل من الاجبال التي كانت الاطيار والسباع التي كانت تأكل من لحم الدابة التي رآها ابراهيم ميتة فسأل ابراهيم عند رؤيته اياها ان ربه كيف يحييها وسائر الاموات غيرها وقالوا كانت سبعة أجبال ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما قال ابراهيم ما قال عند رؤيته الدابة التي تفرقت الطير والسباع عنها حين دنا منها وسأل ربه ما سأل قال فخذ أربعة من الطير قال ابن جريج فذبحها ثم خلط بين دمائهن وريشهن ولحومهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ حيث رأيت الطير ذهبت والسباع قال فجعلهن سبعة أجزاء وأمسك رؤسهن عنده ثم دعاهن باذن الله فنظر الى كل قطرة من دم تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل بضعة وكل عظم يطير بعضه الى بعض من رؤس الجبال حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء ثم أقبلن يسعين حتى وصلت رأسها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على سبعة أجبال فاجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا فاخذ ابراهيم أربعة من الطير فقطعهن أعضاء لم يجعل عضوا من طير مع صاحبه ثم جعل رأس هذا مع رجل هذا وصدر هذا مع جناح هذا وقسمهن على سبعة أجبال ثم دعاهن فطار كل عضو الى صاحبه ثم أقبلن اليه جميعا وقال آخرون بل أمره الله ان يجعل ذلك على كل جبل ذكر من قال ذلك حدثني محمد

ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال ثم بددهن على كل جبل يأتينك سعيا وكذلك يحيي الله الموتى حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن يأتينك سعيا كذلك يحيي الله الموتى هو مثل ضربه الله لابراهيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم بددهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن تعالين باذن الله فكذلك يحيي الله الموتى مثل ضربه الله لابراهيم صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أمره ان يخالف بين قوائمهن ورؤسهن وأجنحتهن ثم يجعل على كل جبل منهن جزأ حدثت عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فخالف ابراهيم بين قوائمهن وأجنحتهن وأولى التأويلات بالآية ما قاله مجاهد وهو ان الله تعالى ذكره أمر ابراهيم بتفريق اعضاء الاطيار الاربعة بعد تقطيعه اياهن على جميع الاجبال التي كان يصل ابراهيم في وقت تكليف الله اياه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء لان الله تعالى ذكره قال له ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ والكل حرف يدل على الاحاطة بما أضيف اليه لفظه واحد ومعناه الجمع فاذا كان ذلك كذلك فلن يجوز أن تكون الجبال التي أمر الله ابراهيم بتفريق أجزاء الاطيار الاربعة عليها خارجة من أحد معنيين اما أن تكون بعضا أو جمعا فان كانت بعضا فغير جائز أن يكون ذلك البعض الا ما كان لابراهيم السبيل على تفريق أعضاء الاطيار الاربعة عليه أو يكون جمعا فيكون أيضا كذلك وقد أخبر الله تعالى ذكره انه أمره بأن يجعل ذلك على كل جبل وذلك اما كل جبل قد عرفهن ابراهيم بأعيانهن واما ما في الارض من الجبال فاما قول من قال ان ذلك أربعة أجبل وقول من قال هن سبعة فلا دلالة عندنا على صحة شئ من ذلك فنستجيز القول به وانما أمر الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يجعل الاطيار الاربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليرى ابراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهن متفرقات متبددات في أماكن مختلفة شتى حتى يؤلف بعضهن الى بعض فيعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن وقبل تفريق أجزائهن على الجبال أطيارا أحياء يطرن فيطمئن قلب ابراهيم ويعلم ان كذلك يجمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ورد كل عضو من أعضائهم الى موضعه كالذي كان قبل الرد والجزء من كل شئ هو البعض منه كان منقسما جميعه عليه على صحة أو غير منقسم فهو بذلك من معناه مخالف معنى السهم لان السهم من الشئ هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحة ولذلك كثر استعمال الناس في كلامهم عند ذكرهم انصباءهم من المواريث السهام دون الاجزاء وأما قوله ثم ادعهن فان معناه ما ذكرت آنفا عن مجاهد أنه قال هو انه أمر أن يقول لاجزاء الاطيار بعد تفريقهن على كل جبل تعالين باذن الله فان قال قائل أمر ابراهيم أن يدعوهن وهن ممزقات أجزاء على رؤس الجبال أمواتا أم بعدما أحيين فان كان أمر أن يدعوهن وهن ممزقات لا أرواح فيهن فما وجه أمر من لا حياة فيه بالاقبال وان كان أمر بدعائهن بعدما أحيين فما كانت حاجة ابراهيم الى دعائهن وقد أبصرهن ينشرن على رؤس الجبال قيل ان أمر الله تعالى ذكره ابراهيم صلى الله عليه وسلم بدعائهن وهن أجزاء متفرقات انما هو أمر تكوين كقول الله للذين مسخهم قردة بعدما كانوا انسا كونوا قردة خاسئين لا أمر عبادة فيكون محالا الا بعد وجود المأمور المتعبد ۞ القول في تأويل قوله (واعلم ان الله عزيز حكيم) يعني تعالى ذكره بذلك واعلم يا ابراهيم ان الذي أحيا هذه الاطيار بعد تمزيقك اياهن وتفريقك اياهن على الجبال فجمعهن ورد اليهن الروح حتى أعادهن كهيئتهن قبل

عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله تعالى أوحى اليه انى أتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم عليه السلام [illegible]
فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم عليه السلام في درجات العبودية وأداء الرسالة خطر بباله انى لعلي أكون ذلك الخليل
فسأل الله احياء الموتى فقال الله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على انى خليل لك (٣٧) * الرابع لا يبعد أن يقال انه لما جاء الملك الى ابراهيم وأخبره بأن الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على أن الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم * الخامس لعله طالع في الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيي الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس أقل منزلة عند الله من عيسى وانه من أولاده * السادس أمر بذبح الولد فسارع الى ذلك فقال الهي أمرتني ان أجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفني بأن تجعل بدعائي فاقد الروح ذا روح * السابع أراد أن يخصه الله بمثل هذا التشريف في الدنيا بأن جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الآخرة * الثامن لعل ابراهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة وأما ان ابراهيم عليه السلام كان شاكا في المعاد فلا ينبغي أن يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر أولى وكيف يظن ذلك بابراهيم عليه السلام وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه والذي جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لابراهيم على نفسه نحن أحق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله أولم تؤمن للتقرير كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * وأيضا المقصود من هذا السؤال ان

يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون انه صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا بذلك عارفا به وأن المقصود من هذا السؤال شئ آخر واللام فى قوله ليطمئن تتعلق بمحذوف أى ولكن سألت ليزيد قلبى سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وقد تعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة فى اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء أما اذا قلنا ان الغرض شئ آخر فلا اشكال فخذ أربعة من الطير عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفى قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره و يصيره أى أملهن وضمهن اليك وقال الاخفش يعنى وجههن اليك وفائدة أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها أن يتاملها و يعرف أشكالها وهيئتها وحلاها كيلا تلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وفى الآية حذف كانه قيل أملهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقيل معنى صرهن قطعهن فلا اضمار روى انه أمر بذبحها وننف ريشها وأن يقطعها و يفرق أجزاءها و يخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل أجزاءها على الجبال التى بحضرته وفى أرضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وأنكر أبو مسلم هذه القصة وقال ان ابراهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله أراه الله تعالى مثالا قرب به الامر عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة أى فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها أجابتك حال الحياة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة وقد و يؤكده قوله ثم ادعهن أى الطيور لا الاجزاء يأتينك سعيا وزيف قول أبى مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين و بان ما ذكره غير مختص

تغريقكم عزيز فى بطشه اذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة الذين خالفوا أمره وعصوا رسله وعبدوا غيره وفى نقمته حتى ينتقم منهم حكيم فى أمره حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق واعلم أن الله عزيز حكيم قال عزيز فى بطشه حكيم فى أمره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واعلم أن الله عزيز فى نقمته حكيم فى أمره ۞ القول فى تاويل قوله (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) وهذه الآية مردودة الى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض و يبسط واليه ترجعون والآيات التى بعدها الى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله من قصص بنى اسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت وما بعد ذلك من نبا الذى حاج ابراهيم مع ابراهيم وأمر الذى مر على القرية الخاوية على عروشها وقصة ابراهيم ومسئلته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترض به من قصصهم بين ذلك احتجاجا منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة وحضا منه ببعضه المؤمنين على الجهاد فى سبيله الذى أمرهم به فى قوله وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم يعرفهم فيه أنه ناصرهم وان قل عددهم وكثر عدد عدوهم و يعدهم النصرة عليهم و يعلمهم سنته فيمن كان على منهاجهم من ابتغاء رضوان الله انه مؤيدهم وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بانه خاذلهم ومفرق جمعهم وموهن كيدهم وقطعا منه ببعضه عذر اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أطلع نبيه عليه من خفى أمورهم ومكتوم أسرارهم أوائلهم وأسلافهم التى لم يعلمها سواهم ليعلموا أن ما أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله فانه ليس بتخريص ولا اختلاق واعذارا منه به الى أهل النفاق منهم ليحذر وا بشكهم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم من بأسه وسطوته مثل الذى أحلها باسلافهم الذين كانوا فى القرية التى أهلكها فتركها خاوية على عروشها ثم دعا تعالى ذكره الى الخبر الذى يقرض الله قرضا حسنا وما عنده له من الثواب على قرضه فقال مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله يعنى بذلك مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم فى جهاد أعداء الله بانفسهم وأموالهم كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير أو غير ذلك من نبات الارض التى تسنبل سنبلة بذرها زارع فانبتت يعنى فاخرجت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة يقول فكذلك المنفق ماله على نفسه فى سبيل الله له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته كما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فهذا لمن أنفق فى سبيل الله فله سبعمائة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء قال هذا الذى ينفق على نفسه فى سبيل الله و يخرج حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة الآية فكان من بايع النبى صلى الله عليه وسلم على الهجرة ورابط مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولم يكف وجها الا باذنه كانت الحسنة له بسبعمائة ضعف ومن بايع على الاسلام كانت الحسنة عشرة أمثالها فان قال قائل وهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة أو بلغتك فضرب بها مثل المنفق فى سبيل الله ماله قيل ان يكن ذلك موجودا فهو ذاك والا فجائز أن يكون معناه كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها و يحتمل أن يكون معناه فى كل سنبلة مائة حبة يعنى انها اذا هى بذرت أنبتت مائة حبة فيكون ما حدث عن البذر الذى كان منها من المائة الحبة مضافا اليها لانه كان عنها

وقد تاول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة قال كل سنبلة أنبتت مائة حبة فهذا لمن أنفق فى سبيل الله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ۞ القول فى تاويل قوله (والله يضاعف لمن يشاء) اختلف أهل التأويل فى تاويل قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال بعضهم والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته بعد الذى أعطى المنفق فى سبيله من التضعيف الواحدة سبعمائة فاما المنفق فى غير سبيله فلا نفقه ماوعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا يضاعف لمن أنفق فى سبيل الله يعنى السبعمائة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم يعنى لغير المنفق فى سبيله * وقال آخرون بل معنى ذلك والله يضاعف لمن يشاء على السبعمائة لمن يشاء من المنفقين فى سبيله على السبعمائة الى ألفى ألف ضعف وهذا قول ذكر عن ابن عباس من وجه لم أجد اسناده فتركت ذكره والذى هو أولى بتأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء والله يضاعف على السبعمائة لمن يشاء من التضعيف الى مايشاء من المنفقين فى سبيله لانه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق فى سبيل الله فيجوز لنا توجيه ماوعد تعالى ذكره فى هذه الآية من التضعيف الى أنه عدة منه على العمل على غير النفقة فى سبيل الله ۞ القول فى تاويل قوله (والله واسع عليم) يعنى تعالى ذكره والله واسع أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين فى سبيله على أضعاف السبعمائة التى وعده أن يزيده عليم من يستحق منهم الزيادة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم قال واسع أن يزيد من سعته عليم عالم بمن يزيده وقال آخرون معنى ذلك والله واسع لتلك الاضعاف عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم فى طاعة الله ۞ القول فى تاويل قوله (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى تعالى ذكره بذلك المعطى ماله المجاهدين فى سبيل الله معونة لهم على جهاد أعداء الله يقول تعالى ذكره الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم وفى حمولاتهم وغير ذلك من مؤنهم ثم لم يتبع نفقته التى أنفقها عليهم منا عليهم بانفاق ذلك عليهم ولا أذى لهم فامتنانه به عليهم بان يظهر لهم انه قد اصطنع اليهم بفعله وعطائه الذى أعطاهموه تقوية لهم على جهاد عدوهم معروفا ويبدى ذلك اما بلسان أو فعل وأما الاذى فهو شكايته اياهم بسبب ما أعطاهم وقواهم من النفقة فى سبيل الله أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم فى الجهاد وما أشبه ذلك من القول الذى يؤذى به من أنفق عليه وانما شرط ذلك فى المنفق فى سبيل الله وأوجب الاجر لمن كان غير مان ولا مؤذ من أنفق عليه فى سبيل الله لان النفقة التى هى فى سبيل الله مما ابتغى به وجه الله وطلب به ماعنده فاذا كان معنى النفقة فى سبيل الله هو ماوصفنا فلا وجه لمن المنفق على من أنفق عليه لانه لا يدله قبله ولا صنيعة يستحق بها عليه ان لم يكافئه عليها المن والاذى اذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتسابا وابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وعلى الله مثوبته دون من أنفق ذلك عليه وبنحو المعنى الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون علم الله أن أناسا يمنون بعطيتهم فكره ذلك وقدم فيه فقال قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها

بابراهيم فلا يلزم له مزية وأيضا ان ظاهر الآية يدل على انه أجيب الى ماسال وعلى قوله لا تكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزأ دليل ظاهر على تجزئة الطيور وحمل الجزء على أحد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع أربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدى وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابراهيم وكان سبعة أما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا على أرجلهن لان ذلك أبلغ فى الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى وأجيب بان السعى هو الاشتداد فى الحركة مشيا كانت أو طيرانا واحتج الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا فى صحة الحياة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعى والعدو قال القاضى دلت الآية على انه لابد من البنية من حيث انه وجب التقطيع بطلان حياتها والجواب أن حصول المقارنة لا يدل على وجوب المقارنة أما الانفكاك عنه فى بعض الاحوال فيدل على أن المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على أن البنية ليست شرطا للحياة واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء * التاويل ان الله تعالى لما أعطى نمرود ملكا ما أعطى أحدا قبله ادعى الربوبية وما ادعاها أحد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب وغاية لطافته فى الجوهر دائم الحركة فى طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فتى وكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا للسير الطبيعى لانه خلق من تراب وطبعه الميل الى السفل فيرى الكمال فى جمع المال ثم فى طلب الجاه فيصرف

أذى والله غنى حليم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال للآخرين يعنى قال الله للآخرين وهم الذين لا يخرجون فى جهاد عدوهم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال فشرط عليهم قال والخارج لم يشرط عليه قليلا ولا كثيرا يعنى بالخارج الخارج فى الجهاد الذى ذكر الله فى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة الآية قال ابن زيد وكان أبى يقول ان أذن لك أن تعطى من هذا شيأ أو تقوى فقويت فى سبيل الله فظننت أنه يثقل عليه سلامك فكف سلامك عنه قال ابن زيد فهو خير من السلام قال وقالت امرأة لابى يا أبا اسامة تدلنى على رجل يخرج فى سبيل الله حقا فانهم لا يخرجون الا ليأكلوا الفواكه عندى جعبة وأسهم فيها فقال لا بارك الله لك فى جعبتك ولا فى اسهمك فقد آذيتهم قبل أن تعطيهم قال وكان رجل يقول لهم اخرجوا وكلوا الفواكه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله لهم أجرهم عند ربهم فانه يعنى الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله على ما بين والهاء والميم فى لهم عائدة على الذين ومعنى قوله لهم أجرهم عند ربهم لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التى أنفقوها فى سبيل الله ثم لا يتبعونها منا ولا أذى وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يقول وهم مع ما لهم من الجزاء والثواب على نفقتهم التى أنفقوها على ما شرطنا لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا ولا فى أهوال القيامة وأن ينالهم من مكارهها أو يصيبهم فيها من عقاب الله ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم) يعنى تعالى ذكره بقوله قول معروف قول جميل ودعاء الرجل لاخيه المسلم ومغفرة يعنى وستر منه عليه لما علم من خلته وسوء حالته خير عند الله من صدقة يتصدقها عليه يتبعها أذى يعنى يشتكيه عليها ويؤذيه بسببها كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى يقول ان يمسك ماله خير من أن ينفق ماله ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله غنى حليم فانه يعنى والله غنى عما يتصدقون به حليم حين لا يعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته منكم ويؤذى فيها من يتصدق بها عليه وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس الغنى الذى كمل فى غناه والحليم الذى قد كمل فى حلمه ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله لا تبطلوا صدقاتكم يقول لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والاذى كما أبطل كفر الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو مراآته اياهم بعمله وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس فى الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه وهو مريد به غير الله ولا طالب منه الثواب وانما ينفقه كذلك ظاهرا ليحمده الناس عليه فيقولوا هو سخى كريم وهو رجل صالح فيحسنوا عليه به الثناء وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية فى انفاقه ما أنفق فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر وأما قوله ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فان معناه ولا يصدق بوحدانية الله وربوبيته ولا بانه مبعوث بعد مماته فمجازى على عمله فيجعل عمله لوجه الله وطلب ثوابه وما عنده فى معاده وهذه صفة المنافق وانما قلنا انه منافق لان المظهر كفره والمعلن شركه معلوم انه لا يكون بشئ من أعماله مرائيا لان المرائى هو الذى يرائى الناس بالعمل الذى هو فى الظاهر لله وفى الباطن عامله مراده به حمد الناس عليه والكافر لا يخيل على أحد أمره ان أفعاله كلها انما هى للشيطان اذا كان

المال فيه ثم فى الحكم والتسلط فاذا ملك السلطنات باسرها وقهر ملوك الارض أراد أن ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول أنا أحيى وأميت وليس العالم رب الا أنا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره و بطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية النبى صلى الله عليه وسلم أو من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس فى الوجود سوى الله وهذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعنى كن فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانهم جدا وان لم تكن مجدا فان المجد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى أن يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب باعتراض على قول الكافر أنا أحيى وأميت والمراد أن ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن اطلاع شمس الحياة من أفق البدن فان كنت صادقا فى دعواك ان هذا يتأتى منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه آية القيامة من مات فقد قامت قيامته فبهت الذى كفر لانه ان أمكنه ان يدعى الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه أن يدعى الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة لا يرد عليها شئ من الاعتراضات المذكورة فى التفسير ثم أخبر عن اظهار قدرته فى احياء الموتى بعد انقطاع المدعى فى حجته عقيب الدعوى بقوله تعالى أو كالذى مر على قرية وذلك أن قوما أنكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح معللا وزعموا أن الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم الكلية التى استفادتها من عالم الحس فما حاجتها أن ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبى اذا استفاد العلوم فى المكتب وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى أن يرجع الى المكتب وحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله

معاننا كفره لالله ومن كان كذلك فغير كائن مرائيا باعماله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن حريث قال ان الرجل يغزو ولا يسرق ولا يزني ولا يغل لا يرجع بالكفاف فقيل له لم ذاك قال فان الرجل ليخرج فاذا أصابه من بلاء الذي قد حكم عليه سب ولعن أيامه ولعن ساعة غزا وقال لا أعود لغزوة معه أبدا فهذا عليه وليس له مثل النفقة في سبيل الله يتبعها من وأذى فقد ضرب الله مثلها في القرآن يا أيها الذين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى حتى ختم الآية ۞ القول في تأويل قوله (فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني تعالى ذكره بذلك فمثل هذا الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر والهاء في قوله فمثله عائدة على الذي كمثل صفوان والصفوان واحد وجمع فمن جعله جمعا فالواحدة صفوانة بمنزلة تمرة وتمر ونخلة ونخل ومن جعله واحدا جمعه صفوان وصفي كما قال الشاعر * مواقع الطير على الصفي * والصفوان هو الصفا وهي الحجارة الملس وقوله عليه تراب يعني على الصفوان ترا. فاصابه يعني أصاب الصفوان وابل وهو المطر الشديد العظيم كما قال امرؤ القيس

ساعة ثم انتحاها وابل * ساقط الاكناف واه منهمر

يقال منه وبلت السماء فهي تبل وبلا وقد وبلت الارض فهي توبل وقوله فتركه صلدا يقول فترك الوابل الصفوان صلدا والصلد من الحجارة الصلب الذي لا شئ عليه من نبات ولا غيره وهو من الارضين ما لا ينبت فيه شئ وكذلك من الرؤس كما قال رؤبة

لما رأتني خلق المموه * براق أصلاد الجبين الاجله

ومن ذلك يقال للقدر الثخينة البطيئة الغلي قدر صلود وقد صلدت تصلد صلودا ومنه قول تأبط شرا

ولست بجلب جلب وعد وقرة * ولا بصفا صلد عن الخير أعزل

ثم رجع تعالى ذكره الى ذكر المنافقين الذين ضرب المثل لاعمالهم فقال فكذلك أعمالهم بمنزلة الصفوان الذي كان عليه تراب فاصابه الوابل من المطر فذهب بما عليه من التراب فتركه نقيا لا تراب عليه ولا شئ يراهم المسلمون في الظاهر ان لهم أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان بما يراؤنهم به فاذا كان يوم القيامة وصاروا الى الله اضمحل ذلك كله لانه لم يكن لله كما ذهب الوابل من المطر بما كان على الصفوان من التراب فتركه أملس لا شئ عليه فذلك قوله لا يقدرون يعني به الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شئ مما كسبوا في الدنيا لانهم لم يعملوا لمعادهم ولا لطلب ما عند الله في الآخرة ولكنهم عملوه رئاء الناس وطلب حمدهم وانما حظهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها ثم أخبر تعالى ذكره انه لا يهدي القوم الكافرين يقول لا يسددهم لاصابة الحق في نفقاتهم وغيرها فيوفقهم لها وهم للباطل عليها مؤثرون ولكنه تركهم في ضلالتهم يعمهون فقال تعالى ذكره للمؤمنين لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفة أعمالهم فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنكم على من تصدقتم بها عليه وأذاكم لهم كما أبطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فقرأ حتى بلغ على شئ مما كسبوا فهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار يوم القيامة يقول لا يقدرون على شئ مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفاة الحجر ليس عليه شئ أنقى ما كان عليه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا تبطلوا

وراء فقد دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات الفلسفية بان أمات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم أحياهما اذ أجمع العلماء ان الله تعالى مهما أحيي عزيرا الروح أحيي معه حمار الجسد وكما ان عزير الروح يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤس تجلي صفات الجلال والجمال وسقاهم ربهم شرابا (٤١) طهورا أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل أناس مشربهم شعر

شربنا وأهرقنا على الارض قسطها * وللارض من كأس الكرام نصيب

ثم أكد حديث الحشر بقصة عن خليله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله رب أرني كيف تحيي الموتى فيفوح منه رائحة قول موسى رب أرني أنظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فما رأى غير النصب والتعب وأدب بتاديب الخاطئ الجاني وعرك بتعريك لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

فاسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رب أرني أنظر اليك ويعربد أخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل ما زل قدمه في آداب العبودية في الحضور والغيبة فلا جرم أكرم اليوم بكرامة الشيبة ان أول ما شاب شيبة ابراهيم ويحترم غدا بالكسوة ان أول من يكسى ابراهيم ولما ابتلي في ماله فبذل للضيفان وابتلي بولده فاسلم وتله للجبين وابتلي في نفسه فاستسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلي بجبرائيل فقال أما اليك فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان أول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي

صـــدقاتـكم بالمن الى قوله والله لايهدى القوم الـكافرين هذا مثل ضربه الله لاعمال الـكافرين يوم القيامة يقول لايقدرون على شئ مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفا نقيا لاشئ عليه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى قوله على شئ مما كسبوا أما الصفوان الذى عليـــه تراب فاصابه المطر فذهب ترابه فتركه صلدا فكذا هـــذا الذى ينفق ماله رياء الناس ذهب الرياء بنفقته كما ذهب هـــذا المطر بتراب هـــذا الصفا فتركه نقيا فكذلك تركه الرياء لايقدر على شئ مما قدم فقال للمؤمنين لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فتبطل كما بطلت صدقة الرياء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أن لاينفق الرجـــل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر فضرب بمثلهما جميعا كمثل صفوان عليـــه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا فكذلك من أنفق ماله ثم اتبعه منا وأذى حدثني محمد بن ســـعيد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـــه عن ابن عباس قوله ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى كمثل صـــفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا ليس عليـــه شئ وكذلك المنافق يوم القيامة لايقدر على شئ مما كسب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال يمن بصدقته و يؤذيه فيها حتى يبطلها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى فقرأ ياأيها الذين لاتبطلوا صـــدقاتكم بالمن والاذى حتى بلغ لايقدرون على شئ مما كسبوا ثم قال أترى الوابل يدع من التراب على الصفوان شيأ فكذلك منك وأذاك لم يدع مما أنفقت شـــيأ وقرأ قوله ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقرأ وما أنفقتم من خير فلانفسكم فقرأ حتى بلغ وأنتم لاتظلمون ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (صفوان) قد بينا معنى الصفوان بما فيه الكفاية بتغيرانا أردنا ذكر من قال مثل قولنا فى ذلك من أهل التاويل حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كمثل صـــفوان كمثل الصفاة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهـــير عن جويبر عن الضحاك كمثل صـــفوان والصـــفوان الصفا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثـــله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أســـباط عن السدى أما صفوان فهو الحجر الذى يسمى الصـــفاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا ســـعيد عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صفوان يعنى الحجر ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فاصابه وابل) قد مضى البيان عنه وهذا ذكر من قال قولنا فيـــه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أســـباط عن السدى اما وابل فطر شـــديد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فاصابه وابل والوابل المطر الشديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فتركه صلدا) ذكر من قال نحو ما قلنا فى ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن الســـدى فتركه صلدا يقول نقيا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـــه عن ابن عباس فتركه صلدا قال تركها نقية ليس عليها شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله فتركه صلدا قال ليس عليه شئ حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك صلدا فتركه جردا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبـــد الرزاق

وأولى من سلك طريق الحق وقال انى ذاهب الى ربى وأول من نطق بالمحبة وقال انى لا أحب الافلين وأول من أظهر الشوق وقال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين وأول من أظهر العداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لى الا رب العالمين وأول من اشتاق فسال الرؤية وقال رب أرنى ولا تظن أن اشتياقه الى الرب انما يكون وقت سؤاله شعر واست حديث العهد شوقا ولوعة * حديث هواكم فى حشاى قديم ولكنه من حفظ آداب الاجلال كان لايفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبى من سؤالى علمه بحالى الى ان ساقه التقدير الى حسن التـــدبير وسأله نمرود من ربك فاجرى الحـــق عـــلى لسانه من فضله واحسانه ربى الذى يحيى ويميت فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجـــد الخليـــل فرصة للمأمول فادرج فى السؤال السؤال فاخفى سره وهو أدنى فى علته وهو كيف تحيي الموتى وهو يعلم انه يعلم السر وأخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان أسمعه من كلامه بفضله وجوده وقال أولم تؤمن فكان فى هـــذه الـكلمة من اعجاز القرآن ثـــلاثة معان مضمرة أولم تؤمن بوقت ما آمنت عند نمرود بانى أحـــيي وأميت فما كان ايمانك حقيقيا أو لم تؤمـــن لمعادر ؤيتى فى الجنة فاريك ثمة أولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا فى كل منها الاثبات فى لفظة النفى فاجاب الخليـــل عن الاستفهامات الثلاثة ببلى سرا بسر أى بلى آمنت وكان ايمانى حقيقيا ولـكن ما كان مقصودى الايمان والايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فانى فارغ من الموتى واحيائهم ولـكنى سالت ليطمئن قلبى بما تريد أو بلى آمنت بميعاد رؤيتك فى الجنة ولـكن ليطمئن قلبى برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطراب قلبى من غاية يقينى أو بلى آمنت بقدرتك على الاحياء ولـكن ما سألتك عن الاحياء ولـكنى سالتك عن كيفية الاحياء ففى ضمن ذلك يحصل مقصودى كما أن من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم النية لـ أرنى قال

قال أخبرنا معمر عن قتادة فتركه صلدا ليس عليه شيء حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فتركه صلدا ليس عليه شيء ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) يعني بذلك جل ثناؤه ومثل الذين ينفقون أموالهم فيصدقون بها ويحملون عليها في سبيل الله ويقوون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله وفي غير ذلك من طاعة الله طلب مرضاته وتثبيتا من أنفسهم يعني لهم على انفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقا من قول القائل ثبت فلانا في هذا الامر اذا صححت عزمه وحققته وقويت فيه رأيه أثبته تثبيتا كما قال ابن رواحة

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

وانما عنى الله جل وعز بذلك أن أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما أنفقت في طاعته بغير من ولا أذى فثبتهم في انفاق أموالهم ابتغاء مرضات الله وصحح عزمهم وآراءهم يقينا منها بذلك وتصديقا بوعد الله اياها ما وعدها ولذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله وتثبيتا وتصديقا ومن قال منهم ويقينا لان تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله اياهم انما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله ذكر من قال ذلك من أهل التأويل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبي موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال تصديقا ويقينا حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال وتصديقا من أنفسهم ثبات ونصرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال يقينا من أنفسهم قال التثبيت اليقين حدثني يونس قال ثنا علي بن معبد عن أبي معاوية عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله وتثبيتا من أنفسهم يقول يقينا من عند أنفسهم * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم أنهم كانوا يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال يتثبتون أي يضعون أموالهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم فقلت له ما ذلك التثبيت قال يتثبتون أين يضعون أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يتثبتون أين يضعونها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن رفاعة عن الحسن في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم يعني زكاتهم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن علي بن علي قال سمعت الحسن قرأ ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم قال كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله مضى وان خالطه شك أمسك وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن تأويل بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهر التلاوة وذلك أنهم تأولوا قوله وتثبيتا من أنفسهم بمعنى وتثبتا فزعموا أن ذلك انما قيل كذلك لان القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم ولو كان التأويل كذلك لكان وتثبتا من أنفسهم لان المصدر من الكلام ان كان على تفعلت التفعل فيقال تكرمت تكرما وتكلمت تكلما وكما قال جل ثناؤه أو يأخذهم على تخوف من قول القائل تخوف فلان هذا الامر تخوفا فكذلك قوله وتثبيتا من أنفسهم لو كان من تثبت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام وتثبتا من أنفسهم لا وتثبيتا ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وتثبيت من أنفس القوم اياهم بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل ان هذا مخالف لذلك وذلك أن هذا انما جاز أن يقال فيه تبتيلا لظهور وتبتل

اضطراب قلبه واضطرار حاله وتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاءه وقال خذ أربعة من الطير الآية والمراد انك محجوب بك عني فحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب وحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فهما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ أربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من أزواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص وبكوره عن حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل

اليه فكان فى ظهوره دلالة على متروك من الكلام منه قبل تبتيلا وذلك أن المتروك هو تبتل فيتلك الله اليه تبتيلا وقد تفعل العرب مثل ذلك أحيانا تخرج المصادر على غير ألفاظ الافعال التى تقدمتها اذا كانت الافعال المتقدمة تدل على ما أخرجت منه كما قال جل وعز والله أنبتكم من الارض نباتا وقال فأنبتها نباتا حسنا والنبات مصدر نبت وانما جاز ذلك لمجىء أنبت قبله فدل على المتروك الذى منه قيل نباتا والمعنى والله أنبتكم فنبتم من الارض نباتا وليس قوله وتثبيتا من أنفسهم كلاما يجوز أن يكون متوهما به أنه معدول عن اثباته ومعنى الكلام ويتثبتون فى وضع الصدقات مواضعها فتصرف الى المعانى التى صرف اليها قوله وتبتل اليه تبتيلا وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الافعال التى هى ظاهرة قبلها * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم واحتسابا من أنفسهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتثبيتا من أنفسهم يقول احتسابا من أنفسهم وهذا القول أيضا بعيد المعنى من معنى التثبيت لان التثبيت لا يعرف فى شىء من الكلام بمعنى الاحتساب الا أن يكون أراد مفسره كذلك أن أنفس المنفقين كانت محتسبة فى تثبيتها أصحابها فان كان ذلك كان عنده معنى الكلام فليس الاحتساب بمعنى حينئذ للتثبيت به فيترجم عنه به

القول فى تأويل قوله (كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) يعنى بذلك جل وعز ومثل الذين ينفقون أموالهم فيتصدقون بها ويسبلونها فى طاعة الله بغير من على من تصدقوا بها عليه ولا أذى منهم لهم بها ابتغاء رضوان الله وتصديقا من أنفسهم بوعده كمثل جنة والجنة البستان وقد دللنا فيما مضى على أن الجنة البستان بما فيه الكفاية من اعادته بربوة والربوة من الارض ما نشز منها فارتفع عن السيل وانما وصفها بذلك جل ثناؤه لان ما ارتفع عن المسايل والاودية أغلظ وجنان ما غلظ من الارض أحسن وأزكى ثمرا وغرسا وزرعا مما رق منها ولذلك قال أعشى بنى ثعلبة فى وصف روضة

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل

وصفها بأنها من رياض الحزن لان الحزون غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الاودية والتلاع وزروعها وفى الربوة لغات ثلاث وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القراء وهى ربوة بضم الراء وبها قرأت عامة قراء أهل المدينة والحجاز والعراق وربوة بفتح الراء وبها قرأ بعض أهل الشام وبعض أهل الكوفة ويقال انها لغة لتميم وربوة بكسر الراء وبها قرأ فيما ذكر ابن عباس وغير جائز عندى أن يقرأ ذلك الا باحدى اللغتين اما بفتح الراء واما بضمها لان قراءة الناس فى أمصارهم باحداهما وأنا القراءة بها بضمها أشد ايثارا منى بفتحها لانها أشهر اللغتين فى العرب فأما الكسر فان فى رفض القراءة به دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة وانما سميت الربوة لانها ربت فغلظت وعلت من قول القائل ربا هذا الشىء يربو اذا انتفخ فعظم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كمثل جنة بربوة قال الربوة المكان الظاهر المستوى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال مجاهد هى الارض المستوية المرتفعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كمثل جنة بربوة يقول بنشز من الارض حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل جنة بربوة والربوة المكان المرتفع الذى لا تجرى فيه الانهار والذى فيه الجنان حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله بربوة برابية من الارض حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع كمثل جنة بربوة والربوة النشز من الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس كمثل جنة بربوة

به النار فصارت النار عليه لما ألقى فيها بردا وسلاما والمبالغة فى تقطيعهن ونتف ريشها وخلط أجزائها اشارة الى محو آثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدى ابراهيم الروح بأمر الشرع ثم اجعل على كل جبل هى الجبال الاربعة التى جبل الانسان عليها النفس النامية وهى النباتية والارواح الثلاثة الحيوانى والطبيعى والانسان الملكى فهذه الجبال كالاشجار والزروع وأجزاء الطيور كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من أولئك ويتربى بتربيتها ويتصرف فيها الروح الانسانى فيحييها بشعوره وهو من خصائص أرواح الانسان فتكون تلك الصفات ميتة عن أوصافها حية بأخلاق الروحانيات هذا لخواص الخلق الذين الغالب على أحوالهم الروح وأما خواص الخواص ومن أدركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد خمود هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيى فيحيى هذه الصفات الفانية عن أوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد فى تلك الحالة حيا بحياته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش كما ان أميا يقول لكاتب أرنى كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه فى يد الامى وأخذ يده بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامى على الصحيفة ففى تلك الحالة يظن الامى انه صار كاتبا فيقول أنا الكاتب كقوله

شعر عجبت منك ومنى أفنيتنى بك عنى * أدنيتنى منك حتى ظننت انك أنى

فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامى فيعلم الامى انه أمى والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك أى ذنب حسبان انك كاتب وأنت منى أمى عربى ما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى ان تجلى لخليله بصفة واحدة وهى صفة

ربوة قال المكان المرتفع الذي لا تجرى فيه الانهار * وكان آخرون يقولون هي المستوية ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله كمثل جنة بربوة قال هي الارض المستوية التي تعلو فوق المياه وأما قوله أصابها وابل فانه يعني جل ثناؤه أصاب الجنة التي بالربوة من الارض وابل من المطر وهو الشديد العظيم القطر منه وقوله فآتت أكلها ضعفين فانه يعني الجنة انها أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر والاكل هو الشيء المأكول وهو مثل الرعب والهدر وما أشبه ذلك من الاسماء التي تأتى على فعل وأما الاكل بفتح الالف وتسكين الكاف فهو فعل الآكل يقال منه أكلت أكلا وأكلت أكلة واحدة كما قال الشاعر

وما أكلة أكلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

ففتح الالف لانها بمعنى الفعل ويدلك على ان ذلك كذلك قوله ولا جوعة وان ضمت الالف من الاكلة كان معناه الطعام الذي أكلته فيكون معنى ذلك حينئذ ما طعام أكلته بغنيمة وأما قوله فان لم يصبها وابل فطل فان الطل هو الندى واللين من المطر كما حدثنا عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج فطل ندى عن عطاء الخراساني عن ابن عباس حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اما الطل فالندى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان لم يصبها وابل فطل أي طش حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فطل قال الطل الرذاذ من المطر يعني اللين منه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فطل أي طش وانما يعني تعالى ذكره بهذا المثل كما ضعفت ثمرة هذه الجنة التي وصفت صفتها حين جاد الوابل فان أخطأ هذا الوابل فالطل كذلك يضعف الله صدقة المتصدق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتا من نفسه من غير من ولا أذى قلت نفقته أو كثرت لا تخيب وتخلف نفقته كما تضعف الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها قل ما أصابها من المطر أو كثر يخلف خيرها بحال من الحال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل يقول كما أضعفت ثمرة تلك الجنة فكذلك يضاعف ثمرة هذا المنفق ضعفين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن يقول ليس لخيره خلف كما ليس لخير هذه الجنة خلف على أي حال اما وابل واما طل حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا مثل من أنفق ماله ابتغاء مرضات الله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله الآية قال هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن فان قال قائل وكيف قيل فان لم يصبها وابل فطل وهذا خبر عن أمر قد مضى قبل وأراد فيه كان ومعنى الكلام فآتت أكلها ضعفين فان لم يكن الوابل أصابها أصابها طل وذلك في الكلام نحو قول القائل حبست فرسين فان لم أحبس اثنين فواحدا ٧ بقيمته بمعنى لا كراه لا بد من اضمار كان لانه خبر ومنه قول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * ولم تجدى من ان تقرى بها بدا

﴿ القول في تأويل قوله (والله بما تعملون بصير) يعني بذلك والله بما تعملون أيها الناس في نفقاتكم التي تنفقونها بصير لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم فيها وفي غيرها شيء يعلم من المنفق منكم بالمن والاذى

٧ قوله بقيمته الخ هكذا هذه العبارة بالاصل ولا معنى لها والمراد انه لا بد من اضمار كان وبه يتم الجواب عن السؤال تأمل اه مصححه

المحيي ليريه آية من آياته وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه رب أرني والحبيب طلبها له ولامته أرنا الاشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته ورفعته وكمال معرفته فلعلو همته قال أرنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه أيضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية الماهية فقال كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز أعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على أسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) القراآت أنبتت سبع وبابه بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل يضعف وبابه

ابن كثير وابن عامر و يزيد و يعقوب الباقون يضاعف رياء الناس غير مهموز حيث كان يزيد الشموني والخزاعي عن ابن فليح وحمزة
في الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة أبو عمرو وعلى غير ليث وأبي حمدون وحمدويه و ر و يس عن يعقوب وكذلك ما كان محله
النصب من الاعراب كل لقرآن يربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها أكلها و بابه ساكنة الكاف ابن

والمنفق ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من نفسه فيحصي عليكم حتى يجازي جميعكم جزاءه على عمله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وانما يعني بهذا القول جل ذكره التحذير من عقابه في النفقات التي ينفقها عباده وغير ذلك من الاعمال ان يأتي أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهي أو يفرط فيما قد أمر به لان ذلك بمرأى من الله ومسمع يعلمه و يحصيه عليهم وهو بخلقه بالمرصاد ۞ القول في تأويل قوله (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) يعني تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر الآية ومعنى ذلك أيود أحدكم أيحب أحدكم أن تكون له جنة يعني بستانا من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار يعني من تحت الجنة وله فيها من كل الثمرات والهاء في قوله له عائدة على أحد والهاء والالف في فيها على الجنة وأصابه يعني وأصاب أحدكم الكبر وله ذرية ضعفاء وانما جعل جل ثناؤه البستان من النخيل والاعناب الذي قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين أيود أحدكم أن تكون له مثلا لنفقة المنافق التي ينفقها رياء الناس لا ابتغاء مرضات الله فالناس بما يظهر لهم من صدقته واعطائه لما يعطي وعمله الظاهر يثنون عليه و يحمدونه بعمله ذلك أيام حياته في حسنه كحسن البستان وهي الجنة التي ضربها الله عز وجل لعمله مثلا من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات لان في عمله ذلك الذي يعمله في الظاهر في الدنيا له فيه من كل خير من عاجل الدنيا يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته و يكتسب به المحمدة وحسن الثناء عند الناس و يأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر احصاؤها فله في ذلك من كل خير في الدنيا كما وصف جل ثناؤه والجنة التي وصف مثلا بعمله فان فيها كل الثمرات ثم قال جل ثناؤه وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء يعني ان صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال فأصابها يعني فأصاب الجنة اعصار فيه نار فاحترقت يعني بذلك ان جنته تلك أحرقتها الريح التي فيها النار في حال حاجته اليها وضرورته الى ثمرتها بكبره وضعفه عن عمارتها وفي حال صغر ولده وعجزه عن احيائها والقيام عليها فبقي لا شيء له أحوج ما كان الى جنته وثمارها بالآفة التي أصابتها من الاعصار التي فيه النار فكذلك المنفق ماله رياء الناس أطفى الله نوره وأذهب بهاء عمله وأحبط أجره حتى لقيه وعاد اليه أحوج ما كان الى عمله حتى لا مستعتب له ولا اقالة من ذنوبه ولا توبة واضمحل عمله كما احترقت الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته أحوج ما كان اليها فبطلت منافعها عنه وهذا المثل الذي ضرب به الله للمنفقين أموالهم رياء الناس في هذه الآية نظير المثل الآخر الذي ضرب به لهم بقوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية الا ان معاني قولهم في ذلك وان اختلفت تصاريفهم فيها عائدة الى المعنى الذي قلنا في ذلك وأحسنهم ابانة لمعناها وأقربهم الى الصواب قولا فيها السدي حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت هذا مثل آخر لنفقة الرياء انه ينفق ماله يرائي الناس به فيذهب ماله منه وهو يرائي فلا يأجره الله فيه فاذا كان يوم القيامة واحتاج الى نفقته وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته حتى اذا بلغ وكثر عياله واحتاج الى جنته جاءت ريح فيها سموم فاحرقت جنته فلم يجد منها شيأ

كثير ونافع وافق أبو عمرو فيما اتصلت بالهاء والالف بما يعملون بصير بالياء التحتانية أبو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب * الوقوف ما تصدقة ط لمن يشاء ط عليم ه عند ربهم ج بعطف المختلفتين يحزنون ه أذى ط حليم ه والاذى لالتعلق كاف التشبيه أي ابطالا مثل ابطال الذي الآخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ه ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير ه الانهار لالان ما بعده صفة لجنة أيضا الثمرات لالان الواو للحال ضعف ص والوصل أولى والوقف على فاحترقت ط لتناهي مقصود الاستفهام والمعنى أيحب أحدكم احتراق جنة صفتها كذا في حال كذا تتفكرون ه نصف السبع * التفسير انه سبحانه لما ذكر من أصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه بيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما أجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الآية تلك الاضعاف وانما ذكر من الآيتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب فكذلك المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت اني خلقتك وأكملت نعمي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من

فكذلك المنفق رياء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في
قول الله عز وجل أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب كمثل المفرط في طاعة الله حتى يموت قال
يقول أيود أحدكم أن يكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذي له جنات تجري من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت فمثله بعد موته كمثل هذا حين
أحرقت جنته وهو كبير لا يغني عنها شيأ وولده صغار لا يغنون عنها شيأ وكذلك المفرط بعد الموت كل شيء عليه
حسرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن
حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء قال سأل عمر الناس عن هذه الآية فما وجد أحدا يشفيه حتى
قال ابن عباس وهو خلفه يا أمير المؤمنين اني أجد في نفسي منها شيأ قال فتلفت اليه فقال تحول ههنا لم تحقر
نفسك قال هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى
اذا كان أحوج ما يكون الى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء
فأفسده كله فحرقه أحوج ما كان اليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن محمد بن سليم عن ابن أبي
مليكة أن عمر تلا هذه الآية أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب قال هذا مثل ضرب للانسان
يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون اليه عمل عمل السوء حدثني المثنى قال ثنا
سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر عن عبيد بن عمير أنه سمعه
يقول سأل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم ترون أنزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة
من نخيل وأعناب فقالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير
المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضرب الله مثلا لعمل قال عمر أي عمل قال لعمل
فقال عمر رجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها قال
وسمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث نحو هذا عن ابن عباس سمعه منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر أنه سمع عبيد بن عمير قال ابن جريج
وسمعت عبد الله بن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس قالا جميعا ان عمر بن الخطاب سأل أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال عمر للرجل يعمل بالحسنات ثم يبعث الله له الشيطان فيعمل
بالمعاصي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عنها ثم قال
ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قالا ضربت مثلا للاعمال قال ابن جريج وقال ابن عباس
ضربت مثلا للعمل يبدأ فيعمل عملا صالحا فيكون مثلا للجنة التي من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له
فيها من كل الثمرات ثم يسيء في آخر عمره فيتمادى على الاساءة حتى يموت على ذلك فيكون الاعصار الذي فيه
نار التي أحرقت الجنة مثلا لاساءته التي مات وهو عليها قال ابن عباس الجنة عيشه وعيش ولده فاحترقت فلم
يستطع أن يدفع عن جنته من أجل كبره ولم يستطع ورثته أن يدفعوا عن جنتهم من أجل صغرهم حتى
احترقت يقول هذا مثله تلقاه وهو أفقر ما كان الي فلا يجد له عندي شيأ ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه
من عذاب الله شيأ ولا يستطيع من كبره وصغر أولاده أن يعملوا جنة كذلك لا توبة اذا انقطع العمل حين مات
قال ابن جريج عن مجاهد سمعت ابن عباس قال هو مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت قال ابن جريج وقال مجاهد
أيود أحدكم أن تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذي له جنة فمثله بعد موته كمثل هذا حين
أحرقت جنته وهو كبير لا يغني عنها شيأ وأولاده صغار ولا يغنون عنه شيأ وكذلك المفرط بعد الموت كل شيء

الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعدما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في
المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار أولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق
المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي
يتملكها العباد الا بالانفاق
اتبعه أحكامه فقال مثل
الذين ولا بد من اضمار
ليصح التشبيه أي مثل
صدقاتهم كمثل حبة أو
مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل
الله دينه فقيل الجهاد وقيل
جميع أبواب الخير والمنبت
هو الله ولكن الحبة لما
كانت سببا أسند اليها
الانبات كما يسند الى الارض
والى الماء ومعنى انباتها
سبع سنابل أن يخرج
ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل واحد سنبلة وهذا
التمثيل تصوير للاضعاف
سواء وجد في الدنيا سنبلة
بهذه الصفة أو لم توجد على
انه قد يوجد في الجاورس
والذرة وغيرهما مثل ذلك
وسبع سنابل مثل ثلاثة
قروء في اقامة جمع الكثرة
مقام القلة والله يضاعف
أي تلك المضاعفة لمن يشاء
لا لكل منفق لتفاوت
أحوال المنفقين في الاخلاص
أو يضاعف سبع المائة
ويزيد عليها أضعافها لمن
يستحق ذلك في مشيئته والله
واسع كامل القدرة على
المجازاة لان فيضه غير متناه
عليم بمقادير الانفاقات
وبمواقعها ومصارفها
وباخلاص صاحبها واذا
كان الامر كذلك فلن يضيع
عمل عامل له عنده ثم لما عظم أمر الانفاق أردف ببيان الامور التي يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام
قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صفوان من منح مسائله ومن ومنع نائله وضن وذلك لما فيه من
انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بأن النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطي هو الله واذا كان العبد

فى هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان فى درجة البهائم التى لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات وأما الاذى فنهم من حمله على أذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو أن يتطاول على الفقير بما أدلى اليه و يقول له ألست الامبرما وما أنت الا ثقيل و باعد الله ما بينى و بينك ومعنى ثم تراخى الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما لانهما ذكرتا فى سياق النفى لهم أجرهم وقال فيما يجىء فلهم أجرهم لان الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنا ان الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك أنسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أى لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والمراد انهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر و يعلم من قوله فى سبيل الله ان قوله لهم أجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر و يعلم من قوله ثم لا يتبعون أن المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالآية من وجهين الاول أن العمل يوجب الاجر لقوله لهم أجرهم وأجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثانى أن الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى لا ثواب له أصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك أن يرد السائل بطريق أحسن وعدة حسنة ومغفرة عفو عن السائل اذا

عليه حسرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار الآية يقول أصابها ريح فيها سموم شديد كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فهذا مثل فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله فانه قال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون هذا رجل كبرت سنه ودق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته على بقية ذلك كأحوج ما يكون اليه يقول أيحب أحدكم أن يضل عنه عمله يوم القيامة كأحوج ما يكون اليه حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة الى قوله فاحترقت يقول فذهبت جنته كأحوج ما كان اليها حين كبرت سنه وضعف عن الكسب وله ذرية ضعفاء لا ينفعونه قال وكان الحسن يقول فاحترقت فذهبت أحوج ما كان اليها فذلك قوله أيود أحدكم أن يذهب عمله أحوج ما كان اليه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ضرب الله مثلا حسنا وكل أمثاله حسن تبارك وتعالى وقال أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل الى قوله فيها من كل الثمرات يقول صنعه فى شبيبته فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء عند آخر عمره فجاء اعصار فيه نار فاحرق بستانه فلم يكن عندهم قوة ان يغرسوا مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يوم القيامة اذا رد الى الله تعالى يوم القيامة ليس له خير فيستعتب كما ليس له قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجد خيرا قدم لنفسه يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته وهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فيما أوتيا فى الدنيا كيف نجا المؤمن فى الآخرة وذخر له من الكرامة والنعيم وخزن عنه المال فى الدنيا و بسط للكافر فى الدنيا من المال ما هو منقطع وخزن له من الشر ما ليس يفارقه أبدا و يخلد فيها مهانا من أجل انه فخر على صاحبه و وثق بما عنده ولم يستيقن انه ملاق ربه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية قال هذا مثل ضربه الله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات والرجل قد كبر سنه وضعف وله أولاد صغار وابتلاهم الله فى جنتهم فبعث الله عليها اعصارا فيه نار فاحترقت فلم يستطع الرجل ان يدفع عن جنته من الكبر ولا ولده لصغرهم فذهبت جنته أحوج ما كان اليها يقول أيحب أحدكم أن يعيش فى الضلالة والمعاصى حتى يأتيه الموت فيجىء يوم القيامة قد ضل عنه عمله أحوج ما كان اليه فيقول ابن آدم أتيتنى أحوج ما كنت قط الى خير فاين ما قدمت لنفسك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ضرب بذلك مثلا فقال أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب حتى بلغ فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال جرت أنهارها وثمارها وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت أيود أحدكم هذا فما يحمل أحدكم أن يخرج من صدقته ونفقته حتى اذا كان له عندى جنة وجرت أنهارها وثمارها وكانت لولده و ولد ولده أصابها ريح اعصار فحرقها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار رجل غرس بستانا فيه من كل الثمرات فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فلا يستطيع أن يدفع عن بستانه من كبره ولم يستطع ذريته ان يدفعوا عن بستانه فذهبت معيشته ومعيشة ذريته فهذا مثل ضربه الله للكافر يقول يلقانى يوم القيامة وهو أحوج ما يكون الى خير يصيبه فلا يجد له عندى خيرا ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيأ وانما دللنا ان الذى هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه لان الله جل ثناؤه تقدم الى عباده

وجد منه ما يثقل على المسؤل لانه اذا رد بغير مقصود فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو عفو عن جهة السائل بأن يعذره اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها أذى لانه اذا اتبع الايذاء الاعطاء فقد جمع بين الانتفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضر وأما القول المعروف ففيه انتفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى ومن

المؤمنين بالنهي عن المن والاذى في صدقاتهم ثم ضرب مثلا لمن من وآذى من تصدق عليه بصدقة فمثله بالمرائي من المنافقين المنفقين أموالهم رياء الناس وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظير ما ضرب لهم من المثل قبلها فكان الحاقها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثل ما لم يجر له ذكر قبلها ولا معها فان قال لنا قائل وكيف قيل وأصابه الكبر وهو فعل ماض فعطف به على قوله أيود أحدكم قيل ان ذلك كذلك لان قوله أيود يصلح أن يوضع فيه لو مكان ان فلما صلحت بلو وان ومعناهما جميعا الاستقبال استجازت العرب ان يردوا فعل بتأويل لو على تفعل مع ان فلذلك قال فأصابها وهو في مذهبه بمنزلة لو اذا ضارعت ان في معنى الجزاء فوضعت في مواضعها وأجيب ان بجواب لو ولو بجواب ان فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات فان قال وكيف قيل ههنا وله ذرية ضعفاء وقال في النساء وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قيل لان فعيلا يجمع على فعلاء وفعال فيقال رجل ظريف من قوم ظرفاء وظراف وأما الاعصار فانه الريح العاصف تهب من الارض الى السماء كأنها عمود تجمع أعاصير ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميري

أناس أجاروا نا فكان جوارهم أعاصير من سوء العراق المنذر

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله اعصار فيه نار فاحترقت فقال بعضهم معنى ذلك ريح فيها سموم شديدة

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يوسف بن خالد السمتي قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله اعصار فيه نار ريح فيها سموم شديدة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس في اعصار فيه نار قال السموم الحارة التي خلق منها الجان التي تحرق حدثنا حميد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هي السموم الحارة حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن ابن اسحق عن التميمي عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت التي تقتل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عمن ذكره عن ابن عباس قال ان السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزأ من النار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت هي ريح فيها سموم شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اعصار فيه نار قال سموم شديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اعصار فيه نار يقول أصابها ريح فيها سموم شديدة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي اعصار فيه نار فاحترقت أما الاعصار فالريح وأما النار فالسموم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع اعصار فيه نار يقول ريح فيها سموم شديد * وقال آخرون هي ريح فيها برد شديد ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال كان الحسن يقول في قوله اعصار فيه نار فاحترقت فيها صر وبرد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك اعصار فيه نار فاحترقت يعني بالاعصار ريح فيها برد ۞ القول في تأويل قوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) يعني بذلك جل ثناؤه كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى أمر النفقة في سبيله وكيف وجهها لكم وما ليس لكم فعله فيها كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها ويوضح لكم حججها انعاما منه بذلك عليكم لعلكم

الناس من خصص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه وردبان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن ابن عباس المن على الله والاذى للفقير كالذي أي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو أن يرائي بعمله غيره ولا يريد رضا الله وثواب الآخرة ويجوز أن تكون الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فمثله الضمير اما أن يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المان بالمرائي المنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما أن يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر

العظيم القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضرب به الله لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من

تتفكر ون يقول لتتفكر وا بعقولكم فتتدبر وا وتعتبر وا بحجج الله فيها وتعملوا بما فيها من أحكامها فتطيعوا الله به و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى قال قال مجاهد لعلكم تتفكر ون قال تطيعون حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكر ون يعنى فى زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) يعنى جل ثناؤه بقوله يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله و رسوله وآى كتابه و يعنى بقوله أنفقوا زكوا وتصدقوا كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول تصدقوا ۞ القول فى تاويل قوله (من طيبات ما كسبتم) يعنى بذلك جل ثناؤه و زكوا من طيب ما كسبتم بتصرفكم اما بتجارة واما بصناعة من الذهب والفضة و يعنى بالطيبات الجياد يقول زكوا أموالكم التى اكتسبتموها حلالا واعطوا فى زكاتكم الذهب والفضة الجياد منها دون الردىء كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ثنا زيد بن الحباب قال وأخبرنى شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنى حاتم بن بكر الضبى قال ثنا وهب عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال التجارة الحلال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن معقل أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال ليس فى مال المؤمن من خبيث ولكن لا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثنى عصام بن داود بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا أبو بكر الهذلى عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت على بن أبى طالب صلوات الله عليه عن قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من الذهب والفضة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من طيبات ما كسبتم قال التجارة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول من أطيب أموالكم وأنفسه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال هذا من الذهب والفضة ۞ القول فى تاويل قوله جل وعز (ومما أخرجنا لكم من الارض) يعنى بذلك جل ثناؤه وأنفقوا أيضا مما أخرجنا لكم من الارض فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الارض كما حدثنى عصام بن رواد قال ثنى أبى قال ثنا أبو بكر الهذلى عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل ومما أخرجنا لكم من الارض قال يعنى من الحب والثمر وكل شىء عليه زكاة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومما أخرجنا لكم من الارض قال النخل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومما أخرجنا لكم من الارض قال من ثمر النخل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة ومما أخرجنا لكم من الارض من الثمار حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ومما أخرجنا لكم من الارض قال هذا فى الثمر والحب ۞ القول

التراب وأما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة أوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى أزالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذى أو المنافق كالصفوان ويوم القيامة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان مشبه بما اذا طرح (٥٠) بذرا فى صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا أصابه مطر جود بقى مستودع بذره خاليا لا شئ فيه ألا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شئ الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور أى لا يقدر أحد من الخلق على ذلك البذر الملقى فى ذلك التراب الذى فرض على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذى والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيامة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين فى قرن شناعة شأن المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذى اما لان من والذى متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذى واما لانه أشير بالذى الى الجنس والجنس فى حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شئ مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والله لا يهدى القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة أنه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من أنفسهم قيل أى يوطنون أنفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين انها صادقة فى الايمان مخلصة فيه و يعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها فى موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها أمران الحياة العاجلة والمال فاذا

بذل ماله ور وحه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا
من للتبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على
هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد أنهم يثبتون أنفسهم تثبيتا في طلب المستحق
وصرف المال في وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا أنفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهنالك اطمئن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل أن يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البخت والاتفاق فان الاخلاق مالم تصر ملكات لصاحبها لم تكد يظهر على جوهر النفس صفاؤها ونوريتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشئ يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة التنفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما تضربه الرياح كما أن الوهاد
لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فان ذا لبستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة أرض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر
فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد
ماذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما أن الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي أن تكون هذه الارض بحيث تربو

في تأويل قوله جل وعز (ولا تيمموا الخبيث) يعني بقوله جل ثناؤه ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا ولا تقصدوا وقد ذكر ان ذلك في قراءة عبد الله ولا تأمموا من أممت وهذه من تيممت والمعنى واحد وان اختلفت الالفاظ يقال تأممت فلانا وتيممته وأممته بمعنى قصدته وتعمدته كما قال ميمون بن قيس الاعشى

تيممت قيسا وكم دونه * من الارض من مهمه ذي شزن

وكما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تيمموا لا تعمدوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله ۞ القول في تأويل قوله (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) يعني جل ثناؤه بالخبيث الردىء غير الجيد يقول لا تعمدوا الردىء من أموالكم في صدقاتكم فتصدقوا منه ولكن تصدقوا من الطيب الجيد وذلك ان هذه الآية نزلت في سبب رجل من الانصار علق قنوا من حشف في الموضع الذي كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم صدقة من تمره ذكر من قال ذلك حدثني الحسن ابن محمد بن عمرو العنقري قال ثنا أبي عن اسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض الى قوله والله غني حميد قال نزلت في الانصار كانت الانصار اذا كان أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها اقناء البسر فعلقوه على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم الى الحشف فيدخله مع اقناء البسر يظن ان ذلك جائز فانزل الله عز وجل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال لا تيمموا الحشف منه تنفقون حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط زعم السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب بنحوه الا انه قال فكان يعمد بعضهم فيدخل قنو الحشف ويظن انه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون القنو الذي قد حشف ولو أهدي لكم ما قبلتموه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك عن البراء بن عازب قال كانوا يجيؤن في الصدقة باردأ تمرهم وأردإ طعامهم فنزلت يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الآية حدثني عصام بن رواد قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال سألت عليا عن قول الله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال فقال علي نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة كان الرجل يعمد الى التمر فيصرمه فيعزل الجيد ناحية فاذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الردىء فقال عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني عبد الجليل بن حميد اليحصبي ان ابن شهاب حدثه قال ثني أبو أمامة بن سهل بن حنيف في الآية التي قال الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال هو الجعرور ولون حبيق فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ في الصدقة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال كانوا يتصدقون يعني من النخل بحشفه وشراره فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتصدقوا بطيبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله واعلموا أن الله غني حميد ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الحائطان على عهد نبي الله صلى الله عليه وسلم فيعمد الى أردئهما تمرا فيتصدق به ويخلط فيه من الحشف فعاب الله ذلك عليهم ونهاهم عنه حدثنا الحسن بن

وتنموها تنبا كلها أى ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلى ما كان يعهد منها وقيل مثلى ما يكون فى غيرها فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يصيبها ولا ينتقص شئ من ثمرها الكرم منبتها أو المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من أن تثمر قل أم كثر وكذلك من أخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه وفرام نزر و يحتمل أن (٥٢) يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما أن كل

يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال تعمد الى رذالة ماله فتصدق به ولست بآخذه الا ان تغمض فيه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يزيد بن ابراهيم عن الحسن قال كان الرجل يتصدق برذالة ماله فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثنا المثنى قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنا عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال فى الاقناء التى تعلق فرأى فيها حشفا فقال ما هذا قال ابن جريج سمعت عطاء يقول علق انسان حشفا فى الاقناء التى تعلق بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا بئسما علق هذا فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقال آخرون معنى ذلك ولا تيمموا الخبيث من الحرام فيه تنفقون وتدعوا ان تنفقوا الحلال الطيب ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال الخبيث الحرام لا تتيممه تنفق منه فان الله عز وجل لا يقبل وتأويل الآية هو التأويل الذى حكيناه عمن حكينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق أهل التأويل فى ذلك دون الذى قاله ابن زيد ۞ القول فى تأويل قوله (ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه) يعنى بذلك جل ثناؤه ولستم بآخذى الخبيث فى حقوقكم والهاء فى قوله بآخذيه من ذكر الخبيث الا ان تغمضوا فيه يعنى الا ان تتجافوا فى أخذكم اياه عن بعض الواجب لكم من حقكم فترخصوا فيه لانفسكم يقال منه أغمض فلان لفلان عن بعض حقه فهو يغمض ومن ذلك قول الطرماح بن حكيم

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم * رجال يرضون بالاغماض

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولستم بآخذى الردىء من غرمائكم فى واجب حقوقكم قبلهم الا عن اغماض منكم لهم فى الواجب لكم عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا عصام ابن رواد قال ثنا أبى قال ثنا أبو بكر الهذلى عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا عنه فقال ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول ولا يأخذ أحدكم هذا الردىء حتى يهضم له حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه الا انه يرى انه قد نقصه من حقه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوا بحساب الجيد حتى تنقصوه فذلك قوله الا ان تغمضوا فيه فكيف ترضون لى ما لا ترضون لانفسكم وحقى عليكم من أطيب أموالكم وأنفسها وهو قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لا تأخذونه من غرمائكم ولا فى بيوعكم الا بزيادة على الطيب فى الكيل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه وذلك ان رجالا كانوا يعطون زكاة أموالهم من التمر فكانوا يعطون الحشف فى الزكاة فقال لو كان بعضهم يطلب بعضا ثم قضاه لم يأخذه الا ان يرى انه قد أغمض عنه حقه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لو كان لك على رجل دين فقضاك أردأ مما كان ذلك عليه هل كنت تأخذ ذلك منه الا وأنت له كاره حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله

واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد فى زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازى بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب فى الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثالا آخر فقال أيود أحدكم والهمزة للانكار البالغ أى لن يود وقرئ له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة أوصاف الاول كونها من نخيل وأعناب كأن الجنة انما تكونت منهما لكثرتهما فيها الثانى تجرى من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد فى رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب أولا بالذكر لانهما أكرم الشجر أو أكثرها منافع قال فى الكشاف ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيهما كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل ثم شرع فى بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف أى صبيان وأطفال فأصابها اعصار ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت أى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل فى المقصود أبلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة فى غاية الكمال وكان هو فى نهاية الاحتياج الى المال وذلك أوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا أصبح وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون فى قلبه من الحسرة وفى عينه من

يا أيها

ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله الا أن تغمضوا فيه قال كانوا حين أمر الله أن يؤدوا الزكاة يجيء الرجل من المنافقين بأردأ طعام له من تمره وغيره فكره الله ذلك وقال أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض يقول ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لم يكن رجل منكم له حق على رجل فيعطيه دون حقه فيأخذه الا وهو يعلم انه قد نقصه فلا ترضوا الى مالا ترضون لانفسكم فيأخذ شيأ وهو مغمض عليه انقص من حقه وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذي هذا الرديء الخبيث اذا اشتريتموه من أهله بسعر الجيد الا باغماض منهم لكم في ثمنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمران بن حدير عن الحسن ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم ثمنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لستم بآخذي هذا الرديء بسعر هذا الطيب الا أن يغمض لكم فيه * وقال آخرون معناه ولستم بآخذي هذا الرديء الخبيث لو أهدي لكم الا أن تغمضوا فيه فتأخذوه وأنتم له كارهون على استحياء منكم ممن أهداه لكم ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي عن اسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أهدي لكم ما قبلتموه الا على استحياء من صاحبه انه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال زعم السدي عن عدي بن ثابت عن البراء نحوه الا أنه قال على استحياء من صاحبه وغيظا أنه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذي هذا الرديء من حقكم الا أن تغمضوا من حقكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولستم بآخذيه يقول ولستم بآخذيه من حق هو لكم الا أن تغمضوا فيه يقول أغمض لك من حقي * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذي الحرام الا أن تغمضوا على ما فيه من الاثم عليكم في أخذه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال يقول لست آخذا ذلك الحرام حتى تغمض على ما فيه من الاثم قال وفي كلام العرب أما والله لقد أخذه ولقد أغمض على ما فيه وهو يعلم انه حرام باطل * والذي هو أولى بتأويل ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل حث عباده على الصدقة وأداء الزكاة من أموالهم وفرضها عليهم فيها فصار ما فرض من ذلك في أموالهم حقا لاهل سهمان الصدقة ثم أمرهم تعالى ذكره أن يخرجوا من الطيب وهو الجيد من أموالهم الطيب وذلك ان أهل السهمان شركاء أرباب الاموال في أموالهم بما وجب لهم فيها من الصدقة بعد وجوبها فلا شك ان كل شريكين في مال فلكل واحد منهما بقدر ملكه وليس لاحدهما منع شريكه من حقه من الملك الذي هو فيه شريكه باعطائه بمقدار حقه منه من غيره مما هو أردأ منه أو أحسن فكذلك المزكي ماله حرم الله عليه أن يعطي أهل السهمان مما وجب لهم في ماله من الطيب الجيد من الحق فصاروا فيه شركاء من الخبيث الرديء غيره ويمنعهم ما هو لهم من حقوقهم في الطيب من ماله الجيد كما لو كان مال رب المال رديا كله غير جيد فوجبت فيه الزكاة وصار أهل سهمان الصدقة فيه شركاء بما أوجب الله لهم فيه لم يكن عليه أن يعطيهم الطيب الجيد من غير ماله الذي منه حقهم فقال تبارك وتعالى لارباب الاموال زكوا من جيد أموالكم الجيد ولا تيمموا الخبيث الرديء تعطونه أهل سهمان الصدقة وتمنعونهم الواجب لهم من الجيد الطيب في أموالكم ولستم بآخذي الرديء لانفسكم مكان الجيد الواجب لكم قبل من وجب لكم ذلك من شركائكم وغرمائكم وغيرهم الا عن اغماض منكم وهضم لهم وكراهة منكم لاخذه يقول ولا تأتوا من الفعل

الخيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيامة فاذا أتبع الانفاق النفاق او المن والاذى كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورثه الخيبة والندامة لتأويل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون أرواحهم وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله ومن أعطى تمرة الى فقير يأخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون أعظم من الجبل فمن أعطى قلبه الى الله فهو يربيه بين أصبعي جلاله حتى يصير أعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايثار صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وأرباب الصدق للقيام بأمورهم في تشفي ما في صدورهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا على الله بأن يقول عملت هذا العمل لاجلك ويجب لي عليك الاجر ولا أذى بأن يطلب من الله غير الله رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا أبا يزيد فانه يطلبني لهم أجرهم عند ربهم نزلهم في مرتبة العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل أذى طلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة لمن يختار في الطلب غيره ولولا حلمه لما التراب ورب الارباب ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن أعرض عن الحق فقد أقبل على الباطل ومن أقبل على الباطل فقد أبطل على حقوقه في الاعمال فلما

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء أى لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغنى لان الفقير يأخذ منه الدنيا ويعطيه الآخرة (٥١) كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالآخرة لانفق للآخرة لا للناس فمثل المرائى كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا أغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شئ مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله لا يهدى القوم الكافرين بنعمة طلب شهود جماله فحرموا عن دولة وصاله وتثبيتا من أنفسهم وتخليصا لقيامهم فى طلب الحق ومرضاته من حظوظ أنفسهم كمثل جنة هى قلب المخلص بربوة فى رتبة عالية عند الحق أصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فآتت أكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطى أهل الآخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطى أهل الدنيا نصيبا من الآخرة فكذلك يعطى أهل الله نصيبا من الآخرة بالتبعية ولا يعطى أهل الآخرة من الا أهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضاة أو لاستيفاء اللذات واستبقاء الحياة ثم ضرب مثلا لروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق فى أحسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم السمات منورا بانوار العقل والحواس السليمة متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة جنة هى منظور نظر العناية تجرى من تحتها انهار

الى من وجب له فى أموالكم حق ما لا ترضون من غيركم أن يأتيه اليكم فى حقوقكم الواجبة لكم فى أموالهم فاما اذا تطوع الرجل بصدقة غير مفروضة فانى وان كرهت له أن يعطى فيها الا أجود ماله وأطيبه لان الله عز وجل أحق من يقرب اليه باكرم الاموال وأطيبها والصدقة قربان المؤمن فلست أحرم عليه أن يعطى فيها غير الجيد لان مادون الجيد ربما كان أعم نفعا لكثرته أو اعظم خطره وأحسن موقعا من المسكين وممن أعطيه قربة الى الله عز وجل من الجيد لقلته أو لصغر خطره وقلة جدوى نفعه على من أعطيه ومثل ماقلنا فى ذلك قال جماعة أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال ذلك فى الزكاة الدرهم الزائف أحب الى من التمرة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن ذلك فقال انما ذلك فى الزكاة والدرهم الزائف أحب الى من التمرة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه فقال عبيدة انما هذا فى الواجب ولا بأس أن يتطوع الرجل بالتمرة والدرهم الزائف خير من التمرة حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين فى قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال انما هذا فى الزكاة المفروضة فاما التطوع فلا بأس أن يتصدق الرجل بالدرهم الزائف والدرهم الزائف خير من التمرة ۞ القول فى تأويل قوله (واعلموا أن الله غنى حميد) يعنى بذلك جل ثناؤه واعلموا أيها الناس ان الله عز وجل غنى عن صدقتكم وعن غيرها وانما أمركم بها وفرضها فى أموالكم رحمة منه لكم ليغنى بها عائلكم ويقوى بها ضعيفكم ويجزل لكم عليها فى الآخرة مثوبتكم لا من حاجة به فيها اليكم ويعنى بقوله حميد انه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه وبسط لهم من فضله كما حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى عن اسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب فى قوله والله غنى حميد عن صدقاتكم ۞ القول فى تأويل قوله (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) يعنى بذلك تعالى ذكره الشيطان يعدكم أيها الناس بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم فى أموالكم أن تفتقروا ويأمركم بالفحشاء يعنى ويأمركم بمعاصى الله عز وجل وترك طاعته والله يعدكم مغفرة منه يعنى ان الله عز وجل يعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم فحشاءكم بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التى تتصدقون وفضلا يعنى ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقتكم فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم من أرزاقكم كما حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس قال اثنان من الله واثنان من الشيطان الشيطان يعدكم الفقر يقول لا تنفق مالك وامسكه عليك فانك تحتاج اليه ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصى وفضلا فى الرزق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا يقول مغفرة لفحشائكم وفضلا لفقركم حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالحق وتصديق بالخير فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله

ـة وأصاب لصاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية فى غاية الافتقار الى التربية بأغذية ثمراتها فأصابها
اعصار من أعمال البرفيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية
بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى احسانه معكم بايتاء الاستعداد الفطرى فلا تبطلوه بقبيح فعالكم
ولا تضيعوا أعماركم فى طلب
آمالكم وتستعدوا للموت
قبل حلول آجالكم والله
المستعان وهو حسبى
(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا
من طيبات ما كسبتم ومما
أخرجنا لكم من الارض
ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون ولستم بآخذيه
الا أن تغمضوا فيه واعلموا
أن الله غنى حميد الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والله واسع
عليم يؤتى الحكمة من
يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد أوتى خيرا كثيرا وما
يذكر الا أولو الالباب وما
أنفقتم من نفقة أو نذرتم
من نذر فان الله يعلمه وما
للظالمين من أنصار ان تبدوا
الصدقات فنعما هى وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويكفر عنكم
من سيئاتكم والله بما
تعملون خبير ليس عليك
هداهم ولكن الله يهدى
من يشاء وما تنفقوا من
خير فلانفسكم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله وما
تنفقوا من خير يوف اليكم
وأنتم لا تظلمون للفقراء
الذين أحصروا فى سبيل
الله لا يستطيعون ضربا
فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون
أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) القراآت ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزى
وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب أى من يؤتيه الله الباقون بالفتح فنعما هى ساكنة العين أبو عمرو والمفضل

من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشر ابن سليمان قال ثنا عمرو عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال ان للانسان من الملك لمة ومن الشيطان لمة فاللمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق واللمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وتلا عبد الله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا قال عمرو وسمعنا فى هذا الحديث أنه كان يقال اذا أحس أحدكم من لمة الملك شيا فليحمد الله وليسأله من فضله واذا أحس من لمة الشيطان شيا فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى الاحوص أو عن مرة قال قال عبد الله الا أن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وذلكم بان الله يقول الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم فاذا وجدتم من هذه شيا فاحمدوا الله عليه واذا وجدتم من هذه شيا فتعوذوا بالله من الشيطان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبر معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود فى قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجدها فليحمد الله ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجدها فليستعذ بالله حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى أن ابن مسعود قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاده بالشر وتكذيب بالحق فمن أحس من لمة الملك شيا فليحمد الله عليه ومن أحس من لمة الشيطان شيا فليتعوذ بالله منه ثم تلا هذه الآية الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن قطر عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبدة عن عبد الله بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مرة بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وايعاد بالشر وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله وليحمد الله عليه ومن وجد الاخرى فليستعذ من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ۞ القول فى تأويل قوله (والله واسع عليم) يعنى تعالى ذكره والله واسع الفضل الذى يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه عليم بنفقاتكم وصدقاتكم التى تنفقون وتصدقون بها يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه فى آخرتكم ۞ القول فى تأويل قوله (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه يؤتى الله الاصابة فى القول والفعل من يشاء من عباده ومن يؤت الاصابة فى ذلك منهم فقد أوتى خيرا كثيرا * واختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم الحكمة التى ذكرها الله فى هذا الموضع هى القرآن والفقه به ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يؤتى الحكمة من يشاء قال الحكمة القرآن والفقه فى القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا والحكمة الفقه فى القرآن حدثنا محمد بن عبد الله الهلالى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا مهدى بن ميمون قال ثنا

شعيب بن الحباب عن أبي العالية ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال الكتاب والفهم فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قوله يؤتى الحكمة من يشاء الآية قال ليست بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفقه في القرآن * وقال آخرون يعني بالحكمة الاصابة في القول والفعل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا قال ومن يؤت الحكمة قال الاصابة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يؤتى الحكمة من يشاء قال يؤتى الاصابة من يشاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يؤتى الحكمة من يشاء قال الكتاب يؤتى اصابته من يشاء * وقال آخرون هو العلم بالدين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتى الحكمة من يشاء العقل في الدين وقرأ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحكمة العقل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لمالك وما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له * وقال آخرون الحكمة الفهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سفيان عن أبي حمزة عن ابراهيم قال الحكمة هي الفهم * وقال آخرون هي الخشية ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة الخشية لان رأس كل شيء خشية الله وقرأ انما يخشى الله من عباده العلماء * وقال آخرون هي النبوة ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة هي النبوة وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة وانها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء وانها الاصابة بما دل على صحته فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع فاذا كان ذلك كذلك معناه كان جميع الاقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك لان الاصابة في الامور انما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة واذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا لله فقيها عالما وكان النبوة من أقسامه لان الانبياء مسددون مفهمون وموفقون لاصابة الصواب في الامور والنبوة بعض معاني الحكمة فتأويل الكلام يؤتى الله اصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرا كثيرا

۞ القول في تأويل قوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) يعني بذلك جل ثناؤه وما يتعظ بما وعظ به ربه في هذه الآيات التي وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ به غيرهم فيها وفي غيرها من آي كتابه فيذكر وعده ووعيده فيها فينزجر عما زجره عنه ربه ويطيعه فيما أمره به الا أولوا الالباب يعني الا أولوا العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه فأخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة الا أولي الحجا والحلوم وأن الذكرى غير ناهية الا أهل النهى والعقول ۞ القول في تأويل قوله (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار) يعني بذلك جل ثناؤه وأي نفقة أنفقتم يعني أي صدقة تصدقتم أو أي نذر نذرتم يعني بالنذر ما أوجبه المرء على نفسه تبررا في طاعة الله وتقربا به اليه من صدقة أو عمل خير فان الله يعلمه أي ان جميع ذلك بعلم الله لا يعزب عنه منه شيء ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يجازيكم جميعكم على جميع ذلك فمن كانت نفقته منكم وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه جازاه بالذي وعده من التضعيف ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ونذوره للشيطان جازاه بالذي أوعده من العقاب

أو يحيي وأبو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخراز الباقون فنعما هي بكسر النون والعين والميم مشددة في القراآت ونكفر بالنون والراء ساكنة أبو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة

بسيماهم بالامالة حمزة وعلي وابن شاذان عن خلاد مخيرا وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى * الوقوف من الارض ز لعطف المتفقين تغمضوا فيه ط حميد ه بالفحشاء ج وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق فضلا ط عليم ه وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل أجوز كثيرا ط الالباب ه يعلمه ط أنصار ه فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون أو الياء على الاستئناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي وجه الله ط لا يظلمون ه في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من أحصر التعفف ز لان تعرفهم يصلح استئنافا والحال أوجه أي يحسبهم الجاهل أغنياء وأنت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسألون الناس على الحال وقد يجعل لا يسألون استئنافا فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا وأليم ط عليم ه عند ربهم ج يحزنون ه * التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك أن المال الذي أمر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب أن يكون فقال أنفقوا من طيبات

وأليم العذاب كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ويحصيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياء ونذوره طاعة للشيطان فقال وما للظالمين من أنصار يعنى وما لمن أنفق ماله رياء الناس وفى معصية الله وكانت نذوره للشيطان وفى طاعته من أنصار وهم جمع نصير كالاشراف جمع شريف ويعنى بقوله من أنصار من ينصرهم من الله يوم القيامة فيدفع عنهم عقابه يومئذ بقوة وشدة بطش ولا بفدية وقد دللنا على أن الظالم هو الواضع للشئ فى غير موضعه وانما سمى الله المنفق رياء الناس والناذر فى غير طاعته ظالما لوضعه انفاق ماله فى غير موضعه ونذره فى غير ماله وضعه فيه فكان ذلك ظلمه فان قال لنا قائل فكيف قال فان الله يعلمه ولم يقل يعلمهما وقد ذكر النذر والنفقة قيل انما قال فان الله يعلمه لانه أراد فان الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتم فلذلك وحد الكناية ﴿ القول فى تأويل قوله (ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) يعنى بقوله جل ثناؤه ان تبدوا الصدقات ان تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه فنعما هى يقول فنعم الشئ هى وان تخفوها يقول وان تستروها فلن تعلنوها وتؤتوها الفقراء يعنى وتعطوها الفقراء فى السر فهو خير لكم يقول فاخفاؤكم اياها خير لكم من اعلانها وذلك فى صدقة التطوع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم كل مقبول اذا كانت النية صادقة وصدقة السر أفضل وذكر لنا ان الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال كل مقبول اذا كانت النية صادقة والصدقة فى السر أفضل وكان يقول ان الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فجعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل والاشياء كلها حدثنى عبد الله بن محمد الحنفى قال ثنا عبد الله بن عثمان قال ثنا عبد الله ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال يقول هو سوى الزكاة * وقال آخرون انما عنى الله عز وجل بقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى ان تبدوا الصدقات على أهل الكتابين من اليهود والنصارى فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها فقراءهم فهو خير لكم قالوا وأما ما أعطى فقراء المسلمين من زكاة وصدقة تطوع فاخفاؤه أفضل من علانيته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عبد الرحمن بن شريح انه سمع يزيد بن أبى حبيب يقول انما نزلت هذه الآية ان تبدوا الصدقات فنعما هى فى الصدقة على اليهود والنصارى حدثنى عبد الله بن محمد الحنفى قال أخبرنا عبد الله بن عثمان قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن لهيعة قال كان يزيد بن أبى حبيب يأمر بقسم الزكاة فى السر قال عبد الله أحب أن تعطى فى العلانية يعنى الزكاة ولم يخصص الله من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى فذلك على العموم الا ما كان من زكاة واجبة فان الواجب من الفرائض قد أجمع الجميع على ان الفضل فى اعلانه واظهاره سوى الزكاة التى ذكرنا اختلاف المختلفين فيها مع اجماع جميعهم على انها واجبة فحكمها فى ان الفضل فى أدائها علانية حكم سائر الفرائض غيرها ﴿ القول فى تأويل قوله

مما كسبتم ومما أخرجنا أى من طيبات ما أخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن أن المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على أن ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكاة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روى عن على والحسن ومجاهد أن بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس جاء رجل (٥٧) ذات يوم بعذق حشيف فوضعه فى الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكاة فى كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكاة التجارة وزكاة الذهب والفضة وزكاة النعم وزكاة كل ما ينبت من الارض الا أن العلماء خصصوها بالاقوات لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة فى أربعة فى التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفى الزكاة فى غير الاربعة لكن ثبت أخذ الزكاة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم وجوب الزكاة فى الاقوات دون غيرها ولا يكفى فى وجوب الزكاة كون الشئ مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعى بالقث وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها بثمرة الوحش

لا زكاة فيها لان الناس لا يتعهدونها وأيضا لا تجب الزكاة فى القوت ما لم يبلغ خمسة أوسق وبه قال مالك وأحمد لرواية أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وقال أبو حنيفة يجب العشر فى القليل والكثير استدلالا بعموم الآية وتفصيل الكلام فى الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور

منه كبو في الفروع فلذلك ولطولها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب في الآية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردى ولما مر في سبب النزول
انهم كانوا يتصدقون برذالة أموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز أخذه بالاغماض وبغيره والآية دلت على جواز أخذ الخبيث بالاغماض
وعن ابن مسعود ومجاهد أن الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى
ولستم بآخذيه وأنتم
تعلمون أنه محرم الا أن
ترخصوا لانفسكم أخذ
الحرام ولا تبالوا من أى
وجه أخذتم المال من
حلاله أو من حرامه ويحتمل
أن يرادما يكون طيبا من
جميع الوجوه فيكون طيبا
بمعنى الحلال وبمعنى الجودة
أيضا لان الاستطابة قد
تكون شرعا وقد تكون عقلا
واعلم أن المال الزكوى
ان كان كله شريفا وجب
أن يكون المأخوذ منه كذلك
وان كان الكل خسيسا فلا
يكلف صاحبه فوق طاقته
ولا يكون خلافا للآية لان
المأخوذ في هذه الحال
لا يكون خبيثا من ذلك
المال وانما الكلام فيما لو
كان في المال جيد ورديء
فحينئذ يقال للانسان لا تجعل
الزكاة من ردىء مالك ولا
تكلف أيضا جيده لقوله
صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن
جبل حين بعثه الى اليمن
أعلمهم أن عليهم صدقة
تؤخذ من أغنيائهم وترد
على فقرائهم وإياك وكرائم
أموالهم بل الواجب حينئذ
هو الوسط ثم ان قلنا المراد
من الانفاق في الآية
التطوع أو هو والفرض
جميعا فالمعنى ان الله تعالى
ندبهم الى أن يتقربوا اليه بأفضل ما يملكونه قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال
تيممته وتأممته كله بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه ليعلم أن المنهى عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه أى اذا كان
في المال طيب وخبيث ويحتمل أن يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتدأ مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم

(ونكفر عنكم من سيآتكم) اختلف القراء في قراءة ذلك فروى عن ابن عباس انه كان يقرؤه وتكفر عنكم بالتاء ومن قرأه كذلك فانه يعنى به وتكفر الصدقات عنكم من سيآتكم وقرأ آخرون ويكفر عنكم بالياء بمعنى ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ماذكر في الآية من سيآتكم وقرأ ذلك بعد عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف يعنى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء نكفر عنكم من سيئاتكم بمعنى مجازاة الله عز وجل مخفى الصدقة بتكفير بعض سيآته بصدقته التى أخفاها وأولى القرا آت في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف على معنى الخبر من الله عن نفسه انه يجازى المخفى صدقته من التطوع ابتغاء وجهه من صدقته بتكفير سيآته واذا قرئ كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء في قوله فهو خير لكم لان الفاء هنالك حلت محل جواب الخبر فان قال لنا قائل وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء وقد علمت ان الافصح من الكلام في النسق على جواب الخبر الرفع وانما الجزم تجويز قيل اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه ان التكفير أعنى تكفير الله من سيئات المصدق لا محالة داخل فيما وعد الله المصدق ان يجازيه به على صدقته لان ذلك اذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة ولو رفع كان قد يحتمل ان يكون داخلا فيما وعده الله ان يجازيه به وان يكون خبرا مستأنفا انه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم لان ما بعد الفاء في جواب الجزاء استئناف فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه في انه غير داخل في الجزاء ولذلك من العلة اخترنا جزم نكفر عطفا به على موضع الفاء من قوله فهو خير لكم وقراءته بالنون فان قال قائل وما وجه دخول من في قوله ونكفر عنكم من سيئاتكم قيل وجه دخولها في ذلك بمعنى ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلوا على وعده ما وعد على الصدقات التى يخفيها المتصدق فيجترؤا على حدوده ومعاصيه وقال بعض نحوى البصرة معنى من الاسقاط من هذا الموضع ويتأول معنى ذلك ونكفر عنكم سيئاتكم ۞ القول في تأويل قوله (والله بما تعملون خبير) يعنى بذلك جل ثناؤه والله بما تعملون في صدقاتكم من اخفائها واعلان واسرار بها واجهار وفي غير ذلك من أعمالكم خبير يعنى بذلك ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه شئ من ذلك فهو بجميعه محيط ولكله محص على أهله حتى يوفيهم ثواب جميعه وجزاء قليله وكثيره ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) يعنى تعالى ذكره ليس عليك هداهم يا محمد هدى المشركين الى الاسلام فتمنعهم صدقة التطوع ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله هو يهدى من يشاء من خلقه الى الاسلام فيوفقهم له فلا تمنعهم الصدقة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن شعبة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين فنزلت وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله فتصدق عليهم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو داود عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين فنزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن سعيد بن جبير قال كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين حتى نزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء حدثنا محمد بن بشار وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون لانسابهم من المشركين فنزلت ليس

عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء فرخص لهم حدثنا المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان اناس من الانصار لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم أن يسلموا فنزلت ليس عليك هداهم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا أن رجالا من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم قالوا أنتصدق على من ليس من أهل ديننا فأنزل الله في ذلك القرآن ليس عليك هداهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء قال كان الرجل من المسلمين اذا كان بينه وبين الرجل من المشركين قرابة وهو محتاج فلا يتصدق عليه يقول ليس من أهل ديني فأنزل الله عز وجل ليس عليك هداهم الآية حدثني محمد قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعني المشركين وأما النفقة فبين أهلها حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال كانوا يتصدقون كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون قال هو مردود عليك فمالك ولهذا تؤذيه وتمن عليه انما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله والله يجزيك

۞ القول في تأويل قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا) أما قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله فبيان من الله عز وجل عن سبيل النفقة ووجهها ومعنى الكلام وما تنفقوا من خير فلانفسكم تنفقون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله واللام التي في الفقراء مردودة على موضع اللام في فلانفسكم كأنه قال وما تنفقوا من خير يعني به وما تتصدقوا به من مال فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله فلما اعترض في الكلام بقوله فلانفسكم فأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه تركت اعادتها في قوله للفقراء اذ كان الكلام مفهوما معناه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعني المشركين وأما النفقة فبين أهلها فقال للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله وقيل ان هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله مهاجري قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة عليهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية قال هم فقراء المهاجرين بالمدينة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال فقراء المهاجرين ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (الذين أحصروا في سبيل الله) يعني تعالى ذكره بذلك الذين جعلهم جهادهم عدوهم يحصرون أنفسهم فيحبسونها عن التصرف فلا يستطيعون تصرفا وقد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى الاحصار تصيير الرجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدوه وغير ذلك من علله الى حالة يحبس نفسه فيها عن التصرف في أسبابه بما فيه الكفاية فيما مضى قبل وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الذين أحصروا في سبيل الله قال أحصروا أنفسهم

لا تأخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن وأصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وأصله ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه كيلا يرى ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا أي لو أهدي لكم مثل هذه الاشياء لما أخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لانفسكم ويحتمل أن يراد الا اذا أغمضتم بصر البائع أي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما أنعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي أو حامد شاكر على انفاقكم كقوله فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب في أجود ما يملكه الانسان أن ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر أما الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن أن يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب أليم وأصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويأمركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق أن لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا الا الجيد ولا الردئ والوسط أن يبخل بالجيد وينفق الردئ فالشيطان اذا أراد نقله من الافضل الى الاخس فمن خفي حيلته أن يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو أمره بالفحشاء وذلك أن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يمكنه أن يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا أنفق الجيد من

ماله فاذا أطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية ور بما تدرج الى أن يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدى الزكاة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه و يتسع الخرق فيقدم على المعاصى كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان أردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة (٦٠) اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى ما يحصل فى الدنيا من الخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادى كل ليلة اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعدكم الفقر فى غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة فى غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول أولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة أخرى وعند وجدان العقبى لابد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف أو مرض أو مهم بخلاف الانتفاع بما فى الآخرة فانه لا مانع منه و بتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع و يزول بخلاف الموعود فى الآخرة فانه باق لا يزول وأيضا لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها ألم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الآخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه الدلالة على الكمال والتعظيم لاسيما وقد قرن به لفظة منه فانه غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل أن يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه فى آية أخرى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات أو ان يجعل شفيعا فى غفران ذنوب اخوانه المؤمنين وأما فضل فيحتمل أن يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهى ملكة الجود والسخاء وذلك أن المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجى وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجى والنقصان الداخلى

فى سبيل الله الغزو حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله قال كانت الارض كلها كفرا لا يستطيع أحد أن يخرج يبتغى من فضل الله اذا خرج خرج فى كفر وقيل كانت الارض كلها حربا على أهل هذا البلد وكانوا لا يتوجهون جهة الا لهم فيها عدو فقال الله عز وجل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله الآية كانوا ههنا فى سبيل الله وقال آخرون بل معنى ذلك الذين أحصرهم المشركون فمنعوهم التصرف ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله حصرهم المشركون فى المدينة ولو كان تأويل الآية على ما تأوله السدى لكان الكلام للفقراء الذين حصروا فى سبيل الله ولكنه أحصروا فدل ذلك على ان خوفهم من العدو الذى صير هؤلاء الفقراء الى الحال التى حبسوا وهم فى سبيل الله أنفسهم لا ان العدو هم كانوا الحابسيهم وانما يقال لمن حبسه العدو حصره العدو واذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل أحصره خوف العدو ۞ القول فى تأويل قوله (لا يستطيعون ضربا فى الارض) يعنى بذلك جل ثناؤه لا يستطيعون تقلبا فى الارض وسفرا فى البلاد ابتغاء المعاش وطلب المكاسب فيستغنوا عن الصدقات رهبة العدو وخوفا على أنفسهم منهم كما حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لا يستطيعون ضربا فى الارض حبسوا أنفسهم فى سبيل الله للعدو فلا يستطيعون تجارة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لا يستطيعون ضربا فى الارض يعنى التجارة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله لا يستطيعون ضربا فى الارض كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغى من فضل الله ۞ القول فى تأويل قوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) يعنى بذلك يحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسئلة وتركهم التعرض لما فى أيدى الناس صبرا منهم على البأساء والضراء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف و يعنى بقوله من التعفف من ترك مسئلة الناس وهو التفعل من العفة عن الشئ والعفة عن الشئ تركه كما قال رؤبة * يعف عن اسرارها بعد الغسق * يعنى برئ وتجنب ۞ القول فى تأويل قوله (تعرفهم بسيماهم) يعنى بذلك جل ثناؤه تعرفهم يا محمد بسيماهم يعنى بعلامتهم وآثارهم من قول الله عز وجل سيماهم فى وجوههم من أثر السجود هذه لغة قريش ومن العرب من يقول بسيمائهم فيمدها وأما ثقيف و بعض أسد فانهم يقولون بسيمائهم ومن ذلك قول الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيماء لا تشق على البصر

وقد اختلف أهل التأويل فى السيما التى أخبر الله جل ثناؤه انها لهؤلاء الفقراء الذين وصفت صفتهم وانهم يعرفون بها فقال بعضهم هو التخشع والتواضع ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعرفهم بسيماهم قال التخشع حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن ليث قال كان مجاهد يقول هو التخشع وقال آخرون يعنى بذلك تعرفهم بسيما الفقر وجهد الحاجة فى وجوههم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى تعرفهم بسيماهم بسيما الفقر عليهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله تعرفهم بسيماهم يقول تعرف فى وجوههم الجهد من الحاجة وقال آخرون معنى ذلك تعرفهم برثاثة ثيابهم وقالوا الجوع خفى ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

ثم اذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق أولى وأفضل وأيضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا ولذاتها فتلك ظلمة فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وأيضا مهما عرف من الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على أن يفتح الله عليه أبواب الرزق ولمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للخلف قادر على انجاز ما وعد عليم بحال من أنفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذى لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما زجه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة فى القرآن على أربعة أوجه أحدها مواعظ القرآن وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة وآتاه الله الملك والحكمة ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتى الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلوم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم أن كمال الانسان فى شيئين أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثانى الى فعل العدل والصواب ولذلك سال ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب هب لى حكما وهو الحكمة النظرية وألحقنى بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودى موسى عليه السلام انى أنا الله لا اله الا أنا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدنى وهو العملية وحكى عن عيسى عليه السلام انه قال انى

تعرفهم بسيماهم قال السيما رثاثة ثيابهم والجوع خفى على الناس ولم يستطع الثياب التى يخرجون فيها تخفى على الناس وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال ان الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان فيعرفهم وأصحابه بها كما يدرك المريض فيعلم انه مريض بالمعاينة وقد يجوز ان تكون تلك السيما كانت تخشعا منهم وان تكون كانت أثر الحاجة والضر وان تكون كانت رثاثة الثياب وأن تكون كانت جميع ذلك وانما تدرك علامات الحاجة وآثار الضر فى الانسان ويعلم انها من الحاجة والضر بالمعاينة دون الوصف وذلك ان المريض قد يضربه فى بعض أحوال مرضه من المرض نظير آثار المجهود من الفاقة والحاجة وقد يلبس الغنى ذو المال الكثير الثياب الرثة فيتزيا بزى أهل الحاجة فلا يكون فى شئ من ذلك دلالة بالصفة على أن الموصوف به مختل ذو فاقة وانما يدرى ذلك عند المعاينة بسيماه كما وصفهم الله نظير ما يعرف انه مريض عند المعاينة دون وصفه بصفته ۞ القول فى تاويل قوله (لا يسئلون الناس الحافا) يقال قد ألحف السائل فى مسئلته اذا ألح فهو يلح فيها الحاحا فان قال قائل فكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير الحاف قيل غير جائز أن يكون كانوا يسئلون الناس شيأ على وجه الصدقة الحافا وغير الحاف وذلك ان الله عز وجل وصفهم بانهم كانوا أهل تعفف وانهم انما كانوا يعرفون بسيماهم فلو كانت المسئلة من شانهم لم تكن صفتهم التعفف ولم يكن بالنبى صلى الله عليه وسلم الى علم معرفتهم بالادلة والعلامة حاجة وكانت المسئلة الظاهرة تنبى عن حالهم وأمرهم وفى الخبر الذى حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن هلال بن حصن عن أبى سعيد الخدرى قال أعوزنا مرة فقيل لى لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانطلقت اليه معنقا فكان أول ما واجهنى به من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سألنا لم ندخر عنه شيأ نجده قال فرجعت الى نفسى فقلت ألا أستعف فيعفنى الله فرجعت فما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ بعد ذلك من أمر حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا الا من عصم الله الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفى معنى المسئلة من الشخص الواحد وان من كان موصوفا بالتعفف فغير موصوف بالمسئلة الحافا وغير الحاف فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فما وجه قوله لا يسئلون الناس الحافا وهم لا يسئلون الناس الحافا وغير الحاف قيل له وجه ذلك ان الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعفف وعرف عباده أنهم ليسوا أهل مسئلة بحال بقوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وأنهم انما يعرفون بالسيما زاد عباده ابانة لامرهم وحسن ثناء عليهم بنفى الشره والضراعة التى تكون فى الملحين من السؤال عنهم وقال كان بعض القائلين يقول فى ذلك نظير قول القائل قلما رأيت مثل فلان ولعله لم يرمثله أحدا ولا نظيرا وبنحو الذى قلنا فى معنى الالحاف قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا يسئلون الناس الحافا قال لا يلحفون فى المسئلة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يسئلون الناس الحافا قال هو الذى يلح فى المسئلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسئلون الناس الحافا ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله يحب الحليم الغنى المتعفف ويبغض الغنى الفاحش البذى السائل الملحف قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله عز وجل كره لكم ثلاثا قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فاذا شئت رأيته فى قيل وقال يومه أجمع وصدر ليلته حتى يلقى حتفه على فراشه لا يجعل الله له من نهاره ولا ليلته نصيبا واذا شئت رأيته ذا مال فى شهوته ولذاته وملاعبه ويعدله عن حق الله

وكثرت بذلك اضاعة المال وان شئت رأيته باسطا ذراعيه يسأل الناس في كفيه فاذا أعطى أفرط في جدهم وان منع أفرط في ذمهم القول في تأويل قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر عن أيمن بن نائل قال حدثني شيخ من غافق ان أبا الدرداء كان ينظر الى الخيل مربوطة بين البراذين والهجن فيقول أهل هذه يعني الخيل من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وقال آخرون عني بذلك قوما أنفقوا في سبيل الله في غير اسراف ولا تقتير ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم الى قوله ولا هم يحزنون هؤلاء أهل الجنة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال حتى خشوا أن تكون قد مضت فليس لها رد حتى قال الا من قال بالمال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وهكذا بين يديه وهكذا خلفه وقليل ما هم هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله التي افترض وارتضى في غير سرف ولا املاق ولا تبذير ولا فساد وقد قيل ان هذه الآيات من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كان مما يعمل قبل نزول ما في سورة براءة من تفصيل الزكوات فلما نزلت براءة قصروا عليها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكان هذا يعمل به قبل أن تنزل براءة فلما نزلت براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها انتهت الصدقات اليها ۞ القول في تأويل قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) يعني بذلك جل ثناؤه الذين يربون والارباء الزيادة على الشيء يقال منه أربى فلان على فلان اذا زاد عليه يربي ارباء والزيادة هي الربا وربا الشيء اذا زاد على ما كان عليه فعظم فهو يربو ربوا وانما قيل للرابية لزيادتها في العظم والاشراف على ما استوى من الارض مما حولها من قولهم ربا يربو ومن ذلك قيل فلان في ربا قومه يراد أنه في رفعة وشرف منهم فاصل الربا الانافة والزيادة ثم يقال أربى فلان أي أناف صيره زائدا وانما قيل للمربي مرب لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالا أو لزيادته عليه فيه لسبب الاجل الذي يؤخره اليه فيزيد الى أجله الذي كان له قبل حل دينه ولذلك قال جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال في الربا الذي نهى الله عنه كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان ربا أهل الجاهلية يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الاجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه فقال جل ثناؤه الذين يربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني بذلك يتخبطه الشيطان في الدنيا وهو الذي يتخبطه فيصرعه من المس يعني من الجنون وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة في أكل الربا في الدنيا حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الذين

عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وكلاهما النظرية ثم أوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد فاعلم أنه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العمليه فعلم من هذه الآيات وأمثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا تجاريب واصابة رأي فعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول فيها يفرق كل أمر حكيم أي محكوم وفي الآية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي بايتاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه ان سلكوا وما يذكر الا أولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى أنفسهم بل يرقون الى أسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول وأما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ماله وما عليه وعند ذلك تقدم أو تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص أو الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيأ منها فقال وما أنفقتم من نفقة لله أو للشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو معصيته فان الله يعلمه وتذكير يعلمه الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه وأصله من الخوف كأنه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم أن النذر قسمان

يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره حدثنا المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب وقرأ لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس الآية قال يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنونا يخنق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الآية وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة بعثوا وبهم خبل من الشيطان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال هو التخبل الذى يتخبله الشيطان من الجنون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال يبعثون يوم القيامة وبهم خبل من الشيطان وهى فى بعض القراءة لا يقومون يوم القيامة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال من مات وهو يأكل الربا بعث يوم القيامة متخبطا كالذى يتخبطه الشيطان من المس حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس يعنى من الجنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال هذا مثلهم يوم القيامة لا يقومون يوم القيامة مع الناس الا كما يقوم الذى يخنق مع الناس يوم القيامة كأنه خنق كأنه مجنون ومعنى قوله يتخبطه الشيطان من المس يتخبله من مسه اياه يقال منه قد مس الرجل وألق فهو ممسوس ومألوق كل ذلك اذا ألم به اللمم فجن ومنه قول الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ومنه قول الاعشى

وتصبح عن غب السرى وكأنما * ألم بها من طائف الجن أولق

فان قال لنا قائل أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا فى تجارته ولم يأكله أيستحق هذا الوعيد من الله قيل نعم وليس المقصود من الربا فى هذه الآية الاكل الا أن الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت كانت طعمتهم ومأكلهم من الربا فذكرهم بصفتهم معظما بذلك عليهم أمر الربا ومقبحا اليهم الحال التى هم عليها فى مطاعمهم وفى قوله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله الآية ما ينبئ على صحة ما قلنا فى ذلك وان التحريم من الله فى ذلك كان لكل معانى الربا وان سواء العمل به وأكله وأخذه واعطاؤه كالذى تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده اذا علموا به ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) يعنى بذلك جل ثناؤه ذلك الذى وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم كقيام الذى يتخبطه الشيطان من المس من الجنون فقال تعالى ذكره هذا الذى ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حل بهم من أجل أنهم كانوا فى الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون انما البيع الذى أحله الله لعباده مثل الربا وذلك ان الذين كانوا يأكلون الربا من أهل الجاهلية كان اذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق زدنى فى الاجل وأزيدك فى مالك فكان يقال لهما اذا فعلا

نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر أما الاول فهو أن يمنع نفسه من الفعل أو يحثه عليه بتعليق التزام قربة بالفعل أو بالترك كقوله ان كلمت فلانا أو فعلت كذا أو دخلت الدار أو لم أخرج من البلد فلله على صوم شهر أو صلاة أو حج أو اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه أو دخل أو لم يخرج فللعلماء ثلاثة أقوال أحدها يلزمه الوفاء بما التزم والثانى وهو الاصح أن عليه كفارة يمين لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة وأما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة فى مقابلة حدوث نعمة أو اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مرضى أو رزقنى ولدا فلله على ان أعتق رقبة أو أصوم أو أصلى كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شئ كقوله لله على ان أصوم أو أصلى أو أعتق فالاصح أنه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصى واما الطاعات واما المباحات فالمعاصى كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم أيام الحيض ونذر قراءة القرآن فى حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر فى معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد أو ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه أن يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر فى معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج وأما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا أو غير معلق وكذا لو نذر أن لا يشرب الخمر ولا يزنى واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح وأما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهى التى وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فتلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلاة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات

ذلك هذا ربا لا يحل فاذا قيل لهما ذلك قالا سواء علينا زدنا في أول البيع أو عند محل المال فكذبهم الله في قيلهم فقال وأحل الله البيع ﴿ القول في تأويل قوله (وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني جل ثناؤه وأحل الله الارباح في التجارة والشراء والبيع وحرم الربا يعني الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الاجل وتأخيره دينه عليه يقول عز وجل وليست الزيادتان اللتان احداهما من وجه البيع والاخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الاجل سواء وذلك أني حرمت احدى الزيادتين وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الاجل وأحللت الاخرى منهما وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها فيستفضل فضلها فقال الله عز وجل ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا لاني أحللت البيع وحرمت الربا والامر أمري والخلق خلقي أقضي فيهم ما أشاء وأستعبدهم بما أريد ليس لاحد منهم أن يعترض في حكمي ولا أن يخالف أمري وانما عليهم طاعتي والتسليم لحكمي ثم قال جل ثناؤه فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى يعني بالموعظة التذكير والتخويف الذي ذكرهم وخوفهم به في آي القرآن وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب يقول جل ثناؤه فمن جاءه ذلك فانتهى عن أكل الربا وارتدع عن العمل به وانزجر عنه فله ما سلف يعني ما أكل وأخذ فمضى قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه في ذلك وأمره الى الله يعني وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم وبعد انتهاء ما آكله عن أكله الى الله في عصمته وتوفيقه ان شاء عصمه عن أكله وثبته في انتهائه عنه وان شاء خذله عن ذلك ومن عاد يقول ومن عاد لاكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم من قوله انما البيع مثل الربا فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يعني ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار يعني نار جهنم فيها خالدون وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله أما الموعظة فالقرآن وأما ما سلف فله ما أكل من الربا ﴿ القول في تأويل قوله (يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) يعني عز وجل بقوله يمحق الله الربا ينقص الله الربا فيذهبه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يمحق الله الربا قال ينقص وهذا الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الربا وان كثر فالى قل وأما قوله ويربي الصدقات فانه جل ثناؤه يعني أنه يضاعف أجرها لربها وينميها له وقد بينا معنى الربا قبل والارباء وما أصله بما فيه الكفاية من اعادته فان قال لنا قائل وكيف ارباء الله الصدقات قيل اضعافه الاجر لربها كما قال جل ثناؤه مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وكما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وكما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال ثنا عباد بن منصور عن القاسم انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات حدثني سليمان بن عمر بن خالد الاقطع قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله عز وجل يقبل الصدقة ولا يقبل الا الطيب حدثني محمد بن عمرو بن علي المقدمي قال ثنا ريحان بن سعيد قال ثنا عباد عن القاسم عن عائشة

التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلاة على الجنازة والامر بالمعروف ومالیس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم أيضا وكما يلزم أصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلاة بشرط طول القراءة أو الركوع أو السجود أو الحج بشرط المشي اذا جعلناه أفضل من الركوب وهو الاصح ولو أفرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود أو القراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها وأما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها أيضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها وأما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها أو تركها لم ينعقد نذره روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر أن لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو الرياء أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كاصحاب في صاحب أو جمع نصير كاشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وأيضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات قالت

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها الا الطيب و يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل يمحق الله الربا و يربي الصدقات حدثني محمد بن عبد الملك قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا تصدق من طيب تقبلها الله منه و يأخذها بيمينه و يربيها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله أو قال في كف الله عز وجل حتى تكون مثل أحد فتصدقوا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت يونس عن صاحب له عن القاسم بن محمد قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه ولا يقبل منها الا ما كان طيبا والله يربي لاحدكم لقمته كما يربي أحدكم مهره وفصيله حتى يوافي بها يوم القيامة وهي أعظم من أحد وأما قوله والله لا يحب كل كفار أثيم فانه يعني به والله لا يحب كل مصر على كفر مقيم عليه مستحل أكل الربا واطعامه أثيم متماد في الاثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوي عنه ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا خبر من الله عز وجل بان الذين آمنوا يعني الذين صدقوا بالله و برسوله و بما جاء به من عند ربهم من تحريم الربا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه وعملوا الصالحات التي أمرهم الله عز وجل بها والتي ندبهم اليها وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأدوها بسننها وآتوا الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم بعد الذي سلف منهم من أكل الربا قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربهم لهم أجرهم يعني ثواب ذلك من أعمالهم وايمانهم وصدقتهم عند ربهم يوم حاجتهم اليه في معادهم ولا خوف عليهم يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم من أكل ما كانوا أكلوا من الربا بما كان من انابتهم وتوبتهم الى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم وتصديقهم بوعد الله ووعيده ولا هم يحزنون على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الربا والعمل به اذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى وهم على تركهم ما تركوا من ذلك في الدنيا ابتغاء رضوانه في الآخرة فوصلوا الى ما وعدوا على تركه ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين) يعني جل ثناؤه بذلك يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله و برسوله اتقوا الله يقول خافوا الله على أنفسكم فاتقوه بطاعته فيما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا يعني ودعوا ما بقي من الربا يقول اتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤس أموالكم التي كانت لكم قبل أن تربوا عليها ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم محققين ايمانكم قولا وتصديقكم بألسنتكم بافعالكم وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أسلموا ولهم على قوم أموال من ربا كانوا أربوه عليهم فكانوا قد قبضوا بعضه منهم و بقي بعض فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نزول هذه الآية وحرم عليهم اقتضاء ما بقي منه ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا الى لا تظلمون قال نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب و رجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية سلفا في الربا الى أناس من ثقيف من بني عمرو وهم بنو عمرو بن عمير فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فانزل الله ذروا ما بقي من فضل كان في الجاهلية من الربا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا

والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وأيضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره اذا أخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد الصداق به يتم و يكمل والزكاة صدقة لان المال بها يصح ويبقى و بها يستدل على صدق العبد وكماله في ايمانه فنعما هي من قرأ بسكون العين فمحمول على انه أوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما روى في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة * نعم الساعون في الامر المبر * قال سيبويه ما في تأويل الشيء أي نعم الشيء هي وقال أبو علي الجيد في مثله أن يقال ما في تأويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوصة بالمدح فالتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات فحذف المضاف للدلالة أو نعم شيئا تلك الصدقات أو تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع أفضل كما أن الاظهار في الزكاة أفضل أما الاول فلان ذلك أشق على النفس فيكون أكثر ثوابا ولانه أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك أنه يطلب السمعة

والمعطي في ملأ من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا أن لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الأعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير أو في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال أيضا ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان

ان كنتم مؤمنين قال كانت ثقيف قد صالحت النبي صلى الله عليه وسلم على أن ما لهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع فلما كان الفتح استعمل عتاب بن أسيد على مكة وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهلية فجاء الاسلام ولهم عليهم مال كثير فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم في الاسلام ورفعوا ذلك الى عتاب بن أسيد فكتب عتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله الى ولا تظلمون فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب وقال ان رضوا والا فآذنهم بحرب قال ابن جريج عن عكرمة قوله اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا قال كانوا يأخذون الربا على بني المغيرة يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير فهم الذين كان لهم الربا على بني المغيرة فأسلم عبد ياليل وحبيب وربيعة وهلال ومسعود حدثني علي بن أبي طلحة قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك في قوله اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين قال كان ربا يتبايعون به في الجاهلية فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم ۞ القول في تأويل قوله (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) يعني جل ثناؤه بقوله فان لم تفعلوا فان لم تذروا ما بقي من الربا واختلف القراء في قراءة قوله فأذنوا بحرب من الله ورسوله فقرأته عامة قراء أهل المدينة فأذنوا بقصر الالف من فأذنوا وفتح ذالها بمعنى كونوا على علم واذن وقرأه آخرون وهي قراءة عامة قراء الكوفيين فآذنوا بمد الالف من قوله فآذنوا وكسر ذالها بمعنى فآذنوا غيركم أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ فأذنوا بقصر ألفها وفتح ذالها بمعنى اعلموا ذلك واستيقنوه وكونوا على اذن من الله عز وجل لكم بذلك وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبذ الى من قام على شركه الذي لا يقر على المقام عليه وأن يقتل المرتد عن الاسلام منهم بكل حال الا أن يراجع الاسلام آذنه المشركون بأنهم على حربه أو لم يأذنوه فاذ كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون كان مشركا مقيما على شركه الذي لا يقر عليه أو يكون كان مسلما فارتد واذن بحرب فأي الامرين كان فانما نبذ اليه بحرب لا أنه أمر بالانذار بها ان عزم على ذلك لان الامران كان اليه فأقام على أكل الربا مستحلا له ولم يؤذن المسلمون بالحرب لم يلزمهم حربه وليس ذلك حكمه في واحدة من الحالين فقد علم أنه المأذون بالحرب لا الآذن بها وعلى هذا التأويل تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا الى قوله فأذنوا بحرب من الله ورسوله فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين أن يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أوعدهم الله بالقتل كما تسمعون فجعلهم بهرجا أينما ثقفوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أوعد لآكل الربا بالقتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن

أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وأيضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما أنكر الناس على الفقير أخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من أهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا أظهرها اقتدى غيره به لم يبعد والحالة هذه أن يكون الاظهار أفضل وروى ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء واعلم أن الانسان اذا أتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة أن يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يورد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه عباس يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روى عن ابن عباس صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان لله تعالى عبادا راضوا أنفسهم حتى من الله عليهم بأنوار هدايته وذهبت عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى

عباس قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله وهذه الاخبار كلها تنبئ عن ان قوله فاذنوا بحرب من الله ايذان من الله عز وجل لهم بالحرب والقتل لا أمر لهم بايذان غيرهم ۞ القول فى تاويل قوله (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم) يعنى جل ثناؤه بذلك ان تبتم فتركتم أكل الربا وأنبتم الى الله عز وجل فلكم رؤس أموالكم من الديون التى لكم على الناس دون الزيادة التى أحدثتموها على ذلك ربا منكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم المال الذى لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فاما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغى لهم أن يأخذوا منه شيأ حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال وضع الله الربا وجعل لهم رؤس أموالهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة فى قوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم قال ما كان لهم من دين فجعل لهم أن يأخذوا رؤس أموالهم ولا يزدادوا عليه شيأ حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وان تبتم فلكم رؤس أموالكم الذى أسلفتم وسقط الربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم الفتح ألا ان ربا الجاهلية موضوع كله وأول ربا ابتدئ به ربا العباس بن عبد المطلب حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته ان كل ربا موضوع وأول ربا يوضع ربا العباس ۞ القول فى تاويل قوله (لا تظلمون ولا تظلمون) يعنى بقوله لا تظلمون بأخذكم رؤس أموالكم التى كانت لكم قبل الارباء على غرمائكم منهم دون أرباحها التى زدتموها ربا على من أخذتم ذلك منه من غرمائكم فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذه أو لم يكن لكم قبل ولا تظلمون يقول ولا الغريم الذى يعطيكم ذلك دون الربا الذى كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة فى الاجل يبخسكم حقا لكم عليه فيمنعكموه لان ما زاد على رؤس أموالكم لم يكن حقا لكم عليه فيكون بمنعه اياكم ذلك ظالما لكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس يقول وغيره من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قال لا تنقصون من أموالكم ولا تأخذون باطلا لا يحل لكم ۞ القول فى تاويل قوله (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) يعنى جل ثناؤه بذلك وان كان ممن تقبضون منه من غرمائكم رؤس أموالكم ذو عسرة يعنى معسرا برؤس أموالكم التى كانت لكم عليهم قبل الارباء فانظروهم الى ميسرتهم وقوله ذو عسرة مرفوع بكان فالخبر متروك وهو ما ذكرنا وانما صلح ترك خبرها من أجل أن النكرات تضمر لها العرب اخبارها ولو وجهت كان فى هذا الموضع الى أنها بمعنى الفعل المكتفى بنفسه التام لكان وجها صحيحا ولم يكن بها حاجة حينئذ الى خبر فيكون تاويل الكلام عند ذلك وان وجد ذو عسرة من غرمائكم برؤس أموالكم فنظرة الى ميسرة وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى بن كعب وان كان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وذلك وان كان فى العربية جائزا فغير جائزة لقراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين وأما قوله فنظرة الى ميسرة فانه يعنى فعليكم أن تنظروه الى ميسرة كما قال فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبل فاغنى عن تكريره والميسرة المفعلة من اليسر مثل المرحمة والمشامة ومعنى الكلام وان كان من غرمائكم

بجاهده فاذا علموا بالعمل ارادوا ان يقتدى بهم غيرهم فهم كاملون فى أنفسهم ويسعون فى تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء أئمة الهدى واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى فى الذهاب الى الله وأما ان الاظهار فى أعطاء الزكاة أفضل فلان الله أمر الأئمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوات وفى دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفى التهمة ولهذا روى انه صلى الله عليه وسلم كان أكثر صلاته فى البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكى ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له أفضل ولاسيما اذا خاف الظلمة أن يطمعوا فى ماله وعن بعضهم أن معنى قوله خير لكم انه فى نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الله وانما قيل وتؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث المتصدق أن يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم أخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط فى الاخفاء أن يحصل معه ايتاء الفقراء وأما فى الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل فى الشرط والجزاء أن يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدأ محذوف فقوله فهو فى تاويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستأنفة ومن قرأ بجزم وما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن أعظم أجرا وأما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر فى النون والضمير لله أو للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء

ذو عسرة فعليكم أن تنظروه حتى يوسر بما ليس لكم فيصير من أهل اليسر به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى واصل بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت فى الربا حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا هشام عن ابن سيرين أن رجلا خاصم رجلا الى شريح قال فقضى عليه وأمر بحبسه قال فقال رجل عند شريح انه معسر والله يقول فى كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فقال شريح انما قال ذلك فى الربا وان الله قال فى كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال ذلك فى الربا حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الحسن أن الربيع بن خثيم كان له على رجل حق فكان يأتيه و يقوم على بابه و يقول أى فلان ان كنت موسرا فادو ان كنت معسرا فالى ميسرة حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال جاء رجل الى شريح فكلمه فجعل يقول انه معسر انه معسر قال فظننت أنه يكلمه فى محبوس فقال شريح ان الربا كان فى هذا الحى من الانصار فأنزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وقال الله عز وجل ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فما كان الله عز وجل يأمرنا بأمر ثم يعذبنا عليه أدوا الامانات الى أهلها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فنظرة الى ميسرة برأس ماله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة انما أمر فى الربا أن ينظر المعسر وليست النظرة فى الامانة ولكن يؤدى الامانة الى أهلها حدثنى موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى وان كان ذو عسرة فنظرة برأس المال الى ميسرة يقول الى غنى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا فى شان الربا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا فى شان الربا وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون فلما أسلم من أسلم منهم أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة يعنى المطلوب حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال الموت حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن محمد بن على مثله حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال هذا فى الربا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم فى الرجل يتزوج الى الميسرة قال الى الموت أو الى فرقة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فنظرة الى ميسرة قال ذلك فى الربا حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه وكان اذا حل دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه زاد عليه وأخره وحدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه * وقال آخرون هذه الآية عامة فى كل من كان له قبل رجل معسر حق من أى وجهة كان ذلك الحق من دين حلال أو ربا ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا

والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها تكن خيرا لكم وان يكفر عنكم خير لكم والتكفير فى اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه أى ستر ذنب الحنث وقوله من سيآتكم يحتمل أن يكون من للتبعيض لان السيآت كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم أبهم الكلام فى ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها (٦٨) وأحسن أحوال العبد أن يكون بين الخوف والرجاء و يحتمل أن يكون للتعليل أى من أجل سيآتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك أى من أجل ذلك وقيل انها زائدة والله بما تعملون خبير كأنه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذى هو أبعد من الرياء عن الكلبى انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه أسماء بنت أبى بكر فجاءتها أمها قتيلة وجدتها فسألتاها وهما مشركتان فقالت لا أعطيكما شيأ حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على دينى فاستأمرته فى ذلك فأنزل الله تعالى ليس عليك هداهم فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فأعطتهما ووصلتهما قال الكلبى ولها وجه آخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار و رضاع فى اليهود وكانوا ينفعونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وراودوهم أن يسلموا واستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على أهل دينكم فأنزل الله ليس عليك هداهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على أهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء أجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكاة الى غير المسلم فتكون الآية مخصوصة بالتطوع وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وأباه غيره ومعنى الآية ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا فى الاسلام

أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال من كان ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم قال وكذلك كل دين على مسلم فلا يحل لمسلم له دين على أخيه يعلم منه عسرة ان يسجنه ولا يطلبه حتى ييسره الله عليه وانما جعل النظرة في الحلال فمن أجل ذلك كانت الديون على ذلك حدثني على ابن حرب قال ثنا ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت في الدين * والصواب من القول في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة انه معنى به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم عليهم ديون قد أربوا فيها في الجاهلية فادركهم الاسلام قبل ان يقبضوها منهم فامر الله بوضع ما بقى من الربا بعد ما أسلموا و بقبض رؤس أموالهم ممن كان منهم من غرمائهم موسرا وانظار من كان منهم معسرا برؤس أموالهم الى ميسرتهم فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربى على غريمه فان الاسلام يبطل عن غريمه ما كان له عليه من قبل الربا ويلزمه أداء رأس ماله الذى كان أخذ منه أو لزمه من قبل الارباء اليه ان كان موسرا وان كان معسرا كان منتظرا برأس مال صاحبه الى ميسرته وكان الفضل على رأس المال مبطلا عنه غير ان الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا واياهم عنى بها فان الحكم الذى حكم الله به من انظاره المعسر برأس مال المربى بعد بطول الربا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حل عليه وهو بقضائه معسر في انه منظر الى ميسرته لان دين كل ذى دين في مال غريمه وعلى غريمه قضاؤه منه لا في رقبته فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته بحبس ولا بيع وذلك ان مال رب الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة اما أن يكون في رقبة غريمه أو في ذمته يقضيه من ماله أو في مال له بعينه وان لم يكن في مال له بعينه فقى بطل ذلك المال وعدم فقد بطل دين رب المال وذلك مالا يقوله أحد ويكون في رقبته فان يكن كذلك فتى عدمت نفسه فقد بطل دين رب الدين وان خلف الغريم وفاء بحقه واضعاف ذلك وذلك أيضا لا يقوله أحد فقد تبين اذا اذا كان ذلك كذلك أن دين رب المال في ذمة غريمه يقضيه من ماله فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته لانه قد عدم ما كان عليه ان يؤدى منه حق صاحبه لو كان موجودا واذا لم يكن على رقبته سبيل لم يكن الى حبسه بحقه وهو معدوم سبيل لانه غير مانعه حقا له الى قضائه سبيل فيعاقب بظلمه اياه بالحبس ۞ القول في تأويل قوله (وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) يعني جل وعز بذلك وأن تتصدقوا برؤس أموالكم على هذا المعسر خير لكم أيها القوم ان تنظروه الى ميسرته لتقبضوا رؤس أموالكم منه اذا أيسر ان كنتم تعلمون موضع الفضل في الصدقة وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دينه واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الغنى والفقير منهم خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم والمال الذى لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فاما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغى لهم أن يأخذوا منه شيأ وأن تصدقوا خير لكم يقول ان تصدقوا باصل المال خير لكم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة وأن تصدقوا أى برأس المال فهو خير لكم وحدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وان تصدقوا خير لكم قال من رؤس أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم مثله حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وأن تصدقوا خير لكم قال ان تصدقوا برؤس أموالكم * وقال آخرون معنى ذلك وأن تصدقوا به على المعسر خير لكم نحو ما قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا

فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ومبينا الدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا أو لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه آخر ليس عليك أن تلجئهم الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا ولكن الله يهدى من يشاء اثبات للهداية التى نفاها أولا لكن المنفى أولا هو الهداية أى الاهتداء على سبيل الاختيار فكذا الثانى ومنه يعلم أن الاهتداء الاختيارى واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفى الكشاف ان المعنى لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهى فحسب ولكن الله يهدى من يشاء بلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهى عما نهى عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هداهم انه خطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وأمته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم أو فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله أى لستم فى صدقتكم على أقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم أو سد خلة مضطر قد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر فى معنى نهى أى لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف من

قولك فعلته له لان وجه الشيء أشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وأيضا قول القائل فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره أما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه في الآخرة أضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت

معنى التأدية وأنتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم لما بين انه يجوز صرف الصدقة الى أي فقير كان أراد أن يبين ان أشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء أي ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل فتقول عاقل لبيب أي ذلك الذي مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء أو المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحو أربعمائة رجل وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين أحصروا في سبيل الله أي حصروا أنفسهم ووقفوا على الجهاد في سبيل الله لان سبيل الله يختص بالجهاد في عرف القرآن ولان وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد فوضع الصدق فيهم يكون أوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائي أن هؤلاء قوم أصابتهم جراحات في الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين

أسباط عن السدي وأن تصدقوا خير لكم قال وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الفقير فهو خير لكم فتصدق به العباس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم يقول وان تصدقت عليه برأس مالك فهو خير لك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك في قوله وأن تصدقوا خير لكم يعني على المعسر فاما الموسر فلا ولكن يؤخذ منه رأس المال والمعسر الاخذ منه حلال والصدقة عليه أفضل حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وأن تصدقوا برؤس أموالكم خير لكم من نظره الى ميسرة فاختار الله عز وجل الصدقة على النظارة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم قال من النظرة ان كنتم تعلمون حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم والنظرة واجبة وخير الله عز وجل الصدقة على النظرة والصدقة لكل معسر فاما الموسر فلا وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال معناه وأن تصدقوا على المعسر برؤس أموالكم خير لكم لان تلو ذكر حكمه في المعنيين والحاقه بالذي يليه أحب الي من الحاقه بالذي بعد منه وقد قيل ان هذه الآيات في أحكام الربا هن آخر آيات نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد وحدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا وان نبي الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها فدعوا الربا والريبة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر أن عمر رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه والله ما أدري لعلنا نأمركم بامر لا يصلح لكم وما أدري لعلنا ننهاكم عن أمر يصلح لكم وانه كان من آخر القرآن تنزيلا آيات الربا فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبينه لنا فدعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم الاحول عن الشعبي عن ابن عباس قال آخر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا وانا لنأمر بالشيء لا ندري لعل به بأسا وننهى عن الشيء لعله ليس به بأس ۞ القول في تأويل قوله (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقيل هذه الآية أيضا آخر آية نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فهي آخر آية من الكتاب أنزلت حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول عن عطية قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسمعيل بن أبي خالد عن السدي قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس وحجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آخر آية نزلت من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال ابن جريج يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال وبدأ يوم السبت ومات يوم الاثنين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال ثني سعيد بن المسيب انه بلغه ان أحدث

القرآن

القرآن بالعرش آية الدين يعني بذلك جل ثناؤه واحذروا أيها الناس يوما ترجعون فيه الى الله فتلقونه فيه ان تذروا عليه بسيا آت تهلككم أو بمحرمات أو بفضيحات تفضحكم فتهتك أستاركم أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله مالا قبل لكم به وانه يوم مجازاة الاعمال لا يوم استعتاب ولا يوم استقالة وتوبة وانابة ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة توفى فيه كل نفس أجرها على ماقدمت واكتسبت من سيئ وصالح لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر الا أحضرت فتوفى جزاءها بالعدل من ربها وهم لا يظلمون كيف يظلم من جوزي بالاساءة مثلها وبالحسنة عشر أمثالها كلا بل عدل عليك أيها المسيئ وتكرم عليك فافضل واسبغ أيها المحسن فاتقى امرؤ ربه فأخذ منه حذره وراقبه ان يهجم عليه يومه وهو من الاوزار ظهره ثقيل ومن صالحات الاعمال خفيف فانه عز وجل حذر فاعذر ووعظ فابلغ ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم يعني اذا تبايعتم بدين أو اشتريتم به أو تعاطيتم أو أخذتم به الى أجل مسمى يقول الى وقت معلوم وقتموه بينكم وقد يدخل في ذلك القرض والسلم في كل ماجاز السلم الى أجل معه يصير دينا على بائع ما أسلم ليه فيه ويحتمل مع الحاضر الجائز بيعه من الاملاك بالاثمان المؤجلة كل ذلك من الديون المؤجلة الى أجل مسمى اذا كانت آجالها معلومة بحد موقوف عليه وكان ابن عباس يقول نزلت هذه الآية في السلم خاصة ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيي بن عيسى الرملي عن سفيان عن ابن ابي نجيح قال قال ابن عباس في يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا يحيي بن الصامت قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن أبي حيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين قال نزلت في السلم في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا علي بن سهل قال ثنا يزيد بن أبي الزرقاء عن سفيان عن أبي حيان عن رجل عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه في السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان عن أبي حيان التيمي عن رجل عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى في السلف في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن أبي حيان عن ابن عباس قال أشهد أن السلف المضمون الى أجل مسمى ان الله عز وجل قد أحله وأذن فيه ويتلو هذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فان قال قائل وما وجه قوله بدين وقد دل بقوله اذا تداينتم عليه وهل تكون مداينة بغير دين فاحتيج الى أن يقال بدين قيل ان العرب لما كان مقولا عندها تداينا بمعنى تجازينا وبمعنى تعاطينا الاخذ والاعطاء بدين أبان الله بقوله بدين المعنى الذي قصد تعريفه من قوله تداينتم حكمه واعلامهم انه حكم الدين دون حكم المجازاة وقد زعم بعضهم ان ذلك تاكيد كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع ۞ القول في تاويل قوله (فاكتبوه) يعني جل ثناؤه بقوله فاكتبوه فاكتبوا الدين الذي تداينتموه الى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض واختلف أهل العلم في اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليه هل هو واجب أو هو ندب فقال بعضهم هو حق واجب وفرض لازم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال من باع الى أجل مسمى أمر أن يكتب صغيرا كان أو كبيرا الى أجل مسمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

حسبهم الغفر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض أي سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة أو بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم ومن لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف من أجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك الشيئ والكف عنه الرابعة تعرفهم أي أنت يا محمد أو كل راء بسيماهم والسيما والسيميا العلامة التي يعرف بها الشيئ من السمة العلامة فوزنه فعلى قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدى أثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع أبو زيد رثاثة ثيابهم وقيل المهابة في العيون وقيل آثار الفكر روي انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا أي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيئ يعطى والتركيب يدل على الستر كانه لزم المسؤل لزوم الساتر للمستور وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا وأورد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه أن يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر أي لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان أحدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف وأردت أن تمدح أحدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك ليس بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ماتقدم من الاوصاف الحسنة يغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه لا يتركون السؤال الا بالحاح شديد منهم على

عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال فمن ادان دينا فليكتب ومن باع فليشهد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه فكان هذا واجبا وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله . وزاد فيه قال ثم قامت الرخصة والسعة قال فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أوتمن أمانته وليتق الله ربه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان أبا سليمان المرعشى كان رجلا صحب كعبا فقال ذات يوم لاصحابه هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له قالوا وكيف يكون ذلك قال رجل باع شيأ فلم يكتب ولم يشهد فلما حل ماله جحده صاحبه فدعا ربه فلم يستجب له لانه قد عصى ربه وقال آخرون كان اكتتاب الكتاب بالدين فرضا فنسخه قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن شبرمة عن الشعبي قال لا بأس اذا أمنته أن لا تكتب ولا تشهد لقوله فان آمن بعضكم بعضا قال ابن عيينة قال ابن شبرمة عن الشعبي الى هذا انتهى حدثنا المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هذا المكان فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته قال رخص من ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن عاصم عن الشعبي قال ان ائتمنه فلا يشهد عليه ولا يكتب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال فكانوا يرون ان هذه الآية فان امن بعضكم بعضا نسخت ما قبلها فى الكتابة والشهود رخصة ورحمة من الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال غير عطاء نسخت الكتاب والشهادة فان امن بعضكم بعضا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نسخ ذلك قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته قال ولولا هذا الحرف لم يبح لاحد أن يدان بدين الا بكتاب وشهداء أو برهن فلما جاءت هذه نسخت هذا كله صار الى الامانة حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمى قال سألت الحسن قلت كل من باع بيعا ينبغى له ان يشهد قال ألم تر ان الله عز وجل يقول فليؤد الذى اؤتمن أمانته حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هذا المكان فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته قال رخص فى ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي فى قوله فان أمن بعضكم بعضا قال ان أشهدت فحزم وان لم تشهد ففى حل وسعة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل ابن أبي خالد قال قلت للشعبي أرأيت الرجل يستدين من الرجل الشئ أحتم عليه أن يشهد قال فقرأ الى قوله فان آمن بعضكم بعضا قد نسخ ما كان قبله حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد ابن مروان العقيلى قال ثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى انه قرأ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال فقرأ الى فان أمن بعضكم بعضا قال هذه نسخت ما قبلها

❁ القول فى تأويل قوله (وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله) يعنى بذلك جل ثناؤه وليكتب كتاب الدين الى أجل مسمى بين الداين والمدين كاتب بالعدل يعنى بالحق والانصاف فى الكتاب الذى يكتبه بينهما بما لا يحيف ذا الحق حقه ولا يبخسه ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل ولا يلزمه ما ليس عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وليكتب بينكم

أنفسهم لشدة حاجتهم كقوله * ولى نفس أقول لها اذا ما * تنازعنى لعلى أو عسانى * وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفى السؤال عنهم أصلا لان كل سائل فلا بد أن يلح فى بعض الاوقات كأنه يقول اذا أرقت ماء وجهى فلا أرجع بغير مقصود وقيل لعل السائل عن السؤال يظهر من نفسه أمارات الحاجة فيكون فى حال سكوته أنطق ما يكون فتربق القلوب له فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من رثاثة الحال وآثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يفتح أحد باب مسألة الافتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لان يأخذ أحدكم حبلا يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من أن يسأل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه أن ثواب هذا الانفاق الذى هو أعظم المصارف لا يكتنه كنهه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب فى التصدق على أهل الاديان قال فى آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذى حسن عنده موقع خدمته انى بحسن خدمتك عالم ولحقك عارف كان أبلغ مما لو قال ان أجرك واصل اليك ثم أرشد فى خاتمة الآيات الى أكمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى فى أى فى الليل أو النهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية أيضا أى فى أوقات السر والعلن أو على وصف المصدر أى انفاقا سرا وعلانية أو على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل لما نزل للفقراء الذين أحصروا بعث عبد الرحمن بن عوف

كاتب

كاتب بالعدل قال اتق الله كاتب فى كتابه فلا يدعن منه حقا ولا يزيدن فيه باطلا وأما قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فانه يعنى ولا يابين كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين كما علمه الله كتابته بخصه بعلم ذلك وحرمه كثيرا من خلقه وقد اختلف أهل العلم فى وجوب الكتاب على الكاتب اذا استكتب ذلك نظير اختلافهم فى وجوب الكتاب على الذى له الحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ولا يأب كاتب قال واجب على الكاتب أن يكتب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب أواجب أن لا يأبى أن يكتب قال نعم قال ابن جريج وقال مجاهد واجب على الكاتب أن يكتب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله قالا اذا لم يجدوا كاتبا فدعيت فلا تأب أن تكتب لهم ذكر من قال هى منسوخة قد ذكرنا جماعة ممن قال كل ما فى هذه الآية من الامر بالكتاب والاشهاد والرهن منسوخ بالآية التى فى آخرها واذكر قول من تركنا ذكره هنالك ببعض المعانى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولا يأب كاتب قال كانت عزيمة فنسختها ولا يضار كاتب ولا شهيد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكان هذا واجبا على الكتاب *وقال آخرون هو على الوجوب ولكنه واجب على الكاتب فى حال فراغه ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله يقول لا يأب كاتب أن يكتب ان كان فارغا *والصواب من القول فى ذلك عندنا ان الله عز وجل أمر المتداينين الى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل وأمر الله فرض لازم الا أن تقوم حجة بانه ارشاد وندب ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب فى ذلك وان تقدمه الى الكاتب ان لا يأبى كتابة ذلك ندب وارشاد فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ومن ضيعه منهم كان حرجا بتضييعه ولا وجه لاعتلال من اعتل بان الامر بذلك منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أوتمن أمانته لان ذلك انما أذن الله تعالى ذكره به حيث لا سبيل الى الكتاب أو الى الكاتب وأما والكتاب والكاتب موجودان فالفرض اذا كان الدين الى أجل مسمى ما أمر الله تعالى ذكره به فى قوله فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله وانما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ فى حال واحدة على السبيل التى قد بيناها فأما ما كان أحدهما غير ناف حكم الآخر فليس من الناسخ والمنسوخ فى شئ ولو وجب أن يكون قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخا قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله لوجب أن يكون قوله وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ناسخا الوضوء بالماء فى الحضر عند وجود الماء فيه وفى السفر الذى فرضه الله عز وجل بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأن يكون قوله فى كفارة الظهار فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ناسخا قوله فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فيسئل القائل ان قول الله عز وجل فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخ

بدنانير الى أصحاب الصفة وبعث على بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفى تقديم ذكر الليل وتقديم السر على العلانية تنبيه على فضل الصدقة على رضى الله عنه كانت أكمل وعن ابن عباس ما كان على رضى الله عنه ملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدنى ربى فقال ذلك لك ونزلت الآية وقيل نزلت فى أبى بكر حين تصدق باربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل وارتباطها فى سبيل الله وكان أبو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال *التأويل أنفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه أحدها لو فسر الطيب بالحلال فليقبل انه منه ولو فسر بالجودة فليجز به بقدر جودته وثانيها ليثاب على التعظيم لامر الله وثالثها ليثاب على الشفقة على خلق الله ورابعها ليثاب على الايثار ويؤثرون على أنفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها ليثاب على زيادة الايمان وان المتصدق فى صدقته كالزارع فى زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفى الآية معنى آخر لطيف أنفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما أخرجنا لكم من أرض طينتكم فى تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق ولتكن النفقة طيبة من خباثة الشبهات طيبا انفاقها من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية

قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ما الفرق بينه وبين القائل فى التيمم ماذكرنا قوله فزعم أن كل ما أبيح فى حال الضرورة لعلة الضرورة ناسخ حكمه فى حال الضرورة حكمه فى كل أحواله نظير قوله فى ان الامر باكتتاب كتب الدين والحقوق منسوخ بقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته فان قال الفرق بينى وبينه ان قوله فان أمن بعضكم بعضا كلام منقطع عن قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة وقد انتهى الحكم فى السفر اذا عدم فيه الكاتب بقوله فرهان مقبوضة وانما عنى بقوله فان أمن بعضكم بعضا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته قيل له وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس وقد انقضى الحكم فى الدين الذى فيه الى الكاتب والكتاب سبيل بقوله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وأما الذين زعموا ان قوله فاكتبوه وقوله ولا يأب كاتب على وجه الندب والارشاد فانهم يسئلون البرهان على دعواهم فى ذلك ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذى أمر فى كتابه ويسئلون الفرق بين ما ادعوا فى ذلك وأنكروه فى غيره فلم يقولوا فى شئ من ذلك قولا الا ألزموا فى الآخر مثله ذكر من قال العدل فى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل الحق٧ ﴿ القول فى تأويل قوله (وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ) يعنى بذلك فليكتب الكاتب وليملل الذى عليه الحق وهو الغريم المدين يقول ليتول المدين املال كتاب ما عليه من دين رب المال على الكاتب وليتق الله ربه المملى الذى عليه الحق فليحذر عقابه فى بخس الذى له الحق من حقه شيأ أن ينقصه منه ظلما أو يذهب به منه تعديا فيؤخذ به حيث لا يقدر على قضائه الا من حسناته أو ان يتحمل من سيئاته كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فليكتب وليملل الذى عليه الحق فكان هذا واجبا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ يقول لا يظلم منه شيأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يبخس منه شيأ قال لا ينقص من حق هذا الرجل شيأ اذا أملى ﴿ القول فى تأويل قوله (فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل) يعنى بقوله جل ثناؤه فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا فان كان المدين الذى عليه المال سفيها يعنى جاهلا بالصواب فى الذى عليه ان يمله على الكاتب كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان كان الذى عليه الحق سفيها أما السفيه فالجاهل بالاملاء والامور وقال آخرون بل السفيه فى هذا الموضع الذى عناه الله الطفل الصغير ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فان كان الذى عليه الحق سفيها أما السفيه فهو الصغير حدثنى يحيى ابن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا قال هو الصبى الصغير فليملل وليه بالعدل ✱ وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال السفيه فى هذا الموضع الجاهل بالاملاء وموضع صواب ذلك من خطئه لما قد بينا قبل من ان معنى السفه فى كلام العرب الجهل وقد يدخل فى قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها كل جاهل بصواب ما يمل من خطئه من صغير وكبير وذكر وأنثى غير ان الذى هو أولى بظاهر الآية أن يكون مرادا بها كل جاهل بموضع خطأ ما يمل وصوابه من بالغى الرجال الذين لا يولى عليهم والنساء لانه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى والصبى ومن يولى عليه لا يجوز مداينته وان الله عز وجل قد استثنى من الذين أمرهم باملال كتاب الدين مع السفيه الضعيف ومن لا يستطيع املاله ففى فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه فى الصفة ومن لا يستطيع املاء الكتاب التى وصف بها كل واحد منهم ما أنبأ عن ان كل واحد من الاصناف الثلاثة الذين بين منه صفاتهم

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل ولم يأت بمن قال ذلك فلعل فيه سقطا تأمل اهـ مصححه

طيبا منفقها من خباثة الالتفات والنظر فى الانفاق الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة فى نفسها فلله قبول طيب من الوسائط فيأخذها بيده ويربيها قبل أن تقع فى يد الفقير واذا كانت اليد طيبة فى انفاقها فلله قبول طيب فانها أبلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من أصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولستم بآخذيه هذا الخبيث لا فى أصل الفطرة ولا فى عهد الخلقة لانكم خلقتم من أصل طيب وطينة طيبة فالروح من أطيب الاطايب لانه أقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم أحياكم بالايمان فلنحيينه حياة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث فى الظاهر والباطن الا أن تغمضوا فيه فتقبلوه تكلفا وقسرا كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم تكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارئة عليه عارية لديه أنزل الله تعالى كلمة طيبة هى لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها أخلاقهم ويستحقوا يوم القيامة أن يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا أن الله غنى فى كمال غناه أراد أن يغنيكم بثواب الانفاق حميد على ما أنعم بهذا التكليف لتتوسل به الى الكمال الابدى الشيطان يعدكم الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق بالخلف غير والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه بابا وسوسة سوف يبتلى بهذه الآفات وأضعافها ومن فتح على نفسه بابا على

الحق أفاض عليه سجال غفرانه و بحار فضله واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والفضل ما لا تدركه الاوهام الذين أحسنوا لهم الحسنى
و زيادة فمن ذلك أن يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال يؤتى الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه أهل
الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات و بين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات ما تكتسب بالبرهان وهى مشتركة بين أهل

غير الصنفين الآخرين واذا كان ذلك كذلك كان معلوما ان الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوة على الاملال غير انه وضع عنه فرض الاملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه وان الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن املاله وان كان شديدا رشيدا اما لعى لسانه أو خرس به وان الموصوف بانه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع من املاله اما بالحبس الذى لا يقدر معه على حضور الكاتب الذى يكتب الكتاب فيمل عليه واما الغيبته عن موضع الاملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن املال الكتاب فوضع الله عنهم فرض املال ذلك للعلل التى وصفنا اذا كانت بهم وعذرهم بترك الاملال من أجلها وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولى الحق باملاله فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يعنى ولى الحق ولا وجه لقول من زعم ان السفيه فى هذا الموضع هو الصغير وان الضعيف هو الكبير الاحمق لان ذلك وان كان كما قال لوجب أن يكون قوله أو لا يستطيع أن يمل هو هو العاجز من الرجال العقلاء الجائزى الامر فى أموالهم وأنفسهم عن الاملال اما لعلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل واما الغيبته عن موضع الكتاب واذا كان ذلك كذلك معناه بطل معنى قوله فليملل وليه بالعدل لان العاقل الرشيد لا يولى عليه فى ماله وان كان أخرس أو غائبا ولا يجوز حكم أحد فى ماله الا بامره وفى صحة معنى ذلك ما يقضى على فساد قول من زعم أن السفيه فى هذا الموضع هو الطفل الصغير أو الكبير الاحمق ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يقول ولى الحق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل قال يقول ان عجز عن ذلك أمل ولى صاحب الدين بالعدل ذكر الرواية عمن قال عنى بالضعيف فى هذا الموضع الاحمق و بقوله فليملل وليه بالعدل ولى السفيه والضعيف حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع ان يمل هو قال أمر ولى السفيه أو الضعيف ان يمل بالعدل حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أما الضعيف فهو الاحمق حدثنى المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أما الضعيف فالاحمق حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا لا يعرف فيثبت لهذا حقه و يجهل ذلك فوليه بمنزلته حتى يضع لهذا حقه وقد دللنا على أولى ائتأو يلين بالصواب فى ذلك وأما قوله فليملل وليه بالعدل فانه يعنى بالحق ۞ القول فى تأويل قوله (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعنى بذلك جل ثناؤه واستشهدوا على حقوقكم شاهدين يقال فلان شهيدى على هذا المال وشاهدى عليه وأما قوله من رجالكم فانه يعنى من أحراركم المسلمين دون عبيدكم ودون أحراركم الكفار كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واستشهدوا شهيدين من رجالكم قال الاحرار حدثنى يونس قال أخبرنا على بن سعيد عن هشيم عن داود بن أبى هند عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) يعنى بذلك جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فليكن رجلا وامرأتين على الشهادة و رفع الرجل والمرأتان بالرد على الكون وان شئت قلت فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان على ذلك وان شئت فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه وان قلت فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كان صوابا كل ذلك جائز ولو كان فرجل وامرأتان نصبا كان جائزا على تأويل فان لم يكونا

الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وما يذكر الا أولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى لب عالم النور ثم أخبر عن توفية الاجور للمنفق فى المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الرياء من أنصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن أذن له الله ابداء الصدقات ضد اخفائها واخفاؤها تخليتها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة فى قوله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله ثم قال و رجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله أى عن حظوظ نفسه لتكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون فى ظل الله قال صلى الله عليه وسلم ان المرء يكون فى ظل صدقته يوم القيامة أى ان كانت صدقته لله كان فى ظل الله وان كانت للجنة كان فى ظل الجنة وان كانت للهوى كان فى ظل الهاوية فمعنى قوله ان تبدوا الصدقات أى
تظهروها لطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب حظ فنعما هى فانها مرتبة الابرار ان الابرار لفى نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين تعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها لقاء الله ثم أخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وأن الله فيها ولى الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء الفضيلة وأنت سيد الاولين والآخرين

وأنت أكرم الخلائق على رب العالمين ولكن ليس عليك هداهم ولكن الهداية من خصائص شأننا ولو شئنا أنت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على أن أفضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي أحصرته المحبة في الله عن طلب المعاش لا الذي أحصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف أخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلاله في المشرق مذهب ولاله في المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب شعر

رجلين فاستشهدوا رجلا وامرأتين وقوله ممن ترضون من الشهداء يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم يقول في الدين فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وذلك في الدين ممن ترضون من الشهداء يقول عدول حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك واستشهدوا شهيدين من رجالكم أمر الله عز وجل ان يشهدوا ذوي عدل من رجالهم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ۞ القول في تأويل قوله (ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى بفتح الالف من ان ونصب تضل وتذكر بمعنى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كي تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وهو عندهم من المقدم الذي معناه التأخير لان التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان تضل لان المعنى ما وصفنا في قولهم وقالوا انما نصبنا تذكر لان الجزاء لما تقدم ان تضل بما قبله فصار جوابه مردودا عليه كما تقول في الكلام انه ليعجبني ان يسأل السائل فيعطى بمعنى انه ليعجبني أن يعطى السائل ان سال أو اذا سال فالذي يعجبك هو الاعطاء دون المسئلة ولكن قوله ان يسال لما تقدم اتصل بما قبله وهو قوله ليعجبني ففتح ان ونصب بها ثم اتبع ذلك قوله يعطى فنصبه بنصب قوله ليعجبني ان يسال نسقا عليه وان كان في معنى الجزاء وقرأ ذلك آخرون كذلك غير انهم كانوا يقرؤنه بتسكين الذال من تذكر وتخفيف كافها وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم في تأويل قراءتهم اياه كذلك وكان بعضهم يوجهه الى أن معناه فتصير احداهما الاخرى ذكرا باجتماعهما بمعنى ان شهادتها اذا اجتمعت وشهادة صاحبتها جازت كما تجوز شهادة الواحد من الذكور في الدين لان شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون الا باجتماع اثنتين على شهادة واحد فتصير شهادتهما حينئذ بمنزلة شهادة واحد من الذكور فكأن كل واحدة منهما في قول متأولي ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتها معها ذكرا وذهب الى قول العرب لقد أذكرت بفلان أمه أي ولدته ذكرا فهي تذكر به وهي امرأة مذكرة اذا كانت تلد الذكور من الاولاد وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة انه كان يقوله حدثت بذلك عن أبي عبيد القاسم بن سلام انه قال حدثت عن سفيان بن عيينة انه قال ليس تأويل قوله فتذكر احداهما الاخرى من الذكر بعد النسيان انما هو من الذكر بمعنى انها اذا شهدت مع الاخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر وقال آخرون منهم يوجهونه الى انه بمعنى الذكر بعد النسيان وقرأ ذلك آخرون فتذكر احداهما الاخرى بكسر ان من قوله ان تضل ورفع تذكر وتشديده كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان ان نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك وانقطاع ذلك عما قبله ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء فان احداهما ان ضلت ذكرتها الاخرى على استئناف الخبر عن فعلها ان نسيت احداهما شهادتها من تذكير الاخرى منهما صاحبتها الناسية وهذه قراءة كان الاعمش يقرأها ومن أخذها عنه وانما نصب الاعمش تضل لانها في محل جزم بحذف الجزاء وهو ان تأويل الكلام على قراءته ان تضلل فلما اندغمت احدى اللامين في الاخرى حركها الى أخف الحركات ورفع تذكر بالتاء لانه جواب الجزاء بالفاء والصواب من القراءة عندنا في ذلك قراءة من قرأه بفتح ان من قوله أن تضل احداهما وبتشديد الكاف من قوله فتذكر احداهما الاخرى ونصب الراء منه بمعنى فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان كي ان ضلت

كأن فجاج الارض ضاقت برحبها
عليه فما تزداد طولا ولا عرضا
يحسبهم الجاهل أغنياء من
التعفف لانهم مستورون
تحت قباب الغيرة محجوبون
عن معرفة أهل الغيرية
أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم
غيري يا محمد تعرفهم
بسيماهم لانك لست بك
فلست غيري ما رأيت اذ
رأيت ولكن الله رأى وما
رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وان سيماهم لا يرى
بالبصر الانساني بل يرى
من نور رباني فمن سيماهم
في الظاهر من ظهور آثار
أحوال الباطن أنهم
لا يسألون الناس الحافا
لا بقليل ولا بكثير لان آثار
أنوار غنى قلوبهم انعكست
على ظواهرهم فتنورت
بالتعفف نفوسهم
واضمحلت ظلمة فقرهم
وفاقتهم وما تنفقوا من خير
من المال والجاه أو خدمة
بالنفس أو اكرام أو ارادة
حتى السلام على هؤلاء
السادة استحقاقا واجلالا
لا استخفافا واذلالا فان الله
به عليم ومن سيماهم في
الظاهر أنهم اذا وجدوا
مالا لم يبيعوا عزة الفقر به
بل ينفقون أموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون في الدنيا على ما فوتهم لانهم
تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا في الآخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
(الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا

احد هما

فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله
لا يحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس

احداهما ذكرتها الاخرى وأما نصب فتذكر فبالعطف على تضل وفتحت ان بحلولها محل كي وهي في موضع جزاء والجواب بعده اكتفى بفتحها أعني بفتح ان من كي وسبق بالتاء أعني فتذكر على تضل ليعلم ان الذي قام مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر قد دل عليه وادى عن معناه وعمله أي عن كي وانما اخترنا ذلك في القراءة لاجماع الحجة من قدماء القراء والمتأخرين على ذلك وانفراد الاعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما نفرد به عنهم ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم الى غيرها وأما اختيارها فتذكر بتشديد الكاف فانه بمعنى تأدية الذكر من احداهما على الاخرى وتعريفها بانها ذاك لتذكرها التشديد به أولى من التخفيف وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه فتأويل خطأ لا معنى له لوجوه شتى * أحدها انه خلاف لقول جميع أهل التأويل * والثاني انه معلوم بان ضلال احدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها انما هو خطؤها عنها بنسيانها اياها كضلال الرجل في دينه اذا تحير فيه فعدل عن الحق واذا صارت احداهما بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الاخرى ذكرا معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها فالضالة منهما في شهادتها حينئذ لا شك انها الى التذكير أحوج منها الى الاذكار الا ان أراد أن الذاكرة اذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها شحذتها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته فقوته بالذكر حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك كما يقال للشيء القوي في عمله ذكر وكما يقال للسيف الماضي في ضربه سيف ذكر ورجل ذكر يراد به ماض في عمله قوي البطش صحيح العزم فان كان ابن عيينة هذا أراد فهو مذهب من مذاهب تأويل ذلك الا انه اذا تأول ذلك كذلك صار تأويله الى نحو تأويلنا الذي تأولناه وان خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها بان تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذي اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله فتذكر ولا أعلم أحدا تأول ذلك كذلك ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى فالصواب في قوله اذ كان الامر عاما على ما وصفنا ما اخترنا ذكر من تأول قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى نحو تأويلنا الذي قلنا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علم الله أن ستكون حقوق فاخذ لبعضهم من بعض الثقة فخذوا بثقة الله فانه أطوع لربكم وأدرك لاموالكم ولعمري لئن كان تقيا لا يزيد الكتاب الا خيرا وان كان فاجرا فبالحرى أن يؤدي اذا علم أن عليه شهودا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى يقول ان تنس احداهما فتذكرها الاخرى حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أن تضل احداهما يقول تنسى احداهما الشهادة فتذكرها الاخرى حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك أن تضل احداهما يقول ان تنس احداهما تذكرها الاخرى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى قال كلاهما لغة وهما سواء ونحن نقرأ فتذكر

القول في تأويل قوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله الشهداء عن اباء الاجابة اذا دعوا بهذه الآية فقال بعضهم معناه لا يأب الشهداء أن يجيبوا اذا دعوا ليشهدوا على الكتاب والحقوق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فيدعوهم الى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم قال وكان قتادة يتأول هذه الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليشهدوا لرجل على رجل

أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) القرآت الربا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وهذا اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله وما آتيتم من ربا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فآذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وأبو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزة يقف بغير همزة أي بالتليين الباقون فأذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسر بضم السين نافع ميسره بضم السين واثبات التاء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم التاء وأن تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أبو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا

للمفعول * الوقوف من المس ط مثل الربا ه كيلا يظن ان ما بعده من قولهم وان أمكن جعل وأحل حالا بصار قد وحرم الربا ط لابتداء الشرط واستئناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج النار ج خالدون ه الصدقات ط أثيم ه عند ربهم ط يحزنون ه مؤمنين ه ورسوله ج أموالكم ج لان ما بعده مستأنف أو حال عامله معنى الفعل في لام التمليك ولا تظلمون ه ميسرة ط تعلمون

لايظلمون * التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربا وذلك ان بين الصدقة وبين الربا مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما مور بها والربا زيادة منهي عنها وأيضا لما أمر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب أن يردف بالكسب الحرام وهو الربا والحلال وهو البيع ومايناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين يأكلون الربا أما الاكل فيعم جميع التصرفات الا أنه عبر عن

حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال كان الرجل يطوف في القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا فلا يتبعه أحد منهم فانزل الله عز وجل ولا يأب الشهداء اذا مادعوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال لا تأب ان تشهد اذا مادعيت الى شهادة * وقال آخرون بمثل معنى هؤلاء الا انهم قالوا يجب فرض ذلك على من دعي للاشهاد على الحقوق اذا لم يوجد غيره فاما اذا وجد غيره فهو في الاجابة الى ذلك مخير ان شاء أجاب وان شاء لم يجب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن جابر عن الشعبي قال لا يأب الشهداء اذا مادعوا قال ان شاء شهد وان شاء لم يشهد فاذا لم يوجد غيره شهد * وقال آخرون معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا مادعوا للشهادة على من أراد الداعي اشهاده عليه والقيام بما عنده من الشهادة من الاجابة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال قال الحسن الاقامة والشهادة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال كان الحسن يقول جمعت أمرين لا تأب اذا كانت عندك شهادة أن تشهد ولا تأب اذا دعيت الى شهادة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا يعني من احتيج اليه من المسلمين شهد على شهادة ان كانت عنده ولا يحل له أن يأبى اذا مادعي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال لاقامتها ولا يبدأ بها اذا دعاه ليشهده واذا دعاه ليقيمها * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا مادعوا للقيام بالشهادة التي عندهم للداعي من اجابته الى القيام بها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا شهد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا مادعوا يقول اذا كانوا قد أشهدوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا كانت عندك شهادة فدعيت حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ليث عن مجاهد في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا كانت شهادة فأقمها فاذا دعيت لتشهد فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح عن عمران بن حدير قال قلت لأبي مجلز ناس يدعوني لأشهد بينهم وأنا أكره أن أشهد بينهم قال دع ما تكره فاذا أشهدت فأجب اذا دعيت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن عامر قال الشاهد بالخيار مالم يشهد حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن يونس عن عكرمة في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال لاقامة الشهادة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي عامر عن عطاء قال في اقامة الشهادة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا أبو عامر المزني قال سمعت عطاء يقول ذلك في اقامة الشهادة يعني قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو حرة أخبرنا عن الحسن انه سأله سائل قال أدعى الى الشهادة وأنا أكره أن أشهد عليها قال فلا تجب ان شئت حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة قال سألت ابراهيم قلت أدعى الى الشهادة وأنا أخاف أن أنسى قال فلا تشهد ان شئت حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن عطاء قال الاقامة

حدثنا

الشيء بعظم مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وأيضا نفس الربا لا يمكن أن يؤكل ولكن يصرف الى المأكول فيؤكل فالمراد التصرف فيه والربا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن أماله فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وأنت مخير في كتابتها بالالف والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربا قسمان ربا النسيئة وربا الفضل أما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على أن يأخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالب المديون برأس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل وأما ربا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربا الا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له أبو سعيد الخدري اشهدت مالم نشهد أسمعت مالم نسمع فروى له الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء ثم قال أبو سعيد لا أراني واياك في ظل بيت مادمت على هذا فيروى انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت معنا عكرمة فقال الرجل يا عكرمة أما

نذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برأيي ثم بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا أني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى وأحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين وقوله وحرم الربا لا يتناوله لان كل زيادة ليست محرمة فوجب أن يبقى على الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربا وهو ربا النسيئة وقد

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانوا قد شهدوا حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال هو الذي عنده الشهادة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يقول لا يأب الشاهد أن يتقدم فيشهد اذا كان فارغا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال هم الذين قد شهدوا قال ولا يضر انسانا أن يأبى ان يشهد ان شاء قلت لعطاء ما شأنه اذا دعي أن يكتب وجب عليه ان لا يأبى واذا دعي أن يشهد لم يجب عليه ان يشهد ان شاء قال كذلك يجب على الكاتب ان يكتب ولا يجب على الشاهد أن يشهد ان شاء الشهداء كثير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا شهد فلا يأب اذا دعي أن يأتي يؤدي شهادة ويقيمها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يأب الشهداء قال كان الحسن يتأولها اذا كانت عنده شهادة فدعي ليقيمها حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كتب الرجل شهادته أو أشهد لرجل فشهد والكاتب الذي يكتب الكتاب دعوا الى مقطع الحق فعليهم أن يجيبوا وان يشهدوا بما أشهدوا عليه * وقال آخرون هو أمر من الله عز وجل الرجل والمرأة بالاجابة اذا دعي ليشهد على ما لم يشهد عليه من الحقوق ابتداء لا لاقامة الشهادة ولكنه أمر ندب لا فرض ذكر من قال ذلك حدثني أبو العالية العبدي اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال أمرت أن تشهد فان شئت فاشهد وان شئت فلا تشهد حدثني أبو العالية قال ثنا أبو قتيبة عن محمد بن ثابت العصري عن عطاء بمثله * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال ولا يأب الشهداء من الاجابة اذا دعوا لاقامة الشهادة وأدائها عند ذي سلطان أو حاكم يأخذ من الذي عليه ما عليه للذي هو له وانما قلنا هذا القول بالصواب أولى في ذلك من سائر الاقوال غيره لان الله عز وجل قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فانما أمرهم بالاجابة للدعاء للشهادة وقد ألزمهم اسم الشهداء وغير جائز أن يلزمهم اسم الشهداء الا وقد استشهدوا قبل ذلك فشهدوا على ما ألزمهم شهادتهم عليه اسم الشهداء فأما قبل أن يستشهدوا على شيء فغير جائز أن يقال لهم شهداء لان ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما استشهدوا على شيء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم لم يكن على الارض أحد له عقل صحيح الا وهو مستحق أن يقال له شاهد بمعنى انه سيشهد أو انه يصلح لان يشهد وان كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم الا من عنده شهادة لغيره أو من قد قام بشهادته فلزمه لذلك هذا الاسم كان معلوما أن المعني بقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا من وصفنا صفته ممن قد استرعي شهادة أو شهد فدعي الى القيام بها لان الذي لم يستشهد ولم يسترع شهادة قبل الاشهاد غير مستحق اسم شهيد ولا شاهد لما قد وصفنا قبل مع أن في دخول الالف واللام في الشهداء دلالة واضحة على أن المسمى بالنهي عن ترك الاجابة للشهادة أشخاص معلومون قد عرفوا بالشهادة وانهم الذين أمر الله عز وجل أهل الحقوق باشهادهم بقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء واذا كان ذلك كذلك كان معلوما انهم انما أمروا باجابة داعيهم لاقامة شهادتهم بعدما استشهدوا فشهدوا ولو كان ذلك أمرا لمن أعرض من الناس فدعي الى الشهادة فشهد عليها لقيل ولا يأب شاهد اذا ما دعي غير ان الامر وان كان كذلك فان الذي نقول به في الذي يدعى لشهادة ليشهد عليها اذا كان بموضع ليس به سواه ممن يصلح للشهادة أن الفرض عليه اجابة داعيه اليها كما فرض على

تأكد هذا الرأي بما روى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربا في النسيئة وفي رواية لا ربا الا فيما كان يدا بيد وذكر أبو المنهال انه سأل البراء بن عازب وزيد بن أرقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا بأس وان كان نسيئة فلا يصح وأما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربا في القسمين أما النسيئة فبالقرآن وأما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه أما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل أو الوزن لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل وعلى هذا يثبت الربا في كل مطعوم مكيل أو موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت أو يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربا وعند أبي حنيفة

الكاتب اذا استكتب بموضع لا كاتب به سواه فغرض عليه ان يكتب كما فرض على من كان بموضع لا أحد به سواه يعرف الايمان وشرائع الاسلام فحضر جاهل بالايمان وبغرائض الله فسأله تعليمه وبيان ذلك له أن يعلمه ويبينه له ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الاجابة للشهادة اذا دعي ابتداء ليشهد على ما أشهد عليه بهذه الآية ولكن بأدلة سواها وهي ما ذكرنا وقد فرضنا على الرجل احياء ما قدر على احيائه من حق أخيه المسلم والشهداء جمع شهيد ۞ القول في تأويل قوله (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تسأموا أيها الذين تداينون الناس الى أجل ان تكتبوا صغير الحق يعني قليله أو كبيره يعني أو كثيره الى أجله الى أجل الحق فان الكتاب أحصى للاجل والمال حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن ليث عن مجاهد ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله قال هو الدين ومعنى قوله ولا تسأموا لا تملوا يقال منه سئمت فأنا أسأم سآمة وسأمة ومنه قول لبيد

ولقد سئمت تكاليف الحياة ومن * يعش ثمانين عاما لا أبا لك يسأم

يعني مللت وقال بعض نحويي البصرة بين تأويل قوله الى أجله الى أجل الشاهد ومعناه الى الاجل الذي تجوز شهادته فيه وقد بينا القول فيه ۞ القول في تأويل قوله (ذلكم أقسط عند الله) يعني جل ثناؤه بقوله ذلكم اكتتاب كتاب الدين الى أجله ويعني بقوله أقسط أعدل عند الله يقال منه أقسط الحاكم فهو يقسط اقساطا وهو مقسط اذا عدل في حكمه وأصاب الحق فيه فاذا جار قيل قسط فهو يقسط قسوطا ومنه قول الله عز وجل وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا يعني الجائرون وبمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ذلكم أقسط عند الله يقول أعدل عند الله ۞ القول في تأويل قوله (وأقوم للشهادة) يعني بذلك جل ثناؤه وأصوب للشهادة وأصله من قول القائل أقمته من عوجه اذا سويته فاستوى وانما كان الكتاب أعدل عند الله وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه لانه يحوي الالفاظ التي أقر بها البائع والمشتري ورب الدين والمستدين على نفسه فلا يقع بين الشهود اختلاف في ألفاظهم بشهادتهم لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب واذا اجتمعت شهادتهم على ذلك كان فصل الحكم بينهم أبين لمن احتكم اليه من الحكام مع غير ذلك من الاسباب وهو أعدل عند الله لانه قد أمر به واتباع أمر الله لا شك انه عند الله أقسط وأعدل من تركه والانحراف عنه ۞ القول في تأويل قوله (وأدنى ألا ترتابوا) يعني جل ثناؤه بقوله وأدنى وأقرب من الدنو وهو القرب ويعني بقوله ألا ترتابوا وأن لا تشكوا في الشهادة كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ذلك أدنى ألا ترتابوا يقول لا تشكوا في الشهادة وهو تفعيل من الريبة ومعنى الكلام ولا تملوا أيها القوم أن تكتبوا الحق الذي لكم قبل من داينتموه من الناس الى أجل صغيرا كان ذلك الحق قليلا أو كثيرا فان كتابكم ذلك أعدل عند الله وأصوب لشهادة شهودكم عليه وأقرب لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحق والاجل اذا كان مكتوبا ۞ القول في تأويل قوله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) ثم استثنى جل ذكره مما نهاهم عنه أن يسأموه من اكتتاب كتب حقوقهم على غرمائهم بالحقوق التي لهم عليهم ما وجب لهم قبلهم من حق عن مبايعة بالنقود الحاضرة يدا بيد فرخص لهم في ترك اكتتاب الكتب بذلك لان كل واحد منهم أعني من الباعة والمشتري يقبض اذا كان الواجب بينهم فيما يتبايعونه نقدا ما وجب له قبل مبايعيه قبل المفارقة فلا حاجة لهم في ذلك الى اكتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتابا بما وجب لهم قبلهم وقد تقابضوا الواجب لهم عليهم فلذلك قال تعالى ذكره

العلة الكيل حتى ثبت الربا في الجص والنورة ونحوهما من المكيلات كالدقيق والاشنان ولا يثبت في المعدودات كالبيض والبطيخ ولا في المذروعات كالثياب ولا في الموزونات غير الذهب والفضة كالحديد وأما النقدان ففي بعض الاصحاب ان العلة فيهما لعينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منهما ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال أحمد وأبو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه وأما السبب في تحريم الربا فهو أن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض وأخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء رأس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من أن يتجر فيه وينتفع به أمر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل وأخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا أو نسيئة أعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لما يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ولانه تمكين للغني من أن يأخذ مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء أو تخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس أي مسه الجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا أيضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا أرادوا تقبيح شيء أن يضيفوه الى الشيطان كما في قوله

الاأن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم لاأجل فيهاولا تأخيرولا نساء فليس عليكم جناح ألاتكتبوها يقول فلاحرج عليكم ألاتكتبوها يعني التجارة الحاضرة وبنحو الذي قلنافي ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله الاأن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم يقول معكم بالبلد ترونها فتؤخذ وتعطي فليس على هؤلاء جناح ألايكتبوها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبوزهير عن جويبر عن الضحاك ولاتسئموا أن تكتبوه صغيرا أوكبيرا الى أجله الى قوله فليس عليكم جناح ألاتكتبوها قال أمر الله أن لاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أوكبيرا الى أجله وأمر ما كان يدا بيد أن يشهد عليه صغيرا كان أوكبيرا ورخص لهم ألايكتبوه * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق وعامة القراء الاأن تكون تجارة حاضرة بالرفع وانفرد بعض قراء الكوفيين فقرأه بالنصب وذلك وان كان جائزا في العربية اذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع كان وتضمر معها في كان مجهولا فتقول ان كان طعاما طيبا فأتنا به وترفعها فتقول ان كان طعام طيب فأتنا به فتتبع النكرة خبرها بمثل اعرابها فان الذي أختار من القراءة ثم لاأستجيز القراءة بغيره الرفع في التجارة الحاضرة لاجماع القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم ولا يعترض بالشاذ على الحجة ومما جاء نصبا في ذلك قول الشاعر

أعيني هلا تبكيان عفاقا * اذا كان طعنا بينهم وعناقا

(وقال الآخر)

ولله قومي أي قوم بحرة * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

وانما تفعل العرب ذلك في النكرات لما وصفنا من اتباع أخبار النكرات أسماءها وكان من حكمها أن يكون معها مرفوع ومنصوب فاذا رفعوهما جميعهما تذكروا اتباع النكرة خبرها واذا نصبوهما تذكروا صحبة كان منصوب ومرفوع ووحدوا النكرة يتبعها خبرها وأضمروا في كان مجهولا لاحتمالها الضمير وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك الاأن تكون تجارة حاضرة انما قرأه على معنى الاأن يكون تجارة حاضرة فزعم انه كان يلزم قارئ ذلك أن يقرأ يكون بالياء وأغفل موضع صواب قراءته من جهة الاعراب وألزمه غير ما يلزمه وذلك ان العرب اذا جعلوا مع كان نكرة مؤنثا نبعتها أوخبرها أنثوا كان مرة وذكروها أخرى فقالوا ان كانت جارية صغيرة فاشتروها وان كان جارية صغيرة فاشتروها تذكر كان وان نصبت النكرة المنعوتة أو رفعت أحيانا وتؤنث أحيانا وقد زعم بعض نحوي البصرة أن قوله الاأن تكون تجارة حاضرة مرفوعة فيه التجارة الحاضرة لان يكون بمعنى التمام ولاحاجة بها الى الخبر بمعنى الاأن توجد أو تقع أو تحدث فالزم نفسه مالم يكن لها لازما لانه انما ألزم نفسه ذلك اذا لم يكن يجد لكان منصوبا ووجد التجارة الحاضرة مرفوعة وأغفل جواز قوله تديرونها بينكم أن تكون خبرا لكان فيستغني بذلك عن الزام نفسه ما ألزم والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطأ في العربية غير أن الذي قلنا بكلام العرب أشبه وفي المعنى أصح وهو أن يكون في قوله تديرونها بينكم وجهان أحدهما أنه في موضع نصب على أنه حل محل خبر كان والتجارة الحاضرة اسمها والآخر أنه في موضع رفع على اتباع التجارة الحاضرة لان خبر النكرة يتبعها فيكون تأويله الاأن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ۞ القول في تأويل قوله (وأشهدوا اذا تبايعتم) يعني بذلك جل ثناؤه وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم عاجل ذلك وآجله ونقده ونسائه فان ارخاصي لكم في ترك اكتتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجري بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يدا بيد

تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يصرع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لايوجد هذا الخبط في العقلاء وأرباب الحزم واللب وأكثر المسلمين على أن الشيطان لايبعد أن يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الآية أقوال أحدها ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا ذلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون أي لايقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع أو يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم فأثقلهم وقيل انه مأخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الهوى والملك يجره الى التقوى فيقع هنالك حركات مضطربة وأفعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات آكل الربا على ذلك أورثه الخبط في الآخرة وأوقعه في ذل الحجاب بينه وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس فيقال انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع ومن حق القايس ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه بأحد عشر نقدا أو نسيئة فهذا حلال وكذا اذا أعطى العشرة بأحد عشر لافرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع

ونقد اليس بارخاص منى لكم فى ترك الاشهاد منكم على من بعتموه شيأ أو ابتعتم منه لان فى تركم الاشهاد على ذلك خوف المضرة على كل من الفريقين أما على المشترى بان يجحد البائع المبيع وله بينة على ملكه ما قد باع ولا بينة للمشترى منه على الشراء منه فيكون القول حينئذ قول البائع مع يمينه و يقضى له به فيذهب مال المشترى باطلا وأما على البائع فان يجحد المشترى الشراء وقد زال ملك البائع عما باع و وجب له قبل المبتاع ثمن ما باع فيحلف على ذلك فيبطل حق البائع قبل المشترى من ثمن ما باعه فامر الله عز وجل الفريقين بالاشهاد لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر ثم اختلفوا فى معنى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم أهو أمر من الله واجب بالاشهاد عند المبايعة أم هو ندب فقال بعضهم هو ندب ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الربيع عن الحسن وشقيق عن رجل عن الشعبى فى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ألم تسمع الى قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا الربيع بن صبيح قال قلت للحسن أرأيت قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان أشهدت عليه فهو ثقة للذى لك وان لم تشهد عليه فلا باس حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن صبيح قال قلت للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم أبيع الرجل وأنا أعلم أنه لا ينقد فى شهرين ولا ثلاثة أترى باسا أن لا أشهد عليه قال ان أشهدت فهو ثقة للذى لك وان لم تشهد فلا باس حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن داود عن الشعبى وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان شاؤا أشهدوا وان شاؤا لم يشهدوا * وقال آخرون الاشهاد على ذلك واجب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ولكن أشهدوا عليها اذا تبايعتم أمر الله ما كان يدا بيد أن يشهدوا عليه صغيرا كان أو كبيرا حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان بيع حاضر فان شاء أشهدوان شاء لم يشهد وما كان من بيع الى أجل فامر الله أن يكتب و يشهد عليه وذلك فى المقام وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن الاشهاد على كل مبيع ومشترى حق واجب وفرض لازم لما قد بينا من ان كل أمر لله ففرض الا ما قامت حجته من الوجه الذى يجب التسليم له بانه ندب وارشاد وقد دللنا على وهى قول من قال ذلك منسوخ بقوله فليؤد الذى اؤتمن أمانته فيما مضى فاغنى عن اعادته ۞ القول فى تاويل قوله (ولا يضار كاتب ولا شهيد) اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم ذلك نهى من الله لكاتب الكتاب بين أهل الحقوق والشهيد أن يضار أهله فيكتب هذا مالم يمله المملى و يشهد هذا بما لم يستشهده الشهيد ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ولا يضار كاتب فيكتب مالم يمل عليه ولا شهيد بما لم يستشهد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس قال كان الحسن يقول لا يضار كاتب فيزيد شيأ أو يحرف ولا شهيد قال لا يكتم الشهادة ولا يشهد الا بحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن قتادة قال اتقى الله شاهد فى شهادته لا ينقص منها حقا ولا يزيد فيها باطلا اتقى الله كاتب فى كتابه فلا يدعن منه حقا ولا يزيدن فيه باطلا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار كاتب فيكتب مالم يملل ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار

الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد فى الحال وسيحصل له أموال كثيرة فى المآل فاعطاء الزيادة عند وجدان المال أسهل عليه من البقاء فى الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله وأحل الله البيع وحرم الربا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض القياس فان ذلك من عمل ابليس أمره الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال أنا خير منه ثم ظاهر الآية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربا دون الاقدام على أكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الآية كون أكل الربا من الكبائر و يجب تاويل مقدمة الآية بان المراد من أكلهم الربا استطابته واستحلاله كما يقال فلان يأكل مال الله قضما وهضما أى يستحل التصرف فيه الا ان جمهور المفسرين حملوا الآية على وعيد من يتصرف فى مال الربا لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل أن يكون قوله وأحل الله البيع وحرم الربا من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد وأكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار هو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار أو على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وأيضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم ولم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لائقا بالمقام وأيضا المسلمون لم يزالوا متمسكين فى البيع بهذه الآية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها وههنا بحث للشافعى وهو ان الآية من المجملات التى لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفى فى العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته أضعف مما لو قيل وأحل الله البياعات بلفظ الجمع ومع ذلك فقد

كاتب فيكتب غير الذي أملي عليه قال والكتاب يومئذ قليل ولا يدرون أي شيء يكتب فضار فيكتب الذي غير الذي أملي عليه فيبطل حقهم قال والشهيد يضار فيحول شهادته فيبطل حقهم فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا من هؤلاء ولا يضارر كاتب ولا شهيد ثم ادغمت الراء في الراء لانهما من جنس وحركت الى الفتح وموضعها جزم لان الفتح أخف الحركات * وقال آخرون ممن تأول هذه الكلمة هذا التأويل معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بالامتناع عمن دعاهما الى أداء ما عندهما من العلم والشهادة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول أن يؤديا ما قبلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضارا أن يؤديا ما عندهما من العلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال لا يضار كاتب ولا شهيد قال أن يدعوهما فيقولان ان لنا حاجة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ومجاهد ولا يضار كاتب ولا شهيد قالا واجب على الكاتب أن يكتب ولا شهيد قالا اذا كان قد شهد قبله * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يضار المستكتب والمستشهد والكاتب والشهيد وتأويل الكلمة على مذهبهم ولا يضارر على وجه ما لم يسم فاعله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كان عمر يقرأ ولا يضارر كاتب ولا شهيد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك قال كان ابن مسعود يقرأ ولا يضارر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد انه كان يقرأ ولا يضارر كاتب ولا شهيد وانه كان يقول في تأويلها ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده الى أن يشهد ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤثمه ان ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته وقال مجاهد لا يقم عن شغله وحاجته فيجد في نفسه أو يحرج حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد والضرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غني ان الله قد أمرك ان لا تأبى اذا دعيت فيضاره بذلك وهو مكتف بغيره فنهاه الله عز وجل عن ذلك وقال وان تفعلوا فانه فسوق بكم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول انه يكون للكاتب والشاهد حاجة ليس منها بد فيقول خلوا سبيله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن عكرمة في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال يكون به العلة أو يكون مشغولا يقول فلا يضار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه كان يقول ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول لا يأتي الرجل فيقول انطلق فاكتب لي واشهد لي فيقول ان لي حاجة فالتمس غيري فيقول اتق الله فانك قد أمرت أن تكتب لي فهذه المضارة ويقول دعه والتمس غيره والشاهد بتلك المنزلة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول يدعو الرجل الكاتب والشهيد فيقولان انا على حاجة فيقول الذي يدعوهما ان الله عز وجل أمركما أن تجيبا في الكتابة والشهادة يقول الله عز وجل لا يضارهما حدثت عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد هو الرجل يدعو الكاتب والشاهد وهما على حاجة مهمة فيقولان انا على حاجة مهمة فاطلب غيرنا فيقول والله لقد أمركما أن تجيبا فأمره أن يطلب غيرهما ولا يضارهما يعني لا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال

تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب ثم اطلاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وأيضا روي ان عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سألناه عن الربا ولو كان هذا اللفظ مفيدا العموم لم يقل ذلك وأيضا قوله وأحل الله البيع يقتضي أن يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربا يقتضي أن يكون كل ربا حراما لان الربا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا ووجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من ربه فانتهى امتنع من استحلال الربا وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم أو للتقليل أي موعظة بليغة أو شيء من المواعظ وقيل النهي المتأخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما أكل من الربا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه أول ما يخرج من عصيرها وأمره الى الله لانه ان انتهى عن أكل الربا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله العامل بتكاليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربا وانه مثل البيع فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى أكل الربا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربا وكان بالغ في الآي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك الربا وفعل الصدقة فقال (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من

محق الربا وارباء الصدقات اما في الدنيا واما في الآخرة وذلك ان الغالب في المربي وان كثر ماله ان تؤول عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه وبغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما طمع الظلمة في ماله ظنا منهم ان (٨٤) المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربا لا يبقى عند الموت وتبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربا المثل الذي ضربه فيما تقدم * كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم مهره أو فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وأيضا المتصدق يزداد كل يوم جاها وذكرا جميلا وتميل القلوب اليه وتنقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان في المآل والصدقة ان كانت نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل والشرع والله لا يحب كل كفار أثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة كتمار وقوال والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو أيضا للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحدا أو وجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل

ثنا اسباط عن السدي قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ليس ينبغي أن يعترض رجلا له حاجة فيضاره فيقول له اكتب لي فلا يتركه حتى يكتب له ويفوته حاجته ولا شاهدا من شهوده وهو مشغول فيقول اذهب فاشهد لي تحبسه عن حاجته وأنت تجد غيره حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لما نزلت هذه الآية ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله كان أحدهم يجيء الى الكاتب فيقول اكتب لي فيقول اني مشغول أو لي حاجة فانطلق الى غيري فيلزمه ويقول انك قد أمرت أن تكتب لي فلا يدعه ويضاره بذلك وهو يجد غيره ويأتي الرجل فيقول انطلق معي فيقول اذهب الى غيري فاني مشغول أو لي حاجة فيلزمه ويقول قد أمرت أن تتبعني فيضاره بذلك وهو يجد غيره فأنزل الله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ان لي حاجة فدعني فيقول اكتب لي ولا شهيد كذلك * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بمعنى ولا يضارهما من استكتب هذا أو استشهد هذا بان يأبى على هذا الا أن يكتب له وهو مشغول بأمر نفسه ويأبى على هذا الا أن يجيب الى الشهادة وهو غير فارغ على ما قاله قائلو ذلك من القول الذي ذكرنا قبل وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره لان الخطاب من الله عز وجل في هذه الآية من مبتدئها الى انقضائها على وجه افعلوا ولا تفعلوا انما هو خطاب لاهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتاب والمشهود لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم من الديون فأما ما كان من أمر أو نهي فيها لغيرهم فانما هو على وجه الامر والنهي للغائب عن المخاطب كقوله وليكتب بينكم كاتب وكقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وما أشبه ذلك فالواجب اذا كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم أشبه منه بان يكون مردودا على الكاتب والشهيد ومع ذلك ان الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيين عن الضرر لقيل وان يفعلا فانه فسوق بهما لانهما اثنان وانهما غير مخاطبين بقوله ولا يضار بل النهي بقوله ولا يضار نهي للغائب عن المخاطب فتوجيه الكلام الى ما كان نظيرا لما في سياق الآية أولى من توجيهه الى ما كان منعدلا عنه ❁ القول في تأويل قوله (وان تفعلوا فانه فسوق بكم) يعني بذلك جل ثناؤه وان تضاروا الكاتب والشاهد وما نهيتم عنه من ذلك فانه فسوق بكم يعني اثم بكم ومعصية * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك وان تفعلوا فانه فسوق بكم يقول ان تفعلوا غير الذي آمركم به فانه فسوق بكم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس وان تفعلوا فانه فسوق بكم والفسوق المعصية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق العصيان * وقال آخرون معنى ذلك وان يضار كاتب فيكتب غير الذي أملى المملي ويضار شهيد فيحول شهادته ويغيرها فانه فسوق بكم يعني فانه كذب ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق الكذب قال هذا فسوق لانه كذب الكاتب فحول كتابه فكذب وكذب الشاهد فحول شهادته فأخبرهم الله انه كذب وقد دللنا فيما مضى على أن المعنى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد انما معناه لا يضارهما المستكتب والمستشهد بما فيه الكفاية بقوله وان تفعلوا انما هو اخبار منه مضارهما بحكمه فيهما وان من يضارهما فقد عصى ربه وأثم به وركب ما لا يحل له وخرج عن طاعة ربه في ذلك ❁ القول في تأويل قوله (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) يعني بقوله جل ثناؤه واتقوا الله وخافوا الله أيها المتداينون في الكتاب والشهود ان تضاروهم وفي غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه ويعني بقوله ويعلمكم

اثم يعود كلاهما الى أكل الربا ويكون تغليظا فى أمر الربا وايذانا بأنه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفى الآية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته غضبه ببيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار وعلى الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كان ربا فان استحلاله كفر وهو فى نفسه اثم مذموم فى جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فتبقى الآية ساكتة عن جمع بين

الله ويبين لكم الواجب لكم وعليكم فاعملوا به والله بكل شئ عليم يعنى من أعمالكم وغيرها يحصيها عليكم ليجازيكم بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله ويعلمكم الله قال هذا تعليم علمكموه فخذوا به ۞ القول فى تاويل قوله (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته القراء فى الامصار جميعا كاتبا بمعنى ولم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذى تداينتموه الى أجل مسمى فرهان مقبوضة وقرأ جماعة من المتقدمين ولم تجدوا كتابا بمعنى ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين سبيل اما بتعذر الدواة والصحيفة واما بتعذر الكاتب وان وجدتم الدواة والصحيفة والقراءة التى لا نجوز غيرها عندنا هى قراءة الامصار ولم تجدوا كاتبا بمعنى من يكتب لان ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين وان كنتم أيها المداينون فى سفر بحيث لا تجدون كاتبا يكتب لكم ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين الذى تداينتموه الى أجل بينكم مسمى الذى أمرتكم باكتتابه والاشهاد عليه سبيل فارتهنوا بديونكم التى تداينتموها الى الاجل المسمى رهونا تقبضونها ممن تداينونه كذلك ليكون ثقة لكم باموالكم ذكر من قال ما قلنا فى ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فمن كان على سفر فبايع بيعا الى أجل ولم يجد كاتبا فرخص له فى الرهان المقبوضة وليس له ان وجد كاتبا أن يرتهن حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا يقول كاتبا يكتب لكم فرهان مقبوضة حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان من بيع الى أجل فامر الله عز وجل أن يكتب ويشهد عليه وذلك فى المقام فان كان قوم على سفر تبايعوا الى أجل فلم يجدوا فرهان مقبوضة ذكر من تأول ذلك على القراءة التى حكيناها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس فان لم تجدوا كتابا يعنى بالكتاب الكاتب والصحيفة والدواة والقلم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى أبى عن ابن عباس انه قرأ فان لم تجدوا كتابا قال ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتبا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد كان يقرأها فان لم تجدوا كتابا ويقول ربما وجد الكاتب ولم يجد الصحيفة أو المداد ونحو هذا من القول حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا يقول مدادا يقرأها كذلك يقول فان لم تجدوا مدادا فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة فرهن مقبوضة قال لا يكون الرهن الا فى السفر حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب قال ان أبا العالية كان يقرأها فان لم تجدوا كتابا قال أبو العالية توجد الدواة ولا توجد الصحيفة * واختلف القراء فى قراءة قوله فرهان مقبوضة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق فرهان مقبوضة بمعنى جماع رهن كما الكباش جمع كبش والبغال جمع بغل والنعال جمع نعل وقرأ ذلك جماعة آخرون فرهن مقبوضة على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع وقد وجهه بعضهم الى أنها جمع رهن مثل سقف وسقف وقرأه آخرون فرهن مخففة الهاء على معنى جمع رهن كما تجمع السقف سقفا قالوا ولا نعلم اسما على فعل يجمع على فعل وفعل الا الرهن والرهن والسقف والسقف والذى هو أولى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه فرهان مقبوضة لان ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على فعل كما يقال حبل وحبال وكعب وكعاب ونحو ذلك من الاسماء فاما جمع الفعل على الفعل أو الفعل فنادر قليل انما جاء فى أحرف يسيرة وقيل سقف وسقف وقاب وقلب وقلب من قلب النخل وجد وجد للجد

الامرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذى لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذى لم يواظب على سائر الآثام لم يستاهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافى السكوت عن حكمه ههنا والله أعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان كما مر وأجيب بانه قال فى الآية وأقاموا الصلوة وآتوا الزكواة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاصل حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى فى غيره على الاصل لهم أجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجرى مجرى ما اذا باع بالنقد وذلك النقد حاضر متى شاء البائع أخذه والثانى جار مجرى البيع فى الذمة نسيئة ولا شك ان الاول أفضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس أى فيما يستقبلهم من أحوال القيامة ولا هم يحزنون بسبب ما تركوه فى الدنيا فان المنتقل من حال الى حال أخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق أهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذى حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة فى الآخرة وأيضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة أزيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين لثواب

أزيد مما وجدناه لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو أن المرأة اذا بلغت عارفة بالله ولما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها
ماتت أو الرجل بلغ عارفا بالله وقبل ان يجب عليه الصلاة والزكاة مات فهما بالاتفاق من أهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف
الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن

الذي هو بمعنى الخط وأما ما جاء من جمع فعل على فعل فـط وثط و وردو وردو جو ر وجور وانما دعا الذي قرأ ذلك فرهن مقبوضة الى قراءته فيما أظن كذلك مع شذوذه في جمع فعل انه وجد الرهان مستعملة في رهان الخيل فاحب صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل الذي هو بغير بمعنى الرهان الذي هو جمع رهن ووجد الرهن مقولا في جمع رهن كما قال قعنب

بانت سعاد وأمسى دونها عدن * وعلقت عندها من قبلك الرهن

القول في تأويل قوله (فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه) يعني بذلك جل ثناؤه فان كان المدين أمينا عند رب المال والدين فلم يرتهن منه في سفره رهنا بدينه لامانته عنده على ماله وثقته فليتق الله المدين ربه يقول فليخف الله ربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده أو يلط دونه أو يحاول الذهاب به فيتعرض من عقوبة الله ما لا قبل له به وليؤد دينه الذي ائتمنه عليه اليه وقد ذكرنا قول من قال هذا الحكم من الله عز وجل ناسخ الاحكام التي في الآية قبلها من أمر الله عز وجل بالشهود والكتاب وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته انما يعني بذلك في السفر فأما الحضر فلا وهو واجد كاتبا فليس له أن يرتهن ولا يأمن بعضهم بعضا وهذا الذي قاله الضحاك من أنه ليس لرب الدين ائتمان المدين وهو واجد الى الكاتب والكتاب والاشهاد عليه سبيلا وان كان في سفر فكما قال لما قد دللنا على صحته فيما مضى قبل وأما ما قال من أن الامر في الرهن أيضا كذلك مثل الائتمان في أنه ليس لرب الحق الارتهان بماله اذا وجد الى الكاتب والشهيد سبيلا في حضر أو سفر فانه قول لا معنى له لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشترى طعاما نساء ورهن به درعا له فجائز للرجل أن يرتهن بما عليه ويرتهن بماله من حق في السفر والحضر لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان معلوما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حين رهن من ذكرنا غير واجد كاتبا ولا شهيدا لانه لم يكن متعذرا عليه بمدينته في وقت من الاوقات الكاتب والشاهد غير انهما اذا تبايعا برهن فالواجب عليهما اذا وجدا سبيلا الى كاتب وشهيد وكان البيع أو الدين الى أجل مسمى أن يكتبا ذلك ويشهدا على المال والرهن وانما يجوز ترك الكتاب والاشهاد في ذلك حيث لا يكون لهما الى ذلك سبيل القول في تأويل قوله (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) وهذا خطاب من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدين ورب المال باشهادهم فقال لهم ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تكتموا أيها الشهود بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحكام كما شهدتم على ما شهدتم عليه ولكن أجيبوا من شهدتم له اذا دعاكم لاقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته وابائه من أدائها والقيام به عند حاجة المستشهد الى قيامه بها عند حاكم أو ذي سلطان فقال ومن يكتمها يعني ومن يكتم شهادته فانه آثم قلبه يقول فاجر قلبه مكتسب بكتمانه اياها معصية الله كما حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فلا يحل لاحد أن يكتم شهادة هي عنده وان كانت على نفسه والوالدين ومن يكتمها فقد ركب اثما عظيما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه يقول فاجر قلبه حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الاشراك بالله لان الله يقول ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وشهادة

الزور

عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربا فله ما سلف كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا فبين انه يحرم أخذ ما بقي من الربا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا أيها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب ان هذا كما يقال ان كنت أخي فأكرمني معناه ان من كان أخا أكرم أخاه ومعناه اذ كنتم مؤمنين أو ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان أو يا أيها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا أصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر وأجيب بان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وطن نفسه على ان تلك الزيادة حصلت له فقطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الآية أصل كبير في أحكام الكفار اذا أسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام

الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقد روى عن ابن عباس انه كان يقول على الشاهد أن يشهد حيث ما استشهد ويخبر بها حيث استخبر حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن مسلم قال أخبرنا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا كانت عندك شهادة فسألك عنها فاخبره بها ولا تقل أخبر بها عند الامير أخبره بها لعله يراجع أو يرعوى وأما قوله والله بما تعملون فانه يعني بما تعملون في شهادتكم من اقامتكم والقيام بها أو كتمانكم اياها عند حاجة من استشهدكم اليها وبغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها عليم يحصيه عليكم ليجزيكم بذلك كله جزاءكم اما خيرا واما شرا على قدر استحقاقكم ۞ القول في تاويل قوله (لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) يعني جل ثناؤه بقوله لله ما في السموات وما في الارض لله ملك كل ما في السموات وما في الارض من صغير وكبير واليه تدبير جميعه وبيده صرفه وتقليبه لا يخفى عليه منه شئ لانه مدبره ومالكه ومصرفه وانما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادة يقول لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ومن يكتمها يفجر قلبه ولن يخفى على كتمانه ذلك لاني بكل شئ عليم وبيدي صرف كل شئ في السموات والارض وملكه أعلم خفي ذلك وجليه فاتقوا عقابي اياكم على كتمانكم الشهادة وعيدا من الله بذلك من كتمها وتخويفا منه له به ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم في آخرتهم وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحا على معصية فاضمرها أو أظهر موبقة فابداها من نفسه من المحاسبة عليها فقال وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يقول وان تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حق رب المال الجحود والانكار وتخفوا ذلك فتضمروا في أنفسكم وغير ذلك من سيئ أعمالكم يحاسبكم به يعني بذلك يحتسب به عليه من أعماله فيجازي من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله وغافر منكم لمن شاء من المسلمين ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فقال بعضهم بما قلنا من أنه عنى به الشهود في كتمانهم الشهادة وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها ذكر من قال ذلك حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا أبو نفيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول يعني في الشهادة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال في الشهادة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال سئل داود عن قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فحدثنا عن عكرمة قال هي الشهادة اذا كتمتها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو وأبي سعيد انه سمع عكرمة يقول في هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال في الشهادة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي عن الشعبي في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال في الشهادة حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس انه قال في هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نزلت في كتمان الشهادة واقامتها حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن عكرمة في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يعني كتمان الشهادة واقامتها على وجهها * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية اعلاما من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لا يعملونه ثم اختلف متأولو ذلك كذلك فقال بعضهم ثم نسخ الله ذلك بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن

بقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمى وهذا مذهب الشافعي وأما سبب نزول الآية فعن ابن عباس وعطاء وعكرمة أنها نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله فأتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن أسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان أنتما أخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما جاء الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فأذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربا فان لم تفعلوا أي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فأذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون مالهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربا لانه خطاب

مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فاشتد ذلك على القوم فقالوا يا رسول الله انا المؤاخذون بما نحدث به أنفسنا هلكنا فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية الى قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الى آخر الآية قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع وثنا سفيان بن وكيع قال ثنا سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء دخل قلوبهم منها شئ لم يدخلها من شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا وأطعنا وسلمنا قال فالقى الله عز وجل الايمان في قلوبهم قال فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قال أبو كريب فقرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال فقال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين **حدثني** أبو الرداد المصري عبد الله بن عبد السلام قال ثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد عن حيوة بن شريح قال سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول قال ابن شهاب حدثني سعيد بن مرجانة قال جئت عبد الله بن عمر فتلا هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ثم قال ابن عمر لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سالت دموعه قال ثم جئت عبد الله بن العباس فقلت يا أبا عباس اني جئت ابن عمر فتلا هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية ثم قال لئن واخذنا بهذه الآية لنهلكن ثم بكى حتى سالت دموعه فقال ابن عباس يغفر الله لعبد الله بن عمر لقد فرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كما فرق ابن عمر منها فانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فنسخ الله الوسوسة وأثبت القول والفعل **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة يحدث انه بينا هو جالس سمع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية فقال والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه فقال ابن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما تلا ابن عمر وما فعل حين تلاها فقال عبد الله بن عباس يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر فانزل الله بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الامر الى ان قضى الله عز وجل ان للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت الزهري يقول في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال فقرأها ابن عمر فبكى وقال انا المؤاخذون بما نحدث به في أنفسنا فبكى حتى سمع نشيجه فقام رجل من عنده فاتى ابن عباس فذكر ذلك له فقال رحم الله ابن عمر لقد وجد المسلمون نحوا مما وجد حتى نزلت لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر عن سليمان عن حميد الاعرج عن مجاهد قال كنت عند ابن عمر فقال ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية فبكى فدخلت على ابن عباس فذكرت له ذلك فضحك ابن عباس فقال يرحم الله ابن عمر أو ما يدري فيم أنزلت ان هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غما شديدا وقالوا يا رسول الله هلكنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا فنسخها

مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا أيها الذين آمنوا ومعنى قوله فاذنوا اعلموا من أذن بالشئ اذا علم به أي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف أمر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه وأجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب أبو بكر مانعي الزكاة وكذا القول لو أجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربا أو عن معاملة الربا فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان هي التي تسمى تامة بمعنى وجد الشئ وحدث في نفسه لا بمعنى وجد موصوفا بشئ فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم أو المشتري ذا عسرة والقراءة المشهورة أولى كيلا تكون النظرة مقصورة على الغريم المشتري بل تعمه وغيره من أرباب العسرة وهي اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود

من المال والنظرة التأخير والامهال وفي الآية حذف والتقدير فالحكم أو فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره على الامر أي سامحه بالانظار وناظره أي صاحب الحق منتظره أوذو نظره مثل مكان عاشب أي ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة (٨٩) واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربا أو عام في الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الآية في الربا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم أهل عسرة فاخرونا الى أن ندرك الثمرة فابوا أن يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلابد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن أداء المال لايجوز تكليفه به وهو قول أكثر الفقهاء كمالك وأبي حنيفة والشافعي والاعسار في الشرع هو أن لايجد في ملكه مايؤديه بعينه ولايكون له مال لو باعه لامكن أداء الدين من ثمنه ومن وجد دارا أو ثوبا لايعد من ذوي العسارة اذا أمكنه بيعها وأداء ثمنها ولا يجوز له أن يحبس الاقوت يومه لنفسه وعياله ومالا بد لهم من كسوة لصلاتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه أن يؤجر نفسه من صاحب الدين أو غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له مايؤديه لا يلزمه القبول فامامن له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه أن يبيعها بالنقصان ان لم يمكن الا ذلك واذا علم الانسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وأن يطالبه بماله عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة في اعساره جاز أن يحبسه الى ظهور الإعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن

فنسختها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله الى قوله وعليها ما اكتسبت فتجوز لهم من حديث النفس وأخذوا بالاعمال **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سالم ان أباه قرأ ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فدمعت عينه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد صنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت فنسختها الآية التي بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال نسخت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه لا يكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قالوا أنؤاخذ بما حدثنا به أنفسنا ولم تعمل به جوارحنا قال فنزلت هذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت قال فاعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقرة لم تعطها الامم قبلها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل عن عامر ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فنسختها الآية بعدها قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها الآية التي بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله وان تبدوا قال يحاسبكم بما ابدا من سر أو اخفى من سر فنسختها التي بعدها **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبي قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فكان فيها شدة حتى نزلت هذه الآية التي بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فنسخت ما كان قبلها **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ذكروا عند الشعبي ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه حتى بلغ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فقال الشعبي الى هذا صار رجعت الى آخر الآية **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال قال ابن مسعود كانت المحاسبة قبل أن تنزل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فلما نزلت نسخت الآية التي كانت قبلها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يذكر عن ابن مسعود نحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال نسخت ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وسفيان عن جابر عن مجاهد وعن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قالوا نسخت هذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر بمثله **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن حميد عن الحسن في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الى آخر الآية قال محتها لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه قال نسخت هذه الآية يعني قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية التي كانت قبلها ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا

ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الى آخر الآية اشتدت على المسلمين وشقت مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله لو وقع فى أنفسنا شئ لم نعمل به واخذنا الله به قال فلعلكم تقولون كما قال بنوا اسرائيل سمعنا وعصينا قالوا بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله قال فنزل القرآن يفرجها عنهم آمن الرسول بما نزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فصيره الى الاعمال وترك ما يقع فى القلوب حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا هشيم عن سيار أبى الحكم عن الشعبى عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها هذه الآية التى بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤاخذون بما وسوست به أنفسهم وما عملوا فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ان عمل أحدنا وان لم يعمل أخذنا به والله ما نملك الوسوسة فنسخها الله بهذه الآية التى بعدها بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكان حديث النفس مما لم تطيقوا الآية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت نسختها قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقال آخرون ممن قال معنى ذلك الاعلام من الله عز وجل عباده انه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم وبما حدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه هذه الآية محكمة غير منسوخة والله عز وجل محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أصروه فى أنفسهم ونووه وأرادوه فيغفره للمؤمنين ويؤاخذ به أهل الكفر والنفاق ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فانها لم تنسخ ولكن الله عز وجل اذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول الله عز وجل انى أخبركم بما أخفيتم فى أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتى فاما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله يحاسبكم به الله يقول يخبركم وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من الشك والنفاق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فذلك سر عملكم وعلانيته يحاسبكم به الله فليس من عبد مؤمن يسر فى نفسه خيرا ليعمل به فان عمل به كتبت له به عشر حسنات وان هو لم يقدر أن يعمل به كتبت له به حسنة من أجل انه مؤمن والله يرضى سر المؤمنين وعلانيتهم وان كان سوأ حدث به نفسه اطلع الله عليه وأخبره به يوم تبلى السرائر وان هو لم يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به فان عمل به تجاوز الله عنه كما قال أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال قال ابن عباس ان الله يقول يوم القيامة ان كتابى لم يكتبوا من أعمالكم الا ما ظهر منها فاما ما أسررتم فى أنفسكم فانا أحاسبكم به اليوم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا على بن عاصم قال أخبرنا بيان عن بشر عن قيس بن أبى حازم قال اذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل يسمع الخلائق انما كان كتابى يكتبون عليكم ما ظهر منكم فاما ما أسررتم فلم يكونوا يكتبونه ولا يعلمونه أنا الله أعلم بذلك كله منكم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله كان ابن عباس يقول اذا دعى الناس للحساب

أخبرهم

عوض كالبيع أو اقرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك فان لم يكن عن عوض كالاتلاف وضمان أو صداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر رأس المال خير لكم ولحصول الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه أو تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده أو تعلمون ان ما يأمركم به ربكم أصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلابد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربا كانوا أصحاب شرف وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلاجرم وقع ختم أحكام الربا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال واتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصى وفعل الاوامر فى الدنيا فهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تأهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله أى الى ما اعد لكم من ثواب أو عقاب أو الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له أحوال ثلاث على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا ولا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى فضاء وهنالك يرى للابوين ولغيرهما تصرف فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفى الحقيقة الا لله تعالى فكانه عاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت أى جزاء ذلك أو المكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل لما يحصله بتجارته والمراد ان كل مكلف

أخبرهم الله بما كانوا يسرون فى أنفسهم مما لم يعملوه فيقول انه كان لا يعزب عنى شئ وانى مخبركم عما كنتم تسرون من السوء ولم تكن حفظتكم عليكم مطلعين عليه فهذه المحاسبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس نحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال هى محكمة لم ينسخها شئ يقول يحاسبكم به الله يقول يعرفه الله يوم القيامة انك أخفيت فى صدرك كذا وكذا لا يؤاخذه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال هى محكمة لم تنسخ حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال من الشك واليقين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول فى اليقين والشك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة وان تبدوا ما فى أنفسكم من شئ من الاعمال فتظهروه بأبدانكم وجوارحكم أو تخفوه فتسروه فى أنفسكم فلم يطلع عليه أحد من خلقى أحاسبكم به فاغفر كل ذلك لاهل الايمان وأعذب أهل الشرك والنفاق فى دينى وأما على الرواية التى رواها عنه الضحاك من رواية عبيد بن سليمان عنه وعلى ما قاله الربيع بن أنس فان تأويلها ان تظهروا ما فى أنفسكم فتعملوه من المعاصى أو تضمروا ارادته فى أنفسكم فتخفوه يعلمكم به الله يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وأما قول مجاهد فشبيه معناه بمعنى قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة * وقال آخرون ممن قال هذه الآية محكمة وهى غير منسوخة ووافقوا الذين قالوا معنى ذلك ان الله عز وجل أعلم عباده ما هو فاعل بهم فيما أبدوا وأخفوا من أعمالهم معناها ان الله محاسب جميع خلقه بما أبدوا من سئ أعمالهم وجميع ما أسروه ومعاقبهم عليه غير ان عقوبته اياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه ما يحدث لهم فى الدنيا من المصائب والامور التى يحزنون عليها ويألمون منها ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال كانت عائشة رضى الله عنها تقول من هم بسيئة فلم يعملها أرسل الله عليه من الهم والحزن مثل الذى هم به من السيئة فلم يعملها فكانت كفارته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال كانت عائشة تقول كل عبد يهم بمعصية أو يحدث بها نفسه حاسبه الله بها فى الدنيا يخاف ويحزن ويهتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن عبيد عن الضحاك قال قالت عائشة فى ذلك كل عبد هم بسوء ومعصية وحدث نفسه به حاسبه الله فى الدنيا يخاف ويحزن ويشتد همه لا يناله من ذلك شئ كما هم بالسوء ولم يعمل منه شيأ حدثنا الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أمية انها سألت عائشة عن هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ومن يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة هذه متابعة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها فى كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها فى طينه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وأولى الاقوال التى ذكرناها بتأويل الآية قول من قال انها محكمة وليست بمنسوخة وذلك ان النسخ لا يكون فى حكم الا تبعه بآخر له ناف من كل وجوهه

فلا يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل أن يقول كيف يليق بأكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذى أوقع نفسه فى تلك الورطة لان الله تعالى مكنه وأزاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه وأمهل هذا على اصول المعتزلة وأما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف فى ملكه كيف شاء وأراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل وقال ضعها على رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وثمانين يوما وقيل احدى وعشرين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات والله تعالى أعلم بحقيقة الحال التأويل أخبر عن حرص أهل الدنيا وهم أكلة الربا بعد ذكر قناعة أهل العقبى فمثل آكل الربا كمثل من له جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله عليه السلام ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضر فانها أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن أخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع وفى الحديث مثلان أحدهما للمفرط بحيث يفضى به الى الهلاك فى الدنيا والعقبى فى جمع الدنيا وأشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم وذلك ان الربيع ينبت أحرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك أو تقارب الهلاك والمثل الآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك

وليس فى قوله جل وعز لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت نفى الحكم الذى أعلم عباده بقوله أو تخفوه يحاسبكم به الله لان المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه وقد أخبر الله عز وجل عن المجرمين أنهم حين تعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فأخبر ان كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها فلم تكن الكتب وان أحصت صغائر الذنوب وكبائرها بموجب احصاؤها على أهل الايمان بالله ورسوله وأهل الطاعة ان يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين لان الله عز وجل وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر فقال فى تنزيله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما فدل أن محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسب به من الامور التى أخفتها أنفسهم غير موجبة لهم منه عقوبة بل محاسبته اياهم ان شاء الله عليها ليعرفهم تفضله عليهم بعفوه لهم عنها كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى حدثنى به أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبى عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يدنى الله عبده المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بسيئاته يقول هل تعرف فيقول نعم فيقول سترتها فى الدنيا واغفرها اليوم ثم يظهر له حسناته فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه أو كما قال وأما الكافر فانه ينادى به على رؤس الاشهاد حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وسعيد وهشام وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا هشام قالا جميعا فى حديثهما عن قتادة عن صفوان بن محرز قال بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله ابن عمر وهو يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف كذا فيقول رب اغفر مرتين حتى اذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ان الله يفعل بعبده المؤمن من تعريفه اياه سيئات أعماله حتى يعرفه تفضله عليه بعفوه له عنها فكذلك فعله تعالى ذكره فى محاسبته اياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك ثم يغفر له كل ذلك بعد تعريفه تفضله وتكرمه عليه فيستره عليه وذلك هو المغفرة التى وعد الله عباده المؤمنين فقال يغفر لمن يشاء فان قال قائل فان قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينبئ عن ان جميع الخلق غير مؤاخذين الا بما كسبته أنفسهم من ذنب ولا مثابين الا بما كسبته من خير قيل ان ذلك كذلك وغير مؤاخذ العبد بشئ من ذلك الا بفعل ما نهى عن فعله أو ترك ما أمر بفعله فان قال فاذ كان ذلك كذلك فما معنى وعيد الله عز وجل ايانا على ما أخفته أنفسنا بقوله و يعذب من يشاء ان كان لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا من همّ بذنب أو ارادة لمعصية لم تكتسبه جوارحنا قيل له ان الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين ان يعفو لهم عما هو أعظم مما هم به أحدهم من المعاصى فلم يفعله وهو ما ذكرنا من وعده اياهم العفو عن صغائر ذنوبهم اذا هم اجتنبوا كبائرها وانما الوعيد من الله عز وجل بقوله و يعذب من يشاء على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفى الشك فى الله والمرية فى وحدانيته أو فى نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله أو فى المعاد والبعث من المنافقين على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد ومن قال بمثل قولهما ان تأويل قوله أو تخفوه يحاسبكم به الله على الشك واليقين غير انا نقول ان المتوعد بقوله و يعذب من يشاء هو من كان اخفاء نفسه ما تخفيه الشك والمرية فى الله وفيما يكون الشك فيه

ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التى ينبتها الربيع بتوالى امطاره ولكنها من كلا الصيف التى ترعاها المواشى بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدى حقه وان كان له حرص فى الطلب والجمع ولكن لما كان (٩٢) بامر الشرع وطريق الحل ما أضر به وأحل الله البيع وحرم الربا يعنى كيف يكون ما أزال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمته ارتكاب النهى مرتكب الربا فى ظلمات ثلاث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية وأمره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وأنواره أثيم عامل بالطبع مقيم فى ظلمة اصراره ثم أخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلاة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا بانوار ايتاء الزكاة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوات أنوار الشريعة ثم أخبر عن أهل الايمان المجازى فقال يا أيها الذين آمنوا باللسان اتقوا الله أى بالله كما جاء كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقى اتقاؤه بالله فى ترك الزيادات كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقى من الربا اتركوا ما سوى الله فى طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا بالله فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة معكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله ببعدكم منهما وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس أموالكم وهى الكرامة التى فضلكم بها على كثير من خلقه وهى المحبة يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتى فى غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون

يوضع محبتكم فى غير موضعها أو ان كان ذو عسرة لم يصل اليهما أعد لاجله عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه آجلا وأن تصدقوا
تبذلوا فيناما تمنون من صنوف برنا فى الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن
يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ثم انه (٩٣) سبحانه كما جمع فى القرآن خلاصة

الكتب السماوية جمع فى خاتمة الوحى خلاصة آى القرآن فقال واتقوا يوما الآية وذلك ان فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين النجاة من الدركات السفلى وهى سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهى ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعى الانسانى من هذه المعانى لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصى بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى الخاص تخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب أوصافهم الى درجة تجلى صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى

فينتفعون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى
لاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس بداية أنوار القدس وهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام أو أدنى ترجعون فيه الى الله
لان مبدأ وجودك النفخة وآخر حالك الجذبة وبه اصطفى آدم وكرم بنيه ولهذا لم يقل ولقد كرمنا أولاد آدم لان أهل الكرامة منهم من هو

بالله كفروا والموعود الغفران بقوله فيغفر لمن يشاء وهو الذى اخفى وما يخفيه الهمة بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الامور التى كان جائزا ابتداء تحليله واباحته فحرمه على خلقه جل ثناؤه أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله مما كان جائزا ابتداء اباحة تركه فاوجب فعله على خلقه فان الذى هم بذلك من المؤمنين اذا هو لم يصحح همه بما يهم به و يحقق ما أخفته نفسه من ذلك بالتقدم عليه لم يكن ماخوذا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فهذا الذى وصفناه هو الذى يحاسب الله به مؤمنى عباده ثم لا يعاقبهم عليه فاما من كان ما أخفته نفسه شكا فى الله وارتيابا فى نبوة أنبيائه فذلك هو الهالك المخلد فى النار الذى أوعده جل ثناؤه العذاب الاليم بقوله و يعذب من يشاء فتاويل الآية اذا وان تبدوا ما فى أنفسكم أيها الناس فتظهروه أو تخفوه فتنطوى عليه نفوسكم يحاسبكم به الله فيعرف مؤمنيكم تفضله بعفوه عنه ومغفرته له فيغفره له و يعذب منافقيكم على الشك الذى انطوت عليه نفسه فى وحدانية خالقه ونبوة أنبيائه ۞ القول فى تاويل قوله (والله على كل شئ قدير) يعنى بذلك جل ثناؤه والله عز وجل على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه على الشك فى توحيد الله عز وجل ونبوة أنبيائه ومجازاة كل واحد منهما على ما كان منه وعلى غير ذلك من الامور قادر القول فى تاويل قوله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه و رسله) يعنى بذلك جل ثناؤه صدق الرسول يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقر بما أنزل اليه يعنى بما أوحى اليه من ربه من الكتاب وما فيه من حلال وحرام و وعد و وعيد وأمر ونهى وغير ذلك من سائر ما فيه من المعانى التى حواها وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عليه قال يحق له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال و يحق له ان يؤمن وقد قيل انها نزلت بعد قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله على كل شئ قدير لان المؤمنين برسول الله من أصحابه شق عليهم ما توعدهم الله به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت بنو اسرائيل فقالوا بل نقول سمعنا وأطعنا فانزل الله لذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه و رسله يقول وصدق المؤمنون أيضا مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه و رسله الآيتين وقد ذكرنا قائلى ذلك قبل واختلف القراء فى قراءة قوله وكتبه فقرأ ذلك عامة قراء المدينة و بعض قراء أهل العراق وكتبه على وجه جمع الكتاب على معنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و جميع كتبه التى أنزلها على أنبيائه ورسله وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة وكتابه بمعنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و بالقرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد روى عن ابن عباس انه كان يقرأ ذلك وكتابه و يقول الكتاب أكثر من الكتب وكان ابن عباس يوجه تاويل ذلك الى نحو قوله والعصر ان الانسان لفى خسر بمعنى جنس الناس وجنس الكتاب كما يقال ما أكثر درهم فلان وديناره و يراد به جنس الدراهم والدنانير وذلك وان كان مذهبا من المذاهب معروفا فان الذى هو أعجب الى من القراءة فى ذلك ان يقرأ بلفظ الجمع لان الذى قبله جمع والذى بعده كذلك أعنى بذلك وملائكته وكتبه و رسله فالحاق الكتب فى الجمع لفظا به أعجب الى من توحيده واخراجه فى اللفظ به بلفظ الواحد ليكون لاحقا فى اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده و بمعناه ۞ القول فى تاويل قوله جل

بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد ووعيد بشارة للاولياء وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من المولى وبحسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة وضيقه ولا تظلم الشمس عليه مثقال ذرة فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ان ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) القراآت الا أن يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون

ثناؤه (لانفرق بين أحد من رسله) وأما قوله لانفرق بين أحد من رسله فانه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك ففي الكلام في قراءة من قرأ لانفرق بين أحد من رسله بالنون متروك قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه وذلك المتروك هو يقولون وتأويل الكلام والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون لانفرق بين أحد من رسله وترك ذكر يقولون لدلالة الكلام عليه كما ترك ذكره في قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم بمعنى يقولون سلام وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين لا يفرق بين أحد من رسله بالياء بمعنى والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته ورسله لا يفرق الكل منهم بين أحد من رسله فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ولكنهم يصدقون بجميعهم ويقرون أن ما جاؤا به كان من عند الله وانهم دعوا الى الله والى طاعته ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين أقروا بموسى وكذبوا عيسى والنصارى الذين أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ومن أشبههم من الامم الذين كذبوا بعض رسل الله وأقروا ببعضهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لانفرق بين أحد من رسله كما صنع القوم يعني بني اسرائيل قالوا فلان نبي وفلان ليس نبيا وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به والقراءة التي لا نستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون لانفرق بين أحد من رسله لانها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه التشاعر والتواطؤ والسهو والغلط بمعنى ما وصفنا من يقولون لانفرق بين أحد من رسله ولا يعترض بشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلا ورواية ۞ القول في تأويل قوله (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) يعني بذلك جل ثناؤه وقال الكل من المؤمنين سمعنا قول ربنا وأمره ايانا بما أمرنا به ونهيه عما نهانا عنه وأطعنا يعني أطعنا ربنا فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له وقوله غفرانك ربنا يعني وقالوا غفرانك ربنا بمعنى اغفر لنا ربنا غفرانك كما يقال سبحانك بمعنى نسبحك سبحانك وقد بينا فيما مضى أن الغفران والمغفرة الستر من الله على ذنوب من غفر له وصفحه له عن هتك ستره بها في الدنيا والآخرة وعفوه عن العقوبة عليه وأما قوله واليك المصير فانه يعني جل ثناؤه وانهم قالوا واليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا فان قال لنا قائل فما الذي نصب قوله غفرانك قيل له وقوعه وهو مصدر موقع الامر وكذلك تفعل العرب بالمصادر والاسماء اذا حلت محل الامر وأدت عن معنى الامر نصبتها فيقولون شكرا لله يا فلان وحمدا له بمعنى أشكر الله وأحمده والصلاة الصلاة بمعنى صلوا ويقولون في الاسماء الله الله يا قوم ولو رفع بمعنى هو الله أو هذا الله ووجه الى الخبر وفيه تأويل الامر كان جائزا كما قال الشاعر

ان قوما منهم عمير وأشبا * ه عمير ومنهم السفاح
لجديرون بالوفاء اذا قا * ل أخو النجدة السلاح السلاح

ولو كان قوله غفرانك ربنا جاء رفعا في القراءة لم يكن خطأ بل كان صوابا على ما وصفنا وقد ذكر ان هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء من الله عليه وعلى أمته قال له جبريل صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء فسل ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن حكيم بن جابر قال لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قال جبريل ان الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة ۞ القول في تأويل قوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني بذلك جل ثناؤه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيتعبدها الا بما يسعها فلا يضيق عليها ولا يجهدها وقد بينا فيما مضى قبل

بالضم على الأصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وجبلة فتذكر بالرفع من الاذكار أبو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار و بالنصب أبو عمرو وسهل و يعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء (٩٥) والهاء ابن كثير وأبو عمرو و الباقون فرهان * الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقتين فليكتب ج شياط بالعدل ط من رجالكم ج للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول أجله ط ألا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقتين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم ه مقبوضة ط لابتداء شرط واستئناف معنى آخر به ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم ه * التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمال رأفته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية وأطنب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربا أباح السلف وأنزل فيه أطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل بها الا بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيأ بثمن مؤجل و بيع الدين بالعين وهو المسمى

ان الوسع اسم من قول القائل وسعني هذا الامر مثل الجهد والوجد من جهدني هذا الامر ووجدت منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال هم المؤمنون وسع الله عليهم أمر دينهم فقال الله جل ثناؤه وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال اتقوا الله ما استطعتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت ضج المؤمنون منها ضجة وقالوا يا رسول الله هذا نتوب من عمل اليد والرجل واللسان كيف نتوب من الوسوسة كيف نمتنع منها فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها انكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لا يكلف الله نفسا الا وسعها وسعها طاقتها وكان حديث النفس مما لا يطيقون ۞ القول في تأويل قوله (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) يعني بقوله جل ثناؤه لها للنفس التي أخبر انه لا يكلفها الا وسعها يقول لكل نفس ما اجترحت وعملت من خير وعليها يعني وعلى كل نفس ما اكتسبت ما عملت من شر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت أي من خير وعليها ما اكتسبت أي من شر أو قال من سوء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لها ما كسبت يقول ما عملت من خير وعليها ما اكتسبت يقول وعليها ما عملت من شر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الله بن عباس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت عمل اليد والرجل واللسان فتأويل الآية اذا لا يكلف الله نفسا الا ما يسعها فلا يجهدها ولا يضيق عليها في أمر دينها فيؤاخذها بهمة ان همت ولا بوسوسة ان عرضت لها ولا بخطرة ان خطرت بقلبها ۞ القول في تأويل قوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وهذا تعليم من الله عز وجل عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه وما يقولون في دعائهم اياه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا شيأ فرضت علينا عمله فلم نعمله أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصد منا الى معصيتك ولكن على جهالة منا به وخطأ كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ان نسينا شيأ مما افترضته علينا أو أخطأنا شيأ مما حرمته علينا حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل تجاوز لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال زعم السدي ان هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال له جبريل صلى الله عليه وسلم فقل ذلك يا محمد ان قال لنا قائل وهل يجوز أن يؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطؤا فيسألوه ان لا يؤاخذهم بذلك قيل ان النسيان على وجهين أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما أمر بحفظه و وكل به وضعف عقله عن احتماله فاما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط فهو ترك منه لما أمر بفعله فذلك الذي يرغب العبد الى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فاخرجه من الجنة فقال في ذلك ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فرغبة العبد الى الله عز وجل بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا

مالم يكن تركه ماترك من ذلك تفريطا منه فيه وتضييعا كفرا بالله عز وجل فان ذلك اذا كان كفرا بالله فان الرغبة الى الله فى تركه المؤاخذة به غير جائزة لان الله عز وجل قد أخبر عباده انه لا يغفر لهم الشرك به فمسئلته فعل ماقد أعلمهم به انه لا يفعله خطا وانما يكون مسئلته المغفرة فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته و بمثل نسيانه صلاة أو صياما باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما وأما الذى العبد به غير مؤاخذ لعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ماوكل بمراعاته فان ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذى لا وجه لمسئلة العبد ربه أن يغفره له لانه مسئلة منه له أن يغفر له ماليس له بذنب وذلك مثل الامر يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجد منه فيقرأه ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ولكن بعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ذكر ماأودع قلبه منه وما أشبه ذلك من النسيان فان ذلك مما لا يجوز مسئلة الرب مغفرته لانه لاذنب للعبد فيه فيغفر له باكتسابه وكذلك للخطا وجهان أحدهما من وجه مانهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وارادة فذلك خطا منه وهو به ماخوذ يقال منه خطئ فلان وأخطا فيما أتى من الفعل واثم اذا أتى ما يتاثم فيه وركبه ومنه قول الشاعر

الناس يلحون الامير اذا هم * خطؤا الصواب ولا يلام المرشد

يعنى أخطؤا الصواب وهذا الذى يرغب العبد الى ربه فى صفح ما كان منه من اثم عنه الا ما كان من ذلك كفرا والآخر منهما ما كان منه على وجه الجهل به والظن منه بان له فعله كالذى يأكل فى شهر رمضان ليلا وهو يحسب ان الفجر لم يطلع أو يؤخر صلاة فى يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره اياها دخول وقتها فيخرج وقتها وهو يرى ان وقتها لم يدخل فان ذلك من الخطا الموضوع عن العبد الذى وضع الله عز وجل عن عباده الاثم فيه فلا وجه لمسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه به وقد زعم قوم ان مسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه بما نسى أو أخطا انما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى أو لما ندبه اليه من التذلل له والخضوع بالمسئلة فاما على وجه مسئلته الصفح فلا وجه له عندهم وللبيان عن هؤلاء كتاب سيأتى فيه ان شاء الله على ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه

﴿ القول فى تاويل قوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) ويعنى بذلك جل ثناؤه قولوا ربنا لا تحمل علينا اصرا يعنى بالاصر العهد كما قال جل ثناؤه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى وانما عنى بقوله ولا تحمل علينا اصرا ولا تحمل علينا عهدا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه كما حملته على الذين من قبلنا يعنى على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالا وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة فعلم الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الرغبة اليه بمسئلته ان لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال ان ضيعوها أو أخطؤا فيها أو نسوها مثل الذى حمل من قبلهم فيحل بهم بخطئهم فيه وتضييعهم اياه مثل الذى أحل بمن قبلهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تحمل علينا اصرا قال لا تحمل علينا عهدا وميثاقا كما حملته على الذين من قبلنا يقول كما غلظ على من قبلنا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن قيس الحضرمى عن مجاهد فى قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اصرا قال عهدا **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله اصرا يقول عهدا **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا والاصر العهد الذى كان على

بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية وأما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة فى قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة أو التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه أو ليشمل أى دين كان صغيرا أو كبيرا سلما أو غيره وفى الكشاف فائدة رجوع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا فى العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة فى قوله ذلكم أقسط عند الله فان العلة قائمة فى الكل فيكون الحكم حاصلا فى الكل أو نقول العلة هى التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فتكون القضية كلية كما فى قوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا والاجل مدة الشئ ومنه أجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان نعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد أو الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى أمر فى المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كلا المتداينين أوثق وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف فى مقدار الدين وفى انقضاء الاجل وفى سائر ما تشارطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعى وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان فى ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وهذا مذهب الحسن والشعبى والحكم بن عيينة أما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود أميين كثيرين فى الدنيا بل من له استهال

من قبلنا من اليهود * حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا لا نطيقه ولا نستطيع القيام به كما حملته على الذين من قبلنا اليهود والنصارى فلم يقوموا به فاهلكتهم * حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك اصرا قال المواثيق * حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع الاصر العهد وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي * حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي * وقال آخرون معنى ذلك ولا تحمل علينا ذنوبا وانما كما جاءت ذلك على من قبلنا من الامم فتمسخنا قردة وخنازير كما مسختهم * ذكر من قال ذلك * حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح في قوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا تمسخنا قردة وخنازير * حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا لا تحمل علينا ذنبا ليس فيه توبة ولا كفارة * وقال آخرون معنى الاصر بكسر الالف الثقل * ذكر من قال ذلك * حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يقول التشديد الذي شددته على من قبلنا من أهل الكتاب * حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعني مالكا عن قوله ولا تحمل علينا اصرا قال الاصر الامر الغليظ فأما الأصر بفتح الالف فهو ما عطف الرجل على غيره من رحم أو قرابة يقال أصرتني رحمي بيني وبين فلان عليه بمعنى عطفتني عليه وما يأصرني عليه أي ما يعطفني عليه وبيني وبينه أصر رحم يأصرني عليه اصرا يعني به عاطفة رحم تعطفني عليه

❁ القول في تأويل قوله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعني بذلك جل ثناؤه وقولوا أيضا ربنا لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه * ذكر من قال ذلك * حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به تشديد يشدده به كما شدده على من كان قبلكم * حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا تحملنا من الاعمال ما لا نطيق * حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لا تفترض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به فنعجز عنه * حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به مسخ القردة والخنازير * حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ثنا أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي قال ثنا محمد بن شعيب بن سابور عن سالم بن سابور في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة * حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من التغليظ والاغلال التي كانت عليهم من التحريم وانما قلنا ان تأويل ذلك ولا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام على نحو الذي قلنا في ذلك لانه عقيب مسئلة المؤمنين ربهم أن لا يؤاخذهم ان نسوا أو أخطؤا وان لا يحمل عليهم اصرا كما حمله على الذين من قبلهم فكان الحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسئلتهم التيسير في الدين أولى مما خالف ذلك المعنى

❁ القول في تأويل قوله (واعف عنا واغفر لنا) وفي هذا أيضا من قول الله عز وجل خبرا عن المؤمنين من مسئلتهم اياه ذلك الدلالة الواضحة انهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لانهم عقبوا ذلك بقولهم واعف عنا مسئلة منهم ربهم أن يعفو لهم عن تقصير ان كان منهم في بعض ما أمرهم به من فرائضه فيصفح لهم عنه ولا يعاقبهم عليه وان خف ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل

الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك أيضا على الاطلاق ولكنه يجب أن يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص أحدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة أمر للمتداينين بتخيير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها أديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل أن يكون ما يكتبه متفقا بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب أن يكتب وقوله كما علمه الله اما أن يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب أن يكتب مثل ما علمه الله تعالى فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تأكيدا للاول أي فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها أو بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني أمرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تأكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك أو انه قيل على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتابة عليه وان وجد أشخاصا فالواجب كتابة أحدهم وقيل متعلق الايجاب هو أن يكتب كما علمه الله يعني انه بتقدير أن يكتب فالواجب أن يكتب كما علمه الله وأن لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم أن الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا تتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته وأجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء

ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واعف عنا قال اعف عنا ان قصرنا عن شيء من أمرك مما أمرتنا به وكذلك قوله واغفر لنا يعني واستر علينا زلة ان أتيناها فيما بيننا وبينك فلا تكشفها ولا تفضحنا باظهارها وقد دللنا على معنى المغفرة فيما مضى قبل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد واغفر لنا ان انتهكنا شيئا مما نهيتنا عنه ﴿ القول في تأويل قوله (وارحمنا) يعني بذلك جل ثناؤه تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك أحد الا برحمتك اياه دون عمله وليست أعمالنا منجيتنا ان أنت لم ترحمنا فوفقنا لما يرضيك عنا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وارحمنا قال يقول لا ننال العمل بما أمرتنا به ولا نترك ما نهيتنا عنه الا برحمتك قال ولم ينج أحد الا برحمتك ﴿ القول في تأويل قوله (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) يعني بقوله جل ثناؤه أنت مولانا أنت ولينا بنصرك دون من عاداك وكفر بك لانا مؤمنون بك ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا فانت ولي من أطاعك وعدو من كفر بك فعصاك فانصرنا لانا حزبك على القوم الكافرين الذين جحدوا وحدانيتك وعبدوا الالهة والانداد دونك وأطاعوا في معصيتك الشيطان والمولى في هذا الموضع المفعل من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية وهو وليه ومولاه وانما صارت الياء من ولي ألفا لانفتاح اللام قبلها التي هي عين الاسم وقد ذكر ان الله عز وجل لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم استجاب الله له في ذلك كله ذكر الاخبار التي جاءت بذلك حدثني المثنى بن ابراهيم ومحمد بن خلف قالا ثنا آدم قال ثنا ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله غفرانك ربنا قال الله عز وجل قد غفرت لكم فلما قرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال الله عز وجل لا أحملكم فلما قرأ واغفر لنا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لكم فلما قرأ وارحمنا قال الله عز وجل قد رحمتكم فلما قرأ وانصرنا على القوم الكافرين قال الله عز وجل قد نصرتكم عليهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقالها فقال جبريل قد فعل وقال له جبريل قل ربنا لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقالها فقال جبريل قد فعل فقال قل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقالها فقال جبريل صلى الله عليه وسلم قد فعل فقال قل واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقالها فقال جبريل قد فعل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال زعم السدي ان هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقال له جبريل فقل ذلك يا محمد ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقال له جبريل في كل ذلك فعل لك يا محمد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا سفيان قال ثنا أبي عن سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال فقال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة قال أنزل الله عز وجل ربنا

لغتان قال الفراء أمللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني أسد وأمليت لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة وأصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ أمر ان لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيأ والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي أمره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها أو صبيا أو وكيل ان كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل بالمنفصل في قوله أن يمل هو أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع أن الضمير في وليه عائد الى الذي أي الذي له الدين ليمل قيل وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فأي حاجة الى الكتابة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا أي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته أن يشهد شهيدين أي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم أي من رجال أهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من أهل العدالة فان لم يكونا لا أي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان أي فليكن أو فليشهد أو فالشاهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل أحد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا اشرائط قبول الشهادة

لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو حميد عن سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال ويقول قد فعلت فاعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقرة ولم تعطها الامم قبلها **حدثنا** على بن حرب الموصلي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى قوله لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا أحمل عليكم الى قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا الى آخر السورة قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وروى عن الضحاك بن مزاحم ان اجابة الله للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا كان جبريل عليه السلام يقول له سلها فسألها نبي الله ربه جل ثناؤه فاعطاه اياه فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة **حدثني** المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن ابن اسحق ان معاذا كان اذا فرغ من هذه السورة وانصرنا على القوم الكافرين قال آمين

(تفسير سورة آل عمران)

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رضي الله عنه ۞ القول في تأويل قوله (الم الله لا اله الا هو) قال أبو جعفر قد أتينا على البيان عن معنى قوله الم فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك البيان عن قوله الله وأما معنى قوله لا اله الا هو فانه خبر من الله جل وعز أخبر عباده ان الالوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والانداد وان العبادة لا تصلح ولا تجوز الا له لانفراده بالربوبية وتوحده بالالوهية وان كل ما دونه فملكه وان كل ما سواه فخلقه لا شريك له في سلطانه وملكه احتجاجا منه تعالى ذكره عليهم بان ذلك اذ كان كذلك فغير جائزة لهم عبادة غيره ولا اشراك احد معه في سلطانه اذ كان كل معبود سواه فملكه وكل معظم غيره فخلقه وعلى المملوك افراد الطاعة لمالكه وصرف خدمته الى مولاه ورازقه ومعرف من كان من خلقه يوم انزل ذلك الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتنزيله ذلك اليه وارساله به اليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه مقيما على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو انسي أو ملك أو غير ذلك من الاشياء التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته والاهته ومتخذته دون مالكه وخالقه الها ورب انه مقيم على ضلالة ومعدل عن المحجة وراكب غير السبيل المستقيمة بصرفه العبادة الى غيره ولا أحد له الالوهية غيره وقد ذكر ان هذه السورة ابتدأ الله بتنزيله فاتحتها بالذي ابتدأ به من نفي الالوهية أن يكون لغيره ووصفه نفسه بالذي وصفها به في ابتدائها احتجاجا منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران فحاجوه في عيسى صلوات الله عليه وألحدوا في الله فانزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفا وثلاثين آية من أولها احتجاجا عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأبوا الا المقام على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم الى المباهلة فأبوا ذلك وسألوا قبول الجزية منهم فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم وانصرفوا الى بلادهم غير ان الامر وان كان كذلك واياهم قصد بالحجاج فان من كان معناه من سائر الخلق معناهم في الكفر بالله واتخاذ

أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لايجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن على عليه السلام لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على أن العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فيعلم منه أن العبد لا يجوز أن يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين وأحمد تجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند أبي حنيفة تجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل أن تضل أن لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها لغلبة البرد والرطوبة على أمزجتهن أو احدى النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احداهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له أي ارادة أن تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قوله أعددت الخشبة أن يميل الحائط فادعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير أن ههنا غرضين أحدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين * والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين أن اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين مقصودا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروى عن سفيان بن عيينة أنه قال فتذكر احداهما معناه فتجعل احداهما للاخرى ذكرا يعني انهما اذا

اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم أن الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد أو فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى أربع من اثنين الا في الزنا لقوله تعالى ثم لم يأتوا بأربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري أنه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنا اما عقوبة أو غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص والقذف وأما غير العقوبات فما ليس بمالي ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين أيضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فتقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري أنه قال مضت السنة أن يجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك بأقل من أربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الأولى وأما ما هو مال عليه أو يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين ونص القرآن منزل على هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد

ما سوى الله ربا والها معبودا محجوجون بالحجة التي حج الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه ومحجوجون في الفرقان الذي فرق به لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم * ذكر الرواية عمن ذكرنا قوله في نزول افتتاح هذه السورة أنه نزل في الذين وصفنا صفتهم من النصارى حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم في الأربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد وهو صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم قال ابن اسحق قال محمد بن جعفر بن الزبير قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في بلحرث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق قال وكانت تسمية الأربعة عشر منهم الذين يؤول اليهم أمرهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأوس والحرث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس في ستين راكبا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والايهم السيد وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله باذن الله ليجعله آية للناس ويحتجون في قولهم انه ولد أنهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ويحتجون في قولهم انه ثالث ثلاثة بقول الله عز وجل فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن وذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه قولهم فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قال انكما لم تسلما فأسلما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله عز وجل ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها الله لا اله الا هو الحي القيوم فافتتح السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا وتوحيده اياها بالخلق والأمر لا شريك له فيه وردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الانداد واحتجاجا عليهم بقولهم في صاحبهم ليعرفهم بذلك ضلالتهم فقال الله لا اله الا هو أي ليس معه شريك في أمره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال ان النصارى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه في عيسى بن مريم وقالوا له من أبوه وقالوا على الله الكذب والبهتان لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي

عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال أفلستم تعلمون ان الله عز وجل لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم قال فعرفوا ثم أبوا الا جحودا فانزل الله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحى القيوم ۞ القول فى تأويل قوله (الحى القيوم) اختلفت القراء فى ذلك فقرأته قراء الامصار الحى القيوم وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما الحى القيام وذكر عن علقمة بن قيس انه كان يقرأ الحى القيم حدثنا بذلك أبو كريب قال ثنا عثام ابن على قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر قال سمعت علقمة يقرأ الحى القيم قلت أنت سمعته قال لا أدرى حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن علقمة مثله وقد روى عن علقمة خلاف ذلك وهو ما حدثنا أبو هشام قال ثنا عبد الله قال ثنا شيبان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن علقمة انه قرأ الحى القيام والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا فى ذلك ما جاءت به قراءة المسلمين نقلا مستفيضا عن غير تواطؤ ووراثة وما كان مثبتا فى مصاحفهم وذلك قراءة من قرأ الحى القيوم ۞ القول فى تأويل قوله (الحى) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله الحى فقال بعضهم معنى ذلك من الله تعالى ذكره انه وصف نفسه بالبقاء ونفى الموت الذى يجوز على من سواه من خلقه عنها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير الحى الذى لا يموت وقد مات عيسى وصلب فى قولهم يعنى فى قول الاحبار الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى أهل نجران حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحى قال يقول حى لا يموت * وقال آخرون معنى الحى الذى عناه الله عز وجل فى هذه الآية ووصف به نفسه انه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء لا يمتنع عليه شئ أراده وانه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والانداد وقال آخرون معنى ذلك ان له الحياة الدائمة التى لم تزل له صفة ولا تزال كذلك وقالوا انما وصف نفسه بالحياة لان له حياة كما وصفها بالعلم لان لها علما وبالقدرة لان لها قدرة ومعنى ذلك عندى انه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناء لها ولا انقطاع ونفى عنها ما هو حال بكل ذى حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجىء أجله فاخبر عباده انه المستوجب على خلقه العبادة والالوهة والحى الذى لا يموت ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربا ويبيد كل من ادعى من دونه الها واحتج على خلقه بان من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى فلا يكون الها يستوجب ان يعبد دون الاله الذى لا يبيد ولا يموت وان الاله هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيد ولا يفنى وذلك الله الذى لا اله الا هو ۞ القول فى تأويل قوله (القيوم) قد ذكرنا اختلاف القراءة فى ذلك والذى نختار منه وما العلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك وأما تأويل جميع الوجوه التى ذكرنا ان القراء قرأت بها فمتقارب ومعنى ذلك كله القيم بحفظ كل شئ ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى بن ميمون قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه الحى القيوم قال القائم على كل شئ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

أى الى أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما أمر الكاتب أن لا يأبى الكتابة أمر الشاهد أن لا يأبى تحمل الشهادة وقيل أمر بالتحمل اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل أولا والاداء ثانيا والقول الاول أصح لانه أطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل فى الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وأيضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وأيضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء أولى ليفيد فائدة جديدة وهى أن الشاهد ان كان متعينا وجب عليه أداء الشهادة وان كان ثم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا أن تكتبوه أى الدين أو الحق لتقدم ذكرهما على أى حال كان الحق صغيرا أو كبيرا مما جرت العادة بكتبته لا كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما أفضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وأيضا من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغيرا أو كبيرا كتابا فربما مل كثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه وايهامه ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلو بكتابته الى أجله الى وقته الذى اتفقا على تسميته ذلكم الكتب أو ذلكم الذى أمرتكم به من الكتب والاشهاد أقسط أعدل عند الله وأقوم للشهادة أعون على اقامة الشهادة وهما امامن أقسط وأقام فيكون نحو ولا على قولهم أفلس من ابن المذلق وامامن قويم وقاسط بمعنى ذو قسط على طريقة النسب والا فالقاسط الجائر ولا يصح ذلك المعنى ههنا يقال قسط اذا جار

مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم قيم كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه وقال آخرون معنى ذلك القيام على مكانه ووجهوه الى القيام الدائم الذى لازوال معه ولا انتقال وان الله عز وجل انما نفى عن نفسه بوصفها بذلك التغير والتنقل من مكان الى مكان وحدوث التبدل الذى يحدث فى الآدميين وسائر خلقه غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير القيوم القيام على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول وقد زال عيسى فى قولهم يعنى فى قول الاحبار الذين حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم من أهل نجران فى عيسى عن مكانه الذى كان به وذهب عنه الى غيره وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهد والربيع وان ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه بانه القائم بامر كل شئ فى رزقه والدافع عنه وكالئه وتدبيره وصرفه فى قدرته من قول العرب فلان قائم بامر هذه البلدة يعنى بذلك المتولى تدبير أمرها فالقيوم اذ كان ذلك معناه الفيعول من قول القائل الله قيوم بامر خلقه وأصله القيووم غير ان الواو الاولى من القيوم لما سبقتها ياء ساكنة وهى متحركة قلبت ياء فجعلت هى والياء التى قبلها ياء مشددة لان العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة اذا تقدمتها ياء ساكنة وأما القيام فان أصله القيوام وهو الفيعال من قام يقوم سبقت الواو المتحركة من قيوام ياء ساكنة فجعلتا جميعا ياء مشددة ولو ان القيوم فعول كان القووم ولكنه الفيعول وكذلك القيام لو كان الفعال لكان القوام كما قيل الصوام القوام وكما قال جل ثناؤه كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولكنه الفيعال فقيل القيام وأما القيم فهو الفيعل من قام يقوم سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة فجعلتا ياء مشددة كما قيل فلان سيد قومه من ساد يسود وهذا طعام جيد من جاد يجود وما أشبه ذلك وانما جاء ذلك بهذه الالفاظ لانه قصد به قصد المبالغة فى المدح فكان القيوم والقيام والقيم أبلغ فى المدح من القائم وانما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ان شاء الله القيام لان ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز فى ذوات الثلاثة من الياء والواو فيقولون للرجل الصواغ الصياغ ويقولون للرجل الكثير الدوران الديار وقد قيل ان قول الله جل ثناؤه لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انما هو دوارا فعالا من دار يدور ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز وأقرت كذلك فى المصحف ۞ القول فى تاويل قوله (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) يقول جل ثناؤه يا محمد ان ربك ورب عيسى ورب كل شئ هو الرب الذى أنزل عليك الكتاب يعنى بالكتاب القرآن بالحق يعنى بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والانجيل وفيما خالفك فيه محاجوك من نصارى أهل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم مصدقا لما بين يديه يعنى بذلك القرآن انه مصدق لما كان قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده لان منزل جميع ذلك واحد فلا يكون فيه اختلاف ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه قال لما قبله من كتاب أو رسول حدثنى موسى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتاب أو رسول حدثنى محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير نزل عليك الكتاب بالحق أى بالصدق فيما اختلفوا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب التى قد خلت قبله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول مصدقا لما قبله من

وأقسط أى عدل وأدنى الاترتابوا أقرب من انتفاء الريب رتب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلاث فوائد * الاولى تتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين أقرب وعن الجهل أبعد فيكون أعدل عند الله * والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه أبلغ فى الاستقامة التى هى ضد الاعوجاج وأعون للحفظ والذكر * والثالثة أنه يرفع الضرر عن نفسه بان لا يضل فى أمره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع فى الغيبة والجهالة فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها فى الضبط والترتيب الا أن تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى أجل قريب وقد يكون الى أجل بعيد فاستثنى عن المداينة ما يكون أجله قريبا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله ولا تسأموا أن تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كانت التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف فى المال لطلب الربح فسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة أو الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كتبت الكتاب بنى أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا أى اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذى ارتفع شره وعلا وذو كواكب أى شديد يقال فى التهديد لارينك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا أن تكون المداينة تجارة حاضرة أى يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والاظهر أن تكون الكتابة المذكورة أولا واجبة وقد أثبتنا خلاف

كتاب ورسول ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) يعنى بذلك وأنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى من قبل يقول من قبل الكتاب الذى نزله عليك ويعنى بقوله هدى للناس بيانا للناس من الله فيما اختلفوا فيه من توحيد الله وتصديق رسله ومفيد يا محمد انك نبيي ورسولي وفى غير ذلك من شرائع دين الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس هما كتابان أنزلهما الله فيهما بيان من الله وعصمة لمن أخذ به وصدق به وعمل بما فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل التوراة والانجيل التوراة على موسى والانجيل على عيسى كما أنزل الكتب على من كان قبلهما ۞ القول فى تأويل قوله (وأنزل الفرقان) يعنى جل ثناؤه بذلك وأنزل الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الاحزاب وأهل الملل فى أمر عيسى وغيره وقد بينا فيما مضى ان الفرقان انما هو الفعلان من قولهم فرق الله بين الحق والباطل فصل بينهما بنصره بالحق على الباطل اما بالحجة البالغة واما بالقهر والغلبة بالايدى والقوة وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير ان بعضهم وجه تأويله الى انه فصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى وبعضهم الى انه فصل بين الحق والباطل فى أحكام الشرائع ذكر من قال معناه الفصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى والاحزاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل الفرقان أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره ذكر من قال معنى ذلك الفصل بين الحق والباطل فى الاحكام وشرائع الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل الفرقان هو القرآن أنزله على محمد وفرق به بين الحق والباطل فاحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه وحد فيه حدوده وفرض فيه فرائضه وبين فيه بيانه وأمر بطاعته ونهى عن معصيته حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأنزل الفرقان قال الفرقان القرآن فرق بين الحق والباطل والتأويل الذى ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير فى ذلك أولى بالصحة من التأويل الذى ذكرناه عن قتادة والربيع وأن يكون معنى الفرقان فى هذا الموضع فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين حاجوه فى أمر عيسى وفى غير ذلك من أموره بالحجة البالغة القاطعة عذرهم وعذر نظرائهم من أهل الكفر بالله وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لان اخبار الله عن تنزيله القرآن قبل اخباره عن تنزيله التوراة والانجيل فى هذه الآية قد مضى بقوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ولا شك ان ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره فلا وجه لتكريره مرة أخرى اذ لا فائدة فى تكريره ليست فى ذكره اياه وخبره عنه ابتداء ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته وان عيسى عبد له واتخذوا المسيح الها وربا وادعوه لله ولدا لهم عذاب من الله شديد يوم القيامة والذين كفروا هم الذين جحدوا آيات الله وآيات الله أعلام الله وأدلته وحججه وهذا القول من الله عز وجل ينبئ عن معنى قوله وأنزل الفرقان انه معنى به الفصل عن الذى هو حجة لاهل الحق على أهل الباطل لانه عقب ذلك بقوله ان الذين كفروا بآيات الله يعنى ان الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقان الذى أنزله فرقا بين الحق والمبطل لهم عذاب شديد وعيد من الله لمن عاند الحق بعد وضوحه له وخالف سبيل الهدى بعد قيام الحجة عليه ثم أخبرهم انه عزيز فى سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ولا يحول بينه وبينه حائل ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد وانه ذو انتقام ممن جحد حججه وأدلته بعد ثبوتها عليه وبعد وضوحها له ومعرفته بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال

ذلك وانما رخص تعالى فى هذا النوع من التجارة الكثيرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة أو الاشهاد فى كل خطة حرج عليهم من أن يخوف التجاحد فى مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع عنهم الكتابة فى التجارة الحاضرة كر والامر بالاشهاد ليعلم أن حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته ويحتمل أن يكون أمرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان التبايع أو كالئا لانه أحوط عن الحسن ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل فيكون أصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عمر وعليه أكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب أن يزيد أو ينقص والشاهدان أن يحرفا أو يتركا الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف فى الكتابة والشهادة فسق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد أن التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قرأ ابن عباس وانه نهي للمتداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار أو كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية أو ترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار أو ارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن أمر الله وطاعته ومعنى بكم أي ملتصق بكم واتقوا الله فى أوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم أنه سبحانه جعل البياعات فى هذا المقام على ثلاثة أقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع فى الثانى وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه فى غير

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أي ان الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ۞ القول في تأويل قوله (ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) يعني بذلك جل ثناؤه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء يقول فكيف يخفى علي يا محمد وأنا علام جميع الاشياء ما يضاهي به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى بن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه كما حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء أي قد علم ما تريدون وما تكيدون وما تضاهون بقولهم في عيسى اذ جعلوه ربا والها وعندهم من علمه غير ذلك غرة بالله وكفرا به ۞ القول في تأويل قوله (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) يعني بذلك جل ثناؤه الله الذي يصوركم فيجعلكم صورا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى وهذا أسود وهذا أحمر يعرف عباده بذلك ان جميع ما اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوره وخلقه كيف شاء وان عيسى بن مريم ممن صوره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحب وانه لو كان الها لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه لان خلاق ما في الارحام لا تكون الارحام عليه مشتملة وانما تشتمل على المخلوقين كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قد كان عيسى ممن صور في الارحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم فكيف يكون الها وقد كان بذلك المنزل حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء أي انه صور عيسى في الرحم كيف يشاء وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قال اذا وقعت النطفة في الارحام طارت في الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين يوما فاذا بلغ أن يخلقها بعث الله ملكا يصورها فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلطه في المضغة ثم يعجنه بها ثم يصورها كما يؤمر فيقول أذكر أو أنثى أشقي أو سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه فيقول الله ويكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قادر والله ربنا أن يصور عباده في الارحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى أو أسود أو أحمر تام خلقه وغير تام ۞ القول في تأويل قوله (لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه ان يكون له في ربوبيته ند ومثيل أو ان تجوز الالوهة لغيره وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ولجميع من ادعى مع الله معبودا أو أقر بربوبية غيره ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته وعيدا منه لمن عبد غيره أو أشرك في عبادته أحدا سواه فقال هو العزيز الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد ولا ينجيه منه وال ولا لجا وذلك لعزته الذي يذل لها كل مخلوق ويخضع لها كل موجود ثم أعلمهم انه الحكيم في تدبيره واعذاره الى خلقه ومتابعة حججه عليهم ليهلك من هلك منهم عن بينة ويحيى من حي عن بينة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة

سفرا ولكنه وردت الآية على الغالب فان الغالب انه لا يوجد الكاتب في السفر أو لا يوجد أدوات الكتابة ولهذا قال ابن عباس أرأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر أخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما اليوم وأصل الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة أي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف في سقف ورهان مثل كباش في كبش وقيل ان أحدهما جمع الآخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو فعليه رهن أو فالوثيقة أو الذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة أن الرهن لا بد في لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم وأما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن أو وكيله بينه وبين المرتهن أو وكيله وتمكنه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضع الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من النقد وأيضا بوزن أو كيل أو ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر باذنه أو وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان أمن بعضكم بعضا فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره

سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم قال يعني الرب عز وجل انزاها لنفسه وتوحيدا لها مما جعلوا معه لا اله الا هو العزيز الحكيم قال العزيز في نصرته ممن كفر به اذا شاء والحكيم في عذره وحجته الى عباده حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا اله الا هو العزيز الحكيم يقول عزيز في نقمته حكيم عن أمره ❁ القول في تأويل قوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) يعني بقوله جل ثناؤه هو الذي أنزل عليك الكتاب ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي أنزل عليك الكتاب يعني بالكتاب القرآن وقد أتينا على البيان فيما مضى عن السبب الذي من أجله سمي القرآن كتابا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله منه آيات محكمات فانه يعني من الكتاب آيات يعني بالآيات آيات القرآن وأما المحكمات فانهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام ووعد ووعيد وثواب وعقاب وأمر وزجر وخبر ومثل وعظة وعبر وما أشبه ذلك ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن هن أم الكتاب يعني بذلك انهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق اليه الحاجة من أمر دينهم وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم وانما سماهن أم الكتاب لانهن معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة اليه وكذلك تفعل العرب تسمي الجامع معظم الشيء أما له فتسمي راية القوم التي تجمعهم في العساكر أمهم والمدبر بعض معظم أمر القرية والبلدة أمها وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ووحد أم الكتاب ولم تجمع فيقول هن أمهات الكتاب وقد قال هن لانه أراد جميع الآيات المحكمات أم الكتاب لا ان كل آية منهن أم الكتاب ولو كان معنى ذلك ان كل آية منهن أم الكتاب لكان لا شك قد قيل هن أمهات الكتاب ونظير قول الله عز وجل هن أمهات الكتاب على التأويل الذي قلنا في توحيد الام وهي خبر لهن قوله تعالى ذكره وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين لان معناه وجعلنا جميعهما آية اذ كان المعنى واحدا فيما جعلنا فيه للخلق عبرة ولو كان مراده الخبر عن كل واحد منهما على انفراده بانه جعل للخلق عبرة لقيل وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين لانه قد كان في كل واحد منهما لهم عبرة وذلك ان مريم ولدت من غير رجل ونطق ابنها فتكلم في المهد صبيا فكان في كل واحد منهما للناس آية وقد قال بعض نحوي البصرة انما قيل هن أم الكتاب ولم يقل هن أمهات الكتاب على وجه الحكاية كما يقول الرجل مالي أنصار فتقول انا أنصارك أو مالي نظير فتقول نحن نظيرك قال وهو شبيه دعني من تمرتان وأنشد لرجل من فقعس

تعرضت لي بمكان حل * تعرض المهرة في الطول * تعرضا لم يأل عن قتل

كل[٧] أي يحكي به على الحكاية لانه كان منصوبا قبل ذلك كما يقول نودي الصلاة الصلاة يحكي قول القائل الصلاة الصلاة وقال بعضهم انما هي ان تقتلا لي ولكنه جعله عينا لان ان في لغته تجعل موضعها عن والنصب على الامر كانك قلت ضربا لزيد[٧] وهذا قول لا معنى له لان كل هذه الشواهد التي استشهدها لا شك انهن حكايات حالتهن بما حكى عن قول غيره وألفاظه التي نطق بهن وان معلوما ان الله جل ثناؤه لم يحك عن أحد قوله أم الكتاب فيجوز أن يقال اخرج ذلك مخرج الحكاية عمن قال ذلك كذلك وأما قوله وأخر فانها جمع آخر ثم اختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم يصرف أخر فقال بعضهم لم يصرف أخر من أجل انها نعت واحدتها أخرى كما لم تصرف جمع وكتع لانهن نعوت وقال آخرون انما لم تصرف الآخر لزيادة الياء التي في واحدتها وان جمعها مبني على واحدها في ترك الصرف قالوا وانما ترك صرف أخرى كما ترك

[٧] هكذا هذه العبارات بالاصل ولعل هنا سقطا لبعض الشواهد والكلام هنا عليه تأمل

فليؤد الذي اؤتمن أمانته فليكن المديون عند ظن الدائن به وسمي الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل أنه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية في وصف وجود الامانة اللغوية أطلق أحدهما على الآخر والائتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدور في خلده جحود واختيان وفي الآية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها أمانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتابة والاشهاد وأخذ الرهن والحق أن تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس أنه قال في آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه وجوه * الاول عن القفال أنه تعالى لما أباح ترك الكتابة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون أمينا ثم كان من الجائز أن يكون الظن خطأ وأن يخرج المديون جاحد الحق وكان من الممكن أن يكون بعض الناس مطلعا على أحوالهم ندب الله ذلك الانسان أن يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة أم لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد قبل أن يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة أن ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من أدائها عند الحاجة الى اقامتها فان في ذلك ابطال

حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد وقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والآثم مرتفع بان وقلبه فاعله ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والشخص بجملته آثم لا قلبه وحده هو أن أفعال الجوارح

صرف حمراو بيضا في النكرة والمعرفة لزيادة المدة فيها والهمزة بالواو ثم افترق جمع حمراء وأخرى فبنى جمع أخرى على واحدته فقيل فعل أخرفترك صرفها كما ترك صرف أخرى وبنى جمع حمراو بيضا على خلاف واحدته فصرف فقيل حمر وبيض فلاختلاف حالتيهما في الجمع اختلف اعرابهما عندهم في الصرف ولاتفاق حالتيهما في الواحدة اتفقت حالتاهما فيها وأما قوله متشابهات فان معناه متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى كما قال جل ثناؤه وأتوا به متشابها يعني في المنظر مختلفا في المطعم وكما قال مخبرا عمن أخبر عنه من بني اسرائيل انه قال ان البقر تشابه علينا يعنون بذلك تشابه علينا في الصفة وان اختلفت أنواعه فتأويل الكلام اذا ان الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي أنزل الكتاب عليك يا محمد القرآن منه آيات محكمات بالبيان عن أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين واليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الاسلام وآيات أخرهن متشابهات في التلاوة مختلفات في المعاني وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وما المحكم من آي الكتاب وما المتشابه منه فقال بعضهم المحكمات من آي القرآن المعمول بهن وهن الناسخات أو المثبتات الاحكام والمتشابهات من آيه المتروك العمل بهن المنسوخات ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن ابن عباس في قوله منه آيات محكمات قال هي الثلاث الآيات التي ههنا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى ثلاث آيات والتي في بني اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به قال وأخر متشابهات والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب الى وأخر متشابهات فالمحكمات التي هي أم الكتاب الناسخ الذي يدان به ويعمل به والمتشابهات من المنسوخات التي لا يدان بهن حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى قوله كل من عند ربنا أما الآيات المحكمات فهن الناسخات التي يعمل بهن وأما المتشابهات فهن المنسوخات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب والمحكمات الناسخ الذي يعمل به ما أحل الله فيه حلاله وحرم فيه حرامه وأما المتشابهات فالمنسوخ الذي لا يعمل به ويؤمن به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله آيات محكمات قال المحكم ما يعمل به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات قال المحكمات الناسخ الذي يعمل به والمتشابهات المنسوخ الذي لا يعمل به ويؤمن به حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخات وأخر متشابهات قال ما نسخ وترك يتلى حدثني ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال المحكم ما لم ينسخ وما يتشابه منه ما نسخ حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخ وأخر متشابهات قال

المنسوخ

تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن الاكتساب أبلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما أبصرته عيني وسمعته أذني وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين أن الفاعل والعارف المأمور والمنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تحذير للكاتم وتهديد له عن ابن عباس أكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (التأويل) انه تعالى كما أمر العباد أن يكتبوا كتب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وأشهد الملائكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما أمركم أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا أمر الملائكة أن يكتبوا معاملاتكم الصغيرة والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في أعناقكم وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال يا قوي الظلم ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل والكثير مما على يخاطب وبالنقير وبالقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل أن يحاسب فعليه أن يملي الحق للحق فان كان الذي عليه الحق للحق سفيها جاهلا باملاء الحق للحق لاشتغاله بالباطل أو ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه أو لا يستطيع أن يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في انشاء ما لا يحزنه ويسر فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا

المنسوخ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يحدث قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله منه آيات محكمات يعنى الناسخ الذى يعمل به وأخر متشابهات يعنى المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة عن الضحاك منه آيات محكمات قال مالم ينسخ وأخر متشابهات قال ماقد نسخ * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه والمتشابه منها ما أشبه بعضه بعضا فى المعانى وان اختلفت ألفاظه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله منه آيات محكمات مافيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك فهو متشابه يصرف بعضه بعضا وهو مثل قوله وما يضل به الا الفاسقين ومثل قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ومثل قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب مالم يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابه منها ما احتمل من التأويل أوجها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن جعفر ابن الزبير هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه وأخر متشابهة فى الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق * وقال آخرون معنى المحكم ما أحكم الله فيه من آى القرآن وقصص الامم ورسلهم الذين أرسلوا اليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته والمتشابه هو ما اشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور فقصة باتفاق الالفاظ واختلاف المعانى وقصة باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربع وعشرين آية منها وحديث نوح فى أربع وعشرين آية منها ثم قال تلك من أنباء الغيب ثم ذكر والى عاد فقرأ حتى بلغ واستغفروا ربكم ثم مضى ثم ذكر صالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وفرغ من ذلك وهذا يقين ذلك يقين أحكمت آياته ثم فصلت قال والمتشابه ذكر موسى فى أمكنة كثيرة وهو متشابه وهو كله معنى واحد ومتشابه أسلك فيها احمل فيها أسلك يدك أدخل يدك حية تسعى ثعبان مبين قال ثم ذكر هودا فى عشر آيات منها وصالحا فى ثمانى آيات منها وابراهيم فى ثمانى آيات أخرى ولوطا فى ثمانى آيات منها وشعيبا فى ثلاث عشرة آية وموسى فى أربع آيات كل هذا يقضى بين الانبياء وبين قومهم فى هذه السورة فانتهى ذلك الى مائة آية من سورة هود ثم قال ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وقال فى المتشابه من القرآن من يرد الله به البلاء والضلالة يقول ما شأن هذا لا يكون هكذا وما شأن هذا لا يكون هكذا وقال آخرون بل المحكم من آى القرآن ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره والمتشابه مالم يكن لاحد الى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم ووقت طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا وما أشبه ذلك فان ذلك لا يعلمه أحد وقالوا انما سمى الله من آى الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التى فى أوائل بعض سور القرآن من نحو الم والمص والمر والر وما أشبه ذلك لانهن متشابهات فى الالفاظ وموافقات حروف حساب الجمل وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعوا أن يدركوا من قبلها معرفة مدة الاسلام وأهله ويعلموا نهاية أجل محمد وأمته فأكذب الله أحدوثتهم بذلك وأعلمهم ان ما ابتغوا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف

يخرجهم من الاحزان الى السرور ومن الاشجان الى القصور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور والله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من أرباب القلوب اثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وأنتم نساء فان لم يكونا رجلين من أرباب القلوب فرجل منهم وامرأتان أى رجلان من أهل (١٠٧) الصلاح ليكونا بمثابة رجل من أهل الولاية فى فائدة الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح أن يكون من شهداء الله كما قال أنتم شهداء الله فى أرضه أن تضل احداهما عن جادة الاستقامة فى بادية النفس المملوءة من شياطين الهوى فتذكر احداهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان أهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف فى عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كان كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس فى سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وأما السائر فلا يقف فى محل ولا ينزل فى منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمى الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحى العشق والهمة فى فضاء الحقيقة وفى رجله حجلة الشريعة فالاشارة فى قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذى يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لى صاحب اليمين وقال لى امل على شيأ من معاملات قلبك لاكتبه فانى أريد أن أتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل ان لم يؤد حق

المتشابهة لايدركونه اولا من قبل غيرها وان ذلك لايعلمه الا الله وهذا قول ذكر عن جابر بن عبدالله بن رباب ان هذه الآية نزلت فيه وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته فى تاويل ذلك فى تفسير قوله الم ذلك الكتاب لاريب فيه وهذا القول الذى ذكرناه عن جابر بن عبدالله أشبه بتاويل الآية وذلك ان جميع ماأنزل الله عز وجل من آى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فانما أنزله عليه بيانا له ولامته وهدى للعالمين وغير جائز أن يكون فيه مالاحاجة بهم اليه ولا أن يكون فيه مابهم اليه الحاجة ثم لا يكون لهم الى علم تاويله سبيل فاذا كان ذلك كذلك فكل مافيه لخلقه اليه الحاجة وان كان فى بعضه مابهم عن بعض معانيه الغنى وان اضطرته الحاجة اليه فى معان كثيرة وذلك كقول الله عز وجل يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فاعلم النبى صلى الله عليه وسلم أمته ان تلك الآية أخبر الله جل ثناؤه عباده انها اذا جاءت لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك هى طلوع الشمس من مغربها فالذى كانت بالعباد اليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته بغير تحديده بعد بالسنين والشهور والايام فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب وأوضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مفسرا والذى لاحاجة لهم الى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التى بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية فان ذلك مما لاحاجة بهم الى علمه فى دين ولا دنيا وذلك هو العلم الذى استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه فحجبه عنهم وذلك وما أشبهه هو المعنى الذى طلبت اليهود معرفته فى مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من قبل قوله الم والمص والر والمر ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات التى أخبر الله جل ثناؤه انهم لايدركون تاويل ذلك من قبله وانه لايعلم تاويله الا الله فاذ كان المتشابه هو ماوصفنا فكل ماعداه فمحكم لانه لن يخلو من أن يكون محكما بانه بمعنى واحد لاتاويل له غير تاويل واحد وقد استغنى بسماعه عن بيان مبينه أو يكون محكما وان كان ذا وجوه وتاويلات وتصرف فى معان كثيرة فالدلالة على المعنى المراد منه اما من بيان الله تعالى ذكره عنه أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم لامته ولن يذهب علم ذلك عن علماء الامة لما قد بينا ۞ القول فى تاويل قوله (هن أم الكتاب) قد أتينا على البيان عن تاويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ماقلنا فيه ونحن ذاكر واختلاف أهل التاويل فيه وذلك انهم اختلفوا فى تاويله فقال بعضهم معنى قوله هن أم الكتاب هن الآى فيهن الفرائض والحدود والاحكام نحو قولنا الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر انه قال فى هذه الآية محكمات هن أم الكتاب قال يحيى هن اللاتى فيهن الفرائض والحدود وعماد الدين وضرب لذلك مثلا فقال أم القرى مكة وأم خراسان مرو وأم المسافرين الذين يجعلون اليهم أمرهم نقباؤهم فى سفرهم قال فذاك أمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هن أم الكتاب قال هن جماع الكتاب وقال آخرون بل معنى بذلك فواتح السور التى منها يستخرج القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن أبى فاختة انه قال فى هذه الآية فيه آيات محكمات هن أم الكتاب قال أم الكتاب فواتح السور منها يستخرج القرآن الم ذلك الكتاب منها استخرجت البقرة والم الله لااله الا هو منها استخرجت آل عمران ۞ القول فى تاويل قوله (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) يعنى بذلك جل ثناؤه فاما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه يقال منه زاغ فلان عن الحق فهو يزيغ عنه زيغا وزيغانا وزيغوغة وزيوغا وأزاغه الله اذا أماله فهو يزيغه ومنه قوله جل ثناؤه ربنا لاتزغ قلوبنا لاتملها عن الحق بعد اذ هديتنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل

صاحب الحق أو يكون هاربا منه فاما الذى آناء الليل واطراف النهار يغدو ويروح فى طلب غريمه ومايبرح فى حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذى هو موكل على الهارب يكون وكيلا وحفيظا للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وللسائر بن رهان مقبوضة عند الله رهان وأين رهان قلوب ليس فيها غير الله قبض وأى قبض مقبوضة بين أصبعين من أصابع الرحمن أما الطيار الذى هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد

شعر

مستهام ضاق مذهبه
فى هوى من عز مطلبه
كل أمر فى الهوى عجب
وخلاصى منه أعجبه

وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والآخرة أمين يؤتمن لتحمل اعباء أمانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها وأبى يحملها فلما حملها واستحسن منه ماتفرد به من أصحابه جاءت له من الحضرة ألقاب فنسب فى البداية الى الافساد وسفك الدماء أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وأغب فى النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا أمر عجيب ونقش غريب من لم يطع فى حمل الامانة وأبى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين مطاع ثم أمين ومن أطاع فى حمل الامانة وأبى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين أحدهما ان الذلة والمسكنة وقعت فى قسم العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت فى طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لايظهر الا فى مرآة ذلة العاشق * وثانيهما ان من له كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن فى الظاهر بصلاح كتمان أمر الامانة وقد يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته فى الظاهر وذلته فى الحقيقة يدل على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا لآدم وعتاب انى أعلم مالا تعلمون فان أمن بعضكم

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فاما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الهدى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فى قلوبهم زيغ قال شك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فاما الذين فى قلوبهم زيغ قال من أهل الشك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاما الذين فى قلوبهم زيغ أما الزيغ فالشك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال زيغ شك قال ابن جريج الذين فى قلوبهم زيغ المنافقون ۞ القول فى تأويل قوله (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى بقوله جل ثناؤه فيتبعون ما تشابه منه ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الاباطيل من التأويلات فى ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيسا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فيتبعون ما تشابه منه فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويلبسون فلبس الله عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فيتبعون ما تشابه منه أى ما تحرف منه وتصرف ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فيتبعون ما تشابه منه قال الباب الذى ضلوا منه وهلكوا فيه ابتغاء تأويله * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله فيتبعون ما تشابه منه يتبعون المنسوخ والناسخ فيقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا مجاز هذه الآية فتركت الاولى وعمل بهذه الاخرى هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجىء الاولى التى نسخت وما باله يعد العذاب من عمل عملا يعذبه النار وفى مكان آخر من عمله فانه لم يوجب النار واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى به الوفد من نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاجوه بما حاجوه وخاصموه بان قالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته وتأولوا فى ذلك ما يقولون فيه من الكفر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال عمدوا يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى نجران فخاصموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فانزل الله عز وجل فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ثم ان الله جل ثناؤه أنزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية * وقال آخرون بل أنزلت هذه الآية فى أبى ياسر بن أخطب وأخيه حيى بن أخطب والنفر الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدر مدة أجله وأجل أمته وأراد وا علم ذلك من قبل قوله الم والمص والمر والر فقال الله جل ثناؤه فيهم فاما الذين فى قلوبهم زيغ يعنى هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق فيتبعون ما تشابه منه يعنى معانى هذه الحروف المقطعة المحتملة التصريف فى الوجوه المختلفة التأويلات ابتغاء الفتنة وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل فى أول السورة التى تذكر فيها البقرة * وقال آخرون بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع فى دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتأويل يتأوله من بعض آى

بعضنا كما اخترتك من بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذى اؤتمن أمانته ولا تكتموا الشهادة أشهدتكم على أنفسكم يوم الميثاق باقرار قيل الامانة تحملتم بلى شهدنا فاليوم أطالبكم باداء حقها فادوها الى سلفوفة بلفاف التقوى الايمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة أن يكون شهودك مع غير شواهد ربك وهذا من نتائج خيانة قلبك فى أمانة ربك بربك فلا يشاهد قلبك الا شواهد ربك ولا يؤدى سرك حقيقة أمانة ربك الا الى ربك بربك لربك (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) القراآت فيغفر لمن يشاء بادغام الراء فى اللام أبو عمرو وحمله أهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير أبى عمرو والحلوانى عن قالون وابن مجاهد وأبو عون وأبو ربيعة عن البزى وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار أبو عمرو يدغم ويعذب من يشاء كل القرآن وكتابه حمزة وعلى وخلف الباقون وكتبه جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون أخطأنا مثل فادارأتم (الوقوف) وما فى الارض ط بالله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على الاستئناف أى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمؤمنون ه لمن لم يقف على من ربه المصير ه وسعها ط ما اكتسبت ط أو أخطأنا ج

من قبلنا ج لان النداء للابتداء لكن الواو لعطف السؤال على السؤال لنابه ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك لتفصيل بين أنواع المقاصد والاعتراف بان اطماعنا فير واحد الكافرين ٭ التفسير انه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وأشياء (١١٠) كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلاة والزكاة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والرباو المداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن أبي مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان من كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها وقيل لما أمر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال الشعبي وعكرمة ومجاهد انه لما أوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وأبي هريرة واللفظ له لما نزل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا ان الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك

القرآن المحتملة التأويلات وان كان الله قد أحكم بيان ذلك اما في كتابه واما على لسان رسوله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية فاما الذين في قلوبهم زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر لمن كان يعقل أو يبصر ان الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق وأزواجه يومئذ أحياء والله ان خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط ولا رضوا الذي هم عليه ولا مالؤهم فيه بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم ونعته الذي نعتهم به وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بالسنتهم وتشتد والله عليهم أيديهم اذا لقوهم ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالا فتفرق وكذلك الامر اذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا فقد ألاصوا هذا الامر منذ زمان طويل فهل افلحوا فيه يوما أو نجحوا يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم باولهم لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه فهم كما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أحدوثتهم واهراق دماءهم وان كتموا كان قرحا في قلوبهم وغما عليهم وان أظهروه اهراق الله دماءهم ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه والله ان اليهودية لبدعة وان النصرانية لبدعة وان الحرورية لبدعة وان السبائية لبدعة ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله طلب القوم التأويل فاخطؤا التاويل وأصابوا الفتنة فاتبعوا ما تشابه منه فهلكوا من ذلك لعمري لقد كان في أصحاب بدر والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوان وذكر نحو حديث عبد الرزاق عن معمر عنه حدثني محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب الى قوله وما يذكر الا أولوا الالباب فقال فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة انها قالت قرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب الى وما يذكر الا أولوا الالباب قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه أو قال يتجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم قال مطر عن أيوب انه قال فلا تجالسوهم فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو معناه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا الحرث عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات الآية كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه والذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله أولئك الذين قال الله فلا تجالسوهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن يزيد بن ابراهيم عن ابن أبي مليكة قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ الى آخر الآيات فقال اذا رأيتم

رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون ما تشابه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذركم الله فاذا رأيتموهم فاعرفوهم حدثنا على قال ثنا الوليد عن نافع عن عمر عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموهم فاحذروهم ثم نزع فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ولا يعملون بمحكمه حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال أخبرنا عمى قال أخبرنى شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن ابن أبى مليكة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم فقال فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى مليكة عن عائشة فى هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب الآية يتبعها يتلوها ثم يقول فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فاحذروهم فهم الذين عنى الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن ابن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى آخر الآية قال هم الذين سماهم الله فاذا رأيتموهم فاحذروهم قال أبو جعفر والذى يدل عليه ظاهر الآية انها نزلت فى الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل اليه من كتاب الله اما فى أمر عيسى واما فى مدة أجله وأجل أمته وهو بان تكون فى الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابهه فى مدته ومدة أمته أشبه لان قوله وما يعلم تاويله الا الله دال على ان ذلك اخبار عن المدة التى أراد واعلمها من قبل المتشابه الذى لا يعلمه الا الله فاما أمر عيسى وأسبابه فقد أعلم الله ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وبينه لهم فمعلوم انه لم يعن الا ما كان خفيا عن الآحاد ۞ القول فى تاويل قوله (ابتغاء الفتنة) اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ابتغاء الشرك ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى ابتغاء الفتنة قال ارادة الشرك حدثنى المثنى قال ثنا ابن أبى جعفر عن ابيه عن الربيع فى قوله ابتغاء الفتنة يعنى الشرك * وقال آخرون معنى ذلك ابتغاء الشبهات ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم عن عيسى عن ابن ابى نجيح عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات بها اهلكوا حدثنى المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن ابى نجيح عن مجاهد فى قوله ابتغاء الفتنة الشبهات قال هلكوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات قال والشبهات ما اهلكوا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ابتغاء الفتنة اى اللبس واولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه ارادة الشبهات واللبس فمعنى الكلام اذا فاما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق وحيف عنه فيتبعون من آى الكتاب ما تشابهت الفاظه واحتمل صرفه فى وجوه التاويلات باحتماله المعانى المختلفة ارادة اللبس على نفسه وعلى غيره احتجاجا به على باطله الذى مال اليه قلبه دون الحق الذى آتاه الله فاوضحه بالمحكمات من آى كتابه وهذه الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا انها نزلت فيه من اهل الشرك فانه معنى بها كل مبتدع فى دين الله بدعة فمال قلبه اليها تاويلا منه لبعض متشابه آى القرآن ثم حاج به وجادل به اهل الحق وعدل عن الواضح من ادلة آيه المحكمات ارادة منه بذلك اللبس على اهل الحق من المؤمنين وطلبا لعلم تاويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان واى اصناف البدعة كان من

المصير فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم أن العلماء اتفقوا على ان الامور التى تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجرى مجرى تكليف ما لا يطاق وأما الخواطر التى يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها فى الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من أفعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها فى الدنيا لما روى الضحاك عن عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه فى الدنيا أو حزن أو أذى فاذا جاءت الآخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب وروت انها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان فى القلب مما لا يدخل فى العمل فانه فى محل العفو لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه ان يدخل ذلك العمل فى الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه حسيبه ومحاسبا كونه عالما بما فى الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من أصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة بالتوبة وهو

تخصيص من غير دليل و يعذب من يشاء والله على كل شئ قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ومراضيه محترزا عن مساخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون فان كمال الربوبية فى الواجب يستلزم كمال العبودية فى الممكن وكمال العبودية فى الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة أو نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فبين فى آخرها ان الذين مدحتهم فى أول السورة هم أمة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا كما قال هنالك و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هنالك أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون أو نقول انه تعالى سبحانه لما ذكر فى هذه السورة أنواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول اذ شرف بالمعجزة دلت له على صدق الملك ان ذلك وحى من الله وصل اليه وان الذى أخبره ذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس بشيطان مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك المعجزات أظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق فى دعواه وهو المرتبة المتاخرة ومن تامل فى نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بسبب فصاحة ألفاظه ذكر و بلاغة معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ثم ههنا احتمالان أحدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون الضمير الذى

اهل النصرانية كان او اليهودية او المجوسية او كان سبابيا او حروريا او قدريا او جهميا كالذى قال صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم وكما حدثني يونس قال اخبرنا سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس وذكر عنده الخوارج وما يلقون عند القرآن فقال يؤمنون بمحكمه و يهلكون عند متشابهه وقرأ ابن عباس وما يعلم تاويله الا الله الآية وانما قلنا القول الذى ذكرنا انه أولى التاويلين بقوله ابتغاء الفتنة لان الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شرك وانما أرادوا بطلب تاويل ما طلبوا تاويله اللبس على المسلمين والاحتجاج به عليهم ليصدوهم عما هم عليه من الحق فلا معنى لان يقال فعلوا ذلك ارادة الشرك وهم قد كانوا مشركين ❁ القول فى تاويل قوله (وابتغاء تاويله) اختلف أهل التاويل فى معنى التاويل الذى عنى الله جل ثناؤه بقوله وابتغاء تاويله فقال بعضهم معنى ذلك الاجل الذى أرادت اليهود ان تعرفه من انقضاء مدة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته من قبل الحروف المقطعة من حساب الجمل كالم والمص والر والمر وما أشبه ذلك من الآجال ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أما قوله وما يعلم تاويله الا الله يعنى تاويله يوم القيامة الا الله * وقال آخرون بل معنى ذلك عواقب القرآن وقالوا انما أرادوا ان يعلموا متى يجىء ناسخ الاحكام التى كان الله جل ثناؤه شرعها لاهل الاسلام قبل مجيئه فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وابتغاء تاويله أرادوا ان يعلموا تاويل القرآن وهو عواقبه قال الله وما يعلم تاويله الا الله وتاويله عواقبه حتى ياتى الناسخ منه فينسخ المنسوخ * وقال آخرون معنى ذلك وابتغاء تاويل ما تشابه من آى القرآن يتاولونه اذ كان ذا وجوه وتصاريف فى التاويلات على ما فى قلوبهم من الزيغ وما ركبوه من الضلالة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وابتغاء تاويله وذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم خلقنا وقضينا والقول الذى قاله ابن عباس من ان ابتغاء التاويل الذى طلبه القوم من المتشابه هو معرفة انقضاء المدة ووقت قيام الساعة والذى ذكرنا عن السدى من انهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت هو جاء قبل مجيئه أولى بالصواب وان كان السدى قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه الى حصره على ان معناه ان القوم طلبوا معرفة وقت مجىء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك وانما قلنا ان طلب القوم معرفة الوقت الذى هو جاء قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آى القرآن أولى بتاويل قوله وابتغاء تاويله لما قد دللنا عليه قبل من أخبار الله جل ثناؤه ان ذلك التاويل لا يعلمه الا الله ولا شك ان معنى قوله وقضينا وفعلنا قد علم تاويله كثير من جهلة أهل الشرك فضلا عن اهل الايمان وأهل الرسوخ فى العلم منهم ❁ القول فى تاويل قوله (وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) يعنى جل ثناؤه بذلك وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أجل محمد وأمته وما هو كائن الا الله دون من سواه من البشر الذين أملوا ادراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة وأما الراسخون فى العلم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا لا يعلمون ذلك ولكن فضل علمهم فى ذلك على غيرهم العلم بان الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه واختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك وهل الراسخون معطوفون على اسم الله بمعنى ايجاب العلم لهم بتاويل المتشابه أو هم مستانف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم انهم يقولون آمنا بالمتشابه وصدقنا ان علم ذلك لا يعلمه الا الله فقال بعضهم معنى ذلك وما يعلم تاويل ذلك الا الله وحده منفردا بعلمه وأما الراسخون فى العلم فانهم ابتدئ الخبر عنهم بانهم يقولون آمنا بالمتشابه والمحكم وان جميع ذلك من عند الله

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبي مليكة عن عائشة قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به قالت كان من رسوخهم في العلم ان آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال كان ابن عباس يقول وما يعلم تأويله الا الله يقول الراسخون آمنا به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة كان أبي يقول في هذه الآية وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ولكنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله عن أبي نهيك الاسدي قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فيقول انكم تصلون هذه الآية وانها مقطوعة وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فانتهى علمهم الى قولهم الذي قالوا حدثنا المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول والراسخون في العلم انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا حدثني يونس قال أخبرنا أشهب عن مالك في قوله وما يعلم تأويله الا الله قال ثم ابتدأ فقال والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وليس يعلمون تأويله * وقال آخرون بل معنى ذلك وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس انه قال أنا ممن يعلم تأويله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لاحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودمغ به الكفر فمن قال القول الاول في ذلك قال ان الراسخون في العلم مرفوع بالابتداء في قول البصريين ويجعل خبره يقولون آمنا به وأما في قول بعض الكوفيين فبالعائد من ذكرهم في يقولون وفي قول بعضهم بجملة الخبر عنهم وهي يقولون ومن قال القول الثاني وزعم ان الراسخين يعلمون تأويله عطف بالراسخين على اسم الله فعرفهم بالعطف عليه والصواب عندنا في ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو يقولون لما قد بينا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية وهو فيما بلغني مع ذلك في قراءة أبي ويقول الراسخون في العلم كما ذكرناه عن ابن عباس انه كان يقرأه وفي قراءة عبد الله ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون وأما معنى التأويل في كلام العرب فانه التفسير والمرجع والمصير وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

على انها كانت تأول حبها * تأول ربعي السقاب فاصحبا

وأصله من آل الشيء الى كذا اذا صار اليه ورجع يؤل أولا وأولته انا صيرته اليه وقد قيل ان قوله وأحسن

التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول والمؤمنين أي كلهم آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز أن يفرد بمعنى كل واحد ويجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه صلى الله عليه وسلم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن فيحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من المعجزات على يد جبريل عليه السلام ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتدأ من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال اشعار بان الذي حدث هو ايمانه بالشرائع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان أما الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من أول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذي أنزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير ويعرفه فيمكنه أن يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو صلى الله عليه وسلم مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به واعلم ان الآية دلت على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان * المرتبة الاولى هي الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ والمرسل * والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى * والثالثة الكتب فانه الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي صلى الله عليه وسلم فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر وكما ان القمر يستفيد من الشمس

ويوصله الينا فكذا الملك يأخذ الوحى من الله تعالى و يلقيه على الانبياء فلاجرم وقع الرسل فى المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما تقتضيه حكمة عالم
التكليف والوسائط والافقام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم وهذا سر تطلع منه على أسرار
أخرى ان كنت من أهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده و بصفاته و بأفعاله و بأحكامه و بأسمائه أما الايمان
بوجوده فهو ان تعلم أن وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم لا يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم فى ذات الله تعالى وأما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم فى الصفات لا فى الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز وأما الايمان بصفاته فالصفات اما ثبوتية أو سلبية أو اضافية وقد عرفت فى تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى بها وما لا يصح وكذا فى تفسير آية الكرسى وأما الايمان بافعاله فان تعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التى تسمى اختيارية للحيوانات وذلك أن مشيئة الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر فى صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة فى تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وأما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوائد وان تعلم أن المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم أن له الالزام والحكم
فى الدنيا كيف شاء وأراد وأن تعلم انه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شىء وانه فى الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله و يعذب كل
من يشاء بعدله ولا يقبح منه شىء لان الكل ملكه وملكه وأما الايمان بأسمائه وهى الاسماء الواردة فى كتب الله المنزلة وفى كلمات أنبيائه المرسلة
وقد مر فى تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله وأما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة

تأويلا أى جزاء وذلك ان الجزاء هو الذى آل اليه أمر القوم وصار اليه و يعنى بقوله تأول حبها وتفسير حبها ومرجعه وانما يريد بذلك أن حبها كان صغيرا فى قلبه فآل من الصغر الى العظم فلم يزل ينبت حتى أصحب فصار قديما كالسقب الصغير الذى لم يزل يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه وقد ينشد هذا البيت

على انها كانت توابع حبها * توالى ربعى السقاب فاصحبا

۞ القول فى تأويل قوله (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) يعنى بالراسخين فى العلم العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووعوه فحفظوه حفظا لا يدخلهم فى معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس وأصل ذلك من رسوخ الشئ فى الشئ وهو ثبوته و ولوجه فيه يقال منه رسخ الايمان فى قلب فلان فهو يرسخ رسخا ورسوخا وقد روى فى نعتهم خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا موسى بن سهل الرملى قال ثنا محمد بن عبد الله قال ثنا فياض بن محمد الرقى قال ثنا عبد الله بن يزيد بن آدم عن أبى الدرداء وأبى امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخ فى العلم قال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ فى العلم حدثنى المثنى وأحمد بن الحسن الترمذى قالا ثنا نعيم بن حماد قال ثنا فياض الرقى قال ثنا عبد الله بن يزيد الاودى قال وكان أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنا أنس بن مالك وأبو امامة وأبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين فى العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك الراسخ فى العلم وقد قال جماعة من أهل التأويل انما سمى الله عز وجل هؤلاء القوم الراسخين فى العلم بقولهم آمنا به كل من عند ربنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الراسخون فى العلم الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى والراسخون فى العلم هم المؤمنون فانهم يقولون آمنا بناسخه ومنسوخه كل من عند ربنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قال عبد الله بن سلام الراسخون فى العلم وعلمهم قولهم قال ابن جريج الراسخون فى العلم يقولون آمنا به وهم الذين يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا و يقولون ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه الآية وأما تأويل قوله يقولون آمنا به فانه يعنى ان الراسخين فى العلم يقولون صدقنا بما تشابه من آى الكتاب وانه حق وان لم نعلم تأويله وقد حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة بن نبيط عن الضحاك والراسخون فى العلم يقولون آمنا به قال المحكم والمتشابه ۞ القول فى تأويل قوله (كل من عند ربنا) يعنى بقوله جل ثناؤه كل من عند ربنا كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا وهو تنزيله و وحيه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله كل من عند ربنا قال يعنى ما نسخ منه وما لم ينسخ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم قالوا كل من عند ربنا آمنوا بمتشابهه وعملوا بمحكمه حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كل من عند ربنا يقولون المحكم والمتشابه من عند ربنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا يؤمن بالمحكم و يدين به و يؤمن بالمتشابه ولا يدين به وهو من عند الله كله حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله والراسخون فى العلم يعملون به يقولون نعمل بالمحكم ونؤمن به ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به وكل من عند ربنا واختلف أهل العربية فى حكم

كل اذا أضمر فيها فقال بعض نحوى البصريين اذا جاز حذف المراد الذى كان معها الذى الكل اليه مضاف فى هـذا الموضع لانها اسم كما قال انا كل فيها بمعنى انا كلنا فيها قال ولا يكون كل مضمرا فيها وهى صفة لا يقال مررت بالقوم كل وانما يكون فيها مضمر اذا جعلتها اسما لو كان انا كلا فيها على الصفة لم يجز لان الاضمار فيها ضعيف لا يتمكن فى كل مكان وكان بعض نحوى الكوفيين يرى الاضمار فيها وهى صفة أو اسم سواء لانه غير جائز أن يحذف ما بعدها عنده الا وهى كافية بنفسها بما كانت تضاف اليه من المضمر وغير جائز أن تكون كافية منه فى حال ولا تكون كافية فى أخرى وقال سبيل الكل والبعض فى الدلالة على ما بعدهما بانفسهما وكفايتهما منه بمعنى واحد فى كل حال صفة كانت أو اسما وهذا القول الثانى أولى بالقياس لانها اذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها فى حال لدلالتها عليها فالحكم فيها انها كلما وجدت دالة على ما بعدها فهى كافية منه ۞ القول فى تأويل قوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) يعنى بذلك جل ثناؤه وما يتذكر و يتعظ و ينزجر عن أن يقول فى متشابه آى كتاب الله ما لا علم له به الا أولوا العقول والنهى وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما يذكر الا أولوا الالباب يقول وما يذكر فى مثل هذا يعنى فى رد تأويل المتشابه الى ما قد عرف من تأويل المحكم حتى يتسقا على معنى واحد الا أولوا الالباب ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الراسخين فى العلم يقولون آمنا بما تشابه من آى كتاب الله وانه والمحكم من آيه من تنزيل ربنا ووحيه و يقولون أيضا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا يعنى أنهم يقولون رغبة منهم الى ربهم فى أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آى القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذى لا يعلمه غير الله يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك لا تزغ قلوبنا لا تملها فتصرفها عن هداك بعد اذ هديتنا له فوفقتنا للايمان بمحكم كتابك ومتشابهه وهب لنا يا ربنا من لدنك رحمة يعنى من عندك رحمة يعنى بذلك هب لنا من عندك توفيقا وثباتا للذى نحن عليه من الاقرار بمحكم كتابك ومتشابهه انك أنت الوهاب يعنى انك أنت المعطى عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى لا تمل قلوبنا وان ملنا باحداثنا وهب لنا من لدنك رحمة وفى مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم اليه فى ان لا يزيغ قلوبهم وان يعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحق الذى هم عليه مقيمون ما أبان عن خطا قول الجهلة من القدرية ان ازاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته وامالته له عنها جور لان ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا بالذم أولى منهم بالمدح لان القول لو كان كما قالوا لكان القوم انما سألوا ربهم بمسألتهم اياه أن لا يزيغ قلوبهم أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم وذلك من السائل جهل لان الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ولا يجور عليهم وقد أعلم عباده ذلك ونفاه عن نفسه بقوله وما ربك بظلام للعبيد ولا وجه لمسئلته ان يكون بالصفة التى قد أخبرهم انه بها وفى فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح على ان عدلا من الله عز وجل ازاغة من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته فلذلك استحق المدح من رغب اليه فى أن لا يزيغه لتوجيه الرغبة الى أهلها ووضعه مسئلته موضعها مع تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته الى ربه فى ذلك مع محله منه وكرامته عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ثم قرأ ربنا لا تزغ

أو جسمانية محضة أو فى لبقعن العنصين و بتقدير توسطها جسمانية فلطيفة أو كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية أو هوائية فهنالك مقام العلماء الراسخين فى العلوم القرآنية والبرهانية و يدخل فى الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وأن لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته وانهم وسائط بين الله و بين البشر و بهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من أقسام هـذا العالم وأما الايمان بالكتب فان تعلم ان كلها وحى من عند الله وليس لاحد من المخلوقات أن يلقى فيها شيأ من ضلالاتهم ولا سيما فى القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شئ فعله عثمان فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب فى باب الاعتقاد وفى أمر التبليغ وفى الفتيا وفى الاخلاق والافعال كما مر فى قصة آدم وان تعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل ممن ليس بنبى خلافا لبعض الصوفية وأن بعض الانبياء أفضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وأما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء أفضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية أفضل منهم وانهم أفضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك فى قصة آدم أيضا وان تعلم أن شرعهم وان صار منسوخا الآن نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الآن أنبياء ورسل كما كانوا وناقش بعض المتكلمين فى ذلك فهذه اشارة الى أصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما أن يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بجموع الكتب والرسل واما أن يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال

قلوبنا بعد اذ هديتنا الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر ابن حوشب عن أسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت قلت يارسول الله وان القلب ليقلب قال نعم ما خلق الله من بشر من بني آدم الا وقلبه بين أصبعين من أصابعه فان شاء أقامه وان شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب قالت قلت يارسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي قال بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن حدثني محمد بن منصور الطوسي قال ثنا محمد بن عبد الله الزبيري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال له بعض أهله يخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به قال ان القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن تبارك وتعالى يقول بهما هكذا وحرك أبو أحمد أصبعيه قال أبو جعفر وان أبا الطوسي وسق بين أصبعيه حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن أبي سفيان عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلنا يارسول الله قد آمنا بك وصدقنا بما جئت به فيخاف علينا قال نعم ان القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها تبارك وتعالى حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا بشر بن بكر وحدثني علي بن سهل قال ثنا أيوب بن بشر جميعا عن ابن جابر قال سمعت ابن عبد الله قال سمعت أبا ادريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة حدثني عمر بن عبد الملك الطائي قال ثنا محمد بن عبيدة قال ثنا الجراح بن مليح البهراني عن الزبيدي عن جويبر عن سمرة بن فاتك الاسدي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموازين بيد الله يرفع أقواما ويضع أقواما وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أزاغه وان شاء أقامه حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال أخبرني أبو هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرف كيف يشاء ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول اللهم ثبت قلبي على دينك قالت قلت يارسول الله وان القلوب لتقلب قال نعم ما من خلق الله من بني آدم بشر الا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله ان شاء أقامه وان شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب ۞ القول في تأويل قوله (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد) يعني بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضا مع قولهم آمنا بما تشابه من آي كتاب ربنا كل المحكم والمتشابه الذي فيه من عند ربنا يا ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب

من اثم في جميع الصيام قال العلماء قراءة الجمع أولى لمشاكلتها ما قبلها وما بعده وقيل قراءة الافراد أولى لان استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب أكثر من الكتب ومن قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار أي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء فعلى ان الفعل لكل فلا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر أو حال وأحد في معنى الجمع أي بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على أيديهم حسب دعاويهم والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم أن قوله آمن الرسول الى قوله بين أحد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة أو نقول ان للانسان أياما ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدأ واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو فيه معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر فيه كمال القدرة وأما علم الوسط وهو علم ما يجب أن يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب

فيه ان الله لا يخلف الميعاد وهذا من الكلام الذى استغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره وذلك ان معنى الكلام ربنا انك جامع الناس ليوم القيامة فاغفر لنا يومئذ واعف عنا فانك لا تخلف وعدك ان من آمن بك واتبع رسولك وعمل بالذى أمرته به فى كتابك انك غافره يومئذ وانما هذا من لقوم مسألة ربهم ان يثبتهم على ماهم عليه من حسن نصرتهم بالايمان بالله ورسوله وما جاءهم به من تنزيله حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وايمانهم فانه اذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة لانه قد وعد من فعل ذلك به من عباده انه يدخله الجنة فالآية وان كانت قد خرجت مخرج الخبر فان تأويلها من القوم مسئلة ودعاء ورغبة الى ربهم وأما معنى قوله ليوم لا ريب فيه فانه لا شك فيه وقد بينا ذلك بالادلة على صحته فيما مضى قبل ومعنى قوله ليوم فى يوم وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل القضاء بينهم فى موقف العرض والحساب والميعاد المفعال من الوعد ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين كفروا ان تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار) يعنى جل ثناؤه بقوله ان الذين كفروا ان الذين جحدوا الحق الذى قد عرفوه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل ومنافقيهم ومنافقى العرب وكفارهم الذين فى قلوبهم زيغ فهم يتبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعنى بذلك ان أموالهم وأولادهم لن تنجيهم من عقوبة الله ان أحلها بهم عاجلا فى الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تبينهم واتباعهم المتشابه طلب اللبس فيدفعها عنهم ولا يغنى ذلك عنهم منها شيأ وهم فى الآخرة وقود النار يعنى بذلك حطبها ۞ القول فى تأويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ عند حلول عقوبتنا بهم كسنة آل فرعون وعادتهم والذين من قبلهم من الامم الذين كذبوا بآياتنا فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا فلن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ حين جاءهم بأسنا كالذين عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربهم من قبل آل فرعون من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله كدأب آل فرعون فقال بعضهم معناه كسنتهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله كدأب آل فرعون يقول كسنتهم وقال بعضهم معناه كعملهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان وحدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قالا ثنا سفيان جميعا عن جويبر عن الضحاك كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كدأب آل فرعون قال كأعمالهم كتكذيبهم حين كذبوا الرسل وقرأ قول الله مثل دأب قوم نوح ان يصيبهم مثل الذى أصابهم عليه من عذاب الله قال الدأب العمل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد فى قوله كدأب آل فرعون قال كفعل آل فرعون كشأن آل فرعون حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله كدأب آل فرعون قال كصنع آل فرعون * وقال آخرون معنى ذلك كتكذيب آل فرعون ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم فى الجحود

وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه وأما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون أى ليوم سيصل اليك فيه نتائج أعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد كقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار انما يكون بجذبة من ضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار أو نقول والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدى أى سمعنا قوله وأطعنا أمره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا أولى لفيدانه ليس فى الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا أمر تجب اطاعته الا أمره والسماع ههنا بمعنى القبول أى سمعناه بآذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال وأطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم فى هذه التكاليف فهم ما أخلوا بشئ منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بأبواب التكاليف علما وعملا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله أى اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه أى لن تعدموا جزاءه وفى الكشاف أى نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسئلك غفرانك فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال وللاستغناء به عن فعله نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو أن القوم لما قبلوا التكاليف وعملوا به فأى حاجتهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا أن يكون فرط منهم تقصير فيما يأتون ويذرون أو لعلهم كانوا يرتقون فى درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وقد حمل قوله صلى الله عليه وسلم وانى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة على مثل هذا

ولان جميع الطاعات فى جنب مواجب حقوق الإلهية [illegible] والقصور ولهذا حكى عن اهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم أى أنت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أى كل الحمد له وان كنا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين أحدهما بالاضافة اليه والثانى بقوله ربنا أما القيد الاول فمعناه أطلب المغفرة منك وأنت الكامل فى هذه الصفة والمطموع من الكامل فى صفة أن يعطى عطية كاملة وما ذاك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات أو تكون الاضافة اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزأ منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فبها يتراحمون ويتعاطفون وأخر تسعة وتسعين جزأ ليوم القيامة أو لعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر أثرها فى محل معين فلولا الوجود بعد العدم لما ظهرت آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الانيق لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك ورأفتك وأنا أطلب الغفران الذى لا يمكن ظهوره الا فى حقى وفى حق أمثالى من المذنبين وأما القيد الثانى فمعناه ربيتنى اذ أوجدتنى مع انك لو لم تربنى فى ذلك الوقت لم أتضرر به لانى كنت أبقى فى العدم والآن لو لم تربنى أتضرر به فاسئلك أن لا تهملنى أو ربيتنى حين لم أذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك أن لا تربينى وقد أفنيت عمرى فى توحيدك أو ربيتنى فى الماضى فاجعل تربيتك لى فى الماضى قد شفيعا اليك فى ان تربينى فى المستقبل أو ربيتنى فيما مضى فاتمم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه والى لك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع أحد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه

والتكذيب وأصل الدأب من دأبت فى الامر دأبا اذا أدمنت العمل والتعب فيه ثم ان العرب نقلت معناه الى الشان والامر والعادة كما قال امرؤ القيس بن حجر

وان شفاى عبرة مهراقة فهل * عند رسم دارس من معول

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

يعنى بقوله كدأبك كشانك وأمرك وفعلك يقال منه هذا دأبى ودأبك أبدا يعنى به فعلى وفعلك وأمرى وأمرك وشأنى وشأنك يقال منه دأبت دؤوبا ودأبا وحكى عن العرب سماعا دأبت دأبا مثقلة محركة الهمزة كما قيل هذا شعر ونهر فحرك ثانيه لانه حرف من الحروف الستة فالحق الدأب اذ كان ثانيه من الحروف الستة كما قال الشاعر

له نعل لا يطأ الكلب ريحها * وان وضعت بين المجالس شمت

وأما قوله والله شديد العقاب فانه يعنى به والله شديد عقابه لمن كفر به وكذب رسله بعد قيام الحجة عليه ۞ القول فى تاويل قوله (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) اختلفت القراء فى ذلك فقرأه بعضهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون بالتاء على وجه الخطاب للذين كفروا بانهم سيغلبون واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله قد كان لكم آية فى فئتين قالوا ففى ذلك دليل على ان قوله ستغلبون كذلك خطاب لهم وذلك هو قراءة عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين وقد يجوز لمن كانت بينه فى هذه الآية ان الموعودين بان يغلبوا هم الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بان يقول ذلك لهم ان يقرأه بالياء والتاء لان الخطاب بالوحى حين نزل لغيرهم فيكون نظير قول القائل فى الكلام قلت للقوم انكم مغلوبون وقلت لهم انهم مغلوبون وقد ذكر ان فى قراءة عبد الله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ان تنتهوا يغفر لكم وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة سيغلبون ويحشرون على معنى قل لليهود سيغلب مشركو العرب ويحشرون الى جهنم ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز فى قراءته غير الياء والذى نختار من القراءة فى ذلك قراءة من قرأه بالتاء بمعنى قل يا محمد للذين كفروا من يهود بنى اسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آى الكتاب الذى أنزلته اليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك على قراءته بالياء لدلالة قوله قد كان لكم آية فى فئتين على انهم بقوله ستغلبون مخاطبون خطابهم بقوله قد كان لكم فكان الحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب وأخرى ان أبا كريب حدثنا قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال يا معشر يهود اسلموا قبل ان يصيبكم مثل ما أصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تأت مثلنا فانزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الى قوله لاولى الابصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما أصاب الله قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة ثم ذكر نحو حديث أبى كريب عن يونس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان من أمر بنى قينقاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم

قدعرفتم انى نبي مرسل تجـدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد انك ترى انا كقومك لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهـم بالحرب فاصبت فيهم فرصـة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمـد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهـنم وبئس المهاد الى أولى الابصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسـين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله قل للـذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قال فنحاص اليهودى فى يوم بدر لا يغرن محمدا ان غلب قريشا وقتلهـم ان قريشا لا تحسن القتال فنزلت هـذه الآية قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قال أبو جعفر فكل هذه الاخبار تنبئ عن ان المخاطبـين بقوله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد هم اليهود المقول لهم قد كان لكم آية فى فئتين الآية وتدل على ان قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء ومعنى قوله وتحشرون وتجمعون فتجلبون الى جهـنم وأما قوله وبئس المهاد وبئس الفراش جهنم التى تحشرون اليها وكان مجاهد يقول كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله وبئس المهاد قال بئسما مهدوا لانفسهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة) يعنى بذلك جـل ثناؤه قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهرانى بلدك قد كان لكم آية يعنى عـلامة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون وغيره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد كان لكم آية عـبرة وتفكر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيـه عن الربيع مثـله الا انه قال ومتفكر فى فئتين يعنى فى فرقتين وحزبين والفئة الجماعة من الناس التقتا للحرب واحدى الفئتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر والاخرى مشركو قريش فئة تقاتل فى سبيل الله جماعة تقاتل فى طاعة الله وعلى دينه وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة وهم مشركو قريش كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبي محمـد مولى زيد ابن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وأخرى كافرة فئة قريش الكفار حدثنا ابن حميـد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قـد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة قريش يوم بدر حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله قد كان لكم آية فى فئتين قال فى محمد وأصحابه ومشركى قريش يوم بدر حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله قد كان لكم آية فى فئتين قال فى محمـد وأصحابه ومشركى قريش يوم بدر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله قال ذلك يوم بدر التقى المسلمون والكفار ورفعت فئة تقاتل فى سبيل الله وقد قيل ذلك فى فئتين بمعنى احداهما تقاتل فى سبيل الله على الابتداء كما قال الشاعر

لا يكلف الله نفسا الا وسعها قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه النظم انهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وانه لا يكلفنا الا ما فى وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستأنفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل فى الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم أن المعتزلة عولوا فى نفى تكليف ما لا يطاق على هذه الآية ثم استنبطوا منها أصلين الاول أن العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها الضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثانى ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المأمور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق أما الاشاعرة فقالوا تكليف من مات على الكفر كأبى لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب أن العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذى هو محل النزاع لكن الاشعرى لما كانت حجته قوية عنـده خصص الآية بانها انما وردت فى التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من أهل النار على انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل أن يقال لما حكاه عنهم فى معرض المدح وجب أن يكونوا صادقين فيـه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال الواحدى ان الكسب والاكتساب واحـد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب

فكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكما قال ابن مقرع

فكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان
فاما التى صحت فازد شنوءة * وأما التى شلت فازد عمان

وكذلك تفعل العرب فى كل مكرر على نظير له قد تقدمه اذا كان مع المكرر خبر ترده على اعراب الاول مرة وتستأنفه ثانية بالرفع وتنصبه فى التام من الفعل والناقص وقد جر ذلك كله فخفض على الرد على أول الكلام كأنه يعنى فكنت كذى رجلين كذى رجل صحيحة ورجل سقيمة وكذلك الخفض فى قوله فئة جائز على الرد على قوله فى فئتين التقتا فى فئة تقاتل فى سبيل الله وهذا وان كان جائزا فى العربية فلا أستجيز القراءة به لاجماع الحجة من القراء على خلافه ولو كان قوله فئة جاء نصبا كان جائزا أيضا على قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا مختلفتين ﴿ القول فى تأويل قوله (يرونهم مثليهم رأى العين) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة ترونهم بالتاء بمعنى قد كان لكم أيها اليهود آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله والاخرى كافرة ترون المشركين مثلى المسلمين رأى العين يريد بذلك عظتهم يقول ان لكم عبرة أيها اليهود فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وظفر هؤلاء مع قلة عددهم بهؤلاء مع كثرة عددهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين يرونهم مثليهم بالياء بمعنى يرى المسلمون الذين يقاتلون فى سبيل الله الجماعة الكافرة مثلى المسلمين فى القدر فتأويل الآية على قراءتهم قد كان لكم يا معشر اليهود عبرة ومتفكر فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم هؤلاء المشركين فى كثرة عددهم فان قال قائل وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء وأى الفئتين رأت صاحبتها مثليها الفئة المسلمة هى التى رأت المشركة مثليها أم المشركة هى التى رأت المسلمة كذلك أم غيرهما رأت احداهما كذلك قيل اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم الفئة التى رأت الاخرى مثلى أنفسها الفئة المسلمة رأت عدد الفئة المشركة مثلى عدد الفئة المسلمة قللها الله عز وجل فى أعينها حتى رأتها مثلى عدد أنفسها ثم قللها فى حال أخرى فرأتها مثل عدد أنفسها ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين قال هذا يوم بدر قال عبد الله بن مسعود قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قول الله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم فمعنى الآية على هذا التأويل قد كان لكم يا معشر اليهود آية فى فئتين التقتا احداهما مسلمة والاخرى كافرة كثير عدد الكافرة قليل عدد المسلمة ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا لها انما يكثرها من العدد بمثل واحد فهم يرونهم مثليهم فيكون أحد المثلين عند ذلك العدو الذى هو مثل عدد الفئة التى رأتهم والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم فهذا أحد معنيى التقليل الذى أخبر الله عز وجل المؤمنين انه قللهم فى أعينهم والمعنى الآخر منه التقليل الثانى على ما قاله ابن مسعود هو ان أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم فذلك التقليل الثانى الذى قال الله جل ثناؤه واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا وقال آخرون من أهل هذه المقالة ان الذين رأوا المشركين مثلى أنفسهم هم المسلمون غير ان المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم لم يقللوا فى أعينهم ولكن الله أيدهم بنصره قالوا ولذلك قال الله عز وجل لليهود قد كان لكم فيهم

أخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب بما يكتسب لنفسه خاصة وقيل فى الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على أن العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيفما صدر عنه قالت المعتزلة فى الآية دليل على أن الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدور أفعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولا نتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه فى تفسير قوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالآية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين أن لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح فى ان الاستحقاقين يجتمعان وأنه لا يلزم من طرو أحدهما زوال الآخر وقال الجبائى تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفر بالتوبة وانما أضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالآية فى ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها فى اثبات أن الاصل فى الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها أن المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل أم الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة غرة للجار لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل فى الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى فى الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود المقتضى والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان

منكري وجوب الزكاة احتجوا به والجواب أن دلائل وجوب الزكاة أخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين أربعة
أنواع من الدعاء الاول قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافر وعاقبت اللص
وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد أمكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء

عبرة يخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم مثل الذي أحل بأهل بدر على أيديهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة أنزلت في التخفيف يوم بدر كان المؤمنون كانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وكان المشركون مثليهم فأنزل الله عز وجل قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة فأيد الله المؤمنين فكان هذا الذي في التخفيف على المؤمنين وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الاخبار عن عدة المشركين يوم بدر وذلك ان الناس انما اختلفوا في عددهم على وجهين فقال بعضهم كان عددهم ألفا وقال بعضهم ما بين التسعمائة الى الالف ذكر من قال عددهم ألف حدثني هرون بن اسحق الهمداني قال ثنا مصعب ابن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة عن علي قال سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فأما القرشي فانفلت وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول كم القوم فيقول هم والله كثير شديد بأسهم فجعل المسلمون اذا قال ذلك صدقوه حتى انتهوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم القوم فقال هم والله كثير شديد بأسهم فجهد النبي صلى الله عليه وسلم على ان يخبره كم هم فأبى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله كم تنحرون من الجزر فقال عشرة كل يوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ألف حدثني أبو سعيد بن يوشع البغدادي قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أسرنا رجلا منهم يعني من المشركين يوم بدر فقلنا كم كنتم قال ألفا ذكر من قال كان عددهم ما بين التسعمائة الى الالف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق قال يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون له ماء فأصابوا راوية من قريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم تنحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ذلكم يوم بدر ألف المشركون أو قاربوا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا الى قوله رأي العين قال يضعفون عليهم فقتلوا منهم سبعين واثنين وأسروا تسعين بغلة يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين قال كان ذلك يوم بدر وكان المشركون تسعمائة وخمسين وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وثلاثة عشر حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر والمشركون ما بين التسعمائة الى الالف فكل هؤلاء الذين ذكرنا خالفوا القول الذي رويناه عن ابن عباس في عدد المشركين يوم بدر فاذ كان ما قاله من حكيناه ممن ذكر ان عددهم كان زائدا على التسعمائة فالتأويل الاول الذي قلناه على الرواية التي روينا عن ابن مسعود أولى بتأويل الآية * وقال آخرون كان عدد المشركين زائدا على التسعمائة فرأى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد وقالوا

نفسه وفي التفسير الكبير ان الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذ به بالعفو والكرم أي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو أن يترك الفعل لتأويل فاسد كما ان الخطأ هو أن يفعل الفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا العمل لله فتركهم أن يثيبهم واما ضد الذكر وأورد عليه ان النسيان والخطأ متجاوز عنهم في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه مالا يعذر فمن رأى دما في ثوبه وأخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يذكر حاجته شد خيطا في أصبعه فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ وأعرض عن أسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كان يصدر

عليهم ما لا ينبغي الا على وجه الخطأ والنسيان [illegible]
يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث ان العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فرب ما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله اما للاستدامة واما للاعتداد بتلك النعمة أو لغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على

أرى الله المسلمين عدد المشركين قليلا آية للمسلمين قالوا وانما عنى الله عز وجل بقوله يرونهم مثليهم المخاطبين بقوله قد كان لكم آية في فئتين قالوا وهم اليهود غير انه رجع من المخاطبة الى الخبر عن الغائب لانه أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول ذلك لهم فحسن ان يخاطب مرة ويخبر عنهم على وجه الخبر مرة أخرى كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقالوا فان قال لنا قائل فكيف قيل يرونهم مثليهم رأي العين وقد علمتم ان المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين قلنا لهم كما يقول القائل وعنده عبد احتاج الى مثله أنا محتاج اليه والى مثله ثم يقول احتاج الى مثليه فيكون ذلك خبرا عن حاجته الى مثله والى مثلي ذلك المثل وكما يقول الرجل معي ألف واحتاج الى مثليه وهو محتاج الى ثلاثة فلما نوى أن يكون الالف داخلا في معنى المثل صار المثل أشرف ٧ والاثنان ثلاثة قال ومثله في الكلام أراكم مثلكم كما يقال ان لكم ضعفكم وأراكم مثليكم يعني أراكم ضعفكم قالوا فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الله أرى الفئة الكافرة عدد الفئة المسلمة مثلي عددهم وهذا أيضا خلاف مادل عليه ظاهر التنزيل لان الله جل ثناؤه قال في كتابه واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم فأخبر ان كلا من الطائفتين قلل عددها في مرأى الاخرى وقرأ آخرون ذلك ترونهم بضم التاء بمعنى يريكموهم الله مثليهم وأولى هذه القراءات بالصواب قراءة من قرأ يرونهم بالياء بمعنى وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم يعني مثلي عدد المسلمين لتقليل الله اياهم في أعينهم في حال فكان حزرهم اياهم كذلك ثم قللهم في أعينهم عن التقليل الاول فحزروهم مثلي عدد المسلمين ثم تقليلا ثالثا فحزروهم أقل من عدد المسلمين كما حدثني أبو سعيد البغدادي قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا وقد روي عن قتادة انه كان يقول لو كانت ترونهم لكانت مثليكم حدثني المثنى قال ثني عبد الرحمن بن أبي حماد عن ابن المبارك عن معمر عن قتادة بذلك ففي الخبر بن اللذين رويناعن عبد الله بن مسعود ما أبان عن اختلاف حزر المسلمين يومئذ عدد المشركين في الاوقات المختلفة فأخبر الله عز وجل عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين اليهود على ما كان به عندهم مع علم اليهود بمبلغ عدد الفئتين اعلاما منه لهم انه مؤيد المؤمنين بنصره لئلا يغتروا بعددهم وبأسهم وليحذروا منه ان يحل بهم من العقوبة على أيدي المؤمنين مثل الذي أحل باهل الشرك به من قريش على أيديهم ببدرهم وأما قوله رأي العين فانه مصدر رأيته يقال رأيته رأيا ورؤية ورأيت في المنام رؤيا حسنة غير مجراة يقال هو مني رأي العين ورأي العين بالنصب والرفع يراد حيث يقع عليه بصري وهو من الرائي مثله والقوم رآء اذا جلسوا حيث يرى بعضهم بعضا فمعنى ذلك يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم وتراهم عيونهم مثليهم ❁ القول في تأويل قوله (والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) يعني بذلك جل ثناؤه والله يؤيد يقوي بنصره من يشاء من قول القائل قد أيدت فلانا بكذا اذا قويته وأعنته فانا أؤيده تأييدا وفعلت منه أدته فانا أؤيده أيدا ومنه قول الله عز وجل واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني ذا القوة وتأويل الكلام قد كان لكم آية يامعشر اليهود في فئتين التقتا احداهما تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم فايدنا المسلمة وهم قليل عددهم على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر والله يقوي بنصره من يشاء جل ثناؤه في ذلك يعني ان فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها على الفئة الكافرة مع كثرة عددها العبرة يعني لمتفكرا ومتعظا لمن عقل وذكر نصرنا الحق كما

رسالات وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما أرشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطأ لابد أن يفسرا بما فيه العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد أمر الله المسلمين أن يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة مرجوا النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من حدثنا
المكاره يقال ما تأصرني على فلان اصرة أي ماتعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار يقول لقد كان لهم فى هؤلاء عبرة وتفكر أيدهم الله ونصرهم على عدوهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تأويل قوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) يعنى تعالى ذكره زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عد وانما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه وكان الحسن يقول من ذمها فما أحد أشد لها ذما من خالقها حدثنى بذلك أحمد ابن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الاشعث عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن جرير عن عطاء عن أبى بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال قال عمر لما نزل زين للناس حب الشهوات قلت الآن يارب حين زينتها لنا فنزلت قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأما القناطير فانها جمع القنطار واختلف أهل التأويل فى مبلغ القنطار فقال بعضهم هو ألف ومائتا أوقية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سالم بن أبى الجعد عن معاذ بن جبل قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سالم بن أبى الجعد عن معاذ مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يعنى حفص بن ميسرة عن أبى مروان عن أبى طيبة عن ابن عمر قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا القاسم بن مالك المزنى قال أخبرنى العلاء بن المسيب عن عاصم بن أبى النجود قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح عن أبى هريرة مثله حدثنى زكريا بن يحيى الصديق قال ثنا شبابة قال ثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد عن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية وقال آخرون القنطار ألف دينار ومائتا دينار ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف ومائتا دينار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا يونس عن الحسن قال القنطار ألف ومائتا دينار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال القنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول القناطير المقنطرة يعنى المال الكثير من الذهب والفضة والقنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال * وقال آخرون القنطار اثناعشر ألف درهم أو ألف دينار ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال القنطار اثناعشر ألف درهم أو ألف دينار حدثنى المثنى قال ثنا عمرو ابن عوف قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال القنطار ألف دينار ومن الورق اثناعشر ألف درهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ان القنطار اثناعشر ألفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال أخبرنا عوف عن الحسن القنطار اثناعشر ألفا حدثنا ابن بشار قال ثنا عوف عن الحسن اثناعشر ألفا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن بمثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عوف قال أخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن قال القنطار ألف دينار دية أحدكم وقال آخرون هو ثمانون ألفا من الدراهم أو مائة رطل من الذهب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار

فى الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى المسخ والخسف والغرق واغاظلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا يشبه ميثاق من قبلنا فى الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم فى التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غلب عليهم وكانت مصلحتهم فى التخفيف وترك التغليظ وأما ان اليهود لم خصت بغلظ الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس الينا أن نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ومن الاصحاب من تمسك به فى جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء وأجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا أى ما يشق فعله لا الذى لا قدرة لنا عليه وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق أى لا يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب أى لا تحملنا عذابك الذى لا نطيق احتماله سلمنا أنهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز أن يفعل خلاف ذلك كما ان قوله رب احكم بالحق لا يدل على جواز أن يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولا تخزنى يوم يبعثون لا يدل على ان خزى الانبياء جائز قيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذى لا قدرة عليه بالتحميل وأجيب بان الحامل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل قيل لما طلب ان لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان المناسب طرح هذا الدعاء لا أقل من عكس

الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر أي لا تحملنا ذلك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل
عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وأما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سالوا أن لا يكلفهم تكليفا شاقا فاسدا وهو التكليف
بما تكلف من قبلهم ثم سالوا أن لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم أم لا وقيل
الاول طلب ترك التشديد فان مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك التي مقام الحقيقة وهو مقام والاشتغال بمعرفة الله بالاحدية وشكر نعمه أي لا تطلب مني حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك وأما الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا ولا تحمل علينا فذلك انه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله أرجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قول ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القرب والزلفى من الله والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب
الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما أقبل على طلب الثواب وهو أيضا قسمان جسماني
هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله أنت مولانا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو
المتولي لكل نعمة ينالونها والمعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذي لا ينتظم شمل

ومحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سليمان التيمي عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث ان القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألفا من الورق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألف درهم من ورق حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح قال القنطار مائة رطل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي القنطار يكون مائة رطل وهو ثمانية آلاف مثقال وقال آخرون القنطار سبعون ألفا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله القناطير المقنطرة قال القنطار سبعون ألف دينار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمر بن حوشب قال سمعت عطاء الخراساني قال سئل ابن عمر عن القنطار فقال سبعون ألفا وقال آخرون هي ملء مسك ثور ذهبا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سالم بن نوح قال ثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة قال ملء مسك ثور ذهبا حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الاشعث عن أبي نضرة ملء مسك ثور ذهبا وقال آخرون هو المال الكثير ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال القناطير المقنطرة المال الكثير بعضه على بعض وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ان العرب لا تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن ولكنها تقول هو قدر ووزن وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك لان ذلك لو كان محدودا قدره عندها لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف فالصواب في ذلك ان يقال هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس ولا يحد قدر وزنه بحد على تعنف وقد قيل ما قيل مما روينا وأما المقنطرة فهي المضعفة وكان القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة وهو كما قال الربيع بن أنس المال الكثير بعضه على بعض كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله القناطير المقنطرة يعني المال الكثير من الذهب والفضة وقال آخرون معنى المقنطرة المضروبة دراهم أو دنانير ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أما قوله المقنطرة فيقول المضروب حتى صارت دنانير أو دراهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وآتيتم احداهن قنطارا خبر لو صح سنده لم نعده الى غيره وذلك ما حدثنا به ابن عبد الرحمن البرقي قال ثني عمرو بن أبي سلمة قال ثنا زهير بن محمد قال ثني أبان بن أبي عياش وحميد الطويل عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتيتم احداهن قنطارا قال ألفا مئين يعني ألفين ۞ القول في تأويل قوله (والخيل المسومة) اختلف أهل التأويل في معنى المسومة فقال بعضهم هي الراعية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير الخيل المسومة قال الراعية التي ترعى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن

سعيد

مهما أنه الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه أي بالامكان والنقصان عرف ربه أي بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق أعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفنا وناوانا وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ماسواه

سعيد بن جبير هي الراعية يعني السائمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة لقتاد قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى يقول الراعية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والخيل المسومة قال الراعية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن والخيل المسومة المسرحة في الرعي حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله والخيل المسومة قال الخيل الراعية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد انه كان يقول الخيل الراعية * وقال آخرون المسومة الحسان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قال مجاهد المسومة المطهمة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد في قوله والخيل المسومة قال المطهمة الحسان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والخيل المسومة قال المطهمة حسنا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد المطهمة حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال ثنا سعيد بن أبي أيوب عن بشر بن أبي عمرو الخولاني قال سألت عكرمة عن الخيل المسومة قال تسومها حسنها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن بشر بن أبي عمرو الخولاني قال سمعت عكرمة يقول الخيل المسومة قال تسومها الحسن حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي والخيل المسومة والانعام الرائعة وقد حدثني بهذا الحديث عن عمرو بن حماد عن موسى قال الراعية * وقال آخرون الخيل المسومة المعلمة ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والخيل المسومة يعني المعلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والخيل المسومة وسيماها شيتها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله والخيل المسومة قال شية الخيل في وجوهها وقال غيرهم المسومة المعدة للجهاد ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والخيل المسومة قال المعدة للجهاد قال أبو جعفر أولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله والخيل المسومة المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسنا من رآها لان التسويم في كلام العرب هو الاعلام فالخيل الحسان معلمة باعلام الله اياها بالحسن من ألوانها وشياتها وهيآتها وهي المطهمة أيضا ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان في صفة الخيل

بسمر كالقداح مسومات * عليها معشر أشباه جن

يعني بالمسومات المعلمات وقول لبيد

وغداة قاع القريتين أتيتهم * زجلا يلوح خلالها التسويم

فمعنى تأويل من تأول ذلك المطهمة والمعلمة والرائعة واحد وأما قول من تأوله بمعنى الراعية فانه ذهب الى قول القائل أسمت الماشية فأنا أسيمها اسامة اذا رعيتها الكلأ والعشب كما قال الله عزوجل ومنه شجر فيه تسيمون بمعنى ترعون ومنه قول الاخطل مثل ابن بزعة أو كآخر مثله * أولى لك ابن مسيمة الاجمال يعني بذلك راعية الاجمال فاذا أريد بالماشية هي التي رعت قيل سامت الماشية تسوم سوما ولذلك قيل ابل سائمة بمعنى راعية غير انه غير مستفيض في كلامهم سومت الماشية بمعنى أرعيتها وانما يقال اذا أريد ذلك أسمتها فاذ كان ذلك كذلك فتوجيه تأويل المسومة الى انها المعلمة بما وصفنا من المعاني التي تقدم ذكرها أصح وأما الذي

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء أعطي خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عزوجل أكرمك بحسن الثناء بقوله آمن الرسول فاسأله وارغب اليه فعلمه جبريل عليه السلام كيف يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا أؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا أشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا أحملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم وانصركم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون آمين

(التأويل) الانسان مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة أوصافها

وتحليتها بأنوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم مودع من أنوار الاخلاق الروحانية فى الظاهر باعمال الشريعة وفى الباطن باحوال الحقيقة أو تخفوه بابراز ظلمات الاوصاف النفسية فى الظاهر بجمع الغفلات الشريعة وفى الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول أنوار الروح أو بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس

قاله ابن زيد من انها المعدة فى سبيل الله فتأويل من معنى المسومة بمعزل ❁ القول فى تأويل قوله (والانعام والحرث) فالانعام جمع نعم وهو الازواج الثمانية التى ذكرها فى كتابه من الضان والمعز والبقر والابل وأما الحرث فهو الزرع وتأويل الكلام زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ومن كذا ومن كذا ومن الانعام والحرث ❁ القول فى تأويل قوله (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) يعنى بقوله جل ثناؤه ذلك جميع ماذكر فى هذه الآية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فكنى بقوله عن جميعهن وهذا يدل على ان ذلك يشتمل على الاشياء الكثيرة المختلفة المعانى ويكنى به عن جميع ذلك وأما قوله متاع الحياة الدنيا فانه خبر من الله عن ان ذلك كله مما يستمتع به فى الدنيا أهلها أحياء فيتبلغون به فيها ويجعلونه وصلة فى معايشهم وسببا لقضاء شهواتهم التى زين لهم حبها فى عاجل دنياهم دون أن يكون عدة لمعادهم وقربة لهم الى ربهم الا ما أسلك فى سبيله وأنفق منه فيما أمر به وأما قوله والله عنده حسن المآب فانه يعنى بذلك جل ثناؤه وعند الله حسن المآب يعنى حسن المرجع كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى والله عنده حسن المآب يقول حسن المنقلب وهى الجنة وهو مصدر على مثال مفعل من قول القائل آب الرجل الينا اذا رجع فهو يؤوب ايابا وأوبة وأيبة ومآبا غير ان موضع الفاء منها مهموز والعين مبدلة من الواو التى الالف بحركتها الى الفتح قلنا كان حظها الحركة الى الفتح وكانت حركتها منقولة الى الحرف الذى قبلها وهو فاء الفعل انقلبت فصارت ألفا كما قيل قال فصارت عين الفعل ألفا لان حظها الفتح والمآب مثل المقال والمعاد والمحال كل ذلك مفعل منقولة حركة عينه الى فائه فصيرة واوه أو ياؤه ألفا لفتحة ما قبلها * فان قال قائل وكيف قيل والله عنده حسن المآب ولقد علمت ما عنده يومئذ من أليم العذاب وشديد العقاب قيل ان ذلك معنى به خاص من الناس ومعنى ذلك والله عنده حسن المآب للذين اتقوا ربهم وقد أنبأنا عن ذلك فى هذه الآية التى تليها فان قال وما حسن المآب قيل هو ما وصفه به جل ثناؤه وهو المرجع الى جنات تجرى من تحتها الانهار مخلدا فيها والى أزواج مطهرة ورضوان من الله ❁ القول فى تأويل قوله (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) يعنى جل ثناؤه قل يا محمد للذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين وسائر ماذكر جل ثناؤه أؤنبئكم أخبركم وأعلمكم بخير من ذلكم يعنى بخير وأفضل لكم من ذلكم يعنى مما زين لكم فى الدنيا حب شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وأنواع الاموال التى هى متاع الدنيا * ثم اختلف أهل العربية فى الموضع الذى تناهى اليه الاستفهام من هذا الكلام فقال بعضهم تناهى ذلك عند قوله من ذلكم ثم ابتدأ الخبر عما للذين اتقوا عند ربهم فقيل للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها فلذلك رفع الجنات ومن قال هذا القول لم يجز فى قوله جنات تجرى من تحتها الانهار الا الرفع وذلك انه خبر مبتدأ غير مردود على قوله بخير فيكون الخفض فيه جائزا وهو وان كان خبر مبتدأ عندهم ففيه ابانة عن معنى الخبر الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أؤنبئكم به والجنات على هذا القول مرفوعة باللام التى فى قوله للذين اتقوا عند ربهم * وقال آخرون منهم بنحو هذا القول الا انهم قالوا ان جعلت اللام التى فى قوله للذين من صلة الانباء جاز فى الجنات الخفض والرفع الخفض على الرد على الخبر والرفع على أن يكون قوله للذين اتقوا خبر مبتدأ على ما قد بيناه قبل * وقال آخرون بل منتهى الاستفهام قوله عند ربهم ثم ابتدأ جنات تجرى من تحتها الانهار وقالوا تأويل الكلام قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم ثم كأنه قيل ماذا لهم أو

فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بأنوار الروح وروحه بأنوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنور قربه العلى الكبير والله على كل شئ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمى الامر والخلق قدير لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فاجاب صلى الله عليه وسلم بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن الرسول عيانا بما أنزل اليه من ربه فقال من كمال رأفته بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا وأطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون منى فى جزاء السمع والطاعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الا أن تسترهم بسربال فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيرى اليك لا الى من سواك قال الله فى جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك فى مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولهذا قال لك جبريل لو دنوت أنملة لاحترقت وان ما الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم فى سماء واقفون حبستهم حتى كيلا تحرقهم سبحات وجهى وسطوات قهرى فكيف أكلف أمتك المذنبة المرحومة بهذا المصير وانى بضعف حالهم بصير وانما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الرسل الكرام ان اتخذتك حبيبا

[illegible] وخلعت الكائنات بحبتك ولان آمنك أكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص [illegible] متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما كسبت أمتك من أنوار متابعتك تستحق المصير الى حضرة جلالة أو شواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن ظل متابعتك تستاهل المصير في دركات السعير فتارة أسكره لذة هذا الخطاب وأخرى أقعمته سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا أي لا تعاقب أمتي ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك وأخطأت طريق طلبك ولكن ما أخطأت طريق عبوديتك فلم يعبدوا غيرك وأنت قلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا أسرى النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا حجب أنانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا أنت مولانا وولينا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك وأعنا في المصير اليك على قمع كفار الاثنينية التي تمنعنا من وحدتك شعر

بيني وبينك انى يزاحمني
فارفع بجودك انيّ من البين

وحسبي الله

(سورة آل عمران وهي مدنية حروفها ١٤٢٤ كلماتها ٤٨٥ آياتها مائتان)

ماذاك أو على انه يقال ماذ لهم أو ماذاك فقال هو جنات تجري من تحتها الانهار الآية * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من جعل الاستفهام متناهيا عند قوله بخير من ذلكم والخبر بعده مبتدأ عمن له الجنات بقوله للذين اتقوا عند ربهم جنات فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر وهو ابانة عن معنى الخبر الذي قال أؤنبئكم به فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة الى ضمير * قال أبو جعفر الطبري وأما قوله خالدين فيها فمنصوب على القطع ومعنى قوله للذين اتقوا للذين خافوا الله فاطاعوه باداء فرائضه واجتناب معاصيه عند ربهم يعني فذلك لهم جنات تجري من تحتها الانهار عند ربهم والجنات البساتين وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى وان قوله تجري من تحتها الانهار يعني به من تحت الاشجار وأن الخلود فيها دوام البقاء فيها وأن الازواج المطهرة هن نساء الجنة اللواتي طهرن من كل أذى يكون بنساء أهل الدنيا من الحيض والمني والبول والنفاس وما أشبه ذلك من الاذى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ورضوان من الله يعني ورضى الله وهو مصدر من قول القائل رضي الله عن فلان فهو يرضى عنه رضى منقوص ورضوانا ورضوانا ومرضاة فاما الرضوان بضم الراء فهو لغة قيس وبه كان عاصم يقرأ وانما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير رضوانه لان رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة كما حدثنا ابن بشار قال ثني أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى أعطيكم أفضل من هذا فيقولون أي ربنا أي شيء أفضل من هذا قال رضواني * وقوله والله بصير بالعباد يعني بذلك والله ذو بصر بالذي يتقيه من عباده فيخافه فيطيعه ويؤثر ما عنده مما ذكر انه أعده للذين اتقوه على حب ما زين له في عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدد منها تعالى ذكره وبالذي لا يتقيه فيخافه ولكنه يعصيه ويطيع الشيطان ويؤثر ما زين له في الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والاموال على ما عنده من النعيم المقيم عالم تعالى ذكره بكل فريق منهم حتى يجازي كلهم عند معادهم اليه جزاءهم المحسن باحسانه والمسيء باساءته

۞ القول في تأويل قوله (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) ومعنى ذلك قل هل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وقد يحتمل الذين يقولون وجهين من الاعراب الخفض على الرد على الذين الاولى والرفع على الابتداء اذ كان في مبتدأ آية أخرى غير التي فيها الذين الاولى فيكون رفعها نظير قول الله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ثم قال في مبتدأ الآية التي بعدها التائبون العابدون ولو كان جاء ذلك مخفوضا كان جائزا ومعنى قوله الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا الذين يقولون اننا صدقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها وتركك عقوبتنا عليها وقنا عذاب النار ادفع عنا عذابك اياانا بالنار أن تعذبنا بها وانما معنى ذلك لا تعذبنا يا ربنا بالنار وانما خصوا المسئلة بان يقيهم عذاب النار لان من زحزح يومئذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عذاب الله وحسن مآبه وأصل قوله قنا من قول القائل وقى الله فلانا كذا يراد به دفع عنه فهو يقيه فاذا سأل بذلك سائل قال قني كذا ۞ القول في تأويل قوله (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين) يعني بقوله الصابرين الذين صبروا في البأساء والضراء وحين البأس ويعني بالصادقين الذين صدقوا الله في قولهم بتحقيقهم الاقرار به وبرسوله وما جاء به من عنده بالعمل بما أمر به والانتهاء عما نهاه عنه ويعني بالقانتين المطيعين له وقد أتينا على الابانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها وبالاخبار عمن قال فيها قولا فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد كان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الصابرين والصادقين

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر

متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار

والقانتين والمنفقين الصادقين بوصدقت أفواههم واستقامت قلوبهم وألسنتهم وصدقوا فى السر والعلانية والصابرين بوصبروا على طاعة الله وصبروا عن محارمه والقانتون هم المطيعون لله وأما المنفقون فهم المؤتون زكوات أموالهم وواضعوها على ما أمرهم الله باتيانها والمنفقون أموالهم فى الوجوه التى أذن الله لهم جل ثناؤه بانفاقها فيها وأما الصابرين والصادقين وسائر هذه الحروف فمخفوض ردا على قوله الذين يقولون ربنا اننا آمنا والخفض فى هذه الحروف يدل على أن قوله الذين يقولون خفض ردا على قوله للذين اتقوا عند ربهم

القول فى تأويل قوله (والمستغفرين بالاسحار) اختلف أهل التأويل فى القوم الذين هذه الصفة صفتهم فقال بعضهم المصلون بالاسحار ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والمستغفرين بالاسحار هم أهل الصلاة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة والمستغفرين بالاسحار قال يصلون بالاسحار * وقال آخرون هم المستغفرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن حريث بن أبى مطر عن ابراهيم بن حاطب عن أبيه قال سمعت رجلا فى السحر فى ناحية المسجد وهو يقول رب أمرتنى فاطعتك وهذا سحر فاغفر لى فنظرت فاذا ابن مسعود حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن قول الله عز وجل والمستغفرين بالاسحار قال حدثنى سليمان بن موسى قال ثنا نافع أن ابن عمر كان يحيى الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن بعض البصريين عن أنس بن مالك قال أمرنا أن نستغفر بالاسحار سبعين استغفارة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو يعقوب الضبي قال سمعت جعفر بن محمد يقول من صلى من الليل ثم استغفر فى آخر الليل سبعين مرة كتب من المستغفرين بالاسحار * وقال آخرون هم الذين يشهدون الصبح فى جماعة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن قال قلت لزيد بن أسلم من المستغفرين بالاسحار قال هم الذين يشهدون الصبح * وأولى هذه الاقوال بتأويل قوله والمستغفرين بالاسحار قول من قال هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها بالاسحار وهى جمع سحر وأظهر معانى ذلك أن تكون مسئلتهم اياه بالدعاء وقد يحتمل أن يكون معناه تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير ان أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء

القول فى تأويل قوله (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) يعنى بذلك جل ثناؤه شهد الله أنه لا اله الا هو وشهدت الملائكة وأولوا العلم فالملائكة معطوف بهم على اسم الله وانه مفتوحة بشهد * وكان بعض البصريين يتأول قوله شهد الله قضى الله ويرفع الملائكة بمعنى والملائكة شهود وأولو العلم وهكذا قرأت قراء أهل الاسلام بفتح الالف من أنه على ما ذكرت من اعمال شهد فى أنه الاولى وكسر الالف من ان الثانية وابتدائها سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعا بفتح ألفيهما بمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وأن الدين عند الله الاسلام فعطف بان الدين على أنه الاولى ثم حذف واو العطف وهى مرادة فى الكلام واحتج فى ذلك بان ابن عباس قرأ ذلك شهد الله أنه لا اله الا هو الآية ثم قال ان الدين بكسر الاولى وفتح أن الثانية باعمال شهد فيها وجعل أن الاولى اعتراضا فى الكلام غير عامل فيها شهد وأن ابن مسعود قرأ شهد الله أنه لا اله الا هو ففتح أن وكسر ان من ان الدين عند الله الاسلام على معنى اعمال الشهادة فى أن الاولى وأن الثانية مبتدأة فزعم انه أراد بقراءته اياهما بالفتح جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قراء أهل الاسلام

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) القرآآت الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمى الباقون موصولا بفتح الميم التوراة ممالة حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف والنجارى عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كدأب حيث كان بغير همزة أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة فى الوقف (الوقوف) الم ج كوفى مختلف فان غير الاعشى والبرجمى ويزيد والمفضل يصلون الا هو ج القيوم ط والانجيل ط الفرقان ط شديد ط انتقام ه فى السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ه متشابهات ط لاستئناف تفصيل وابتغاء تاويله ج لان الواو تصلح استئنافا والحال أليق الا الله م عند أهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تاويل المتشابه كما يعلمه ومن لم يحترز عن هذا وجعل المتشابه غير صفة انه ذاتا وفعلا من الاحكام التى يدخلها القياس والتاويل وجعل المحكمات الاصول المنصوص المتقدمين المجمع عليها نعطف لقوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له أن لا يقف على الا الله آمنا به لا لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ه رحمة ج للابتداء بان ولاحتمال لام التعليل

المتقدمين منهم والمتأخرين بدعوى تأويل على ابن عباس وابن مسعود زعم انهما قالاه وقرآبه وغير معلوم ماادعى عليه برواية صحيحة ولا سقيمة وكفى شاهدا على خطأ قراءة خروجها من قراءة أهل الاسلام فالصواب اذ كان الامر على ماوصفنا من قراءة ذلك فتح الالف من انه الاولى وكسر الالف من ان الثانية أعني من قوله ان الدين عند الله الاسلام ابتداء وقد روى عن السدى في تأويل ذلك قول كالدال على صحيح ماقرأبه في ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية في فتح أن من قوله ان الدين وهو ماحدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا إسباط عن السدى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة الى لا اله الا هو العزيز الحكيم فان الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس ان الدين عند الله الاسلام فهذا التأويل يدل على أن الشهادة انما هي عاملة في ان الثانية التي في قوله ان الدين عند الله الاسلام فعلى هذا التأويل جائز في ان في الاولى وجهان من التأويل أحدهما أن تكون الاولى منصوبة على وجه الشرط بمعنى شهد الله بانه واحد فتكون مفتوحة بمعنى الخفض في مذهب بعض أهل العربية وبمعنى النصب في مذهب بعضهم والشهادة عاملة في ان الثانية كانك قلت شهد الله ان الدين عند الله الاسلام لانه واحد ثم تقدم لانه واحد فتفتحها على ذلك التأويل والوجه الثاني ان تكون ان الاولى مكسورة بمعنى الابتداء لانها معترض بها والشهادة واقعة على ان الثانية فيكون معنى الكلام شهد الله فانه لا اله الا هو والملائكة ان الدين عند الله الاسلام كقول القائل أشهد فاني محق انك مما تعاب به برىء فان الاولى مكسورة لانها معترضة والشهادة واقعة على ان الثانية وأما قوله قائما بالقسط فانه بمعنى الذي يلي العدل بين خلقه والقسط هو العدل من قولهم هو مقسط وقد أقسط اذا عدل ونصب قائما على القطع * وكان بعض نحوى أهل البصرة يزعم انه حال من هو التي في لا اله الا هو * وكان بعض نحوى الكوفة يزعم انه حال من اسم الله الذي مع قوله شهد الله فكان معناه شهد الله القائم بالقسط أنه لا اله الا هو وقد ذكر انها في قراءة ابن مسعود كذلك وأولو العلم القائم بالقسط ثم حذفت الالف واللام من القسط فصار نكرة وهو نعت لمعرفة فنصب * وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قول من جعله قطعا على انه من نعت الله جل ثناؤه لان الملائكة وأولى العلم معطوفون عليه فكذلك الصحيح أن يكون قوله قائما حالا منه وأما تأويل قوله لا اله الا هو العزيز الحكيم فانه نفى أن يكون شيء مستحق العبودة غير الواحد الذي لا شريك له في ملكه ويعني بالعزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه الحكيم في تدبيره فلا يدخله خلل وانما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من البنوة وما نسب اليه سائر أهل الشرك من أن له شريكا واتخاذهم دونه أربابا فاخبرهم الله عن نفسه انه الخالق كل ماسواه وانه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربا دونه وان ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه فبدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيما لنفسه وتنزيها لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به مانسبوا اليها كما سن لعباده أن يبدؤا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك والمراد من الكلام الخبر عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدموه من ملائكته وعلماء عباده فاعلمهم ان ملائكته التي تعظمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدها الكثير منهم وأهل العلم منهم منكرون ماهم عليه مقيمون من كفرهم وقولهم في عيسى وقول من اتخذ ربا غيره من سائر الخلق فقال شهدت الملائكة وأولوا العلم أنه لا اله الا هو وان كل من اتخذ ربا دون الله فهو كاذب احتجاجا منه لنبيه عليه السلام على الذين حاجوه من وفد نجران في عيسى واعترض بذكر الله وصفته على مابينته كما قال جل ثناؤه واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه افتتاحا باسمه الكلام فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة

أو فاء التعقيب للتسبيب الوهاب ه فيه ط الميعاد ه شيأ ط النار لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط بآياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه (التفسير) اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني أن يكون ذلك على لغة من يقطع ألف الوصل وأما من فتح الميم ففيه قولان أحدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان أسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأنا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم أسقطوا الهمزة للتخفيف وألقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هي المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه مايرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل أصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم أحدهم أميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم ووزيرهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم وأسقفهم وصاحب مدراسهم يقال له أبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه وموّلوه وأكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان الى جنبه أخوه كرز بن علقمة

بما وصفنا من نفي الالوهة عن غيره لتكذيب أهل الشرك به فاما ما قال الذي وصفنا قوله من انه عني بقوله شهد قضى فمما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم لان الشهادة معنى والقضاء غيرها وبنحو الذي قلنا في ذلك روي عن بعض المتقدمين القول في ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم بخلاف ما قالوا يعني بخلاف ما قال وفد نجران من النصارى قائما بالقسط أي بالعدل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل ۞ القول في تأويل قوله (ان الدين عند الله الاسلام) ومعنى الدين في هذا الموضع الطاعة والذلة من قول الشاعر

ويوم الحزن اذ حشدت معد * وكان الناس الا نحن دينا

يعني بذلك مطيعين على وجه الذل ومنه قول القطامي * كانت تدين بدينك الاديانا * يعني تذلل وقول الاعشى ميمون بن قيس

هو دان الرباب اذ كرهوا الديـ * ـن درا كابعزة وحيال

يعني بقوله دان ذلل وبقوله كرهوا الدين الطاعة وكذلك الاسلام وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم بمعنى دخل في السلم كما يقال أقحط القوم اذا دخلوا في القحط وأربعوا اذا دخلوا في الربيع فكذلك أسلموا اذا دخلوا في السلم وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة فاذ كان ذلك كذلك فتأويل قوله ان الدين عند الله الاسلام ان الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له واقرار الالسن والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون اشراك غيره من خلقه معه في العبودية والالوهية وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الدين عند الله الاسلام والاسلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء به من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه لا يقبل غيره ولا يجزي الا به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ثنا أبو العالية في قوله ان الدين عند الله الاسلام قال الاسلام الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر الفرائض لهذا تبع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أسلمنا قال دخلنا في السلم وتركنا الحرب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ان الدين عند الله الاسلام أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسل ۞ القول في تأويل قوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) يعني بذلك جل ثناؤه وما اختلف الذين أوتوا الانجيل وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى وافترائهم على الله فيما قالوا فيه من الاقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم وتشتتت بها كلمتهم وباين بها بعضهم بعضا حتى استحل بها بعضهم دماء بعض الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني الا من بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره وايقنوا انهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مبطلون فاخبر الله عباده انهم أتوا ما أتوا من الباطل وقالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطأ ما قالوا وانهم لم يقولوا ذلك جهلا بخطائه ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه تعديا من بعضهم على بعض وطلب الرياسات والملك والسلطان كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم قال قال أبو العالية الا من بعد ما جاءهم الكتاب والعلم بغيا بينهم

فبينما بغلة أبي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز أخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل تعست أمك فقال ولم يا أخي فقال انه والله النبي صلى الله عليه وسلم الذي ننتظره فقال له أخوه كرز فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا فلو آمنا بمحمد لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب أخيه كرز وكان يضمره الى ان أسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم أولئك الثلاثة الاسقف والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من أديانهم فتارة يقول عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلاثة ويحتجون في مقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له أب يعلم ويحتجون على ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وفعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا فقالوا قد أسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وأنتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتأكلون الخنزير قالوا فمن أبوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك أول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها آية المباهلة ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيأ من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيأ من ذلك الا ما علم قالوا لا قال

يقول

يقول بغياعلى الدنيا وطلب ملكها وسلطانها فقتل بعضهم بعضا على الدنيا من بعدما كانوا علماء الناس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن ابن عمر انه كان يكثر تلاوة هذه الآية ان الدين عندالله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الامن بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم يقول بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها من قبلها والله أتينا ما كان علينا من يكون علينا بعد أن يأخذ فينا كتاب الله وسنة نبيه ولكنا أتينا من قبلها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من أحبار بنى اسرائيل فاستودعهم التوراة وجعلهم أمناء عليه كل حبر جزأ منه واستخلف موسى يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول ومضى الثانى ومضى الثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين حتى أهراقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغيا بينهم على الدنيا طلبا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها فسلط الله عليهم جبابرتهم فقال الله ان الدين عندالله الاسلام الى قوله والله بصير بالعباد يقول الربيع بن أنس هذا يدل على انه كان عنده انه معنى بقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب اليهود من بنى اسرائيل دون النصارى منهم ومن غيرهم وكان غيره يوجه ذلك الى أن المعنى به النصارى الذين أوتوا الانجيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الامن بعدما جاءهم العلم الذى جاءك أى ان الله الواحد الذى ليس له شريك بغيا بينهم يعنى بذلك النصارى ۞ القول فى تأويل قوله (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) يعنى بذلك ومن يجحد حجج الله وأعلامه التى نصبها ذكرى لمن عقل وأدلة لمن اعتبر وتذكر فان الله محص عليه أعماله التى كان يعملها فى الدنيا فمجازيه بها فى الآخرة فانه جل ثناؤه سريع الحساب يعنى سريع الاحصاء وانما معنى ذلك انه حافظ على كل عامل عمله لا حاجة به الى عقد كما يعقده خلقه بأكفهم أو يعونه بقلوبهم ولكنه يحفظ ذلك عليهم بغير كلفة ولا مؤنة ولا معاناة لما يعانيه غيره من الحساب وبنحو الذى قلنا فى معنى سريع الحساب كان مجاهد يقول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب قال احصاؤه عليهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب احصاؤه ۞ القول فى تأويل قوله (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى) يعنى بذلك جل ثناؤه فان حاجوك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران فى أمر عيسى صلوات الله عليه فخاصموك فيه بالباطل فقل انقدت لله وحده بلسانى وقلبى وجميع جوارحى وانما خص جل ذكره بأمره بان يقول أسلمت وجهى لله لان الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه وفيه بهاؤه وتعظيمه فاذا خضع وجهه بشئ فقد خضع له الذى هو دونه فى الكرامة عليه من جوارح بدنه وأما قوله ومن اتبعنى فانه يعنى وأسلم من اتبعنى أيضا وجهه لله معى ومن معطوف بها على التاء فى أسلمت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فان حاجوك أى بما يأتونك به من الباطل من قولهم خلقنا وفعلنا وجعلنا وأمرنا فانما هى شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى ۞ القول فى تأويل قوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) يعنى بذلك جل ثناؤه وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب أأسلمتم يقول قل لهم هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والالوهة لرب العالمين دون سائر الانداد والاشراك التى تشركونها معه

فانا ننصر عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لايأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم أبوا الاجحودا ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنى ذلك نزل فاما الذين فى قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة سيجىء فى آية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب ونسق أنيق وذلك ان أولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه فى شأن الاله أو فى أمر النبوة أما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حى قيوم كما مر فى تفسير آية الكرسى وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان يأكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه وهذه الكلمة أعنى قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث وأما الثانى فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وأنزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين أقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم فى كون القرآن نازلا من عندالله كما قام فى الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازع فى دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة وأما قوله الحمد لله الذى

فى عبادتكم اياهم واقراركم بربوبيتهم وأنتم تعلمون انه لا رب غيره ولا له سواه فان أسلموا يقول فان انقادوا لافراد الوحدانية لله واخلاص العبادة والالوهة له فقد اهتدوا يعنى فقد أصابوا سبيل الحق وسلكوا محجة الرشد فان قال قائل وكيف قيل فان أسلموا فقد اهتدوا عقيب الاستفهام وهل يجوز فى الكلام أن يقال لرجل هل تقوم فان تقم أكرمك قيل ذلك جائز اذا كان الكلام مرادا به الامر وان خرج مخرج الاستفهام كما قال جل ثناؤه و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون يعنى انتهوا وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن الحواريين انهم قالوا لعيسى ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء وانما هو مسئلة كما يقول الرجل هل أنت كاف عنا بمعنى اكفف عنا وكما يقول الرجل للرجل أين أين بمعنى أقم فلا تبرح ولذلك جوزى فى الاستفهام كما جوزى فى الامر فى قراءة عبد الله هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم آمنوا ففسرها بالامر وهى فى قراءتنا على الخبر فالمجازاة فى قراءتنا على قوله هل أدلكم وفى قراءة عبد الله على قوله آمنوا على الامر لانه هو التفسير و بنحو معنى ما قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين قال الاميون الذين لا يكتبون

القول فى تأويل قوله (وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) يعنى جل ثناؤه بقوله وان تولوا وان أدبروا معرضين عما تدعوهم اليه من الاسلام واخلاص التوحيد لله رب العالمين فانما أنت رسول مبلغ وليس عليك غير ابلاغ الرسالة الى من أرسلتك اليه من خلقى وأداء ما كلفتك من طاعتى والله بصير بالعباد يعنى بذلك والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به اليه فيطيعك بالاسلام و بمن يتولى منهم عنه معرضا فيرد عليك ما أرسلتك به اليه فيعصيك باباته الاسلام

القول فى تأويل قوله (ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين يكفرون بآيات الله أى يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون بها من أهل الكتابين التوراة والانجيل كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم جمع أهل الكتابين جميعا وذكر ما أحدثوا وابتدعوا من اليهود والنصارى فقال ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق الى قوله قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وأما قوله و يقتلون النبيين بغير حق فانه يعنى بذلك انهم كانوا يقتلون رسل الله الذين كانوا يرسلون اليهم بالنهى عما يأتون من معاصى الله وركوب ما كانوا يركبونه من الامور التى قد تقدم الله اليهم فى كتبهم بالزجر عنها نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء الله

القول فى تأويل قوله (و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قراء الامصار و يقتلون الذين يأمرون بالقسط بمعنى القتل وقرأه بعض المتأخرين من قراء الكوفة و يقاتلون بمعنى القتال تأولا منه قراءة عبد الله بن مسعود وادعى ان ذلك فى مصحف عبد الله وقاتلوا فقرأ الذى وصفنا أمره من القراءة بذلك التأويل و يقاتلون والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه و يقتلون لاجماع الحجة من القراء عليه به مع مجىء التأويل من أهل التأويل بان ذلك تأويله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن معقل بن أبى مسكين فى قول الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان الوحى يأتى الى بنى اسرائيل فيذكرون ولم يكن يأتيهم كتاب فيقتلون فيقوم رجال ممن

اتبعهم

أنزل على عبده الكتاب فالمراد ههنا نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال أبو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق بما تضمنه من الاخبار عن الامم أو ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق فى العقائد والاعمال و يمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم أى بالحق الذى يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف فى المعاملات وقيل مصونا من المعانى الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه أميا لم يخالط أهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والجزاف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق والامر بالعدل والاحسان و بالشرائع التى هى صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا فى معنى التقدم أو لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها أكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن و بالرسول ودالة على أحكامها الى حين بعثه ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة فى ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتوراة والانجيل اسمان أعجميان أحدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التوراة معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح وظهرت النار قال وأصلها تورية بفتح الياء والراء ولهذا قلبت الياء ألفا

اتبعوهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون فهم الذين يامرون بالقسط من الناس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس قال هؤلاء أهل الكتاب كانوا اتباع الانبياء ينهونهم ويذكرونهم فيقتلونهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله ان الذين يكفرون بآيات و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان ناس من بني اسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب كان الوحي ياتي اليهم فيذكرون قومهم فيقتلون على ذلك فهم الذين يامرون بالقسط من الناس حدثني أبو عبيد الرصافي محمد بن جعفر قال ثنا ابن حميد قال ثنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يارسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباعبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل يامرون من قتلهم بالمعروف و ينهونهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهم الذين ذكر الله عز وجل فتأويل الآية اذا ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون آمريهم بالعدل في أمر الله ونهيه الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله وركوب معاصيه ۞ القول في تاويل قوله (فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين) يعني بقوله جل ثناؤه فبشرهم بعذاب أليم فاخبرهم يامحمد و أعلمهم ان لهم عند الله عذابا مؤلما لهم وهو الموجع وأما قوله أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة فانه يعني بقوله أولئك الذين يكفرون بآيات الله ومعنى ذلك ان الذين ذكرناهم هم الذين حبطت أعمالهم يعني بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة فاما قوله في الدنيا فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس لانهم كانوا على ضلال و باطل ولم يرفع الله لهم بها ذكرا بل لعنهم وهتك أستارهم وابدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على السن أنبيائه و رسله في كتبه التي أنزلها عليهم فابقى لهم مابقيت الدنيا مذمة فذلك حبوطها في الدنيا وأما في الآخرة فانه أعد لهم فيها من العقاب ماوصف في كتابه واعلم عباده ان أعمالهم تصير بورا لا ثواب لها لانها كانت كفرا بالله فجزاء أهلها الخلود في الجحيم وأما قوله ومالهم من ناصرين فانه يعني ومالهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله اذا هو انتقم منهم بما سلف من اجرامهم واجترائهم عليه فيستنقذهم منه ۞ القول في تاويل قوله (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) يعني بذلك جل ثناؤه الم تر يامحمد الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يقول الذين اعطوا حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله واختلف أهل التاويل في الكتاب الذي عنى الله بقوله يدعون الى كتاب الله فقال بعضهم هو التوراة دعاهم الى الرضا بما فيها اذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تقر بها و بما فيها انها كانت أحكام الله قبل أن ينسخ منها مانسخ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت يامحمد فقال على ملة ابراهيم ودينه فقالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهي بيننا و بينكم

أو نورية بكسر الراء تفعلة مثل توفية الا ان الراء فتحت على لغة طي فانهم يقولون في بادية باداة و زعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث وأما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل أي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشيء استخرجته أي انه تعالى أظهر الحق بسببه أبو عمرو والشيباني التناجل التنازع سمي بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل أي من قبل ان ينزل القرآن (وهدى للناس) اما أن يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق و وصف التوراة والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال في أول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق في نفسه سواء قبلوه أو لم يقبلوه وأما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وأنزل الفرقان قيل أي جنس الكتب السماوية لانها كلها تفرق بين الحق والباطل وقيل أي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال شعر الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم وقيل أي الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ و يحتمل أن يجاب بان غاية المواعظ هي التزام الاحكام المعلومة فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه أنزل معها ماهو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذي يدل على صحتها و يفيد الفرق بينها و بين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم أولئك النصارى أو كل من أعرض عن دلائله فان خصوص

السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب اذا انتقم لقدرتها
ذو انتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقمت اذا كافاته بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو
انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب (١٣٤) فالاول صفة الذات والثانى صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شئ لما ذكر انه حى
قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع أمرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات أشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والثانى لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذى يصوركم ثم فيه لطيفة أخرى وهى انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز أن يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلى فلا جرم قال هو الذى يصوركم فى ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من أعضاء مختلفة فى الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف
الاكمل وذلك يدل على كمال علمه ... ن التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان
قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية وأشرفها تعديل المزاج وأشار اليها بقوله هو الذى يصوركم وروحانية وأشرفها العلم فلا جرم
أشار الى ذلك بقوله هو الذى أنزل عليك الكتاب ويحتمل ان ينزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا

فابيا عليه فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون الى قوله ما كانوا يفترون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس فذكر نحوه الا أنه قال فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلما الى التوراة وقال أيضا فانزل الله فيهما الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وسائر الحديث مثل حديث أبى كريب وقال بعضهم بل ذلك كتاب الله الذى أنزله على محمد وانما دعيت طائفة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحق فابت * ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون أولئك أعداء الله اليهود دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم والى نبيه ليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ثم تولوا عنه وهم معرضون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية قال هم اليهود دعوا الى كتاب الله والى نبيه وهم يجدونه مكتوبا عندهم ثم يتولون وهم معرضون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم قال كان أهل الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق يكون وفى الحدود وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الاسلام فيتولون عن ذلك * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده ممن قد أوتى علما بالتوراة أنهم دعوا الى كتاب الله الذى كانوا يقرون به انه من عند الله وهو التوراة فى بعض ما تنازعوا فيه هم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذى كانوا يتنازعون فيه ثم دعوا الى حكم التوراة فيه فامتنعوا من الاجابة اليه كان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته ويجوز أن يكون ذلك كان أمر ابراهيم خليل الرحمن ودينه ويجوز أن يكون ذلك ما دعوا اليه من أمر الاسلام والاقرار به ويجوز أن يكون ذلك كان فى حد فان كل ذلك مما قد كانوا نازعوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فيه الى حكم التوراة فابى الاجابة فيه وكتمه بعضهم ولا دلالة فى الآية على ان ذلك كان ممن أبى فيجوز أن يقال هو هذا دون هذا ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك لان المعنى الذى دعوا اليه جملته هو مما كان فرضا عليهم الاجابة اليه فى دينهم فامتنعوا منه فاخبر الله جل ثناؤه عنهم بردتهم وتكذيبهم بما فى كتابهم وجحودهم ما قد أخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم باقامته والعمل به فلن يعدوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمدا وما جاء به من الحق مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به وهم يتولونه ويقرون به ومعنى قوله ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ثم يستدبر عن كتاب الله الذى دعا الى حكمه معرضا عنه منصرفا وهو بحقيقته وحجته عالم وانما قلنا ان ذلك الكتاب هو التوراة لانهم كانوا بالقرآن مكذبين وبالتوراة بزعمهم مصدقين فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم فى زعمهم مقرون أبلغ وللعذر أقطع

القول فى تأويل قوله (ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) يعنى جل ثناؤه بقوله بانهم قالوا بان هؤلاء الذين دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبوا الاجابة الى حكم التوراة وما فيها من الحق من أجل قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وهى أربعون يوما وهن الايام التى عبدوا فيها العجل ثم يخرجنا منها ربنا اغترارا منهم بما كانوا يفترون يعنى بما كانوا يختلقون من الاكاذيب والاباطيل فى ادعائهم انهم أبناء الله واحباؤه وان الله قد وعد
اباهم

أباهم يعقوب أن لا يدخل أحدا من ولده النار الا تحلة القسم فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انهم هم أهل النار هم فيها خالدون دون المؤمنين بالله ورسله وما جاؤا به من عنده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات قالوا لن تمسنا النار الا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل ثم ينقطع القسم والعذاب عنا قال الله عز وجل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون أي قالوا نحن أبناء الله واحباؤه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات الآية قال قالوا لن نعذب في النار الا أربعين يوما قال يعني اليهود قال وقال قتادة مثله وقال هي الايام التي نصبوا فيها العجل يقول الله عز وجل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون حين قالوا نحن أبناء الله واحباؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون قال غرهم قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات ۞ القول في تأويل قوله (فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعني بقوله جل ثناؤه فكيف اذا جمعناهم فأي حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول وفعلوا ما فعلوا من اعراضهم عن كتاب الله واغترارهم بربهم وافترائهم الكذب وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد وتهديد غليظ وانما يعني بقوله فكيف اذا جمعناهم الآية فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتنكيله بهم اذا جمعهم ليوم يوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه غير مظلوم فيه لانه لا يعاقب فيه الا على ما اجترم ولا يؤاخذ الا بما عمل يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا يخاف أحد من خلقه منه يومئذ ظلما ولا هضما فان قال قائل وكيف قيل فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ولم يقل في يوم لا ريب فيه قيل لمخالفة معنى اللام في هذا الموضع معنى في وذلك أنه لو كان مكان اللام في لكان معنى الكلام فكيف اذا جمعناهم في يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب وليس ذلك المعنى في دخول اللام ولكن معناه مع اللام فكيف اذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب فمع اللام في ليوم لا ريب فيه نية فعل وخبر مطلوب قد ترك ذكره أجزأ بدلالة دخول اللام في اليوم عليه منه وليس ذلك مع في فلذلك اختيرت اللام فأدخلت في اليوم دون في وأما تأويل قوله لا ريب فيه فانه لا شك في مجيئه وقد دللنا على انه كذلك بالادلة الكافية مع ذكر من قال ذلك في تأويله فيما مضى بما أغنى عن اعادته وعنى بقوله ووفيت ووفى الله كل نفس ما كسبت يعني ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون يعني انه لا يبخس المحسن جزاء احسانه ولا يعاقب مسيئا بغير جرمه ۞ القول في تأويل قوله (قل اللهم) أما تأويل قل اللهم فانه قل يا محمد يا الله واختلف أهل العربية في نصب ميم اللهم وهو منادى وحكم المنادى المفرد غير المضاف الرفع وفي دخول الميم فيه وهو في الاصل الله بغير ميم فقال بعضهم انما زيدت فيه الميمان لانه لا ينادى بيا كما ينادى الاسماء التي لا ألف فيها ولا لام وذلك أن الاسماء التي لا ألف ولا لام فيها تنادى بيا كقول القائل يا زيد ويا عمرو قال فجعلت الميم فيه خلفا من يا كما قالوا فم ودم وهم وزرقم وما أشبه ذلك من الاسماء والنعوت التي تحذف منها الحرف ثم يبدل مكانه ميم قال وكذلك حذفت من اللهم يا التي ينادى بها الاسماء التي على ما وصفنا وجعلت الميم خلفا منها في آخر الاسم وأنكر ذلك من قولهم آخرون وقالوا قد سمعنا العرب تنادي اللهم يا كما تناديه ولا ميم فيه قالوا ولو كان الذي قال هذا القول مصيبا في دعواه لم تدخله العرب يا وقد جاؤا بالخلف منها وأنشدوا في ذلك سماعا من العرب

في ذلك على نوعين من الشبهة أحدهما يتعلق بالعلم وهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم والثاني يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهاتين فأزال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء فان المعلوم بالضرورة من أحوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض المغيبات لا تدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحي أو الالهام وأزال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتأليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لأمات أولئك الذين أخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص أو احياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة البعض أو احيائه يدل على عدم الالهية قطعا وأما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المشاهدة الى مقدمات الزامية وهو انكم أيها المسلمون توافقوننا على انه ما كان له أب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله أيضا هو الذي يصوركم لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتدا من غير أب وأيضا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ألست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فأجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التأويل أو تفويضه الى عالمه وذلك قوله هو الذي نزل عليك الكتاب الآية وظهر انه ليس في الآية حجة ولا شبهة

وماعليك أن تقول كلما * صليت أو كبرت يااللهما * اردد علينا شيخنا مسلما

و برى سجت أو كبرت قالوا ولم نر العرب زادت مثل هذه الميم الا مخففة فى نواقص الاسماء مثل فم ودم وهم قالوا ونحن نرى انها كلمة ضم اليها أم بمعنى ياالله امنا بخير فكثرت فى الكلام فاختلطت به قالوا فالهمزة التى فى الها من همزة أم لما تركت انتقلت الى ما قبلها قالوا ونرى أن قول العرب هلم الينا مثلها انما كانت هلم هل ضم اليها أم فتركت على نصبها قالوا ومن العرب من يقول اذا طرح الميم ياألله اغفرلى و ياالله اغفرلى بهمز الالف من الله مرة ووصلها اخرى فمن حذفها أجراها على أصلها لانها ألف ولام مثل الالف واللام اللتين يدخلان فى الاسماء المعارف زائدتين ٧ ومن وصلها وحذف الهمزة وتوهم انها من الحروف اذ كانت لاتسقط منه وأنشدوا فى همزة الالف منها مبارك هو ومن سماه * على اسمك اللهم ياألله قالوا وقد كثرت اللهم فى الكلام حتى خفف ميمها فى بعض اللغات وأنشدوا لخلف ٦ من أبى رباح * يسمعها الاهم الكبار والرواة تنشد ذلك يسمعها الاهه الكبار وقد أنشده بعضهم يسمعها الله والكبار ۞ القول فى تاويل قوله (مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك مالك الملك يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصا دون غيره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله قل اللهم مالك الملك أى رب العباد الملك لا يقضى فيهم غيرك وأما قوله تؤتى الملك من تشاء فانه يعنى تعطى الملك من تشاء فتملكه وتسلطه على من تشاء وقوله وتنزع الملك ممن تشاء أى أن تنزعه منه فترك ذكر أن تنزعه منه اكتفاء بدلالة قوله وتنزع الملك ممن تشاء عليه كما يقال خذ ما شئت وكن فيما شئت يراد خذ ما شئت أن تأخذه وكن فيما شئت أن تكون فيه وكما قال جل ثناؤه فى أى صورة ما شاء ركبك يعنى فى أى صورة شاء أن يركبك فيها ركبك وقيل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا لمسئلة ربه أن يجعل ملك فارس والروم لامته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته فانزل الله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى انك على كل شئ قدير حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال ذكر لنا والله أعلم ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته ثم ذكر مثله و روى عن مجاهد أنه كان يقول معنى ملك فى هذا الموضع النبوة ذكر الرواية عنه بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء قال النبوة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تاويل قوله (وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) يعنى جل ثناؤه وتعز من تشاء باعطائه الملك والسلطان و بسط القدرة له وتذل من تشاء بسلبك ملكه وتسلط عدوه عليه بيدك الخير أى كل ذلك بيدك واليك لا يقدر على ذلك أحد لانك على كل شئ قدير دون سائر خلقك ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والاميين من العرب الها ور با يعبدونه من دونه كالمسيح والانداد التى اتخذها الاميون ربا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله تؤتى الملك من تشاء الآية أى ان ذلك بيدك لا الى غيرك انك على كل شئ قدير لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك ۞ القول فى تاويل قوله (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) يعنى بقوله جل ثناؤه

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل ولعل صوابها ومن نطمها وأثبت لهمزة توهم الخ ليغاير ما قبله تامل اه مصححه

لا وقد اشتملت هذه الآيات دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة فى قوله فى الارض ولا فى السماء مع انه لو أطلق كان أبلغ قلت الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض أقوى لعظمتهما فى الحس والحس متى أعان العقل على المطلوب كان الفهم أتم والادراك أكمل وهذه فائدة ضرب الامثلة فى العلوم قال الواحدى التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التاليف بين أجزائه وأصله من صاره اذا أماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل أبويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمى رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه ولتعبده وكيف فى موضع الحال أى على أى حال أراد طويلا أو قصيرا أسود أو أبيض حسنا أو قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المتخالفة ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لا يكفى فى كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب أحكمت آياته الر تلك آيات الكتاب الحكيم والمراد كون كله كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعانى وانه بحيث لا يتمكن أحد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثانى والمراد انه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والاعجاز والسبراءة من التناقض والتناقض ان هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم و بعضه متشابه فنعنى ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر و بالتشابه

نو لج

تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل فولج تدخل يقال منه قد ولج فلان منزله اذا دخله فهو يلجه ولجا وولوجا وولجة وأولجته انا اذا أدخلته ويعنى بقوله تولج الليل فى النهار تدخل ما نقصت من ساعة الليل فى ساعة النهار فتزيد من نقصان هذا فى زيادة هذا وتولج النهار فى الليل وتدخل ما نقصت من ساعة النهار فى ساعة الليل كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات وتدخل النهار فى الليل حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نقص من النهار يجعله فى الليل وما نقص من الليل يجعله فى النهار حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل قال ما ينقص من أحدهما يدخل فى الآخر متعاقبان أو يتعاقبان شك أبو عاصم ذلك من الساعات حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ما ينقص من أحدهما فى الآخر يتعاقبان ذلك من الساعات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل نقصان الليل فى زيادة النهار ونقصان النهار فى زيادة الليل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل قال هو نقصان أحدهما فى الآخر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة فى قوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل قال يأخذ الليل من النهار ويأخذ النهار من الليل يقول نقصان الليل فى زيادة النهار ونقصان النهار فى زيادة الليل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل يعنى انه يأخذ أحدهما من الآخر فيكون الليل أحيانا أطول من النهار والنهار أحيانا أطول من الليل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل قال هذا طويل وهذا قصير أخذ من هذا فأولجه فى هذا حتى صار هذا طويلا وهذا قصيرا ۞ القول فى تأويل قوله (وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك انه يخرج الشئ الحى من النطفة الميتة ويخرج النطفة الميتة من الشئ الحى ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن عبد الله فى قوله تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى قال هى النطفة تخرج من الرجل وهى ميتة وهو حى ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى قال الناس الأحياء من النطف والنطف ميتة ويخرجها من الناس الأحياء والأنعام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى فذكر نحوه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى فالنطفة ميتة تكون تخرج من انسان حى ويخرج انسان حى من نطفة ميتة حدثنى محمد بن عمرو وابن على عن عطاء القدمى قال ثنا أشعث السجستانى قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبى خالد فى قوله تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى قال تخرج النطفة من الرجل والرجل من النطفة حدثنا

القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر فى المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام فى اللغة للمنع وكذا باب ثم تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفى حديث النخعى حكم اليتيم كما تحكم ولدك أى امنعه من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغى وأما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدى الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظائره المشكل لانه أشكل أى دخل فى شكل غيره ثم ان كل أحد من أصحاب المذاهب يدعى ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والقول خصمه متشابهة فالمعتزلى يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا أن يشاء الله متشابه والسنى يقلب الامر فى ذلك وكذا المعتزلى يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسنى بالعكس فلا بد من قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظى أو عقلى والدليل اللفظى لا يكون قاطعا ألبتة لتوقفه على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلى والعقلى وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون أولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه فى المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما أشعر به الظاهر فعند هذا لا يحتاج الى ان عرف ان ذلك المرجوح الذى هو المراد ماذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل

وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض في تعيين التاويل غير جائز والله أعلم * المسئلة الثانية في حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل السور أولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لائحة كانشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كآيات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل رجحانها و بالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والماول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل و بالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق أيضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب ولعل الاصم يسمي ما هو الابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما أمكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي أو بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة و بمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذلك متشابه * المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما و بعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب

الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال يخرج الحي من هذه النطفة الميتة وتخرج هذه النطفة الميتة من الحي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي الآية قال الناس الاحياء من النطف والنطف ميتة من الناس الاحياء ومن الانعام والنبت كذلك قال ابن جريج وسمعت يزيد بن عمرو يخبر عن سعيد بن جبير قال اخراجه النطفة من الانسان واخراجه الانسان من النطفة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال النطفة ميتة فتخرج منها الاحياء وتخرج الميت من الحي تخرج النطفة من هؤلاء الاحياء والحب ميت تخرج منه حيا وتخرج الميت من الحي تخرج من هذا الحب الحي حبا ميتا * وقال آخرون معنى ذلك انه يخرج النخلة من النواة والنواة من النخلة والسنبل من الحب والحب من السنبل والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا عبد الله عن عكرمة قوله تخرج الحي من الميت قال هي البيضة تخرج من الحي وهي ميتة ثم يخرج منها الحي حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة * وقال آخرون معنى ذلك انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن سعيد ابن عمرو عن الحسن قرأ تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو عن ابن مسعود وأكبر ظني انه عن سلمان قال ان الله عز وجل خمر طينة آدم أربعين ليلة أو قال أربعين يوما ثم قال بيده فيه فخرج كل طيب في يمينه وخرج كل خبيث في يده الاخرى ثم خلط بينهما ثم خلق منها آدم فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه فاذا بامرأة حسنة النغمة فقال من هذه قالت احدى خالاتك قال ان خالاتي بهذه البلد لغرائب وأي خالاتي هذه قالت خالدة ابنة الاسود بن عبد يغوث قال سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافرا حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال هل علمتم ان الكافر يلد مؤمنا وان المؤمن يلد كافرا فقال هو كذلك * وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال يخرج الانسان الحي والانعام والبهائم الاحياء من النطف الميتة وذلك اخراج الحي من الميت ويخرج النطفة الميتة من الانسان الحي والانعام والبهائم الاحياء وذلك اخراج الميت من الحي وذلك ان كل حي فارقه شيء من جسده فذلك الذي فارقه منه ميت فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه ثم ينشئ الله منها انسانا حيا وبهائم وأنعاما احياء وكذلك حكم كل شيء حي زايله شيء منه فالذي زايله منه ميت وذلك هو نظير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا

أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وأما تأويل من تأوله بمعنى الحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة والبيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فان ذلك وان كان له وجه مفهوم فليس ذلك الاغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل الى الظاهر المستعمل في الناس أولى من توجيهها الى الخفي القليل في الاستعمال واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة منهم تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي بالتشديد وتثقيل الياء من الميت بمعنى انه يخرج الشئ الحي من الشئ الذي قد مات ومما لم يمت وقرأت جماعة أخرى منهم تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي بتخفيف الياء من الميت بمعنى انه يخرج الشئ الحي من الشئ الذي قد مات دون الشئ الذي لم يمت وتخرج الشئ الميت دون الشئ الذي لم يمت من الشئ الحي وذلك ان الميت مثقل الياء عند العرب ما لم يمت وسيموت وما قد مات وأما الميت مخففا فهو الذي قد مات واذا أرادوا النعت قالوا انك مائت غدا وانهم مائتون وكذلك كل ما لم يكن بعد فانه يخرج على هذا المثال الاسم منه يقال هو الجائد بنفسه والطائبة نفسه بذلك واذا أريد معنى الاسم قيل هو الجواد بنفسه والطيبة نفسه فاذ كان ذلك كذلك فاولى القراءتين في هذه الآية بالصواب قراءة من شدد الياء من الميت لان الله جل ثناؤه يخرج الحي من النطفة التي قد فارقت الرجل فصارت ميتة وسيخرجه منها بعد أن تفارقه وهي في صلب الرجل ويخرج الميت من الحي النطفة التي تصير بخروجها من الرجل الحي ميتا وهي قبل خروجها منه حية فالتشديد أبلغ في المدح وأكمل في الثناء ۞ القول في تأويل قوله (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني بذلك جل ثناؤه انه يعطي من يشاء من خلقه فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه لانه لا يخاف دخول انتقاص في خزائنه ولا الفناء على ما بيده كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وترزق من تشاء بغير حساب قال يخرج الرزق من عنده بغير حساب لا يخاف أن ينقص ما عنده تبارك وتعالى فتأويل الآية اذا اللهم يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير دون من ادعى الملحدون انه لهم اله ورب وعبدوه دونك واتخذوه شريكا معك أو انه لك ولد وبيدك القدرة التي تفعل هذه الاشياء وتقدر بها على كل شئ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل فتنقص من هذا وتزيد في هذا وتنقص من هذا فتزيد في هذا وتخرج من ميت حيا ومن حي ميتا وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك لا يقدر على ذلك أحد سواك ولا يستطيعه غيرك كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي أي بتلك القدرة يعني بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه ممن تشاء وترزق من تشاء بغير حساب لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه الا أنت أي وان كنت سلطت عيسى على الاشياء التي بها يزعمون انه اله من احياء الموتى وابراء الاسقام والخلق للطير من الطين والخبر عن الغيوب لتجعله آية للناس وتصديقا له في نبوته التي بعثته بها الى قومه فان من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه كتمليك الملوك وامر النبوة ووضعها حيث شئت وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل واخراج الحي من الميت والميت من الحي ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ولم أملكه اياه فلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة ان لو كان الها كان ذلك كله اليه وهو في علمهم يهرب من الملوك وينتقل منهم في البلاد من بلد الى بلد ۞ القول في تأويل قوله (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا أن تتقوا منهم تقاة) وهذا نهي من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا

مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ونافيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يتمسك بقوله يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي ليس كمثله شئ فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا لما الصاعن المتشابه نفيا كان أقرب الى حصول الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وأيضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وأيضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمانينة وافتقر أيضا الى تحصيل علوم أخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه وأصول الكلام الى غير ذلك ولما في المشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب أقوى وهو ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في أول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل

وذلك كسر يتخذ لانه فى موضع جزم بالنهى ولكنه كسر الذال منه للساكن الذى لقيه وهى ساكنة ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فانه من يفعل ذلك فليس من الله فى شئ يعنى بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله فى الكفر الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن تكونوا فى سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة ولا تتابعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين قال نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفوهم فى الدين وذلك قوله الا أن تتقوا منهم تقاة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وابن أبى الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر بن زبير وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبى أولئك النفر الا مباطنتهم ولزومهم فأنزل الله عز وجل لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى قوله والله على كل شئ قدير حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يقول لا يتخذ المؤمن كافرا وليا من دون المؤمنين حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا يتخذ المؤمنون الكافرين الى الا أن تتقوا منهم تقاة أما أولياء فيواليهم فى دينهم ويظهرهم على عورة المؤمنين فمن فعل هذا فهو مشرك فقد برئ الله منه الا أن تتقوا منهم تقاة فهو يظهر الولاية لهم فى دينهم والبراءة من المؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عمن حدثه عن ابن عباس الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقاة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال ما لم يهرق دم مسلم وما لم يستحل ماله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الا مصانعة فى الدنيا ومخالقة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى الا أن تتقوا منهم تقاة قال قال أبو العالية التقية باللسان وليس بالعمل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية فتكلم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن بالايمان فلا اثم عليه انما التقية باللسان حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فالتقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالايمان فان ذلك لا يضره انما التقية باللسان * وقال آخرون معنى الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن يكون بينك وبينه قرابة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء

المحكمات قوله هن أم الكتاب الام فى اللغة الاصل الذى يتكون منه الشئ فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات أصولا للمتشابهات وانما لم يقل أمهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات فى تقدير شئ واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة وأخر أى ومنه آيات أخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسيح فقالوا أليس هو كلمة الله وروحا منه قال صلى الله عليه وسلم بلى قالوا حسبنا وقال الكلبى هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة فى أوائل السورة وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال فى آخره وما يعلم تأويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى أخفاها عن الخلائق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث بأهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولوما تأتينا بالملائكة فهو الامر على الضعفة قال أهل السنة ويدخل فى هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله فى مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان على ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعى وانه من الله تعالى والا تسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك

أولياء من دون المؤمنين الا أن تتقوا منهم تقاة نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين وقال الله الا أن تتقوا منهم تقاة الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم فى دينهم الا أن يصل رحما له فى المشركين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء قال لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرا وليا فى دينه وقوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال صاحبهم فى الدنيا معروفا والرحم وغيره فأما فى الدين فلا وهذا الذى قاله قتادة تأويل له وجه وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الآية الا أن تتقوا من الكافرين تقاة فالاغلب من معانى هذا الكلام الا أن تخافوا منهم مخافة فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الآية انما هى تقية من الكفار لا من غيرهم ووجهه قتادة الى أن تأويله الا أن تتقوا من الله من أجل القرابة التى بينكم وبينهم تقاة فتصلون رحمها وليس ذلك الغالب على معنى الكلام والتأويل فى القرآن على الاغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار الا أن تتقوا منهم تقاة قال تقدير فعلة مثل تخمة وتؤدة وتكأة من اتقيت وقرأ ذلك آخرون الا أن تتقوا منهم تقية على مثال فعيلة والقراءة التى هى القراءة عندنا قراءة من قرأها الا أن تتقوا منهم تقاة لثبوت حجة ذلك بأنه القراءة الصحيحة بالنقل المستفيض الذى يمتنع منه الخطأ ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) يعنى تعالى ذكره بذلك ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا من معاصيه أو توالوا أعداءه فان لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ويوم حشركم لموقف الحساب يعنى بذلك متى صرتم اليه وقد خالفتم ما أمركم به وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين نالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به يقول فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه فانه شديد العقاب ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ان تخفوا ما فى صدوركم من موالاة الكفار فتسروه أو تبدوا ذلك من نفوسكم بألسنتكم وأفعالكم فتظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه يقول فلا تضمروا لهم مودة ولا تظهروا لهم موالاة فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به لانه يعلم سركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ منه وهو محصيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالاحسان احسانا وبالسيئة مثلها كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال أخبرهم انه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا قال ان تخفوا ما فى صدورهم أو أبدوه وأما قوله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فانما يعنى انه اذ كان لا يخفى عليه شئ هو فى سماء أو أرض أو حيث كان فكيف يخفى عليه أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ما فى صدوركم من الميل اليهم بالمودة والمحبة أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلا وقولا وأما قوله والله على كل شئ قدير فانه يعنى والله قدير على معاجلتكم بالعقوبة على موالاتكم اياهم ومظاهرتكموهم على المؤمنين وعلى ما يشاء من الامور كلها لا يتعذر عليه شئ أراد ولا يمتنع عليه شئ طلبه ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يعنى بذلك جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه فى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا موفرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يعنى غاية بعيدة فان مصيركم أيها القوم يومئذ اليه فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم وكان قتادة يقول فى معنى قوله محضرا ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد

الاعتقاد وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمى الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم فهى المحكمة وكل آية تخالفها فهى المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلاثة أقسام أحدهما ما يتأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا وثانيها التى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذاك هو الذى يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذى لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفى ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة أخرى وهى ان الدليل العقلى مختلف فيه أيضا بحسب مارتبه كل فريق وتخيله صادقا فى ظنه مادة وصورة فكل فرقة تدعى بمقتضى فكره ان الدليل العقلى قد قام على ما يوافق مذهبه ويتأكد به الظاهر الذى تعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوى ونور الهى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين أحدهما ابتغاء الفتنة وهى فى اللغة الاستهتار بالشئ والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل فى قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عنه تخيله البتة وقيل الفتنة فى الدين هو الضلال عنه أى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى أوقعوا تلك المتشابهات فى البين صار بعضهم مخالفا للبعض فى الدين وذلك يفضى الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثانى ابتغاء تأويله أى طلب المعنى الذى يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير أن يكون قد وجدوه فى كتاب الله بيانا قال القاضى أبو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين أحدهما ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة

والثاني ان يحكموا بحكم فى الموضع الذى لادليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم قال عزمن قائل وما يعلم تأويله الا الله والعلماء اختلفوا فى هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن أنس والكسائى والفراء ومن المعتزلة قول أبى على الجبائى ومنهم من لم يجعل الواو فى والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ فى العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد يروى عن ابن عباس أيضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان أما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدر وأما الراسخون فى العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل أقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفى المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به فى المسائل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع أن يكون فى المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما أشعر به ظاهرها الا ان فى مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين أحدها الا بدليل لغوى ظنى والقول بالظن فى ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن أنس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ما قيل ان هذه الآية تقدم لطالب تأويل المتشابه حيث قال فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين فى العلم بانهم يقولون آمنا به وقال

قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يقول موفرا وقد زعم أهل العربية أن معنى واذكر يوم تجد يوم تجد وقال ان ذلك انما جاء كذلك لان القرآن انما نزل للامر والذكر كأنه قيل لهم اذكروا كذا وكذا لان فى القرآن فى غير موضع واتقوا يوم كذا وحين كذا وأما ما التى مع عملت فبمعنى الذى ولا يجوز أن تكون جزاء لوقوع تجد عليه وأما قوله وما عملت من سوء فانه معطوف على قوله ما الاولى وعملت صلة بمعنى الرفع ٧ كما قيل تود فتأويل الكلام يوم تجد كل نفس الذى عملت من خير محضرا والذى عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا والامد الغاية التى ينتهى اليها ومنه قول الطرماح

كل حى مستكمل عدة العمـ * ـر ومود اذا انقضى أجله

يعنى غاية أجله وقد حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا مكانا بعيدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أمدا بعيدا قال أجلا حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا قال يسر أحدكم أن لا يلقى عمله ذلك أبدا يكون ذلك مناه وأما فى الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها ۞ القول فى تأويل قوله (ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) يقول جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم فتوافوه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وهو عليكم ساخط فينالكم من أليم عقابه ما لا قبل لكم به ثم أخبر عز وجل انه رؤف بعباده رحيم بهم ومن رأفته بهم تحذيره اياهم نفسه وتخويفهم عقوبته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معاصيه كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن الحسن فى قوله ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قال من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ۞ القول فى تأويل قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فى السبب الذى أنزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم أنزلت فى قوم قالوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا فامر الله جل وعز نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ان كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعونى فان ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن بكر بن الاسود قال سمعت الحسن يقول قال قوم على عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه حدثنى المثنى قال ثنا على بن الهيثم قال ثنا عبد الوهاب عن أبى عبيدة قال سمعت الحسن يقول قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله جل وعز بذلك قرآنا قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علم الحبه وعذاب من خالفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال كان قوم يزعمون انهم يحبون الله يقولون انا نحب ربنا فامرهم الله أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل اتباع محمد علما لحبه حدثنى محمد بن سفيان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله ان كنتم تحبون الله الآية قال ان أقواما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون انهم يحبون الله فاراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فقال ان كنتم تحبون الله الآية كان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقولهم * وقال آخرون بل هذا أمر من الله نبيه محمد

٧ قوله بمعنى الرفع كما قيل الخ يتأمل فى هذه العبارة فانه لا يظهر لها معنى والمنصوص ان ما الثانية مبتدأ وتود خبر تأمل اه مصححه

صلى

صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى ان كان الذي يقولونه في عيسى من عظيم القول انما يقولونه تعظيما لله وحباله فاتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل ان كنتم تحبون الله أي ان كان هذا من قولكم يعني في عيسى حبا لله وتعظيما له فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم أي ما مضى من كفرهم والله غفور رحيم قال أبو جعفر * وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير لانه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادعوا انهم يحبون الله ولا انهم يعظمونه فيكون قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني جوابا لقولهم على ما قاله الحسن وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه فلا خبر به عندنا يصح فيجوز أن يقال ان ذلك كذلك وان لم يكن في السورة دلالة على انه كما قال الا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر انهم قالوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى فيكون ذلك من قوله نظير اختيارنا فاذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ولا في الآية دليل على ما وصفنا فأولى الامور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة وذلك هو ما وصفنا لان ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم واحتجاج من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم محمد ودليل على بطول قولهم في المسيح فالواجب أن تكون هي أيضا مصروفة المعنى الى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها فاذ كان الامر على ما وصفنا فتأويل الآية قل يا محمد للوفد من نصارى نجران ان كنتم كما تزعمون انكم تحبون الله وانكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون حبا منكم ربكم فحققوا قولكم الذي تقولونه ان كنتم صادقين باتباعكم اياي فانكم تعلمون أني لله رسول اليكم كما كان عيسى رسولا الى من أرسل اليه فانه ان اتبعتموني وصدقتموني على ما أتيتكم به من عند الله يغفر لكم ذنوبكم فيصفح لكم عن العقوبة عليها و يعفو لكم عما مضى منها فانه غفور لذنوب عباده المؤمنين رحيم بهم و بغيرهم من خلقه ۞ القول في تأويل قوله (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصارى نجران أطيعوا الله والرسول محمدا فانكم قد علمتم يقينا انه رسولي الى خلقي ابتعثته بالحق تجدونه مكتوبا عندكم في الانجيل فان تولوا فاستدبروا عما دعوتهم اليه من ذلك وأعرضوا عنه فاعلمهم ان الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق وأنكره بعد علمه وانهم منهم بجحودهم نبوتك وانكارهم الحق الذي أنت عليه بعد علمهم بصحة أمرك وحقيقة نبوتك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل أطيعوا الله والرسول فانتم تعرفونه يعني الوفد من نصارى نجران وتجدونه في كتابكم فان تولوا على كفرهم فان الله لا يحب الكافرين ۞ القول في تأويل قوله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) يعني بذلك جل ثناؤه ان الله اجتبى آدم ونوحا واختارهما لدينهما وآل ابراهيم وآل عمران لدينهم الذي كانوا عليه لانهم كانوا أهل الاسلام فاخبر الله عز وجل انه اختار دين من ذكرنا على سائر الاديان التي خالفته وانما عنى بآل ابراهيم وآل عمران المؤمنين وقد دللنا على ان آل الرجل اتباعه وقومه ومن هو على دينه و بالذي قلنا في ذلك روى القول عن ابن عباس انه كان يقوله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد يقول الله عز وجل ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهم المؤمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد

تعالى في أول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيأ على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز أن يكون ظاهرها مرادا لله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى شئ غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى أي شئ كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتأكيد وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به الى الكتاب أي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه و يحتمل أن يكون قوله يقولون حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا أولو الالباب ما يتعظ الا ذو والعقول الكاملة الذين يستعملون أذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق ظاهر دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس فيكون متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من

لايجوز فى كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لابد أن يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالذ
الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
أى بعد وقت هدايتنا والثانى قولهم (١٤٤) وهب لنا من لدنك رحمة سالوا ربهم أولا أن لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد

الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال ذكر الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين فكان محمد من آل ابراهيم حدثنى محمد ابن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم الى قوله والله سميع عليم قال فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الانبياء الاتقياء المصطفين لربهم ۞ القول فى تاويل قوله (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) يعنى بذلك ان الله اصطفى آل ابراهيم وآل عمران ذرية بعضها من بعض فالذرية منصوبة على القطع من آل ابراهيم وآل عمران لان الذرية نكرة وآل عمران معرفة ولو قيل نصبت على تكرير الاصطفاء لكان صوابا لان المعنى اصطفى ذرية بعضها من بعض وانما جعل بعضهم من بعض فى الموالاة فى الدين والموازرة على الاسلام والحق كما قال جل ثناؤه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال فى موضع آخر المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعنى ان دينهم واحد وطريقتهم واحدة فكذلك قوله ذرية بعضها من بعض يعنى انما معناه ذرية دين بعضها دين بعض وكلمتهم واحدة وملتهم واحدة فى توحيد الله وطاعته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذرية بعضها من بعض يقول فى النية والعمل والاخلاص والتوحيد له وقوله والله سميع عليم يعنى بذلك والله ذو سمع لقول امرأة عمران وذو علم بما تضمره فى نفسها اذ نذرت له ما فى بطنها محررا ۞ القول فى تاويل قوله (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم) يعنى بقوله جل ثناؤه اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى فاذ من صلة سميع وأما امرأة عمران فهى أم مريم ابنة عمران أم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وكان اسمها فيما ذكر لنا حنة ابنة فاقوذ بن قتيل كذلك حدثنا به محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبة وقال غير ابن حميد ابنة فاقود بالدال ابن قتيل فاما زوجها عمران فانه عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن احريق بن يوثم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن اشابرا بان بن رجيعم بن سليمان بن داود بن ايشا كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبه وأما قوله رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فان معناه انى جعلت لك يا رب نذرا أن لك الذى فى بطنى محررا لعبادتك يعنى بذلك حبسته على خدمتك وخدمة قدسك فى الكنيسة عتيقة من خدمة كل شئ من سوالك مفرغة لك خاصة ونصب محررا على الحال من ما التى بمعنى الذى فتقبل منى ما نذرت لك يا رب انك أنت السميع العليم يعنى انك أنت يا رب السميع لما أقول وادعو العليم لما أنوى فى نفسى وأريد لا يخفى عليك سر أمرى وعلانيته وكان سبب نذر حنة ابنة فاقود امرأة عمران الذى ذكره الله فى هذه الآية فيما بلغنا ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال تزوج زكريا وعمران أختين فكانت أم يحيى عند زكريا وكانت أم مريم عند عمران فهلك عمران وأم مريم حامل بمريم فهى جنين فى بطنها قال وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان فبيناهى فى ظل شجرة نظرت الى طائر يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا فحملت بمريم وهلك عمران فلما عرفت ان فى بطنها جنينا جعلته لله نذيرة والنذيرة أن تعبده لله فتجعله حبسا فى الكنيسة لا ينتفع به بشئ من أمور الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم ذكر امرأة عمران وقولها رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا أى نذرته يقول جعلته عتيقا العبادة الله لا ينتفع به بشئ من أمور الدنيا فتقبل منى انك أنت السميع العليم حدثنى عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا

الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم وأعضاءهم بزينة الطاعة والعبودية والخدمة ونكر رحمة ليشمل جميع أنواعها فاولها ان يحصل فى القلب نور الايمان والتوحيد والمعرفة وثانيها ان يحصل فى الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل له فى الدنيا سهولة أسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة فى القبر وسادسها فى القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات وسابعها فى الجنة ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وثامنها فى الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك الجبار وفى قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك أنت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال أهل السنة

القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى النضر
فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما
ورد فى القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

النضر بن عدى عن مجاهد فى قوله محررا قال خادما للبيعة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عدى عن مجاهد قال خادما للكنيسة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبى فى قوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال فرغته للعبادة حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى فى قوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال جعلته فى الكنيسة وفرغته للعبادة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل عن الشعبى نحوه حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال للكنيسة يخدمها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال خالصا لا يخالطه شئ من أمر الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال للبيعة والكنيسة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال محررا للعبادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا الآية وكانت امرأة عمران حررت لله ما فى بطنها وكانوا انما يحررون الذكور وكان المحرر اذا حرر جعل فى الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال نذرت ولدها للكنيسة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم قال وذلك ان امرأة عمران حملت فظنت أن ما فى بطنها غلام فوهبته لله محررا لا يعمل فى الدنيا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما فى بطنها قال وكانوا انما يحررون الذكور فكان المحرر اذا حرر جعل فى الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها حدثت عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك فى قوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا قال جعلت ولدها لله وللذين يدرسون الكتاب ويتعلمونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة انه أخبره عن عكرمة وأبى بكر عن عكرمة ان امرأة عمران كانت عجوزا عاقرا تسمى حنة وكانت لا تلد فجعلت تغبط النساء لاولادهن فقالت اللهم ان على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدامه قال وقوله نذرت لك ما فى بطنى محررا انها المعرة ابنة الحرائر محررا للكنيسة يخدمها حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد بن منصور عن الحسن فى قوله اذ قالت امرأة عمران الآية كلها قال نذرت ما فى بطنها ثم سيبها

﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم) يعنى جل ثناؤه بقوله فلما وضعتها فلما وضعت حنة النذيرة ولذلك أنث ولو كانت الهاء عائدة على ما التى فى قوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا لكان الكلام فلما وضعته قالت رب انى وضعته أنثى ومعنى قوله وضعتها ولدتها يقال منه وضعت المرأة تضعه وضعا قالت رب انى وضعتها أنثى أى ولدت النذيرة أنثى والله أعلم بما وضعت واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وضعت خبرا من الله عز وجل عن نفسه انه العالم بما وضعت من غير قيلها رب انى وضعتها أنثى وقرأ ذلك بعض المتقدمين والله أعلم بما وضعت على وجه الخبر بذلك عن أم مريم انها هى القائلة والله أعلم بما ولدت منى وأولى

قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يعنى الداعيتين بتوسط [illegible] كذلك أن الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بأنهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم فى مثل هذا الوقت أن يتكلموا بالمتشابه فتكون هذه الآية من أقوى المحكمات وهو ظاهر فى أن الازاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى أما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على أن الازاغة لا يجوز أن تصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الآية الى التأويل فقال الجبائى واختاره القاضى المراد أن يمنع قلوبهم الالطاف التى معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح فى حقهم وجب عندكم على الله أن يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته واصار محتاجا وقال الاصم لا تبلنا ببلوى نزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملنى على ايذائك أى لا تفعل ما أصير عنده مؤذيا لك وزيف بان التشديد فى التكليف قبيح ان علم الله تعالى أن له أثرا فى حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة فى صرف الدعاء اليه وقال الكعبى لا تسمنا باسم الزائغ كما يقال فلان يكفر فلانا أى يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية أيضا بسببه وقال الجبائى أيضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا أن يحمل على شئ آخر وهو انه تعالى اذا علم أنه مؤمن فى الحال وعلم أنه لو بقى الى السنة الثانية لكفر أماته فى هذه السنة ويرد عليه أنه لو كان علمه بانه يكفر فى السنة الثانية فوجب عليه أن يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره

القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها وذلك قراءة من قرأ والله أعلم بما وضعت ولا يعترض بالشاذ عنها عليها فتأويل الكلام اذا والله أعلم من كل خلقه بما وضعت ثم رجع جل ذكره الى الخبر عن قولها وانها قالت اعتذارا الى ربها مما كانت نذرت في حملها فحررته لخدمة ربها وليس الذكر كالانثى لان الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها وان الانثى لا تصلح في بعض الاحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس واني سميتها مريم كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أي لما جعلتها له محررة نذيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق وليس الذكر كالانثى لان الذكر هو أقوى على ذلك من الانثى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليس الذكر كالانثى كانت المرأة لا تستطيع ان يصنع بها ذلك يعني ان تحرر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والاذى فعند ذلك قالت وليس الذكر كالانثى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قالت رب اني وضعتها أنثى وانما كانوا يحررون الغلمان قال وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها وكانت على رجاء ان يهب لها غلاما لان المرأة لا تستطيع ذلك يعني القيام على الكنيسة لا تبرحها وتكنسها لما يصيبها من الاذى حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ان امرأة عمران ظنت ان ما في بطنها غلام فوهبته لله فلما وضعت اذا هي جارية فقالت تعتذر الى الله رب اني وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى تقول انما يحرر الغلمان يقول الله والله أعلم بما وضعت فقالت اني سميتها مريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة انه أخبره عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى يعني في المحيض ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال أمها تقول ذلك ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) يعني بقولها واني أعيذها بك وذريتها واني أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك وأصل المعاذ الموئل والملجأ والمعقل فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم فلم يجعل له عليها سبيلا حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس مولود يولد الا والشيطان ينال منه تلك الطعنة وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم ابنة عمران فانها لما وضعتها قالت رب اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها حجاب فطعن فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود من ولد آدم له طعنة

فوجب أن لا يخلفه وعن الاصم أيضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فأما الذين في قلوبهم زيغ وقال أبو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور أنفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا أن يصونهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة فكأنهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالآخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه أي في وقوعه فاللام للوقت أو جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كأنه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا أن يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع قاله في الصحاح واعلم أنه لا يلزم من أنه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما أنه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز أن يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم

اذا وعد السراء أنجز وعده ... وان وعد الضراء فالعفو مانعه

وناظر أبو عمرو بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما تقول في أصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا وأوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال أبو عمرو انك أعجم لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الايعاد كرما وأنشد

واني وان أوعدته أو وعدته ... لمكذب ايعادي ومنجز موعدي

وذلك أن الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن أسقط حق نفسه فقد أتى بالجود والكرم ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على أنا لا نسلم أن الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان أبا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني أعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولكني ان أظهرت ذلك أخذ ملوك الروم مني ما أعطوني من المال فانه تعالى بين أن أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ

واعلم أن كمال العذاب هو أن يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة أما الاول فاليه أشار بقوله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم لانهما أقرب الامور التى يفزع اليه المرء عند الخطوب واذا لم يفدا أقرب الطرق الى دفع المضار فى ذلك اليوم فما عداهما بالتعذر أولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير وأما الثانى فاليه أشار بقوله وأولئك هم وقود النار فانه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم كاشتعالها فى الحطب اليابس ومن فى قوله من الله للبدل مثله فى قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيأ أى بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغنى عنهم بدل رحمة الله أو طاعته شيأ وفى الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفعه جده وحظه فى الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وأنشد أبو على شعر فليت لنا من ماء (١٤٧) زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز أن يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شئ أو من زائدة لتأكيد النفى التقدير لن تغنى عنهم عذاب الله شيأ من الغناء أى لن تدفع وقال أبو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغنى عند الله شيأ قوله تعالى كدأب آل فرعون يقال دأب فلان فى عمله أى جد وتعب دأبا ودؤبا فهو دئيب وأدأبته أنا والدائبان الليل والنهار والدأب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك وأصله من دأبت اطلاقا لاسم الخاص على العام أى جد هؤلاء الكفار واجتهادهم أو شانهم أو صنيعهم فى تكذيب محمد وكفرهم بدينه كدأب آل فرعون مع موسى عليه السلام ثم انا أهلكنا أولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم على أنه جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا بآياتنا بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فأخذهم الله بذنوبهم أى صاروا عند نزول العذاب كالمأخوذ المأسور الذى لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كدأب الله فى آل فرعون أى يجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه فى آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل أن تكون الآية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كأنه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم فى ايذاء محمد كعادة من قبلهم فى ايذاء الرسل وعادتنا أيضا فى اهلاك هؤلاء كعادتنا فى اهلاك أولئك الكفرة وقيل الدؤب والدأب اللبث والدوام والتقدير دؤبهم فى النار كدؤب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم فى النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وقيل المشبه هو أن أموالهم وأولادهم لا تنفعهم

طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبى الا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها فان أمها قالت حين وضعتها انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها حجاب فطعن فى الحجاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو عن شعيب بن خالد عن الزبيرى عن سعيد بن المسيب قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم مولود يولد الا قد مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا بمسه اياه غير مريم وابنها فقال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن أبى ذؤيب عن عجلان مولى المشمعل عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من بنى آدم يمسه الشيطان باصبعه الا مريم وابنها حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث ان أبا يونس سليمان مولى أبى هريرة حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه الا مريم وابنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمران ان أبا يونس حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من مسة الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا قيس عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين الا عيسى ابن مريم ومريم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبى قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال ما ولد مولود الا وقد استهل غير المسيح بن مريم لم يسلط عليه الشيطان ولم ينهزه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان الافطس انه سمع وهب بن منبه يقول لما ولد عيسى أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا فى حادث حدث فقال مكانكم فطار حتى جاء خافقى الارض فلم يجد شيأ ثم جاء البحار فلم يجد شيأ ثم طار أيضا فوجد عيسى قد ولد عند مذود حمار واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا أنا بحضرتها الا هذه فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل الخفة والعجلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول كل بنى آدم طعن الشيطان فى جنبه الا عيسى ابن مريم وأمه جعل بينهما وبينه حجاب فاصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما شئ

في إزالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ماحل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم أيها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل مانزل بهم ولا يغني عنكم الاموال والاولاد ويحتمل أن يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستئصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صار والى دوام العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فسينزل بمن كذب بمحمد أمران أحدهما المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد* التاويل الم الالف اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب ومتفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف ويشير باستقامته وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني أزلا وأبدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم في اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اثبات أن كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي لازال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف وأما اللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد فوقوعه في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى أنه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك أن الميم أول حرف من اسمه المبدئ وآخر حرف من اسمه القيوم فيشير الى أنه كما بدأ المبدأ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك له مافي السموات والارض والنفي في لا النافية أي لا وجود لشئ بالحقيقة سواه والميم يشير أيضا الى اثبات ونفي فالاثبات ميم اسمه القيوم والنفي ما النافية أي مافي الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشرك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات جميع صفات كماله ونفي جميع صفات النقص عن ذاته وقد أودع مجموع معاني هذه الآية في قوله الم فمعنى قوله الله أودع في أول حرف من حروفه وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو أودع في أول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم أودع في آخر حرف من حروفه وهو

قرع

وذكر لنا انهما كانا لا يصيبان الذنوب كما تصيبها سائر بني آدم وذكر لنا ان عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والاخلاص حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا عبدالله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كل آدمي طعن الشيطان في جنبه غير عيسى وأمه كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها بنو آدم قال قال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثني على ربه وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن له علينا سبيل حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز انه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه الا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب حدثنا الربيع قال ثنا شعيب قال أخبرنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز انه قال قال أبو هريرة أرأيت هذه الصرخة التي يصرخها الصبي حين تلده أمه فانها منها حدثني أحمد بن الفرج قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن بني آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا ۞ القول في تاويل قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) يعني بذلك ان الله جل ثناؤه تقبل مريم من أمها حنة بتحريرها اياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها بقبول حسن والقبول مصدر من قبلها ربها فاخرج المصدر على غير لفظ الفعل ولو كان على لفظه لكان فتقبلها ربها تقبلا حسنا وقد تفعل العرب ذلك كثيرا ان ياتوا بالمصادر على اصول الافعال وان اختلفت ألفاظها في الافعال بالزيادة وذلك كقولهم تكلم فلان كلاما ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل تكلم فلان تكلما ومنه قوله وأنبتها نباتا حسنا ولم يقل انباتا حسنا وذكر عن أبي عمرو بن العلاء انه قال لم تسمع العرب بضم القاف في قبول وكان القياس الضم لانه مصدر مثل الدخول والخروج قال ولم أسمع بحرف آخر في كلام العرب يشبهه حدثت بذلك عن أبي عبيد قال أخبرني اليزيدي عن أبي عمرو وأما قوله وأنبتها نباتا حسنا فان معناه وأنبتها ربها في غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن قال تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة وأجرها فيها وأنبتها قال نبتت في غذاء الله ۞ القول في تاويل قوله (وكفلها زكريا) اختلفت القراء في قراءة قوله وكفلها فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة وكفلها مخففة الفاء بمعنى ضمها زكريا اليه واعتبارا بقول الله عز وجل يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وكفلها زكريا بمعنى وكفلها الله زكريا وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ وكفلها مشددة الفاء بمعنى وكفلها الله زكريا بمعنى وضمها الله اليه لان زكريا أيضا ضمها اليه بايجاب الله له ضمها اليه بالقرعة التي أخرجها الله له والآية التي أظهرها لخصومه فيها فجعله بها أولى منهم اذ

الميم وانما أودع فى آخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا فى الآية من أول حرفها الى آخر حرفها مكتوما [illegible] الحروف الثلاث من قوله الم يكون الالف من أولها دالا على المعنى الذى هو فى الكلمة الاولى وهى الله واللام من أوسطها دالا على المعنى الذى فى الكلمة الثانية وهى لا اله الا هو والميم من آخرها دالا على المعنى الذى مودع فى الثالثة وهو الحى القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا فى الم كما روى عن سعيد بن جبير وغيره وهو سر القرآن وصفوته كما روى عن أبى بكر وعلى عليهما السلام ثم انه تعالى بعد ان أظهر أسرار ألوهيته المودعة فى الم بقوله الله لا اله الا هو الحى القيوم أظهر ألطاف ربوبيته المكنونة فى أستار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وأنواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن زرك فصرت مشاهد السر الله المودع (١٤٩) فى الم وهو الذى بين يدى الله لا اله الا هو الحى القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فافهم اذلم تعلم ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وأنت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من السيارين وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظن يا محمد أن انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلى أنواره باسراره وحقائق بينى و بينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة فى صحائف وألواح يقرأها كل قارئ ويستوى فى هداها الانبياء والامم قاطبة هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلى أنوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وأنزل الفرقان الذى يفرق بين تنزيله على قلبك و بين انزال الكتب على صورة الانبياء و يفرق بين تعليمك القرآن وبين تعلمهم الكتب فان كانوا يتدارسون الكتب فانت متخلق بالقرآن فشتان بين نبى يجىء وهو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين و بين نبى يجىء ومعه نور من الكتاب قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبى تشرف بكتابه الموعظة له فى الالواح وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة و بين نبى تشرف أمته بكتابة الايمان لهم فى قلوبهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ان الذين كفروا با آيات الله يسترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الآيات البينات لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم فى خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذوانتقام يعز أهل العز بنيل المرام و ينتقم من أهل السلوة بحجاب العزة ثم أخبر تعالى عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وكيف يخفى

قرعة منها من شاحه فيها وذلك انه بلغنا ان زكريا وخصومه فى مريم اذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده تساهموا بقداحهم فرموا بها نهر الاردن فقال بعض أهل العلم رثب قدح زكريا فقام فلم يجر به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء فجعل الله ذلك لزكريا انه أحق المتنازعين فيها وقال آخرون بل صعد قدح زكريا فى النهر وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت فكان ذلك له علما من الله فى انه أولى القوم بها وأى الامرين كان من ذلك فلا شك ان ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بانه أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك فانما ضمها زكريا الى نفسه بضم الله اياها اليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاحهم فيها واختصامهم فى أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك كان بينا ان أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد كفلها وأما ما اعتل به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله أيهم يكفل مريم وان ذلك موجب صحة اختيارهم التخفيف فى قوله وكفلها فحجة دالة على ضعف اختيار المحتج بها وذلك انه غير ممتنع على ذى عقل من ان يقول قائل كفل فلان فلانا فكفله فلان فكذلك القول فى ذلك ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم بتكفيل الله اياه بقضائه الذى يقضى بينهم عند القائهم الاقلام وكذلك اختلفت القراء فى قراءة زكريا فقرأته عامة قراءة المدينة بالمد وقرأته عامة قراء الكوفة بالقصر وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان فى قراءة المسلمين وليس فى القراءة باحداهما خلاف لمعنى القراءة الاخرى فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب غير ان الصواب عندنا اذا مد زكريا ان ينصب بغير تنوين لانه اسم من أسماء العجم لا يجر ولان قراءة تنافى كفلها بالتشديد وتثقيل الفاء فزكرياء منصوب بالفعل الواقع عليه وفى زكريا لغة ثالثة لا تجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وهو زكرى بحذف المدة والياء الساكنة تشبهه العرب بالمنسوب من الاسماء فتنونه وتجريه فى أنواع الاعراب مجارى ياء النسبة فتاويل الكلام وضمها الله الى زكريا من قول الشاعر

* فهو لضلال الهوام كافل * يراد به لما ضل من متفرق النعم ومنتشره ضام الى نفسه وجامع وقد روى فهو لضال الهوام كافل يعنى انه لما ند فهرب من النعم ضام من قولهم ضل الظليم اذا أسرع الطيران يقال منه للرجل مالك تكفل كل ضالة يعنى به تضمها اليك وتأخذها وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة عن النضر بن عربى عن عكرمة فى قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم قال ألقوا أقلامهم فجرت بها الجرية الا قلم زكريا صاعدا فكفلها زكريا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وكفلها زكريا قال ضمها اليه قال ألقوا أقلامهم يقول عصيهم قال فالقوها تلقاء جرية الماء فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء فقرعهم حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا فانطلقت بها أمها فى خرقها يعنى أم مريم بمريم حين ولدتها الى المحراب وقال بعضهم انطلقت حين بلغت الى المحراب وكان الذين يكتبون التوراة اذا جاؤا اليهم بانسان

وانه هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجرى من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفى الآية اشارة الى أنه اذا اسقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة فى رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهى بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد أحواله الظاهرة والباطنة على وفق أمر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حركة عنيفة أو يجد رائحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بحرور كل أربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى أن يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التى منها صدر الى عالم الانس فيتكون الجنين فى رحم القلب وهو طفل خليفة الله فى أرضه فيستحق الآن أن ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه وأوليائه يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم أجمعون الآيات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين فى قلوبهم زيغ ألبست قلوبهم غطاء الريب وحرموا أنوار الغيب وهم أهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس بآرائهم والراسخون فى العلم يقولون آمنا به بما شاهدوا من أنوار الحق فى تحقيق التاويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا أولوا الالباب الذين خرجوا فى متابعة النبى صلى الله عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم النفسانى الى نور لباب وجودهم الروحانى وهم الراسخون فى قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفى الآية اشارة الى أن علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم فى الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات وأشهدهم على أنفسهم بشواهد الربوبية ألست بربكم فبشهود تلك الشواهد ركن فى جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج فى علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم آدم الاسماء كلها فلما اودت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام لى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى أن وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به الى أسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والتنطق بها ثم أبواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن حتى يتذكر

يجربونه اقترعوا عليه أيهم ياخذه فيعلمه وكان زكريا أفضلهم يومئذ وكان نبيهم وكانت خالة مريم تحته فلما أتوا بها اقترعوا عليها وقال لهم زكريا انا أحقكم بها تحتى خالتها فابوا فخرجوا الى نهر الاردن فالقوا أقلامهم التى يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها فجرت الاقلام وقام قلم زكريا على قرنته كانه فى طين فاخذ الجارية وذلك قول الله عز وجل وكفلها زكريا فجعلها زكريا معه فى بيته وهو المحراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكفلها زكريا يقول ضمها اليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وكفلها زكريا قال سهمهم بقلمه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال كانت مريم ابنة سيدهم وامامهم قال فتشاح عليها أحبارهم فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها قال قتادة وكان زكريا زوج أختها فكفلها وكانت عنده وحضنها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة انه أخبره عن عكرمة وأبى بكر عن عكرمة قال ثم خرجت بها يعنى أم مريم بمريم فى خرقها تحملها الى بنى الكاهن بن هرون أخى موسى بن عمران قال وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلى الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فانى حررتها وهى ابنتى ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا اردها الى بيتى فقالوا هذه ابنة امامنا وكان عمران يؤمهم فى الصلاة وصاحب قربانهم فقال زكريا ادفعوها الى فان خالتها عندى قالوا لا تطيب أنفسنا هى ابنة امامنا فذلك حين اقترعوا فاقترعوا باقلامهم عليها بالاقلام التى يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال جعلها زكريا معه فى محرابه قال الله عز وجل وكفلها زكريا قال حجاج قال ابن جريج الكاهن فى كلامهم العالم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير وكفلها زكريا بعد أبيها وأمها فذكرها باليتم ثم قص خبرها وخبر زكريا حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال كانت عنده حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال جعلها زكريا معه فى محرابه حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وتقارعها القوم فقرع زكريا فكفلها زكريا وقال آخرون بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم كفلها بغير اقتراع ولا استهام عليها ولا منازعة أحد اياه فيها وانما كفلها لان أمها ماتت بعد موت أبيها وهى طفلة وعند زكريا خالتها الاشياع ابنة فاقود وقد قيل ان اسم أم يحيى خالة عيسى أشيع حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن عن شعيب الجبائى ان اسم أم يحيى أشيع فضمها الى خالتها أم يحيى

فكانت

بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية وأستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذى أجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور ولباب ذلك الوجود المستمع المجيب فى الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذى استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذى أبصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذى فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التى تعلمت من الحق فالنبى صلى الله عليه وسلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التى كان أولاه يذكر انه قشرها كما قال فذكر انما أنت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا أولوا الالباب انما يتذكر أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات ظلمات طباعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى (١٥١) سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب أبصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك انك أنت الوهاب وفيه اشارة الى أن وظيفة الطالب أن لا يسكن فى مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طالبا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه وان بعد هذه الدار دارا هى دار القرار توفى فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب فى الطلب ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغنى عنهم طاغوت أموالهم وأولادهم من أنوار الله التى حجبوا عنها وأولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التى لا تحرق الاقشور الجلود ولا تخلص الى القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحياة الى سموم الممات شعر

فنى فؤاد المحب نار هوى * أحر نار الجحيم أبردها

وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة أنوارنا ومحافظة أسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب أليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشراقه شعر

ما النار خوفنى قومى فقلت لهم * النار نرحم من فى قلبه نار

(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

فكانت اليهم ومعهم حتى اذا بلغت دخولها الكنيسة لنذر أمها التى نذرت فيها قالوا والاقتراع فيها بالاقلام انما كان بعد ذلك بمدة طويلة لشدة اصابتهم ضعف زكريا عن حمل مؤنتها فتدافعوا حمل مؤنتها الارغبة منهم ولا تنافسا عليها وعلى احتمال مؤنتها وسنذكر قصتها فى قول من قال ذلك اذا بلغنا اليها ان شاء الله تعالى حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق فعلى هذا التأويل تصح قراءة من قرأ وكفلها زكريا بتخفيف الفاء لوصح التاويل غيران القول متظاهر من أهل التاويل بالقول الاول ان استهام القوم فيها كان قبل كفالة زكريا اياها وان زكريا انما كفلها باخراج سهمه منها فالعاجل سهام خصومه فيها فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف ۞ القول فى تاويل قوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) يعنى بذلك جل ثناؤه ان زكريا كان كلما دخل عليها المحراب بعد ادخاله اياها المحراب وجد عندها رزقا من الله لغذائها فقيل ان ذلك الرزق الذى كان يجده زكريا عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجد عندها رزقا قال وجد عندها عنبا فى مكتل فى غير حينه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد فى قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال العنب فى غير حينه حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة فى غير حينها حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو اسحق الكوفى عن الضحاك انه كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف يعنى فى قوله وجد عندها رزقا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن بعض أشياخه عن الضحاك مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا من سمع الحكم بن عيينة يحدث عن مجاهد قال كان يجد عندها العنب فى غير حينه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وجد عندها رزقا قال عنبا وجده زكريا عند مريم فى غير زمانه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد فى قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال كنا نحدث انها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وجد عندها رزقا قال وجد عندها ثمرة فى غير زمانها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال جعل زكريا دونها عليها سبعة أبواب فكان يدخل عليها

المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل ءأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله
بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله (١٥٢) ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
أليم أولئك الذين حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة
ومالهم من ناصرين ألم تر
الى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب يدعون الى كتاب
الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق
منهم وهم معرضون ذلك
بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا أياما معدودات وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون
فكيف اذا جمعناهم ليوم
لا ريب فيه ووفيت كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون)
القراآت سيغلبون ويحشرون
بياء الغيبة حمزة وعلي
وخلف وعباس مخير الباقون
بتاء الخطاب ترونهم بتاء
الخطاب أبو جعفر ونافع
وسهل ويعقوب الباقون
بالياء مثليهم بضم الهاء سهل
ويعقوب وكذلك ما انفتح
قبل الياء مثل بجنتيهم رأى
العين بغير همز أبو عمرو
غير شجاع ويزيد والاعشى
والاصفهاني عن ورش وحمزة
في الوقف الباقون بهمزة
ساكنة أؤنبئكم بهمزة غير
ممدودة بعدها واو مضمومة
ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس وأوقية وأبي شعيب ونافع غير قالون أؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون يجب
وعباس وأوقية وأبو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وافقا يحيى وحماد الا
في من اتبع رضوانه في المائدة ان الدين بفتح ان علي الباقون بالكسر وجهي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر غير النجاري عن هشام
وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي ومن اتبعني باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو وأبا جعفر ونافع غير
قالون في الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية علي بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف أبو جعفر الباقون بالعكس
الوقوف جهنم ط المهاد ه التقتا ط لان التقدير منهما فئة أو احداهما العين ط من يشاء ط الابصار ه والحرث ط الدنيا ج

فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال جعلها زكريا معه في بيت وهو المحراب فكان يدخل عليها في الشتاء فيجد عندها فاكهة الصيف ويدخل في الصيف فيجد عندها فاكهة الشتاء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وجد عندها رزقا قال كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال وجد عندها ثمار الجنة فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني بعض أهل العلم ان زكريا كان يجد عندها ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن قال كان زكريا اذا دخل عليها يعني على مريم المحراب وجد عندها رزقا من السماء من الله ليس من عند الناس وقالوا لو ان زكريا كان يعلم ان ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه وقال آخرون بل معنى ذلك ان زكريا كان اذا دخل اليها المحراب وجد عندها من الرزق فضلا عما كان يأتيها به الذي كان يمونها في تلك الايام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال كفلها بعد هلاك أمها فضمها الى خالتها أم يحيي حتى اذا بلغت ادخلوها الكنيسة لنذر أمها الذي نذرت فيها فجعلت تنبت وتزيد قال ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل أتعلمون والله لقد ضعفت عن حمل ابنة عمران فقالوا ونحن لقد جهدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم فتدافعوها بينهم وهم لا يرون لهم من حملها بدا حتى تقارعوا بالاقلام فخرج السهم بحملها على رجل من بني اسرائيل نجار يقال له جريج قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فكانت تقول له يا جريج أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فجعل جريج يرزق بمكانها فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله وكثره فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق وليس بقدر ما يأتيها به جريج فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وأما المحراب فهو مقدم كل مجلس ومصلى وهو سيد المجالس وأشرفها وأكرمها وكذلك هو من المساجد ومنه قول عدي بن زيد كدمى العاج في المحاريب * أو كالبيض في الروض وهو مسقف مستتر والمحاريب جمع محراب وقد يجمع على محارب ۞ القول في تأويل قوله (قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يعني بذلك جل ثناؤه قال زكريا يا مريم أنى لك هذا من أي وجه لك هذا الذي أرى عندك من الرزق قالت مريم مجيبة له هو من عند الله تعني ان الله هو الذي رزقها ذلك فساقه اليها وأعطاها وانما كان زكريا يقول ذلك لها لانه كان فيما ذكر لنا يغلق عليها سبعة أبواب ويخرج ثم يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فكان

الفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين الماآتي من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من آنه ط بالعباد ج للآية على جعل الذين خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو مدحا على أعني الذين ولجواز أنه نعت للعباد أو للمتقين النار ج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف أجوز نصبا على المدح بالاسحار ط الاهو ط للعطف ولو وقف احترازا عن وهم دخول الملائكة وأولوا العلم في الاستثناء والمشاركة في الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الالمن قرأ ان بالفتح على البدل من أنه الاسلام ه بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ه ومن اتبعن ط لابتداء أمر يشمل أهل الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة جزاء الشرط أسلمتم ط لتناهي الاستفهام الى الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباده ه (١٥٣) بغير حق ز لمن قرأ ويقاتلون

يعجب مما يرى من ذلك ويقول لها تعجبا مما يرى انى لك هذا فتقول من عند الله حدثني بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني بعض أهل العلم فذكر نحوه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله قال فانه وجد عندها الفاكهة الرطبة حين لا توجد الفاكهة عند أحد فكان زكريا يقول يا مريم انى لك هذا وأما قوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فخبر من الله أنه يسوق الى من يشاء من خلقه رزقه بغير احصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده لانه جل ثناؤه لا ينقص سوقه ذلك اليه كذلك خزائنه ولا يزيد اعطاؤه اياه ومحاسبته عليه في ملكه وفيما لديه شيأ ولا يعزب عنه علم ما يرزقه وانما يحاسب من يعطي ما يعطيه من يخشى النقصان من ملكه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ومن كان جاهلا بما يعطي على غير حساب (قوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) أما قوله هنالك دعا زكريا ربه فمعناه عند ذلك أي عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها وفضله الذي آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين في ذلك لها ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التي لا تكون في حين رؤيته اياها عندها في الارض طمع في الولد مع كبر سنه من المرأة العاقر فرجا أن يرزقه الله منها الولد مع الحال التي هما بها كما رزق مريم على تخلي أمر الناس ما رزقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمرة الشتاء في الصيف وان لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين العادات في الارض بل المعروف في الناس غير ذلك كما ان ولادة العاقر غير الامر الجارية به العادات في الناس فرغب الى الله جل ثناؤه في الولد وسأله ذرية طيبة وذلك ان أهل بيت زكريا فيما ذكر لنا كانوا قد انقرضوا في ذلك الوقت كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فلما رأى زكريا من حالها ذلك يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال ان ربا أعطاها هذا في غير حينه لقادر على أن يرزقني ذرية طيبة ورغب في الولد فقام فصلى ثم دعا ربه سرا فقال رب انى وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا وقوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء وقال رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فلما رأى ذلك زكريا يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف عند مريم قال ان الذي يأتي بهذا مريم في غير زمانه قادر أن يرزقني ولدا قال الله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال فذلك حين دعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قال فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه فقال رب انى وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا الى قوله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من

لعدول المعنى من قوله يقتلون اليم ه والآخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين ه معرضون ه معدودات ص لان الواو للعطف أو الحال يفترون ه لايظلمون ه
* التفسير عن ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى أهل

مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فأنزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون تهزمون وتحشرون الى جهنم في الآخرة وعني جهنم قدم في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر

من قرأ بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر باى لفظ أراد صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ أى قل لهم قولك سيغلبون وفى الآية حجاج للقائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى أخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو آمنوا وأطاعوا لانقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما أخبر اخباره عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم نظيره فى حق عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجرى مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية فى فئتين التقتا يوم بدر فئة احداهما جماعة تقاتل فى سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله (١٥٤) واعلاء كلمته وفئة أخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه

أحدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من أسباب الضعف أمور منها قلة العدد كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مع كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها ان ذلك ابتداء عادة فى الحرب لانها من أول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل فى المشركين اضداد هذه المعانى كانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبو سفيان وأبو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وأهل الخير كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر عن ذلك باخبار الله فى قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعنى جمع قريش أو عير أبى سفيان وكان أخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجز وثالثها امداد الملائكة كما سيجىء فى هذه السورة ورابعها قوله يرونهم مثليهم وفيه أربعة احتمالات لان الضمير فى يرون اما أن يعود الى الفئة الكافرة أو الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير فى مثليهم الى كل منهما فهذه أربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلى عدد المشركين قريبا من ألفين الثانى انها رأت المسلمين مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى أنفسهم ودليل الاحتمالين جميعا ان عود الضمير فى يرون الى الاقرب وهو الفئة الكافرة أولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب أن يكون الراؤن

الله الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم قال فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسن ولا ولد له وقد انقرض أهل بيته فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ثم شكا الى ربه فقال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا الى واجعله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب الآية وأما قوله رب هب لى من لدنك ذرية طيبة فانه يعنى بالذرية النسل وبالطيبة المباركة كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يقول مباركة وأما قوله من لدنك فانه يعنى من عندك وأما الذرية فانها جمع وقد تكون فى معنى الواحد وهى فى هذا الموضع واحد وذلك ان الله عز وجل قال فى موضع آخر مخبرا عن دعاء زكريا فهب لى من لدنك وليا ولم يقل أولياء فدل على أنه سأل واحدا وانما أنث طيبة لتأنيث الذرية كما قال الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى فأنث وهو ذكر لتأنيث لفظ الخليفة كما قال الآخر

كما تزدرى من حية جبلية * سكاب اذا ما عض ليس بازدراء

فأنث الجبلية لتأنيث لفظ الحية ثم رجع الى المعنى فقال اذا ما عض لانه كان أراد حية ذكرا وانما يجوز هذا فيما لم يقع عليه فلان من الاسماء كالدابة والذرية والخليفة فاما اذا سمى رجل بشئ من ذلك فكان فى معنى فلان لم يجز تأنيث فعله ولا نعته وأما قوله انك سميع الدعاء فان معناه انك سامع الدعاء غير أن سميع أمدح وهو بمعنى ذو سمع له وقد زعم بعض نحوى البصرة ان معناه انك تسمع ما تدعى به فتأويل الآية فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال رب هب لى من عندك ولدا مباركا انك ذو سمع دعاء من دعاك ﴿ القول فى تأويل قوله (فنادته الملائكة) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة فنادته الملائكة على التأنيث بالتاء يراد بها جمع الملائكة وكذلك تفعل العرب فى جماعة الذكور اذا تقدمت أفعالها أنثت أفعالها ولا سيما الاسماء التى فى ألفاظها التأنيث كقولهم جاءت الطلحات وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء بمعنى فناداه جبريل فذكروه للتأويل كما قد ذكرنا آنفا أنهم يؤنثون فعل الذكر للفظ فكذلك يذكرون فعل المؤنث أيضا للفظ واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يذكر أنها قراءة عبد الله بن مسعود وهو ما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ان قراءة ابن مسعود فناداه جبريل وهو قائم يصلى فى المحراب وكذلك تأول قوله فنادته الملائكة جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فناداه الملائكة وهو جبريل أو قالت الملائكة وهو جبريل ان الله يبشرك بيحيى فان قال قائل وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل فناداه الملائكة والملائكة جمع لا واحد قيل ذلك جائز فى كلام العرب بان تخبر عن الواحد بمذهب الجمع كما يقال فى الكلام خرج فلان على بغال البرد وانما ركب بغلا واحدا وركب السفن وانما ركب

هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفار والحكمة في ذلك أن يهابهم المشركون ويجتنبوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في أعينهم لاختلاف الوقتين فكأنهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا على أن تقليلهم تارة في أعينهم وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة واظهار الآية الاحتمال الثالث ان الرائين هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلاثة أمثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع أن يكون الرائون هم المسلمون ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن أن يقول به أحد لان هذا يوجب نصرة الكفار وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان أول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاول والثاني يقتضي أن المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب أن يكون الموجود الحاضر غير مرئي أما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى أنزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وهذا لكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال أو تحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك أو معناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات وأما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائزا لا واجبا والزمان زمان خوارق العادات وأما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتامل البالغ فقد يرى البعض دون البعض أو لعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض أو خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر أو يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين وكل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم أحد ان في ذلك الذي ذكره من الآية لعبرة نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار ذوي العقول التي تصير القضايا معها

ركب سفينة واحدة وكما يقال ممن سمعت هذا الخبر فيقال من الناس وانما سمعه من رجل واحد وقد قيل ان منه قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والقائل كان فيما ذكر واحدا وقوله واذا مس الناس ضر والناس بمعنى واحد وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد وانما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك انهما قراءتان معروفتان أعني التاء والياء فبايتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أنه لا اختلاف في معنى ذلك باختلاف القراءتين وهما جميعا فصيحتان عند العرب وذلك ان الملائكة ان كان مرادا بها جبريل كما روي عن عبد الله فان التانيث في فعلها فصيح في كلام العرب للفظها ان تقدمها الفعل وجائز فيه التذكير لمعناها وان كان مرادا بها جمع الملائكة فجائز في فعلها التانيث وهو من قبلها للفظها وذلك ان العرب اذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته فقالت قالت النساء وجائز التذكير في فعلها بناء على الواحد اذا تقدم فعله فيقال قال الرجال وأما الصواب من القول في تاويله فان يقال ان الله جل ثناؤه أخبر ان الملائكة نادته والظاهر من ذلك انها جماعة من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد فلن يجوز أن يحمل تاويل القرآن الا على الاظهر الاكثر من الكلام المستعمل في السن العرب دون الاقل ما وجد الى ذلك سبيل ولم يضطرنا حاجة الى صرف ذلك الى انه بمعنى واحد فيحتاج له الى طلب المخرج بالخفي من الكلام والمعاني وبما قلنا في ذلك من التاويل قال جماعة من أهل العلم منهم قتادة والربيع بن أنس وعكرمة ومجاهد وجماعة غيرهم وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مضى ۞ القول في تاويل قوله (وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى) وتاويل قوله وهو قائم فنادته الملائكة في حال قيامه مصليا فقوله وهو قائم عند وقت نداء الملائكة زكريا وقوله يصلي في موضع نصب على الحال من القيام وهو رفع بالياء وأما المحراب فقد بينا معناه وانه مقدم المسجد واختلفت القراء في قراءة قوله ان الله يبشرك فقرأته عامة القراء ان الله بفتح الالف من أن بوقوع النداء عليها بمعنى فنادته الملائكة بذلك وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ان الله يبشرك بكسر الالف بمعنى قالت الملائكة ان الله يبشرك لان النداء قول وذكروا أنها في قراءة عبد الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب يا زكريا ان الله يبشرك قالوا واذا بطل النداء أن يكون عاملا في قوله يا زكريا فباطل أيضا أن يكون عاملا في ان والصواب في القراءة في ذلك عندنا ان الله يبشرك بفتح أن بوقوع النداء عليه بمعنى فنادته الملائكة بذلك وليست العلة التي اعتل بها القارئون بكسر ان من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك وذلك ان عبد الله ان كان قرأ ذلك كذلك فانما قرأها بزعمهم وقد اعترض بيا زكريا بين ان وبين قوله فناداه واذا اعترض بينهما فان العرب تعمل حينئذ النداء في أن وتبطله عنها أما الابطال فانه بطل عن العمل في المنادى قبله فاسلكوا الذي بعده مسلكه في بطول عمله وأما الاعمال فلان النداء فعل رافع كسائر الافعال وأما قراءتنا فليس نداء زكريا بيا زكريا معترضا به بين أن وبين قوله فنادته واذا لم يكن ذلك بينهما فالكلام الفصيح من كلام العرب اذا نصبت تقول ناديت اسم المنادى وأوقعوه عليه أن يوقعوه كذلك على ان بعده وان

كالمشاهـد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لعتبر الانسان وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم الروحانيات خير وأبقى وأنها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة وأما ما يتعلق بالقصة فانا روينا أن أبا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا أنه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهروا من أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى أما عند الاشاعرة فلانه خالق أفعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان وأما عند جمهور المعتزلة فلحكمة (١٥٦) الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو أن يتصدق بها أو يتقوى بها على طاعة الله واشتغل بشكرها كان الصاحب ابن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من أقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات اذا تركها وأقبل على أداء وظائف الخدمة كان أشق له وأكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا أو مندوبا أو مباحا فالتزيين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكى عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه في الآية بانه أطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا لمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحياة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم والعرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للقدرة مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة أخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على أن الحب غير الشهوة لان المضاف يجب أن يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من أفعال العباد وهي أن يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات واعلم ان الانسان قد يحب شيأ ولكنه يحب أن لا يحبه وقد يحبه ويحب أن يحبه ويعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة

كان جائزا ابطال عمله فقوله نادته قد وقع على مكنى زكريا فكذلك الصواب أن يكون واقعا على أن وعاملا فيها مع ان ذلك هو القراءة المستفيضة في قراءة أمصار الاسلام ولا يعترض بالشاذ على الجماعة التي تجيء مجيء الحجة وأما قوله يبشرك فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ان الله يبشرك بتشديد الشين وضم الياء على وجه تبشير الله زكريا بالولد من قول الناس بشرت فلانا البشرى بكذا وكذا أي أتته بشارات البشرى بذلك وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وغيرهم ان الله يبشرك بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها بمعنى ان الله يبشرك بولد يهبه لك من قول الشاعر

بشرت عيالي اذ رأيت صحيفة * أتتك من الحجاج يتلى كتابها

وقد قيل ان بشرت لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش وأنهم يقولون بشرت فلانا بكذا فانا أبشره بشرا وهل أنت باشر بكذا وينشد لهم البيت في ذلك

واذا رأيت الباهشين الى العلى * غبرا أكفهم بقاع ممحل

فاعنهم وابشر بما بشروا به * واذا هم نزلوا بضنك فانزل

فاذا صاروا الى الامر فالكلام الصحيح من كلامهم بالالف فيقال ابشر فلانا بكذا ولا يكادون يقولون بشره بكذا ولا أبشره وقد روى عن حميد بن قيس أنه كان يقرأ يبشرك بضم الياء وكسر الشين وتخفيفها وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن معاذ الكوفي قال من قرأ يبشرهم مثقلة فانه من البشارة ومن قرأ يبشرهم مخففة بنصب الياء فانه من السرور يسرهم والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين بمعنى التبشير لان ذلك هي اللغة السائرة والكلام المستفيض المعروف في الناس مع ان جميع قراء الامصار مجمعون في قراءتهم يبشرون على التشديد والصواب في سائر ما في القرآن من نظائره أن يكون مثله في التشديد وضم الياء وأما ما روى عن معاذ الكوفي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك وأن أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح فلا معنى لما حكى من ذلك عنه وقد قال جرير بن عطية

يا بشر حق لوجهك التبشير * هلا غضبت لنا وأنت أمير

فقد علم انه أراد بقوله التبشير الجمال والنضارة والسرور فقال التبشير ولم يقل البشر فقد بين ذلك ان معنى التخفيف والتثقيل في ذلك واحد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال بشرته الملائكة بذلك وأما قوله بيحيى فانه اسم أصله يفعل من قول القائل حيي فلان فهو يحيى وذلك اذا عاش فيحيى يفعل من قولهم حيي وقيل ان الله جل ثناؤه سماه بذلك لانه يتأول اسمه أحياه بالايمان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يبشرك بيحيى يقول عبد أحياه الله بالايمان حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي

جعفر

ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام انى أحببت حب الخير ومعناه أحببت الخير وأحببت أن أكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضى ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك أنه موجود فى الاغلب وفى أكثر الاوقات فلا يبعد التعميم فطالما أعطى للاغلب حكم الكل على أن من همته بجوامعها مقصورة على طلب اللذات الروحانية فى غاية الندرة وبقاء ذلك النادر فى جميع الاحيان على ذلك الخاطر أعز وأمنع ثم شرع فى بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هى الامهات ورتبها فى سبع مراتب الاولى النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى النساء الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النساء والاولاد كانها حالة غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار مأخوذ من عقد الشئ واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان الانسان يتوثق بها فى عقد النوائب أبو عبيد انه وزن لا يحد أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر ألف أوقية أنس عنه هو ألف دينار أبى بن كعب عنه هو ألف ومائتا أوقية ابن عباس ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبى ان القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب أو فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة ألف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبى القناطير ثلاثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء وكل الصيد يوجد فى الفرا ولولا التقى لقلت جلت قدرته وصفة المالكية هى القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدى الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها فى مشيتها ويسمى الخيال خيالا لجولان هذه القوة فى استحضار الصور والمسومة قيل المرعية أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها فى مرجها للرعى ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هى المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا فى تلك العلامة فعن أبى مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هى البلق وقال قتادة الشية وقيل الكى ومجاهد وعكرمة المسومة المطهمة أى الحسان قال الاصمعى رجل مطهم أى تام كل شئ

جعفر عن أبيه عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال انما سمى يحيى لان الله أحياه بالايمان ۞ القول فى تأويل قوله (مصدقا بكلمة من الله) يعنى بقوله جل ثناؤه ان الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابنا لك مصدقا بكلمة من الله يعنى بعيسى ابن مريم ونصب قوله مصدقا على القطع من يحيى لان مصدقا نعت له وهو نكرة ويحيى غير نكرة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد قال قالت امرأة زكريا لمريم انى أجد الذى فى بطنى يتحرك للذى فى بطنك قال فوضعت امرأة زكريا يحيى ومريم عيسى ولذا قال مصدقا بكلمة من الله قال يحيى مصدق بعيسى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن الرقاشى فى قول الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله مصدقا بكلمة من الله يقول مصدق بعيسى بن مريم وعلى سننه ومنهاجه حدثنا ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى بن مريم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم يقول على سننه ومنهاجه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مصدقا بكلمة من الله قال كان أول رجل صدق عيسى وهو كلمة من الله وروح حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى مصدقا بكلمة من الله يصدق بعيسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله كان يحيى أول من صدق بعيسى وشهد انه كلمة من الله وكان يحيى ابن خالة عيسى وكان أكبر من عيسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال عيسى بن مريم هو الكلمة من الله اسمه المسيح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال كان عيسى ويحيى ابنى الخالة وكانت أم يحيى تقول لمريم انى أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك فذلك تصديقه بعيسى سجوده فى بطن أمه وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ويحيى أكبر من عيسى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال الكلمة التى صدق بها عيسى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لقيت أم يحيى أم عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى فقالت امرأة زكريا يا مريم استشعرت انى حبلى قالت مريم استشعرت انى أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله حدثنى محمد بن بشار قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن

على حدة فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا الابل خاصة فانها غالب عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذى ذكر متاع الحياة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما أن تكون من بنى نوعه أو من غيره والاول أصل وهو المرأة أو فرع وهو الولد وانما فرض الكلام فى الذكور لشرفهم والثانى اما أن تكون من المعدنيات وأكثرها فائدة وأعمها عائدة الجوهران الثمينان خصا بالذكر واما أن تكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو الخيل أو للحمل والنعم وهو الانعام واما أن تكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب أولا معهم والله عنده حسن المآب أى المرجع (١٥٨) وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتى غضبى ثم بين ان ذلك المرجع كما أنه حسن فى نفسه فهو أحسن وأفضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العبد أنه كما أن الدنيا أطيب وأفسح من بطن الام فكذلك الآخرة أفسح وأوسع من الدنيا أو لانه لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير أأنبئكم بخير أى بشئ هو خير من ذلكم الذى عددنا ثم استأنف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما يقول هل أدلكم على خير خير من فلان عندى رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن يتكامل طيبها الا بالنساء فهن يحصل الانس ثم وصف الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة أى من الاقذار والمنفرات وأصل

وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضى عنه المولى لم يتصور منصب أجل منه وأعلى وكان المولى وما يملكه للعبد كما أن العبد وما يملكه للمولى ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل أن يكون اللام فى قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على الخبر أى هو جنات ويعضده قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام فى هذه القراءة يتعين أن يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل أن يتعلق بما تعلق به قوله للذين أى ثبت لهم عند ربهم ويحتمل أن يكون صفة لخير ويحتمل أن يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى أن هذا الثواب

الحسن فى قول الله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة ان معنى قوله مصدقا بكلمة من الله بكتاب من الله من قول العرب أنشدنى فلان كلمة كذا يراد به قصيدة كذا جهلا منه بتأويل الكلمة واجترأ على ترجمة القرآن برأيه ۞ القول فى تأويل قوله (وسيدا) يعنى بقوله جل ثناؤه وسيدا وشريفا فى العلم والعبادة ونصب السيد عطفا على قوله مصدقا وتأويل الكلام ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بهذا وسيدا والسيد الفيعل من قول القائل ساد يسود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسيدا اى والله لسيد فى العبادة والحلم والعلم والورع حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وسيدا قال السيد لا أعلمه الا قال فى العلم والعبادة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال السيد الحليم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير وسيدا قال الحليم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وسيدا قال السيد التقى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وسيد قال السيد الكريم على الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال وزعم الرقاشى ان السيد الكريم على الله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الحليم التقى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وسيدا قال يقول تقيا حليما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان فى قوله وسيدا قال حليما تقيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله وسيدا قال السيد الشريف حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الفقيه العالم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وسيدا قال يقول حليما تقيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة وسيدا قال السيد الذى لا يغلبه الغضب ۞ القول فى تأويل قوله (وحصورا ونبيا من الصالحين) يعنى بذلك ممتنعا من جماع النساء من قول القائل حصرت من كذا أحصر اذا امتنع منه ومنه قولهم حصر فلان فى قراءته اذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها وكذلك حصر العدو حبسهم الناس ومنعهم اياهم التصرف ولذلك قيل للذى لا يخرج مع ندمائه هو حصور كما قال الاخطل

وشارب مربح بالكأس نادمنى * لا بالحصور ولا فيها بسوّار

ويروى بسآر * ويقال أيضا للذى لا يخرج سره ويكتمه حصور لانه يمنع سره أن يظهر كما قال جرير

ولقد تساقطنى الوشاة فصادفوا * حصرا بسرك يا أميم ضنينا

لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد عالم بطلباتهم فيجب أن يرضوا لانفسهم ما اختارلهم من نعيم الآخرة وان زهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا أو بصير بهم يثيب و يعاقب بحسب الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا بهم و بأحوالهم فلذلك أعدلهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن أن يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم أنه حاصل له اظهار الذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع وأيضا صورة العمل الصالح لا تفيد ما لم تقع فى حيز القبول فعلى المتقى أن لا يتكل عليها و يبتهل الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من أوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى كل واحد منها أو اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين أى فى أداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كاد يتلف روحه والصادقين أى فى الاقوال وفى الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضى العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر على من تيسر بشروطه ومصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار أى فيها والسحر قبل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار بالاسحار سر بدا آثاره وأنواره لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا أعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد أن يفيض عليه سجال المغفرة وأن يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف وآثار اللطائف أما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل أداء جميل التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات أمر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا أمرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع

وأصل جميع ذلك واحد وهو المنع والحبس وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن خلف قال ثنا حماد بن شعيب عن عاصم عن زر عن عبد الله فى قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يحيى عن سعيد بن المسيب انه قال ثنى ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا قال ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فأخذ عويدا صغيرا ثم قال وذلك انه لم يكن له ما للرجال الا مثل هذا العود وبذلك سماه الله سيدا وحصورا حدثنى يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول ليس أحد الا يلقى الله يوم القيامة ذا ذنب الا يحيى بن زكريا كان حصورا معه مثل الهدبة حدثنا أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا عمرو بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب قال قال ابن العاص اما عبد الله وأما أبوه ما أحد يلقى الله الا وهو ذو ذنب الا يحيى بن زكريا قال وقال سعيد بن المسيب وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يغشى النساء ولم يكن ما معه الا مثل هدبة الثوب حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد بن المسيب فى قوله وحصورا قال الحصور الذى لا يشتهى النساء ثم ضرب بيده الى الارض فأخذ نواة فقال ما كان معه الا مثل هذه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد مثله حدثنى عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد وحصورا قال الذى لا يأتى النساء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الحصور لا يقرب النساء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال زعم الرقاشى الحصور الذى لا يقرب النساء حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك الحصور الذى لا يولد له وليس له ماء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وحصورا قال هو الذى لا ماء له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحصورا كنا نحدث ان الحصور الذى لا يقرب النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الحصور الذى لا ينزل الماء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنى موسى قال ثنا

الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقى الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبى لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا انا نسألك عن شهادة فان أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلانى قالا أخبرنا عن أعظم شهادة فى كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله أنه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٠) ووجه النظم أنه مدح المؤمنين وأثنى عليهم بقوله ربنا اننا آمنا ثم بين أن دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم أن الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن أولى العلم يحتمل أن تكون بمعنى واحد ويحتمل أن لا تكون كذلك أما الاول فتقريره من وجهين أحدهما أن الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل فى حق الله تعالى وفى حق الملائكة وفى حق أولى العلم أما من الله فذلك انه أخبر فى القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك فى مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسى وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية فى هذه المسألة جائز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها وأما من الملائكة وأولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم أخبروا أيضا ان الله واحد لا شريك له وثانى الوجهين أن تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى أظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة وأولو العلم أظهروا ذلك وبينوه أيضا الذى الملائكة للرسل والرسل للعلما والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع فى الشئ الذى به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد فى حق الكل فكانه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى أمر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت أنت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام وأما الثانى فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فالصلاة

عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وحصورا قال الحصور الذى لا يريد النساء حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن وحصورا قال لا يقرب النساء وأما قوله ونبيا من الصالحين فانه يعنى رسولا لربه الى قومه ينبئهم عنه بامره ونهيه وحلاله وحرامه ويبلغهم عنه ما أرسله به اليهم ويعنى بقوله من الصالحين من أنبيائه الصالحين وقد دللنا فيما مضى على معنى النبوة وما أصلها بشواهد ذلك والادلة الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر) يعنى ان زكريا قال اذ نادته الملائكة ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر يعنى من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له وامرأتى عاقر والعاقر من النساء التى لا تلد يقال منه امرأة عاقر ورجل عاقر كما قال عامر بن الطفيل

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا فما عذرى لدى كل محضر

وأما الكبر فمصدر كبر فلان فهو يكبر كبرا وقيل بلغنى الكبر وقد قال فى موضع آخر وقد بلغت من الكبر لان ما بلغك فقد بلغته وانما معناه قد كبرت وهو كقول القائل وقد بلغنى الجهد بمعنى انى فى جهد فان قال قائل وكيف قال زكريا وهو نبى الله أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمر الله اياها به أشك فى صدقهم فذلك ما لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان بالله فكيف الانبياء والمرسلون أم كان ذلك منه استنكارا لقدرة ربه فذلك أعظم فى البلية قيل كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على غير ما ظننت بل كان قيله ما قال من ذلك كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لما سمع النداء يعنى زكريا لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى جاءه الشيطان فقال له يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس هو من الله انما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله أوحاه اليك كما يوحى اليك فى غيره من الامر فشك مكانه وقال أنى يكون لى غلام ذكر يقول ومن أين وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة قال فأتاه الشيطان فاراد أن يكدر عليه نعمة ربه فقال هل تدرى من ناداك قال نعم نادانى ملائكة ربى قال بل ذلك الشيطان لو كان هذا من ربك لاخفاه اليك كما أخفيت نداءك فقال رب اجعل لى آية فكان قوله ما قال من ذلك ومراجعته ربه فيما راجع فيه بقوله أنى يكون لى غلام للوسوسة التى خالطت قلبه من الشيطان حتى خيلت اليه أن النداء الذى سمعه كان نداء من غير الملائكة فقال رب أنى يكون لى غلام مستثبتا فى أمره ليتقرر عنده بآية يريه الله فى ذلك انه بشارة من الله على ألسن ملائكته ولذلك قال رب اجعل لى آية وقد يجوز أن يكون قيله ذلك مسألة منه ربه من أى وجه يكون الولد الذى بشر به أمن زوجته فهى عاقر أم من غيرها من النساء فيكون ذلك على غير الوجه الذى قاله عكرمة والسدى ومن قال مثل قولهما ﴿ القول فى تأويل قوله (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعنى جل ثناؤه بقوله كذلك الله أى هو ما وصف به نفسه انه هين عليه أن يخلق ولدا من الكبير

الذى قد يئس من الولد ومن العاقر التى لا يرجى من مثلها الولادة كما خلقتك يا زكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيأ لان الله الذى لا يتعذر عليه خلق شئ أراده ولا يمتنع عليه فعل شئ شاءه لان قدرته القدرة التى لا يشبهها قدرة كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ ﴿ القول فى تأويل قوله (قال رب اجعل لى آية) يعنى بذلك جل ثناؤه خبرا عن زكريا قال زكريا يا رب ان كان هذا النداء الذى نوديته والصوت الذى سمعته صوت ملائكتك وبشارة منك لى فاجعل لى آية يقول علامة ان ذلك كذلك ليزول عنى ما قد وسوس الى الشيطان فالقاه فى قلبى من أن ذلك صوت غير الملائكة وبشارة من عند غيرك كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال رب اجعل لى آية قال قال يعنى زكريا يا رب فان كان هذا الصوت منك فاجعل لى آية وقد دللنا فيما مضى على معنى الآية وانها العلامة بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل العربية فى سبب ترك العرب همزتها ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة فقال بعضهم ترك همزها لانها كانت أية فثقل عليهم التشديد فابدلوه ألفا لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا أما فلان فاخزاه الله وقال آخرون منهم بل هى فاعلة منقوصة فسئلوا وقيل لهم فما بال العرب تصغرها أيية ولم يقولوا أوية فقالوا قيل ذلك كما قيل فى فاطمة هذه فطيمة فقيل لهم فانهم انما يصغرون فاعلة على فعيلة اذا كان اسما فى معنى فلان وفلانة فاما فى غير ذلك فليس من تصغيرهم فاعلة على فعيلة وقال آخرون انه فعلة صيرت ياؤها الاولى ألفا كما فعل بحاجة وقامة فقيل لهم انما تفعل العرب ذلك فى أولى الثلاثة وقال من أنكر ذلك من قيلهم لو كان كما قالوا القيل فى راة ناية وفى حياة حاية ﴿ القول فى تأويل قوله (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) فعاقبه الله فيما ذكر لنا بمسئلته الآية بعد مشافهة الملائكة اياه بالبشارة فجعل آيته على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة يعنى انه من عند الله آية من نفسه جمع تعالى ذكره بها العلامة التى سألها ربه على ما يبين له حقيقة البشارة انها من عند الله وتمحيصا له من هفوته وخطا قيله ومسئلته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا انما عوقب بذلك لان الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى فسأل الآية بعد كلام الملائكة اياه فأخذ عليه بلسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا ما أومى وأشار فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا قال شافهته الملائكة فقال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا يقول الا ايماء وكانت عقوبة عوقب بها اذ سأل الآية مع مشافهة الملائكة اياه بما بشرته حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن الربيع فى قوله رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال ذكر لنا والله أعلم انه عوقب لان

من الله غير الصلاة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خالق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى أرشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل أى شئ أكبر شهادة قل الله وفى انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله أنه لا اله الا هو قائما بالقسط وهذا أوجه لكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا أبوك عطوفا أولا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل أن يكون حالا من أولى العلم أى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط فى أداء هذه الشهادة الثانى أن يكون صفة للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد رأيناهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف الثالث أن يكون نصبا على المدح وان كان نكرة كقوله شعر

ويأوى الى نسوة عطل وشعثا
مراضيع مثل السعالى

ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما قال فلان قائم بالتدبير أى يجريه على سنن الاستقامة أو مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وفيما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شئ من الاشياء وعدم النقض والنقص فى شئ من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا ومركوز فى العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شئ الا على وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عموما أو خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة أو يشبه الجور أو القبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادى والغايات فانظر فى كيفية خلقة أعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف أحوال الخلق فى الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر فى كيفية خلقة العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة كلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق فى العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى لم يخلق مستعد الادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض فى ذلك خوض فيما

لايعنيه بل لايدعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالى بانه تعالى واحد فى ملكه وملكه لامنازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد وأن الكل بقضائه وقدره وفى كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من أفعاله حكم ومصالح لايحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن نسبه الى الجور فى فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من أزل الآزال الى أبد الآباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا أوشرا فى اعتقاده حسنا أوقبيحا بحسب نظره خارج عن مشيئته وارادته فقد كذب ابن أخت خالته لانه يدعى التوحيد ثم يثبت قادرا آخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله أنه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد أن يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة وأولى العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب أن يكررها المسلم ما أمكن * هو المسك ما كررته يتضوع * ثم أكد كونه منفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا تتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى والدين فى اللغة الجزاء ثم الطاعة سميت دينا لانها سبب الجزاء والاسلام فى اللغة الانقياد والدخول فى السلم أوفى السلامة أوفى اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ أى خلص له والاسلام فى عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان فى الظاهر انه ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ويطلق أخرى على الانقياد الكلى وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد أما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير فى الذات ولا فى صفة من الصفات كما شهد هو به وأما العدل فهو أن يعلم ان كل ما خلق وأمر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهى عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فتقديره عن البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا أرى الموت يسبق الموت شئ وقيل تقديره شهد الله أنه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله أنه لا اله الا هو

الملائكة شافهته مشافهة فبشرته بيحيى فسال الآية بعد فاخذ بلسانه حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا والله أعلم انه عوقب لان الملائكة شافهته فبشرته بيحيى قالت ان الله يبشرك بيحيى فسال بعد كلام الملائكة اياه الآية فاخذ عليه لسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا رمزا يقول يومى ايماء حدثنى أبو عبيد الوصافى قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا صفوان بن عمرو عن جويبر بن نصير فى قوله قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال ربا بلسانه فى فيه حتى ملأه ثم أطلقه الله بعد ثلاث وانما اختارت القراء النصب فى قوله ألا تكلم الناس لان معنى الكلام قال آيتك ألا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام فكانت أن هى التى تصحب الاستقبال دون التى تصحب الاسماء فتنصبها ولو كان المعنى فيه آيتك انك لا تكلم الناس ثلاثة أيام أى انك على هذه الحال ثلاثة أيام كان وجه الكلام الرفع لان ان كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ولكن لم يكن ذلك جائزا لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر وأما الرمز فان الاغلب من معانيه عند العرب الايماء بالشفتين وقد يستعمل فى الايماء بالحاجبين والعينين أحيانا وذلك غير كثير فيهم وقد يقال للخفى من الكلام الذى هو مثل الهمس بخفض الصوت الرمز ومنه قول جوبة بن عائذ

وكان يكلم الابطال رمزا * وهمهمة لهم مثل الهدير

يقال منه رمز فلان فهو يرمز ويرمز رمزا ويترمز ترمزا ويقال ضربه ضربة فارتمز منها أى اضطرب للموت قال الشاعر * خررت منها لقفاى ارتمز * وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عنى الله عز وجل به فى اخباره عن زكريا من قوله آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وأى معانى الرمز عنى بذلك فقال بعضهم عنى بذلك آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا تحريكا بالشفتين من غير أن ترمز بلسانك الكلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عربى عن مجاهد فى قوله الا رمزا قال تحريك الشفتين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثلاثة أيام الا رمزا قال ايماؤه بشفتيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل عنى الله بذلك الايماء والاشارة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك الا رمزا قال الاشارة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا رمزا قال الرمز أن يشير بيده أو رأسه ولا يتكلم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس الا رمزا قال الرمز ان أخذ بلسانه فجعل يكلم الناس بيده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا رمزا قال والرمز الاشارة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد فى قوله رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الآية قال جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الا

أنه يذكر الله والرمز الاشارة يشير اليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الارمزا الاايماء حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى الارمزا يقول اشارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير الارمزا الاشارة حدثني محمد بن عمر بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا قال أمسك بلسانه فجعل يومئ بيده الى قومه أن سبحوا بكرة وعشيا ۞ القول في تأويل قوله (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) يعني بذلك قال الله جل ثناؤه لزكريا يا زكريا آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا بغير خرس ولا عاهة ولا مرض واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع ذكره ولا يحال بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب قال لو كان الله رخص لاحد في ترك الذكر لرخص لزكريا حيث قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا واذكر ربك كثيرا وأما قوله وسبح بالعشي فانه يعني عظم ربك بعبادته بالعشي والعشي من حين تزول الشمس الى أن تغيب كما قال الشاعر

ولا الظل من برد الضحى يستطيعه * ولا الفيء من برد العشي يذوق

فالفيء انما يبتدئ وقته عند زوال الشمس و يتناهى بمغيبها وأما الابكار فانه مصدر من قول القائل بكر فلان في حاجة فهو يبكر ابكارا وذلك اذا خرج فيها من بين مطلع الفجر الى وقت الضحى فذلك ابكار يقال فيه بكر فلان وبكر يبكر بكورا فمن الابكار قول عمر بن أبي ربيعة * أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * ومن البكور قول جرير

ألا بكرت سلمى فجد بكورها * وشق العصا بعد اجتماع أميرها

و يقال من ذلك بكر النخل يبكر بكورا وأبكر يبكر ابكارا والباكور من الفواكه أولها ادراكا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وسبح بالعشي والابكار قال الابكار أول الفجر والعشي ميل الشمس حتى تغيب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) يعني بذلك جل ثناؤه والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك ومعنى قوله اصطفاك اختارك واجتباك لطاعته وما خصك به من كرامته وقوله وطهرك يعني طهر دينك من الريب والادناس التي في أديان نساء بني آدم واصطفاك على نساء العالمين يعني اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك اياه ففضلك عليهم كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد يعني بقوله خير نسائها خير نساء أهل الجنة حدثني

ان الدين عند الله الاسلام لأن كونه تعالى واحدا يوجب أن يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على ان الفعل واقع على الثانى وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه أوضح الدلائل وأزال الشبهات والقوم ما أصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين أوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب وفاته سلم التوراة الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم أمناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعدما جاءهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في أمر عيسى عليه السلام بعدما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لانهم أميون ونحن أهل كتاب الامن بعد ما جاءهم العلم أي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله في التفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة أو المراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه أي يجازيه على كفره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله في محاجتهم فقال فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله قال الفراء أي أخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه في معنى العمل وقيل أي أسلمت وجه عملي لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر مني من الاعمال فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير أسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام أعلى من اسلام النفس كأنه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في أسلمت وحسن للفصل أو مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان أحدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه وسلم كان قد أظهر المعجزات كالقرآن ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد مر في هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين نفي الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله أنه لا اله الا هو وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول أما أنا ومن اتبعن فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في آخر كلامه وثانيهما ان قوله أسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع

وكونه مستحقا للعبادة فكأنه صلى الله عليه وسلم قال هذا القول متفق عليه بين الكل فأنا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداعي الخلق اليه وانما
الخلاف في أمور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء
هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الآية قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن
أبي مسلم ان الآية في هذا الموضع كقول ابراهيم عليه السلام اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كأنه قيل فان نازعوك يا محمد
في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابراهيم وأنتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب التمسك
بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم (١٦٤) بالتي هي أحسن وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم
مشركو العرب الذين
لا كتاب لهم أأسلمتم ومعناه
الامر وفائدته التعيير
بالعناد وقلة الانصاف
كقولك لمن لخصت له
المسئلة ولم تأل جهدا في
سلوك طريقة الكشف
والبيان له هل فهمتها فانه
يكون توبيخا له بالبلادة
وكلال الذهن ومثله في آية
تحريم الخمر فهل أنتم منتهون
اشارة الى التقاعد عن
الانتهاء فان أسلموا فقد
اهتدوا الى ما يهدي الله اليه
أو الى الفوز والنجاة في
الآخرة وان تولوا أعرضوا
عن الاسلام لي والاتباع لك
فانما عليك البلاغ ما عليك
الآن تبليغ الرسالة وتنبيه على
طريق الرشاد والله بصير
بالعباد يوفق للصلاح من شاء
ويتركه على الضلالة من
أراد ثم وصف المتولي بصفات
ثلاث وأردفه بوعيده فقال
ان الذين يكفرون بآيات
الله أي ببعضها المعهود لان
اليهود كانوا مقرين ببعض
الآيات الدالة على وجود
الصانع وقدرته وعلمه وشيء من المعاد أو بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض آيات الله يقول
كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين أي المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم ولا أكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون أو يقاتلون
الذين يأمرون بالقسط من الناس عن الحسن أن في الآية دلالة على ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء
فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة
حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لا أقل من الحال لانه وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم
قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا الا انه تعالى

بذلك الحسين بن علي الصدائي قال ثنا محاضر بن المورع قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن
جعفر قال سمعت عليا بالعراق يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران
وخير نسائها خديجة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني المنذر بن عبد الله الحزامي عن هشام
ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء الجنة
مريم بنت عمران وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ذكر لنا أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول حسبك بمريم بنت عمران وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت
محمد من نساء العالمين قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نساء ركبن الابل صوالح نساء
قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده قال قتادة وذكر لنا أنه كان يقول لو علمت ان مريم
ركبت الابل ما فضلت عليها أحدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة
في قوله يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان أبو هريرة يحدث أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال خير نساء ركبن الابل صلح نساء قريش أحناه على ولد وأرعاه لزوج في ذات يد قال أبو هريرة
ولم تركب مريم بعيرا قط حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله واذ قالت الملائكة يا مريم
ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة قال
ثنا عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد حدثني المثنى قال ثنا أبو الاسود المصري قال ثنا ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن محمد بن
عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان أن فاطمة بنت حسين بن علي حدثته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأنا عند عائشة فناجاني فبكيت ثم ناجاني فضحكت فسألتني
عائشة عن ذلك فقلت لقد عجلت أخبرك بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتني فلما توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم سألتها عائشة فقالت نعم ناجاني فقال جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة وانه قد عارض
القرآن مرتين وانه ليس من نبي الا عمر نصف عمر الذي كان قبله وان عيسى أخي كان عمره عشرين ومائة سنة
وهذه لي ستون وأحسبني ميتا في عامي هذا وانه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين بمثل ما رزئت ولا تكوني دون
امرأة صبرا قالت فبكيت ثم قال أنت سيدة نساء أهل الجنة الا مريم البتول فتوفي عامه ذلك حدثني المثنى
قال ثنا أبو الاسود قال ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن الحرث ان أباز باذا الحميري حدثه أنه سمع عمار بن سعد

... أى ذلك من شأنه ان وجد القابل أو نقول وصفوا بسيرة أسلافهم لانهم
راضون بذلك عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يارسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى
عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال ياأبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر
رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فبشرهم بعذاب أليم انما دخلت الفاء لتضمن
اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلاثة أقسام الاول اجتماع أسباب الآلام
والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال أسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله أولئك
حبطت أعمالهم في الدنيا
والآخرة اما في الدنيا فابدل
المدح بالذم والثناء باللعن
وأسباب الاحترام والاحتشام
باصناف الذل والهوان
من السبي والقتل والجزية
وأما في الآخرة فكما قال عز
من قائل وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا
الثالث لزوم ذلك في حقهم
وهو قوله ومالهم من
ناصرين ثم ذكر غاية عناد
أهل الكتاب فقال ألم تر الى
الذين عن ابن عباس قال
دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيت المدراس
على جماعة من اليهود
فدعاهم الى الله فقال له
نعيم بن عمرو والحارث بن
زيد على أى دين أنت يا محمد
فقال على ملة ابراهيم
فقالا ان ابراهيم كان
يهوديا فقال رسول الله
فهلموا الى التوراة فهي
بيننا وبينكم فأبيا فنزلت
وقال الكلبي نزلت في الذين
زنيا من خيبر وحكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيهما بالرجم وأنكر اليهود عليه صلى الله عليه وسلم وسوف تجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أوايا هم
والنصارى الى الآيات الدالة على صحة نبوته من التوراة أو منها ومن الانجيل فأبوا فنزلت ومعنى قوله أوتوا نصيبا أى حظا وافرا من علم الكتاب
يريد أحبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القرآن من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل أى حصلوا من جنس
الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التوراة كما مر في أسباب النزول ولانه
تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القرآن
وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم أى الكتاب بينهم أى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذف

يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين وبمثل
الذي قلنا في معنى قوله وطهرك انه وطهر دينك من الدنس والريب قال مجاهد حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الله اصطفاك وطهرك قال جعلك طيبة
ايمانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج واصطفاك على نساء العالمين قال ذلك للعالمين يومئذ
وكانت الملائكة فيما ذكر ابن اسحق تقول ذلك لمريم شفاها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني
ابن اسحق قال كانت مريم حبيسا في الكنيسة ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف وقد كانت أمه وأبوه
جعلاه نذيرا حبيسا فكانا في الكنيسة جميعا وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذا قلتيهما فانطلقا الى
المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه فيملآن قلتيهما ثم يرجعان الى الكنيسة والملائكة في ذلك مقبلة
على مريم يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين فاذا سمع ذلك زكريا قال ان لابنة
عمران لشأنا ۞ القول في تأويل قوله (يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) يعني جل
ثناؤه بقوله خبرا عن قيل ملائكته لمريم يامريم اقنتي لربك أخلصي الطاعة لربك وحده وقد دللنا على معنى
القنوت بشواهده فيما مضى قبل والاختلاف بين أهل التأويل فيه في هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك
وسنذكر قول بعضهم أيضا في هذا الموضع فقال بعضهم معنى اقنتي أطيلي الركود ذكر من قال ذلك حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يامريم اقنتي لربك قال أطيلي الركود
يعني القنوت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اقنتي لربك قال قال مجاهد أطيلي الركود في الصلاة
يعني القنوت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما
قيل لها يامريم اقنتي لربك قامت حتى ورم كعباها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله بن
ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما قيل لها يامريم اقنتي لربك قامت حتى ورمت قدماها حدثني المثنى
قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي ليلى عن مجاهد اقنتي لربك قال أطيلي
الركود حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يامريم اقنتي لربك قال القنوت
الركود يقول قومي لربك في الصلاة يقول اركدي لربك أى انتصبي له في الصلاة واسجدي واركعي مع الراكعين
حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن ليث عن مجاهد يامريم اقنتي لربك قال كانت تصلي
حتى تورم قدماها حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو قال ثنا الاوزاعي يامريم اقنتي لربك قال كانت
تقوم حتى يسيل القيح من قدميها وقال آخرون معناه اخلصي لربك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى
قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد يامريم اقنتي لربك قال اخلصي لربك

وقال آخرون معناه أطيعي لربك ذكر من قال ذلك حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اقنتي لربك قال أطيعي لربك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي اقنتي لربك أطيعي لربك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن فهو طاعة لله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله يامريم اقنتي لربك قال يقول اعبدي ربك قال أبو جعفر وقد بينا أيضا معنى الركوع والسجود بالادلة الدالة على صحته وانهما بمعنى الخشوع لله والخضوع له بالطاعة والعبودية فتاويل الآية اذا يامريم اخلصي عبادة ربك لوجهه خالصا واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الادناس والتفضيل على نساء عالم دهرك ❁ القول في تاويل قوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعني جل ثناؤه بقوله ذلك الاخبار التي أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا وابنه يحيى وسائر ما قص في الآيات من قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك فقال هذه الانباء من أنباء الغيب من أخبار الغيب ويعني بالغيب انها من خفي أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ولا يعلمها الا قليل من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه أوحى ذلك اليه حجة على نبوته وتحقيقا لصدقه وقطعا منه عذر منكري رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدا لم يصل الى علم هذه الانباء مع خفائها ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها الا باعلام الله ذلك اياه اذ كان معلوما عندهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب فيقرأ الكتب فيصل الى علم ذلك من قبل الكتب ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم وأما الغيب مصدر من قول القائل غاب فلان عن كذا فهو يغيب عنه غيبا وغيبة وأما قوله نوحيه اليك فان تاويله ننزله اليك وأصل الايحاء القاء الموحي الى الموحى اليه وذلك قد يكون بكتاب واشارة وايماء وبالهام وبرسالة كما قال جل ثناؤه وأوحى ربك الى النحل بمعنى ألقى ذلك اليها فالهمها وكما قال واذ أوحيت الى الحواريين بمعنى ألقيت اليهم علم ذلك الهاما وكما قال الراجز * أوحى لها القرار فاستقرت * بمعنى ألقى اليها ذلك أمرا وكما قال جل ثناؤه فاوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا بمعنى فالقى ذلك اليهم أيضا والاصل فيه ما وصفت من القاء ذلك اليهم وقد يكون القاؤه ذلك اليهم ايماء ويكون بكتاب ومن ذلك قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يلقون اليهم ذلك وسوسة وقوله وأوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ألقي الى بمجيء جبريل عليه السلام به الي من عند الله عز وجل وأما الوحي فهو الواقع من الموحي الى الموحى اليه ولذلك سمت العرب الخط والكتاب وحيا لانه واقع فيما كتب ثابت فيه كما قال كعب بن زهير

أتى العجم والآفاق منه قصائد * بقين بقاء الوحي في الحجر الاصم

...جمهم ... في التوراة ... الواقع بينهم ... وصية الرانيين ولهذا اجمعوا في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار أو الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتي الدعاء والتولي وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجيراهم والضمير في هم اما ان يرجع الى الفريق أي هم جامعون بين التولي والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف العلماء والرؤساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل علمائهم ومتقدميهم واما ان يرجع الى كل أهل الكتاب أي هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولي والاعراض أو ذلك العقاب أو الوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون في أمر العقاب ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات هي أيام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه أحدها استقصار مدة العذاب ومن أين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودات فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه أو من قولهم لن تمسنا النار الا أياما أو من قولهم نحن أولى بالنبوة من قريش أو من زعمهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون أو فكيف حالهم وفي هذا الحذف فخامة لما هم فيه من يعني تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا ليوم الجيس معناه جمعوا لفعل يوجد في يوم الخميس أما اذا قلت جمعوا في يوم الخميس فلا تضمر فعلا وأيضا من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب أو عقاب أو جزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي وروي ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار التأويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلي بالشقاوة ربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس

والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى أسفل سافلي الطبيعة فيعيش فيهم ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه في قعر جهنم وبئس المهاد مهاد مهده في معاشه قد كان لكم آية في فئتين التقتا ان الله تعالى في فئتين في الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين في الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده وهم الروح والسر والأوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس وأعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم أخبر عن جنود الفئتين وأعوان الفريقين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلاث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم أصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم أرباب الارواح والغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم بلفظ الولي ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا وأهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجري من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التي تتولد منها فاذا عاش في الجنات حشر كذلك ثم أشار الى أحوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما حلا لهم الدنيا ادنيا مرى على أوليائى ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا قرب المولى للذين أحسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته الاحدى وكونه الصمدى أنه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها أحد فكما ان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا أين ولا عقل ولا جهل ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا أولوا العلم

يعنى به الكتاب الثابت فى الحجر وقد يقال فى الكتاب خاصة اذا كتبه الكاتب وحى بغير الف ومنه قول رؤبة

كأنه بعد رياح تدهمه * ومن ثعنات الدحون تثمه * نخيل توراة وحى منمنمه

القول فى تأويل قوله (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) يعنى جل ثناؤه بقوله وما كنت لديهم وما كنت يا محمد عندهم فتعلم ما نعلمكه من أخبارهم التى لم تشهدها ولكنك انما تعلم ذلك فتدرك معرفته بتعريفناه ومعنى قوله لديهم عندهم ومعنى قوله اذ يلقون حين يلقون أقلامهم وأما أقلامهم فسهامهم التى استهم بها المستهمون من بنى اسرائيل على كفالة مريم على ما قد بينا قبل فى قوله وكفلها زكريا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله وما كنت لديهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يلقون أقلامهم زكريا وأصحابه استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلت عليهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون كانت مريم ابنة امامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو اسرائيل فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا وكان زوج أختها فكفلها زكريا يقول ضمها اليه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يلقون أقلامهم قال تساهموا على مريم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وان مريم لما وضعت فى المسجد اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحى فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم اقترعوا بأقلامهم أيهم يكفل مريم فقرعهم زكريا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم قال حيث اقترعوا على مريم وكان غيبا عن محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبره الله وانما قيل أيهم يكفل مريم لان القاء المستهمين أقلامهم على مريم انما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحق ففى قوله عز وجل اذ يلقون أقلامهم دلالة على محذوف من الكلام وهو لينظروا أيهم يكفل وليتبينوا ذلك ويعلموه فان ظن ظان أن الواجب فى أيهم النصب اذ كان ذلك معناه فقد ظن خطأ وذلك أن النظر والتبين والعلم مع أى يقتضى استفهاما واستخبارا وحظ أى فى الاستخبار الابتداء وبطول عمل المسئلة والاستخبار عنه وذلك أن معنى قول القائل لانظرن أيهم قام لاستخبرن الناس أيهم قام وكذلك قولهم لاعلمن وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى يكفل يضم بما أغنى عن اعادته فى هذا

الموضع ۞ القول فى تاويل قوله (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى بذلك جل ثناؤه وما كنت يا محمد عند قوم مريم اذ يختصمون فيها أيهم أحق بها وأولى وذلك من الله عزوجل وان كان خطابا للنبيه صلى الله عليه وسلم فتوبيخ منه عزوجل للمكذبين به من أهل الكتابين يقول كيف يشك أهل الكفر بك منهم وأنت تنبئهم هذه الانباء ولم تشهدها ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الامور ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ولا جالس أهلها فسمع خبرهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما كنت لديهم اذ يختصمون أى ما كنت معهم اذ يختصمون فيها يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم لتحقيق نبوته والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه ۞ القول فى تاويل قوله (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) يعنى بقوله جل ثناؤه اذ قالت الملائكة وما كنت لديهم اذ يختصمون وما كنت لديهم أيضا اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك والتبشير اخبار المرء بما يسره من خبر وقوله بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخبر من عنده وهو من قول القائل ألقى فلان الى كلمة سرنى بها يعنى أخبرنى خبرا فرحت به كما قال جل ثناؤه وكلمته ألقاها الى مريم يعنى بشرى الله مريم بعيسى ألقاها اليها فتاويل الكلام وما كنت يا محمد عند القوم اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده هى ولد لك اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقد قال قوم وهو قول قتادة ان الكلمة التى قال الله عزوجل بكلمة منه هو قوله كن حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله بكلمة منه قال قوله كن فسماه الله عزوجل كلمته لانه كان عن كلمته كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاؤه يعنى به هذا عن قدر الله وقضائه حدث وكما قال جل ثناؤه وكان أمر الله مفعولا يعنى به ما أمر الله به وهو المامور الذى كان عن أمر الله عزوجل وقال آخرون بل هى اسم لعيسى سماه الله بها كما سمى سائر خلقه بما شاء من الاسماء وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال الكلمة هى عيسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه قال عيسى هو الكلمة من الله وأقرب الوجوه الى الصواب عندى القول الاول وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عزوجل برسالته وكلمته التى أمرها أن تلقيها اليها ان الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل ولذلك قال عزوجل اسمه المسيح فذكر ولم يقل اسمها فيؤنث والكلمة مؤنثة لان الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذى هو بمعنى فلان وانما هى بمعنى البشارة فذكرت كنايتها كما تذكر كناية الذرية والدابة والالقاب على ما قد بيناه قبل فيما مضى فتاويل ذلك كما قلنا آنفا من أن معنى ذلك ان الله يبشرك ببشرى ثم بين عن البشرى انها ولد اسمه المسيح وقد زعم بعض نحويى البصرة أنه انما ذكر فقال اسمه المسيح وقد قال بكلمة منه والكلمة عنده هى عيسى لانه فى المعنى كذلك كما قال جل ثناؤه أن تقول نفس يا حسرتا ثم قال لى قد جاءتك آياتى فكذبت بها وكما يقال ذو الثدية لان يده كانت قصيرة قريبة من ثدييه فجعلها كان

ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذى كان بما كان كما كان وهو أنه لا اله الا هو ثم أبدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من أجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن ينبوع ماء التوحيد من القدم يجرى فى مجارى أنهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة وأولى العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان أولوا العلم ولكن اختص أولوا العلم منهم بشربية وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى فحقيقة معنى الآية شهد الله أنه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة وأولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائد الى أولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا أعزته من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق لتقاربهم فى الصف أو لتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف أو لتدابرهم فى المنزل الامن بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد ولكن المحمود منه ما يحص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكمال الانسان فى قبول فيض الالطاف بفدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فاهذا يحبط أعماله ولا يرجى توبته ويرجى توبة ابليس ألم الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من أوتى حظا من العلم فعليه اذا دعى الى حكم من أحكام الله أو الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا كان مغرورا بالدنيا مفتريا فى الدعوى وهذه حال أكثر من أوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن وهم أهل العزة بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى

السموات ومافى الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) القراآت الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد على فيعل حيث كان أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها أبو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلى وخلف بالامالة * الوقوف ممن تشاء ط لتناهى الجملتين المتضايفين معنى الى جملتين (١٦٩) مثلهما وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ه فى

اسمها ثدية ولولا ذلك لم تدخل الهاء فى التصغير وقال بعض نحوى الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحوى البصرة فى أن الهاء من ذكر الكلمة وخالفه فى المعنى الذى من أجله ذكر قوله اسمه والكلمة متقدمة قبله فزعم أنه انما قيل اسمه وقد قدمت الكلمة ولم يقل اسمها لان من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والاسماء التى لم توضع لتعريف المسمى به كفلان وفلان وذلك مثل الذرية والخليقة والدابة ولذلك جاز عنده أن يقال ذرية طيبة وذرية طيبا ولم يجز أن يقال طلحة أقبلت ومغيرة قامت وأنكر بعضهم اعتلال من اعتل فى ذلك بذى الثدية وقالوا انما أدخلت الهاء فى ذى الثدية لانه أريد بذلك القطعة من الثدى كما قيل كنا فى لحمة ونبيذة يراد به القطعة منه وهذا القول نحو قولنا الذى قلناه فى ذلك وأما قوله اسمه المسيح عيسى بن مريم فانه جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى وانه ابن أمه مريم ونفى بذلك عنه ما أضاف اليه الملحدون فى الله جل ثناؤه من النصارى من اضافتهم بنوته الى الله عز وجل وما قذفت أمه به المفترية عليها من اليهود كما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين أى هكذا كان أمره لاما يقولون فيه وأما المسيح فانه فعيل صرف من مفعول الى فعيل وانما هو ممسوح يعنى مسحه الله فطهره من الذنوب ولذلك قال ابراهيم المسيح الصديق وقال آخرون مسح بالبركة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال قال سعيد انما سمى المسيح لانه مسح بالبركة

القول فى تأويل قوله (وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) يعنى بقوله وجيها ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة ومنه يقال للرجل الذى يشرف وتعظمه الملوك والناس وجيه يقال منه ما كان فلان وجيها فلقد وجه وجاهة وان له لوجاهة عند السلطان وجاها وجاهة والجاه مقلوب قلبت واوه من أوله الى موضع العين منه فقيل جاه وانما هو وجه وفعل من الجاه جاه يجوه مسموع من العرب أخاف أن يجوهنى بأكثر من هذا يعنى أن يستقبلنى فى وجهى بأعظم منه وأما نصب الوجيه فعلى القطع من عيسى لان عيسى معرفة ووجيه نكرة وهو من نعته ولو كان مخفوضا على الرد على الكلمة كان جائزا وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيها فى الدنيا والآخرة عند الله قال فيما بلغنا محمد بن جعفر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وجيها قال وجيها فى الدنيا والآخرة عند الله وأما قوله ومن المقربين فانه يعنى انه ممن يقربه الله يوم القيامة فيسكنه فى جواره ويدنيه منه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله القول

الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحى ز لعطف المتفقتين حساب ه المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير ه نصف الجزء يعلمه الله ط ومافى الارض ط قدير ه محضرا ج والاجوز أن يوقف على سوء تقديره وماعملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ه العالمين لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم لا لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين أى سمع دعاءها وعلم رجاءها حين قالت أو اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر * التفسير أنه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن الياء وانما أخرت تبركا باسم الله تعالى

وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته فى يالله وعند الكوفيين أصله يا الله امنا بخير أى اقصدنا فلما كثر فى الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من أم وزيف بان التقدير لو كان كذلك لزم أن يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز أن يتكلم به على أصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء وأجيب بانه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف مالوجعل الثانى تفسير الأول ويكون تأكيدا وبان الاصل كثيرا ما يصير متروكا كمثل ما أكرمه فى التعجب ومالك الملك نداء مستأنف عند سيبويه فان النداء باللهم لايوصف كما

فى تاويل قوله (و يكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) أما قوله و يكلم الناس فى المهد فان معناه ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها عند الله ومكلما الناس فى المهد فيكلم وان كان مرفوعا لانه فى صورة يفعل بالسلامة من العوامل فيه فانه فى موضع نصب وهو نظير قول الشاعر

بت أغشيها بعضب باتر * تقصد فى أسوقها وجاير

وأما المهد فانه يعنى به مضجع الصبى فى رضاعه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس و يكلم الناس فى المهد قال مضجع الصبى فى رضاعه وأما قوله وكهلا فانه ومحتنكا فوق الغلومة ودون الشيخوخة يقال منه رجل كهل وامرأة كهلة كما قال الراجز

ولا أعود بعدها كريا * أمارس الكهلة والصبيا

وانما عنى جل ثناؤه بقوله و يكلم الناس فى المهد وكهلا و يكلم الناس طفلا فى المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها وحجة له على نبوته و بالغا كبيرا بعد احتناكه بوحى الله الذى يوحيه اليه وأمره ونهيه وما تقول عليه من كتابه وانما أخبر الله عز وجل عباده بذلك من أمر المسيح وأنه كذلك كان وان كان الغالب من أمر الناس انهم يتكلمون كهولا وشيوخا احتجاجا به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى بالباطل وانه كان فى معاناة أشياء مولودا طفلا ثم كهلا يتقلب فى الاحداث و يتغير بمرور الازمنة عليه والايام من صغر الى كبر ومن حال الى حال وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه كان ذلك غير جائز عليه فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واحتج به عليهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعلمهم انه كان كسائر بنى آدم الا ما خصه الله به من الكرامة التى أبانه بها منهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير و يكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين يخبرهم بحالاته التى يتقلب بها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا وكبارا الا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد مواقع قدرته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة و يكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين يقول يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع و يكلم الناس فى المهد وكهلا قال يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكهلا ومن الصالحين قال الكهل الحليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كلمهم صغيرا وكبيرا وكهلا وقال ابن جريج وقال مجاهد الكهل الحليم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو زيد الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله و يكلم الناس فى المهد وكهلا قال يكلمهم فى المهد صبيا وكلمهم كبيرا * وقال آخرون معنى قوله وكهلا انه سيكلمهم اذا ظهر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعنى ابن زيد يقول فى قوله و يكلم الناس فى المهد وكهلا قال قد كلمهم عيسى فى المهد وسيكلمهم اذا قتل الدجال

لا يوصف أخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو ياهناه و يالؤمان و ياملكعان وقيل وأجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز فى يا الله وعن ابن عباس وأنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول من سلمان فضربها صلى الله عليه وسلم ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها كالمصباح فى جوف بيت مظلم وكبر صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون وقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لى قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب صلى الله عليه وسلم الثالثة فقال أضاءت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبرائيل ان أمتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى أمر نبيه أن يسأله أن يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وأمره بذلك دليل على أنه يستجيب له صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا أمروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك أى يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه أن قدرة الخلق فى كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وأنه هو الذى يقدر كل قادر على مقدوره و يملك كل مالك على مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتى الملك من تشاء أى النصيب الذى قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والآخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها أعظم مراتب الملك لان العلماء لهم أمر على بواطن الخلق والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق والانبياء أمرهم نافذ فى البواطن والظواهر فعلى كل أحد أن يقبل شريعتهم ولهم أن يقتلوا من أرادوا من المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة أن يكون النبى بشرا أبعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود تقول النبوة فى أسلافنا فنحن أحق بها وقدر و ينافى

وهو يومئذ كهل ونصب كهلا عطفا على موضع ويكلم الناس وأما قوله ومن الصالحين فانه يعني من عدادهم وأوليائهم لان أهل الصلاح بعضهم من بعض فى الدين والفضل ﴿ القول فى تأويل قوله (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعني بذلك جل ثناؤه قالت مريم اذ قالت لها الملائكة ان الله يبشرك بكلمة منه رب أنى يكون لى ولد من أى وجه يكون لى ولد أمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه أو تبتدئ فى خلقه من غير بعل ولا فحل ومن غير أن يمسنى بشر فقال الله لها كذلك الله يخلق ما يشاء يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا لك من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد فيعطى الولد من يشاء من غير فحل ومن فحل فيحرم ذلك من يشاء من النساء وان كانت ذات بعل لانه لا يتعذر عليه خلق شئ أراد خلقه انما هو أن يأمر اذا أراد شيئا ما أراد فيقول له كن فيكون ما شاء مما يشاء وكيف شاء كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر أى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون مما يشاء وكيف يشاء فيكون ما أراد ﴿ القول فى تأويل قوله (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء الكوفيين ويعلمه بالياء ردا على قوله كذلك الله يخلق ما يشاء ويعلمه الكتاب فالحقوا الخبر فى قوله ويعلمه بنظير الخبر فى قوله يخلق ما يشاء وقوله فانما يقول له كن فيكون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض البصريين ونعلمه بالنون عطفا به على قوله نوحيه اليك كأنه قال ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ونعلمه الكتاب وقالوا ما بعد نوحيه فى صلته الى قوله كن فيكون ثم عطف بقوله ونعلمه عليه والصواب من القول فى ذلك عندنا انهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتى المعانى فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فى ذلك لاتفاق معنى القراءتين فى أنه خبر عن الله بانه يعلم عيسى الكتاب وما ذكر أنه يعلمه وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة فقال كذلك الله يخلق منك ولدا من غير فحل ولا بعل فيعلمه الكتاب وهو الخط الذى يخطه بيده والحكمة وهى السنة التى نوحيها اليه فى غير كتاب والتوراة وهى التوراة التى أنزلت على موسى كانت فيهم من عهد موسى والانجيل انجيل عيسى ولم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه اليه وانما أخبرها بذلك فسماه لها لانها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب ان الله باعث نبيا يوحى اليه كتابا اسمه الانجيل فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم الذى سمعت بصفته الذى وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذى سمى انجيلا هو الولد الذى وهبه لها وبشرها به وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج ونعلمه الكتاب قال بيده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونعلمه الكتاب والحكمة

تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون أن اليهود تكبروا على النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتى الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى أنه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى أنه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بنى اسرائيل ووضع فى العرب أو بمعنى أنه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن فى ظلمة الكفر قط ومثله أو لتعودن فى ملتنا مع أن الانبياء لم يكونوا فى ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بأنواعه وعلى الجاه وهو أن يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم أن كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل (١٧١) غافل رخى البال وقد رأينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا أن الكل بايتاء الله تعالى سواء فى ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل أحد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا أن يكون من مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور

لو كان بالحيل الغنى لوجدتنى ... بنجوم أقطار السماء تعلقى
لكن من رزق الحجى حرم الغنى ... ضدان مفترقان أى تفرق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وهكذا الكلام فى نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه من العادل لمصلحة تقتضى ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك فى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح أن الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك الفعال والقدر وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال فى الدنيا والآخرة فى الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفى ضده لاذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج فى الدواب والقاء الهيبة فى قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله

قال الحكمة السنة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل قال الحكمة السنة والتوراة والانجيل قال كان عيسى يقرأ التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ونعلمه الكتاب والحكمة قال الحكمة السنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال أخبر يعني أخبرالله مريم ما يريد به فقال ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة التي كانت فيهم من عند موسى والانجيل كتابا آخر أحدثه اليه لم يكن عندهم علمه الا ذكره أنه كائن من الانبياء قبله ۞ القول في تأويل قوله (ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم) يعني بقوله جل ثناؤه ورسولا ونجعله الى بني اسرائيل فترك ذكر ونجعله لدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغا * متقلدا سيفا ورمحا

وقوله أني قد جئتكم بآية من ربكم يعني ونجعله رسولا الى بني اسرائيل بانه نبي وبشير ونذير وحجتي على صدقي على ذلك أني قد جئتكم بآية من ربكم يعني بعلامة من ربكم تحقق قولي وتصدق خبري أني رسول من ربكم اليكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أي يحقق بها نبوتي وأني رسول منه اليكم ۞ القول في تأويل قوله (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) يعني بذلك جل ثناؤه ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ثم بين عن الآية ماهي فقال أني أخلق لكم فتأويل الكلام ورسولا الى بني اسرائيل باني قد جئتكم بآية من ربكم بان أخلق لكم من الطين كهيئة الطير والطير جمع طائر واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل الحجاز كهيئة الطائر فانفخ فيه فيكون طائرا على التوحيد وقرأه آخرون كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا على الجماع كليهما وأعجب القراآت الي في ذلك قراءة من قرأ كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا على الجماع فيهما جميعا لان ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك باذن الله وأنه موافق لخط المصحف واتباع خط المصحف مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به أعجب الي من خلاف المصحف وكان خلق عيسى ما كان يخلق من الطير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا وتستطيع ذلك قال نعم باذن ربي ثم هيأه حتى اذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال كن طائرا باذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلميهم فافشوه في الناس وترعرع فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم أي الطير أشد خلقا فقيل له الخفاش كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال أي الطير أشد خلقا قالوا الخفاش انما هو لحم قال ففعل فان قال

تعالى وتقديره بيدك الخير بقدرتك تحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة أي بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك أو لان جميع أفعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله فكلها خير أو لان القادر على ايصال الخير أقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع أن ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما (١٧٢) قوام العالم ونظامه أو يأتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول أقرب الى اللفظ لان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد أدخله فيه ويخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر أو من كان ميتا فاحييناه أي كافرا فهديناه أو الطيب من الخبيث أو الحيوان من النطفة أو الطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم أو يخرج السنبلة من الحبة تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله أردفه بشريطة الشفقة على خلق الله أو نقول لما ذكر أنه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين أنه ينبغي أن يكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر الدال لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن أبي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار يفتنونهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى أولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس أيضا في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن

يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في آيات أخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن موالياً للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضياً بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل أن يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا أيها الذين آمنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه والثالث كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك ولهذا قال (١٧٣) مقاتل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد أن دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا أنه منهي عنه حذرا من أن يجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله أي من ولايته أو من دينه في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ عن ولاية الله رأسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصور وهذا أمر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال

تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب

قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الآخر كالملك العادل فانه محب لهما فان أراد أحد أن يعم الحكم لا بد له ان يزيد عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقاة قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وقلبوها واوا وكذا التقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز أن يجعل تقاة ههنا مثل دعاة ورماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا أو تخافوا ولهذا عدي بمن ويحتمل أن يكون التقاة أو التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير اضرب به فالمعنى أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا أي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله والتقية عند العلماء أحكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط أن يضمر

قائل وكيف قيل فانفخ فيه وقد قيل أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قيل لان معنى الكلام فانفخ في الطير ولو كان ذلك فانفخ فيها كان صحيحا جائزا كما قال في المائدة فانفخ فيها يريد فانفخ في الهيئة وقد ذكر أن ذلك في احدى القراءتين فانفخها بغير في وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول رب ليلة قد بتها وبت فيها قال الشاعر

ما شق جيب ولا قامتك نائحة * ولا بكتك جياد عند أسلاب

يعني ولا قامت عليك وكما قال جرير

احدى بني عبد الله استمر بها * حلو العصارة حتى ينفخ الصور

﴿ القول في تاويل قوله (وأبرئ الاكمه والابرص) يعني بقوله وأبرئ وأشفي يقال منه أبرأ الله المريض اذا شفاه منه فهو يبرئه ابراء وبرأ المريض فهو يبرأ ابراء وقد يقال أيضا برئ المريض فهو يبرأ لغتان معروفتان واختلف أهل التأويل في معنى الاكمه فقال بعضهم هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأبرئ الاكمه قال الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون هو الاعمى الذي ولدته أمه كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الاكمه الذي ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله وأبرئ الاكمه والابرص قال كنا نحدث أن الاكمه الذي ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الاكمه الذي يولد وهو أعمى وقال آخرون بل هو الاعمى ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وأبرئ الاكمه هو الاعمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الاعمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأبرئ الاكمه قال الاكمه الاعمى حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله وأبرئ الاكمه قال الاعمى وقال آخرون هو الاعمش ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله وأبرئ الاكمه قال الاعمش والمعروف عند العرب من معنى الكمه العمى يقال منه كمهت عينه فهي تكمه كمها وكمهتها انا اذا أعميتها كما قال سويد بن أبي كاهل * كمهت عيناه حتى ابيضتا * فهو يلحى نفسه لما نزع ومنه قول رؤبة

هرجت فارتد ارتداد الاكمه * في غائلات الحائر المتهته

وانما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه أنه يقول ذلك لبني اسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات عليهم في نبوته وذلك ان الكمه والبرص لا علاج لهما فيقدر على ابرائه ذو طب بعلاج فكان ذلك

بخلافه ويعرض في كل ما يقول ما أمكن فان التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلب ومنها أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما روى الحسن أنه أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أتشهد أني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال أتشهد أن محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال أتشهد أني رسول الله فقال اني أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيأ له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الآية الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار

الموالاة والمعاداة وقد يجوز أن تكون أيضا فيما يتعلق باظهار الدين فأما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها أن الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها أنها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا اسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في أول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن أنه قال التقية جائزة الى يوم القيامة وهذا أرجح عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل أي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة أعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره مما وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء أي ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم أي قلوبكم وضمائركم لان القلب في الصدر مجازا اقامة للظرف مقام المظروف أو تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلي ثم استأنف بيانا أشمل فقال ويعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال انما التحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تعالى تعظيما لشأنه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر أي اذكروا والاظهر أن العامل فيه يود

من أدلته على صدق قيله انه لله رسول لانه من المعجزات مع سائر الآيات التي أعطاه الله اياها دلالة على نبوته فأما ما قال عكرمة ان الكمه العمش وما قاله مجاهد من انه سوء البصر بالليل فلا معنى لهما لان الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل على معارضته فيها ولو كان مما احتج به عيسى على بني اسرائيل في نبوته أنه يبرئ الاعمش والذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بان يقولوا وما في هذا لك من الحجة وفينا خلق ممن تعالج ذلك وليسوا لله أنبياء ولا رسلا ففي ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من ان الكمه هو العمى الذي لا يبصر شيأ لا ليلا ولا نهارا وهو بما قال قتادة من أنه المولود كذلك أشبه لان علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر الا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى وكذلك علاج الابرص ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وكان احياء عيسى الموتى بدعاء الله يدعو لهم فيستجيب له كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة أوحى الله الى أمه وهو بارض مصر وكانت هربت من قومها حين ولدته الى أرض مصر ان اطلعي به الى الشام ففعلت الذي أمرت به فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاثين سنة ثم رفعه الله اليه قال وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي اليه وانما كان يداويهم بالدعاء الى الله وأما قوله وأنبئكم بما تأكلون فانه يعني وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه وما تدخرون يعني بذلك وما ترفعونه فتخبؤنه ولا تأكلونه يعلمهم ان من حجته أيضا على نبوته مع المعجزات التي أعلمهم أنه يأتي بها حجة على نبوته وصدقه في خبره ان الله أرسله اليهم من خلق الطير من الطين وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله التي لا يطيقها أحد من البشر الا من أعطاه الله ذلك علما له على صدقه وآية له على حقيقة قوله من أنبيائه ورسله ومن أحب من خلقه انباءه عن الغيب الذي لا سبيل لاحد من البشر عليه فان قال قائل وما كان في قوله لهم وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم من الحجة له على صدقه وقد رأينا المتنجمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيرا فتصيب قيل ان المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك انهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الاسباب المؤدية الى علمه ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ومن سائر أنبياء الله ورسله وانما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باحتيال ولكن ابتداء باعلام الله اياه من غير أصل يقدم ذلك احتذاه أو بنى عليه أو فزع اليه كما يفزع المتنجم الى حسابه والمتكهن الى رئيه فذلك هو الفصل بين علم الانبياء بالغيوب واخبارهم عنها وبين علم سائر الكذبة على الله والمدعية على ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرا أو نحو ذلك أدخلته أمه الكتاب فيما يزعمون فكان عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يذهب يعلمه شيأ

والضمير في بينه اليوم أي يوم كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا تضلوا أن بينها وبينه أمدا بعيدا البوم وهو له أمدا بعيد
والامد الغاية التي ينتهى اليها مكانا كانت أو زمانا والمقصود تمنى بعده كقوله ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو
أن يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف حاضرا أو يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل أن يكون
تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل أن يكون حالا واحتمل أن يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل
أن يكون ما شرطية وتود جزاءه وهو قليل كقوله وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت
تحتملهما على السواء الا أن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تأكيد للوعيد

مما يعلمه الغلمان الا بدره الى علمه قبل أن يعلمه اياه فيقول ألا تعجبون لابن هذه الارملة ما أذهب أعلمه شيأ الا
وجدته أعلم به مني حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لما كبر عيسى أسلمته
أمه يتعلم التوراة فكان يلعب مع الغلمان غلمان القرية التي كان فيها فيحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن سعيد بن جبير في قوله وأنبئكم
بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال كان عيسى بن مريم اذ كان في الكتاب يخبرهم بما يأكلون في
بيوتهم وما يدخرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم قال
سمعت سعيد بن جبير يقول وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال ان عيسى بن مريم كان يقول
للغلام في الكتاب يا فلان ان أهلك قد خبؤا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه فهكذا فعل الانبياء وحججها
انما تأتي بما أتت به من الحجج بما قد يوصل اليه ببعض الحيل على غير الوجه الذي يأتي به غيرها بل من الوجه
الذي يعلم الخلق انه لا يوصل اليه من ذلك الوجه بحيلة الا من قبل الله وبنحو ما قلنا في تأويل قوله وأنبئكم بما
تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو
عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال بما
أكلتم البارحة وما خبأتم منه عيسى بن مريم يقوله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال
عطاء بن أبي رباح يعني قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الطعام والشئ يدخرونه في
بيوتهم غيبا علمه الله اياه حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وأنبئكم
بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال بما يأكلون ما أكلتم البارحة من طعام وما خبأتم منه حدثني
موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان يعني عيسى بن مريم يحدث الغلمان
وهو معهم في الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعون لهم وبما يأكلون ويقول للغلام انطلق فقد رفع لك
أهلك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون له من
أخبرك بهذا فيقول عيسى فذلك قول الله عز وجل وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فحبسوا
صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليس هم ههنا فقال ما
في هذا البيت فقالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ففتحوا عنهم فاذا هم خنازير فذلك قوله على لسان داود
وعيسى بن مريم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله وما تدخرون
في بيوتكم قال ما تخفون مخافة الذي يمسك أن لا يخلفه شئ وقال آخرون انما عني بقوله وأنبئكم بما تأكلون
وما تدخرون في بيوتكم ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم وما تدخرون منها ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم

والله رؤف بالعباد قال الحسن
ومن رأفته أن حذرهم
نفسه وعرفهم كمال علمه
وقدرته وأنه يمهل ولا يهمل
ورغبهم في استيجاب رحمته
وحذرهم من استحقاق
غضبه ويجوز أن يراد أنه
رؤف بهم حيث أمهلهم
للتوبة والتلافي أو هو وعد كما
أن التحذير وعيد أو المراد
بالعباد عباده المخلصون
كقوله عينا يشرب بها عباد
الله كما هو منتقم من الفساق
ويحذرهم نفسه فهو رؤف
بالعباد المطيعين والمحسنين
ثم انه تعالى دعا القوم الى
الايمان به وبرسوله من
طريق آخر سوى طريق
التهديد والتحذير فقال
قل ان كنتم تحبون الله قال
الحسن وابن جريج زعم
أقوام على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنهم
يحبون الله فقالوا يا محمد انا
نحب ربنا فأنزل الله هذه
الآية وروى الضحاك عن
ابن عباس قال وقف النبي
صلى الله عليه وسلم على
قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش
لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فأنزل الله قل ان كنتم
تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم وروى الكلبي عن
أبي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين زعمت اليهود انهم أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا أنهم يعظمون المسيح ويعبدونه
حبا لله وتعظيما له والحاصل أن كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء ولا بد أن يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل
العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته فليس في متابعته الا أنه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره

فكان القوم لما سألوا المائدة فكانت خوانا ينزل عليه أينما كانوا ثمرا من ثمار الجنة فأمر القوم أن لا يخونوا فيه ولا يخبؤا ولا يدخروا لغد بلاء ابتلاهم الله به فكانوا اذا فعلوا من ذلك شيأ أنبأهم به عيسى بن مريم فقال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون قال أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها قال فكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا فادخروا وخانوا فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا فذلك قوله فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال معمر عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر ذلك وأصل يدخرون من الفعل يفتعلون من قول القائل ذخرت الشئ بالذال فأنا أذخره ثم قيل يدخر كما قيل يذكر من ذكرت الشئ يراد به يذتخر فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتا المخرج ثقل اظهارهما على اللسان فادغمت احداهما فى الاخرى وصيرتا دالا مشددة صيروها عدلا بين الدال والتاء ومن العرب من يغلب الدال على التاء فيدغم التاء فى الدال فتقول وما تدخرون وهو مذخر لك وهو مدكر والغة التى بها القراءة الاولى وذلك ادغام الذال فى التاء وابدالهما دالا مشددة لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراء بها وهى اللغة الجودى كما قال زهير

ان الكريم الذى يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

يروى بالظاء يريد فيفتعل من الظلم ويروى بالطاء أيضا ۞ القول فى تأويل قوله (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان فى خلقى من الطين الطير باذن الله وفى ابرائى الاكمه والابرص واحيائى الموتى وانبائى اياكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ابتداء من غير حساب وتنجيم ولا كهانة وعرافة لعبرة لكم ومتفكرا تتفكرون فى ذلك فتعتبرون به انى محق فى قولى لكم انى رسول من ربكم اليكم وتعلمون به أنى فيما أدعوكم اليه من أمر الله ونهيه صادق ان كنتم مؤمنين يعنى ان كنتم مصدقين حجج الله وآياته مقرين بتوحيده ونبيه موسى والتوراة التى جاءكم بها ۞ القول فى تأويل قوله (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه وبانى قد جئتكم بآية من ربكم وجئتكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ولذلك نصب مصدقا على الحال من جئتكم والذى يدل على أنه نصب على قوله وجئتكم دون العطف على قوله وجيها قوله لما بين يدى من التوراة ولو كان عطفا على قوله وجيها لكان الكلام ومصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لكم بعض الذى حرم عليكم وانما قيل ومصدقا لما بين يدى من التوراة لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنا بالتوراة مقرا بها وأنها من عند الله وكذلك الانبياء كلهم يصدقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله وان اختلف بعض شرائع أحكامهم لمخالفة الله بينهم فى ذلك مع ان عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة لم يخالف شيأ من أحكامها الا ما خفف الله عن أهلها فى الانجيل مما كان مشددا عليهم فيها كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الكريم قال ثنى

عبد

فمن أحب الله كان راغبا فيه لأن المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر فى تفسير قوله والذين آمنوا أشد حبا لله تحقيق المحبة وأنها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور فى الدنيا يستر على عبده أنواع المعاصى رحيم فى الآخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى أنه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى قال عبد الله بن أبى ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحب النصارى عيسى فنزلت قل أطيعوا الله والرسول وذلك أن الآية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته ثم ان المنافق ألقى شبهة فى البين أمره الله تعالى أن يقول انما أوجب الله عليكم متابعتى لا لما يقوله النصارى فى عيسى بل لكونى رسولا من عند الله ومبلغ تكاليفه فان تولوا أعرضوا أو تعرضوا على أن يكون التاء الاولى محذوفة ويدخل فى جملة ما يقوله الرسول لهم فانه لا يحصل للكافر من محبة الله لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين أن محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا الآية أى جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشئ الذى يصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحلمى فى كتاب المنهاج أن الانبياء عليهم السلام مخالفون لغيرهم فى القوى الجسمانية والقوى الروحانية أما القوى الجسمانية فهى اما مدركة أو محركة أما المدركة فهى الحواس الظاهرة أو الباطنة أما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وقوله أقيموا صفوفكم وتراصوا فانى أراكم من وراء ظهرى وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ذكروا فى تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس بمستبعد فانه يروى أن زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط فسمعت طيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة أن فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثله ما روى

عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول ان عيسى كان على شريعة موسى صلى الله عليه وسلم وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس فقال لبنى اسرائيل انى لم أدعكم الى خلاف حرف مما فى التوراة الا لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وأضع عنكم من الآصار حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم كان الذى جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب وأشياء من الطير والحيتان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال كان الذى جاء به عيسى ألين من الذى جاء به موسى قال وكان حرم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة لحوم الابل والثروب فأحلها لهم على لسان عيسى وحرمت عليهم الشحوم وأحلت لهم فيما جاء به عيسى وفى أشياء من السمك وفى أشياء من الطير مما لا صيصة له وفى أشياء حرمها عليهم وشددها عليهم فجاءهم عيسى بالتخفيف منه فى الانجيل فكان الذى جاء به عيسى ألين من الذى جاء به موسى صلوات الله عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال لحوم الابل والشحوم لما بعث عيسى أحلها لهم وبعث الى اليهود فاختلفوا وتفرقوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومصدقا لما بين يدى من التوراة أى لما سبقنى منها ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم أى أخبركم أنه كان حراما عليكم فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفا عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال كان حرم عليهم أشياء فجاء عيسى ليحل لهم الذى حرم عليهم يبتغى بذلك شكرهم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (وجئتكم بآية من ربكم) يعنى بذلك وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم تعلمون بها حقيقة ما أقول لكم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم قال ما بين لهم عيسى من الاشياء كلها وما أعطاه ربه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم ما بين لهم عيسى من الاشياء كلها ويعنى بقوله من ربكم من عند ربكم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) يعنى بذلك وجئتكم بآية من ربكم تعلمون بها يقينا صدقى فيما أقول فاتقوا الله يا معشر بنى اسرائيل فيما أمركم ونهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله على موسى فأوفوا بعهده الذى عاهدتموه فيه وأطيعون فيما دعوتكم اليه من تصديقى فيما أرسلنى به اليكم ربى وربكم فاعبدوه فانه بذلك أرسلنى اليكم وباحلال بعض ما كان محرما عليكم فى كتابكم وذلك هو الطريق

أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب صلى الله عليه وسلم ريح يوسف من مسيرة أيام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرنى أنه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم قيل وهو دليل قوة اللمس كما فى النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب أن يحمل هذا على معنى آخر وهو أنه تعالى لا يبعد أن يجعل المنافى ملائما للاعجاز أو لخاصية أودعها فى المنافى حتى يصير ملائما وأما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال على رضى الله عنه علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب من العلم فاستنبطت من كل باب ألف باب واذا كان حال الولى هكذا فكيف حال النبى وأما القوة المحركة فكعروج النبى صلى الله عليه وسلم وعروج عيسى عليه السلام الى السماء وكرفع ادريس والياس على ما ورد فى الاخبار وأما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس أو كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم تجرى عليها الانوار الفائضة من المبادى العالية أتم من سائر النفوس وأكمل ولهذا بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك أفضل من البشر أو من سكان السموات أيضا عند من يرى البشر أفضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على أن أول الاشياء اصطفى آدم صفى الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية فى شعبة معينة من أولاد آدم وهم شيث وأولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم انشعب من ابراهيم صلى الله عليه وسلم شعبتان اسمعيل واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة فى نسل يعقوب ووضع الملك فى نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك اليه صلى الله عليه وسلم وبقى الدين والملك فى أمته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة فالمراد بآل ابراهيم أولاده عليهم الصلاة والسلام وهو المطلوب بقوله ومن ذريتى بعد قوله انى جاعلك للناس اماما وأما آل عمران فقيل أولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بآل عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك ان عمران بن ماثان جد عيسى من قبل الام ولأن الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى عليه السلام بالخوارق التى ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله اياه لا لكونه شريكا للاله ولأن هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين ذرية بدل ممن سوى آدم بعضها من بعض قيل

أى فى التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم فى النفاق وقيل معناه ان ذرية آدم كانوا متوالدين من آدم وقيل يعنى ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر و يصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب و يعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال فى الكشاف ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا بن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشا و يهودا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وأفعالهم فيصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا و يحتمل أن يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه تغريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون أول الكلام تشريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم (١٧٨) باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك و يحتمل أن يتعلق بما بعده كما مر فى الوقوف التأويل مالك الملك هو مالك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتى الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النورى وتذل من تشاء بذل القبض القهرى بيدك الخير انك على كل شئ قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذى يقدر على اعطاء كل خير فاتنا وأعزنا يا مفيض كل خير و يا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية فى نهار أنوار الصفات الروحانية و بالعكس وتخرج القلب الحى بالحياة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الحياة الحقيقية من النفس الحية بالحياة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا أولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من أنوار الله وألطافه فى شئ الا ان تخافوا من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير فى الرجوع وتهلك فى الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات و يحذركم الله نفسه أى من صفات قهره قل ان تخفوا ما فى صدوركم من معاداة الحق فى ضمن موالاة النفس و يعلم ما فى سموات قلوبكم وما فى ارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت أثر الخير والشر ظاهر فى ذات المرء وصفاته وبحسب ذلك يبيض وجه قلبه أو يسود ولكنه فى غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية لجبة الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه وأحس ثم أخبر عن طريق الوصول انه فى متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلاث درجات وللمحبة المحب ثلاث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلاث درجات أما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام

القويم والهدى المتين الذى لا اعوجاج فيه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم تبريا من الذى يقولون فيه يعنى ما يقول فيه النصارى واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به واختلفت القراء فى قراءة قوله ان الله ربى وربكم فاعبدوه فقرأته عامة القراء بكسر ألف ان على ابتداء الخبر وقرأه بعضهم ان الله ربى وربكم بفتح ألف أن بتأويل وجئتكم بآية من ربكم ان الله ربى وربكم على رد ان على الآية والابدال منها والصواب من القراءة عندنا ما عليه قراء الامصار وذلك كسر ألف ان على الابتداء لاجماع الحجة من القراء على صحة ذلك وما اجتمعت عليه فحجة وما انفرد به المنفرد عنها فرأى ولا يعترض بالرأى على الحجة وهذه الآية وان كان ظاهرها خبرا ففيها الحجة البالغة من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران باخبار الله عز وجل عن ان عيسى كان بريا مما نسبه اليه من نسبه الى غير الذى وصف به نفسه من أنه لله عبد كسائر عبيده من أهل الارض الا ما كان الله جل ثناؤه خصه به من النبوة والحجج التى آتاه دليلا على صدقه كما آتى سائر المرسلين غيره من الاعلام والدلالة على صدقهم والحجة على نبوتهم ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) يعنى بقوله جل ثناؤه فلما أحس عيسى منهم الكفر فلما وجد عيسى منهم الكفر والاحساس هو الوجود ومنه قول الله عز وجل هل تحس منهم من أحد فاما الحس بغير ألف فهو الافناء والقتل ومنه قوله اذ تحسونهم باذنه والحس أيضا العطف والرقة ومنه قول الكميت

هل من بكى الدار راج أن تحس له * أو يبكى الدار ماء العبرة الخضل

يعنى بقوله ان تحس له ان ترق له فتأويل الكلام فلما وجد عيسى من بنى اسرائيل الذين أرسله الله اليهم جحود النبوة وتكذيبا لقوله وصدا عما دعاهم اليه من أمر الله قال من أنصارى الى الله يعنى بذلك قال عيسى من أعوانى على المكذبين بحجة الله والمولين عن دينه والجاحدين نبوة نبيه الى الله عز وجل و يعنى بقوله الى الله مع الله وانما حسن أن يقال الى الله بمعنى مع الله لان من شأن العرب اذا ضموا الشئ الى غيره ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر اذا ضم اليه جعلوا مكان مع الى احيانا وأحيانا يخبر عنهما بمع فتقول الذود الى الذود ابل بمعنى اذا ضممت الذود الى الذود صارت ابلا فاما اذا كان الشئ مع الشئ لم يقولوه بالى ولم يجعلوا مكان مع الى غير جائز أن يقال قدم فلان اليه مال بمعنى ومعه مال و بمثل ما قلنا فى تأويل قوله من أنصارى الى الله قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله من أنصارى الى الله يقول مع الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

ثني حجاج عن ابن جريج من أنصاري الى الله يقول مع الله وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحوار يين فان بين أهل العلم فيه اختلافا فقال بعضهم كان سبب ذلك ما حدثني به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لما بعث الله عيسى فامره بالدعوة نفته بنو اسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه يسيحون في الارض فنزل في قرية على رجل فضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل يوما وقد وقع عليه هم وحزن فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم لها ما شأن زوجك أراه حزينا قالت لا تسالي قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت فان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه هو وجنوده ويسقيهم من الخمر فان لم يفعل عاقبه وانه قد بلغت نوبته اليوم الذي يريد أن يصنع له فيه وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم فاني آمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك قالت مريم لعيسى في ذلك قال عيسى يا أمه اني ان فعلت كان في ذلك شر قالت فلا تبال فانه قد أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني قال فلما ملأهن أعلمه فدعا الله فتحول ما في القدور لحما ومرقا وخبزا وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط واياه طعاما فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر سأل من أين هذه الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمري أوتى بها من تلك الارض فليس هي مثل هذه قال هي من أرض أخرى فلما خلط على الملك اشتد عليه قال فانا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وأنه دعا الله فجعل الماء خمرا قال الملك وكان له ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجابن له حتى يحيي ابني فدعا عيسى فكلمه فسأله أن يدعو الله فيحيي ابنه فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال الملك لا أبالي أليس أراه فلا أبالي ما كان فقال عيسى عليه السلام فان أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب أينما شئنا قال الملك نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه وصحبهما يهودي وكان مع اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى شاركني فقال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف ندم فلما ناما جعل اليهودي يريد أن يأكل الرغيف فلما أكل لقمة قال له عيسى ما تصنع فيقول لا شيء فيطرحها حتى فرغ من الرغيف كله فلما أصبحا قال له عيسى هلم طعامك فجاء برغيف فقال له عيسى أين الرغيف الآخر قال ما كان معي الا واحد فسكت عنه عيسى فانطلقوا فمروا براعي غنم فنادى عيسى يا صاحب الغنم اجزر شاة من غنمك قال نعم أرسل صاحبك يأخذها فارسل عيسى اليهودي فجاء بالشاة فذبحوها وشووها ثم قال لليهودي كل ولا تكسرن عظما فاكلا فلما شبعوا قذف عيسى العظام في الجلد ثم ضربها بعصاه

المؤمنين وهي متابعة أعماله صلى الله عليه وسلم والثانية درجات الخواص وهي متابعة أخلاقه والثالثة درجة أخص الخواص وهي متابعة أحواله وأما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنتين رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لمتابعي الاعمال الذين يطمعون أجرا على ما يعملون وفيه قال أبو الطيب

وما أنا بالباغي على الحب رشوة * ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه أهل لذلك كما قالت رابعة

* أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذا كا *

ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد بقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر

سأعبد الله لا أرجو مثوبته * لكن تعبد اعظام واجلال

والثالثة محبة أخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان من كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف وأهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية

غذينا بالمحبة يوم قالت * له الدنيا أتينا طائعينا

وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها وتبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار تفنى الحطب بسطوتها وتبقى النار منه بلا هو وحقيقة هذه المحبة نار لا تبقي ولا تذر وأما درجات محبة الله للعبد فاعلم أن كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وأفعاله قرأ القارئ بين يدي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير رحمه الله قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من أهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخاص من أهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من أهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات أحياء غير أموات ويكون في هذا المقام المحب والمحبوب

والمحبة واحدا كما ان الرائى فى المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائى والمرئى والرؤية واحدا قل أطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدف درة محبته لكان الله اصطفى آدم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة أنواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع فى آدم جميع الانواع وخصه بتشريف ثامن هو تشريف ونفخت فيه من روحى فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ثم ذكر خواص أولاد آدم نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقى بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها أهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم وخصالهم (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما (١٨٠) وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) القرآآت منى انك بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وأبو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة وانى أعيذها بفتح الياء أبو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد وقرأ أبو بكر وحماد بالمد والنصب ههنا الباقون بالمد والرفع فناديه بالياء والامالة على وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث فى المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ان ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلى الباقون بالتشديد لى آية بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير * الوقوف منى ج للابتداء ولاحتمال لانك العليم ه أنثى ط لمن قرأ بما وضعت بتاء التأنيث الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم ه حسنا ص لمن قرأ وكفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب وقد

وقال قومى باذن الله فقامت الشاة تثغو فقال يا صاحب الغنم خذ شاتك فقال له الراعى من أنت قال أنا عيسى ابن مريم قال انت الساحر وفر منه قال عيسى لليهودى بالذى أحيا هذه الشاة بعدما أكلناها كم كان معك رغيفا فحلف ما كان معه الا رغيف واحد فمروا بصاحب بقر فنادى عيسى فقال يا صاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذه عجلا قال ابعث صاحبك يأخذه قال انطلق يا يهودى فجئ به فانطلق فجاء به فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر فقال له عيسى كل ولا تكسرن عظما فلما فرغوا قذف العظام فى الجلد ثم ضربه بعصاه وقال قم باذن الله فقام وله خوار قال خذ عجلك قال ومن أنت قال أنا عيسى قال أنت السحار ثم فر منه قال اليهودى يا عيسى أحييته بعدما أكلناه قال عيسى فبالذى أحيا الشاة بعدما أكلناها والعجل بعدما أكلناه كم كان معك رغيفا فحلف بالله ما كان معه الا رغيف واحد فانطلقا حتى نزلا قرية فنزل اليهودى أعلاها وعيسى فى أسفلها وأخذ اليهودى عصا مثل عصا عيسى وقال أنا الآن أحيى الموتى وكان ملك تلك المدينة مريضا شديد المرض فانطلق اليهودى ينادى من يبتغى طبيبا حتى أتى ملك تلك القرية فأخبر بوجعه فقال ادخلونى عليه فانا أبرئه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك ليس من طبيب يداويه ولا يفى دواؤه شيأ الا أمر به فصلب قال ادخلونى عليه فانى سأبريه فادخل عليه فاخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ويقول قم باذن الله فاخذ ليصلب فبلغ عيسى فاقبل اليه وقد رفع على الخشبة فقال أرأيتم ان أحييت لكم صاحبكم أتتركون لى صاحبى قالوا نعم فأحيا الله الملك لعيسى فقام وأنزل اليهودى فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبدا قال عيسى فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى لليهودى أنشدتك بالذى أحيا الشاة والعجل بعدما أكلناهما وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من الجذع بعدما رفعت عليه لتصلب كم كان معك رغيفا قال فحلف بهذا كله ما كان معه الا رغيف واحد قال لا باس فانطلقا حتى مرا على كنز قد حفرته السباع والدواب فقال اليهودى يا عيسى لمن هذا المال قال عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى فانطلق مع عيسى ومر بالمال أربعة نفر فلما رأوه اجتمعوا عليه فقال اثنان لصاحبيهما انطلقا فابتاعا لنا طعاما وشرابا ودواب نحمل عليها هذا المال فانطلق الرجلان فابتاعا دواب وطعاما وشرابا وقال أحدهما لصاحبه هل لك أن نجعل لصاحبينا فى طعامهما سما فاذا أكلا ماتا فكان المال بينى وبينك فقال الآخر نعم ففعلا وقال الآخران اذا ما أتيا بالطعام فليقم كل واحد الى صاحبه فيقتله فيكون الطعام والدواب بينى وبينك فلما جاآ بطعامهما قاما فقتلاهما ثم قعدا على الطعام فأكلا منه فماتا واعلم ذلك لعيسى فقال لليهودى اخرجه حتى نقتسمه فاخرجه فقسمه عيسى بين ثلاثة فقال

اليهودى

يعدى الى مفعولين كقوله اكفلنيها المحراب لالات وجد جواب كلما ورزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هـنـا ط من عند الله ط حساب بربه ج لما قلنا في رزقا طيبة ج للابتداء ولجواز لانك الدعاء ه في المحراب لا وان كسر ان لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين ه عاقر ط ما يشاء ه آية ط رمزا ط والابكار ه * التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنـة أم مريم البتول زوجة عمران بن ماثان بنت فاقوذ أخت يشاع التي كانت تحت زكريا بن أذن روى ان حنة كانت عاقرا لم تلـد الى أن كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاله فتحركت نفسـها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم أم موسى فقذفتـه في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبـد تخليصه من الرق وحررت الكتاب اذا أصلحته وخلصته من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي وكان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع عن الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان أبى المقام وأراد أن يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما لبيان الامر على الغرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان أجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها الانها كانت أنثى في علم الله أو على تأويل النفس أو النسمة أو الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كما سمي بالحمل ثم أدخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة فيه ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير أنه يكون أنثى قالت رب اني وضعتها حال كونها أنثى ثم من قرأ والله أعلم بما وضعت على الحكاية فهو من تمام الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها أنثى الاعتذار عن اطلاق النـذر الذي تقـدم منها او الخوف من أنها لا تقع الموقع الذي يعتـد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقـديرها ثم خافت أن يظن بها انها قالت ذلك لاعلام الله تعالى فقالت والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لاسيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم والذكر يمكنه الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل

اليهودي يا عيسى اتق الله ولا تظلمني فانما هو أنا وأنت ماهذه الثلاثة قال عيسى هذا لي وهذا لك وهذا الثالث لصاحب الرغيف قال اليهودي فان أخبرتك بصاحب الرغيف تعطيني هـذا المال فقال عيسى نعم قال أنا هو قال عيسى خذ حظي وحظك وحظ صاحب الرغيف فهو حظك من الدنيا والآخرة فلما حمله مشى به شيـأ نخسف به وانطلق عيسى بن مريم فمر بالحواريين وهـم يصطادون السمك فقال ما تصـنعون فقالوا نصطاد السمك فقال أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم فآمنوا به وانطلقوا معـه فذلك قول الله عز وجـل من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهـد بانا مسلمون حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسـن في قوله فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله الآية قال استنصر فنصره الحواريون وظهر عليهم وقال آخرون كان سبب استنصار عيسى من استنصر لان من استنصر الحواريين عليـه كانوا أرادوا قتـله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أحس عيسى منهم الكفر قال كفروا وأرادوا قتله فذلك حين استنصر قومـه قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله والانصار جمع نصـير كالاشراف جمع شريف والاشهاد جمع شهيد وأما الحواريون فان أهـل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله سموا حواريين فقال بعضهم سموا بذلك لبياض ثيابهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبي قال ثنا قيس بن الربيع عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال انما سموا الحواريين ببياض ثيابهم وقال آخرون سموا بذلك لانهـم كانوا قصارين يبيضون الثياب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن أبي أرطاة قال الحواريون الغسالون الذين يحورون الثياب يغسـلونها وقال آخرون هم خاصة الانبياء وصـفوتهم ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن عليـة عن روح بن القاسم ان قتادة ذكر رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسـلم فقال كان من الحواريين فقيل له من الحواريون قال الذين تصلح لهم الخلافة حدثت عن المنجاب قال ثنا الحسين قال ثنا بشر عن عمارة عن أبي روق عن الضحاك في قوله اذ قال الحواريون قال أصفياء الانبياء وأشبه الاقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال سموا بذلك لبياض ثيابهم ولانهـم كانوا غسالين وذلك ان الحور عنـد العرب شـدة البياض ولذلك سمي الحواري من الطعام حواري لشدة بياضه ومنه قيل للرجل الشديد بياض مقلة العينين أحور وللمرأة حوراء وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب وأنهـم كانوا قصارين فعرفوا بصحبة عيسى واختياره اياهم لنفسه أصحابا وأنصارا فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل حتى صار كل خاصة للرجل

بأن تكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فحق الشأن اني وضعتها أنثى ولكنك أعرف واعلم بحال ما وضعت فلعل
لك فيه سرا وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لى لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام فى الذكر وفى الانثى لمعهود
حاضر ذهنى لكنها فى الذكر لحاضر ذهنى تقديرا لدلالة ما فى بطنى عليه ضمنا وفى الانثى لحاضر ذهنى حقيقة لتقدم لفظة أنثى ومن قرأ بما
وضعت بسكون التاء للتأنيث فالجملتان أعنى قوله والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله أعلم بالشئ الذى وضعت
لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهى جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى
وهبت لها وانى سميتها مريم وذلك ان أباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم فى لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب
والطلب الى الله أن يعصمها حتى يكون فعلها (١٨٢) مطابقا لاسمها ولهذا أردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها

الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التى خاطبت ونادت بقولها رب انى وضعتها ويحتمل أن يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى أنه كان بما فى بطن أمها فسر بها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشئ وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى أنه لم يسمع غيره وأجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء فى قوله بقبول بمنزلة الباء فى قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفى التقبل نوع تكلف فكأنه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال فى الكشاف معناه فتقبلها بذى قبول حسن أى بامر ذى قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها أنثى فى النذر أو بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز أن يكون القبول اسما ما يقبل
به الشئ كالسعوط والدهن لما يسعط به ويدهن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا أخذه باوله أى فاخذها من أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت فى اليوم مثل ما ينبت المولود فى عام وقيل المراد نماؤها فى الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة والوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات وفى كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب أقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها

من أصحابه وأنصاره حواريه ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير يعنى خاصته وقد سمى العرب النساء اللواتى مساكنهن القرى والامصار حواريات وانما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن ومن ذلك قول أبى جلدة اليشكرى

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا يبكنا الا الكلاب النوابح

ويعنى بقوله قال الحواريون قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من تبييضهم الثياب آمنا بالله صدقنا بالله واشهد أنت يا عيسى باننا مسلمون وهذا خبر من الله عز وجل أن الاسلام دينه الذى ابتعث به عيسى والانبياء قبله لا النصرانية ولا اليهودية وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها كما برأ ابراهيم من سائر الاديان غير الاسلام وذلك احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على وفد نجران كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما أحس عيسى منهم الكفر والعدوان قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم واشهد بانا مسلمون لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه يعنى وفد نصارى نجران ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وهذا خبر من الله عز وجل عن الحواريين أنهم قالوا ربنا آمنا أى صدقنا بما أنزلت يعنى بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك واتبعنا الرسول يعنى بذلك أصرنا اتباع عيسى على دينك الذى ابتعثته به وأعوانه على الحق الذى أرسلته به الى عبادك وقوله فاكتبنا مع الشاهدين يقول فاثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق وأقروا لك بالتوحيد وصدقوا رسلك واتبعوا أمرك ونهيك فاجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك واجعلنا محلهم ولا تجعلنا ممن كفر بك وصد عن سبيلك وخالف أمرك ونهيك يعرف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضى أقوالهم وأفعالهم ليحتذوا طريقهم ويتبعوا منهاجهم فيصلوا الى مثل الذى وصلوا اليه من درجات كرامته ويكذب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة فى دعواهم على أنبياء الله انهم كانوا على غيرها ويحتج به على الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران بأن قيل من رضى الله عنه من اتباع عيسى كان خلاف قيلهم ومنهاجهم غير منهاجهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أى هكذا كان قولهم وايمانهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومكر الذين كفروا من بنى اسرائيل وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر وكان مكرهم الذى وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضا على الفتك بعيسى وقتله وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد اخراج قومه اياه وأمه من بين أظهرهم عاد

من أول أمرها وهو قول الأكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد أن فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب الذكور والاخراج الم ترتضع ثديا قط وكانت تتكلم فى الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهى غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكأن صدر المجالس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج غلق عليها سبعة أبواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء وذلك قوله عز من قائل كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم أن الامور الخارقة للعادة فى حق مريم كثيرة منها أنه (١٨٣) روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة وانى أعيذها ومنها تكلمها فى الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم جاع فى زمن قحط فاهدت له صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع صلى الله عليه وسلم اليها وقال هلمى يا بنتى فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته صلى الله عليه وسلم حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها وفى أمثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق فى الاول يدعى النبوة وفى الثانى يدعى الولاية والنبى صلى الله عليه وسلم يدعى المعجز ويقطع به والولى لا يمكنه أن يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مأمورون باظهار المعجزة والاولياء مأمورون باخفاء الكرامات أما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى كما أن الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد فى غير العالم وأجابوا عن حديث أبى هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه و يضرب بيده عليه و يقول هذا ممن أغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان فى اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من

اليهم فيما ثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ثم ان عيسى سار بهم يعنى بالحواريين الذين كانوا يصطادون السمك فآمنوا به واتبعوه اذ دعاهم حتى أتى بنى اسرائيل ليلا فصاح فيهم فذلك قوله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة الآية وأما مكر الله بهم فانه فيما ذكر السدى القاؤه شبه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى وهم يحسبونه عيسى وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ثم ان بنى اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين فى بيت فقال عيسى لاصحابه من يأخذ صورتى فيقتل وله الجنة فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى الى السماء فذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر فأخبروهم أن عيسى قد صعد به الى السماء فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه فذلك قول الله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه اياهم ليبلغ الكتاب أجله كما قد بينا ذلك فى قول الله الله يستهزئ بهم

القول فى تأويل قوله (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا) يعنى بذلك جل ثناؤه ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم اذ قال الله جل ثناؤه انى متوفيك فاذ صلة من قوله ومكر الله يعنى ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى انى متوفيك ورافعك الى فتوفاه ورفعه اليه ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الوفاة التى ذكرها الله عز وجل فى هذه الآية فقال بعضهم هى وفاة نوم وكان معنى الكلام على مذهبهم انى منيمك ورافعك فى نومك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله انى متوفيك قال معنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقال آخرون معنى ذلك انى قابضك من الارض فرافعك الى قالوا ومعنى الوفاة القبض كما يقال توفيت من فلان مالى عليه بمعنى قبضته واستوفيته قالوا فمعنى قوله انى متوفيك ورافعك أى قابضك من الارض حيا الى جوارى وآخذك الى ما عندى بغير موت ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق فى قول الله انى متوفيك قال متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله انى متوفيك قال متوفيك من الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا قال فرفعه

كانوا فى شغلهم أمن عباد الله المخلصين قال فى الكشاف وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم
لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلون به من نخسه قلت وعجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ
منه فى وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وبزمان المكاشفة بعد العهد من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات أن يحس به فى وقت آخر
ويصرخ على ان أثر مس الشيطان ونخسه يظهر فى هيئات النفس وأحوالها وانها أمور لا يحس بها الا بعد المفارقة أو قطع العلائق البدنية
والكلام فيه يستدعى فهما واستعدادا آخر غير العلوم الظاهرية قال الجبائى لم لا يجوز أن تكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان
زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيأ بعينه فى
وقت معين قال لها انى لك هذا قالت هو (١٨٤) من عند الله لا من عند غيره فعند ذلك يعلم ان الله تعالى أظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل أن
يكون زكريا يشاهد عند
مريم رزقا معتادا لانه كان
يأتيها من السماء وكان
زكريا يسألها عن ذلك
حذرا من أن يكون من عند
انسان يبعثه اليها فقالت
هو من عند الله لا من عند
غيره على انا لا نسلم انه ظهر
لها شئ من الخوارق بل
كانوا يرغبون فى الانفاق على
الزاهدات العابدات فكان
زكريا اذا رأى شيأ من
ذلك خاف ان ذلك الرزق
أتاها من حيث لا ينبغى
وكان يسألها عن كيفية
الحال قلت أمثال هذه
الشبهات يوجبها الشك فى
القرآن وفى الحديث أو
العصبية المحضة على انا نقول
لو كان معجزا لزكريا لكان
مأذونا من عند الله فى طلبه
فكان عالما بحصوله واذا
علم امتنع ان يطلب كيفية
الحال وأيضا كيف قنسع
بمجرد اخبارها فى زوال
التهمة وكيف مدح الله
تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن أخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين وقال لانه
وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا عليه السلام وذلك قوله سبحانه هنالك أى فى ذلك المكان الذى كانا فيه فى المحراب أو فى
ذلك الوقت الذى شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضى أن يكون قد عرف فى ذلك الزمان أو
المكان أمرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف فى الشتاء وبالعكس وان ذلك
خارق للعادة فطمع هو أيضا فى أمر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضى أن يكون زكريا قبل ذلك شاكا فى
قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت الانسب فى الطلب وأما المعتزلة فحين أنكروا كرامات الاولياء
وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة فى حق مريم تمنى أن يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء

اياه اليه توفيه اياه وتطهيره من الذين كفروا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن
صالح أن كعب الاحبار قال ما كان الله عز وجل ليميت عيسى بن مريم انما بعثه الله داعيا ومبشرا يدعو اليه
وحده فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكى ذلك الى الله عز وجل فاوحى الله اليه انى متوفيك
ورافعك الى وليس من رفعته عندى ميتا وانى سأبعثك على الاعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعا
وعشرين سنة ثم أميتك ميتة الحى قال كعب الاحبار وذلك يصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن
جعفر بن الزبير يا عيسى انى متوفيك أى قابضك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى
قوله انى متوفيك ورافعك الى قال متوفيك قابضك قال ومتوفيك ورافعك واحد قال ولم يمت بعد حتى يقتل
الدجال وسيموت وقرأ قول الله عز وجل ويكلم الناس فى المهد وكهلا قال رفعه الله اليه قبل أن يكون كهلا قال
وينزل كهلا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قول الله عز وجل
يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى الآية كلها قال رفعه الله اليه فهو عنده فى السماء وقال آخرون معنى ذلك
انى متوفيك وفاة موت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية
عن على عن ابن عباس قوله انى متوفيك يقول انى مميتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفع اليه
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار ثم
أحياه الله وقال آخرون معنى ذلك اذ قال الله يا عيسى انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك
بعد انزالى اياك الى الدنيا وقالوا هذا من المقدم الذى معناه التأخير والمؤخر الذى معناه التقديم * قال أبو جعفر
وأولى هذه الاقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك انى قابضك من الارض ورافعك الى لتواتر الاخبار عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث فى الارض مدة ذكرها
اختلفت الرواية فى مبلغها ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق عن محمد بن مسلم الزهرى عن حنظلة بن على الاسلمى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ليهبطن الله عيسى بن مريم حكما عدلا واماما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويفيض المال حتى لا يجد من يأخذه وليسلكن الروحاء حاجا أو معتمرا أو يدين بهما جميعا حدثنا ابن حميد
قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم

النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال أن لا تكون الاجابة مصلحة فحينئذ تصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه وأقول ان دعاء
النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في
دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن أصلح لم يبعثه الله
عليه ويصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له أسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال أريد منك
يارب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر
والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وأنث الطيبة لتأنيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتأنيث تارة
يجيء على اللفظ وأخرى على المعنى وهذا في أسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه (١٨٥) لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد
الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء يعني سماع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم أكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف أعظم ثم ما روي ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة أي يركب من هذا الجنس ويأكل منه أو لان جبريل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه آخرون يبشرك بيحيى يحتمل أن زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل أن يكون المعنى يبشرك بولد اسمه يحيى كما يجيء في سورة مريم انا

نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم أعجمي كموسى وعيسى ومن جوز أن يكون عربيا
فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى
معرفة قال أبو عبيدة أي مؤمنا بكتاب الله وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى
قال السدي لقيت أم يحيى أم عيسى وهما حاملان بهما فقالت يا مريم أشعرت اني حبلى فقالت مريم وأنا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني
وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول
من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهي كن من غير واسطة
أب وزوج كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء أو لكونه متكلما في أوان الطفولية أو لانه منشأ الحقائق والاسرار كالكلمة ولهذا سمي روحا

لانه لم يكن بيني وبينه نبي وأنه خليفتي على أمتي وأنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن شعره يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع في الارض الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيثبت في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه قال أبو جعفر ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين لان الله عز وجل انما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم كما قال جل ثناؤه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فتأويل الآية اذا قال الله لعيسى يا عيسى اني قابضك من الارض ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوتك وهذا الخبر وان كان مخرجه مخرج خبر فان فيه من الله عز وجل احتجاجا على الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من وفد نجران بان عيسى لم يقتل ولم يصلب كما زعموا وانهم واليهود الذين أقروا بذلك وادعوا على عيسى كذبة في دعواهم وزعمهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ثم أخبرهم يعني الوفد من نجران ورد عليهم فيما أخبروا هم واليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فانه يعني منظفك فمخلصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق وسائر الملل غيرها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومطهرك من الذين كفروا قال اذ هموا منك بما هموا حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ومطهرك من الذين كفروا قال طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعني بذلك جل ثناؤه جاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الاسلام وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك وخالف سبيلهم جميع أهل الملل فكذبوا بما جئت به وصدوا عن الاقرار به فصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة هم أهل الاسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته فلا يزالون ظاهرين على من ناواهم الى يوم القيامة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر

أيضا لانه سبب حياة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان أولانه وودت البشارة به فى كلمات الانبياء وكتبهم كالو أخبرت عن حدوث أمر ثم اذا حدث قلت قد جاء قولى أو كلامى أى ما كنت أقول وأتكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذى يفوق قومه فى الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم فى الخصال الجيدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذى لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل أى محصورا عن النساء لضعف فى الآلة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق فى معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل وهو الذى لا يأتى النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان أفضل فى تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه وارد فى شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما رجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا يعنيه روى انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا أشار به الى ما عدا مجموع الامرين فانه ليس بعدهما الا النبوة ثم قال ومن الصالحين أى من أولادهم لانه كان من أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين أو لان صلاحه كان أتم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد عصى أوهم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم وفيه ان الختم على الصلاح هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال يوسف توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين

ثم ان الملائكة لما نادوه بما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر أدركتنى السنون العالية وأثر فى طول العمر وأضعفنى قال أهل اللغة كل شئ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا أمكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغنى الكبر لان الكبر كالشئ الطالب للانسان فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان أيضا يأتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغنى البلد فى موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتى عاقر هى من الصفات الخاصة بالنساء ويقال رمل عاقر أى لا تنبت شيأ فان قيل لما كان زكريا هو الذى سأل الولد ثم أجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله أنى يكون من أين يحصل لى غلام فالجواب على ما فى الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسى ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع

فرضت

نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال ناصر من اتبعك على الاسلام على الذين كفروا الى يوم القيامة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة أما الذين اتبعوك فيقال هم المؤمنون وليس هم الروم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال المسلمون من فوقهم جعلهم أعلى ممن ترك الاسلام الى يوم القيامة وقال آخرون معنى ذلك وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومطهرك من الذين كفروا قال الذين كفروا من بنى اسرائيل وجاعل الذين اتبعوك قال الذين آمنوا به من بنى اسرائيل وغيرهم فوق الذين كفروا والنصارى فوق اليهود الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا وهم فوق يهود فى شرق ولا غرب هم فى البلدان كلها مستذلون ۞ القول فى تاويل قوله (ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم الى الله أيها المختلفون فى عيسى مرجعكم يعنى مصيركم يوم القيامة فاحكم بينكم يقول فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون من أمره وهذا من الكلام الذى صرف من الخبر عن الغائب الى المخاطبة وذلك ان قوله الى مرجعكم انما قصد به الخبر عن متبعى عيسى والكافرين به وتأويل الكلام وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجع الفريقين الذين اتبعوك والذين كفروا بك فاحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ولكن رد الكلام الى الخطاب لسوق القول على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ۞ القول فى تأويل قوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) يعنى بقوله جل ثناؤه فأما الذين كفروا فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى وخالفوا ملتك وكذبوا بما جئتهم به من الحق وقالوا فيك الباطل وأضافوك الى غير الذى ينبغى أن يضيفوك اليه من اليهود والنصارى وسائر أصناف الاديان فانى أعذبهم عذابا شديدا اما فى الدنيا فبالقتل والسبا والذلة والمسكنة وأما فى الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبدا وما لهم من ناصرين يقول وما لهم من عذاب الله مانع ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعة لانه العزيز ذو الانتقام وأما قوله وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه يعنى تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بك يا عيسى يقول صدقوك فاقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحق من عندى ودانوا بالاسلام الذى بعثتك به وعملوا بما

البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة أو تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسأل لما سأل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا وتشككا في قدرة الله تعالى وانما أراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة أي الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر أو جملتان فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا أي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له أي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه صلى الله عليه وسلم لفرط سروره ونقته بكرم ربه وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لى آية علامة أعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من أول الامر فقال تعالى آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أي بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلاث ليال والمعنى قوله ألا تكلم الناس قال المفسرون أي لا تقدر على التكلم حبس لسانه عن أمور الدنيا وأقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشئ الواحد علامة على المقصود وأداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه صلى الله عليه وسلم عوتب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت وأحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة أخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل أن يكون قد طلب علامة للعلوق واحتمل أن يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبته للواقعة حيث سأل بما كان من حقه ان لا يسئل وزعم أبو مسلم ان المعنى آيتك أن تصير مأمورا بعدما تكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا الاشارة بيد أو رأس أو بالشفتين ونحوها وأصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله ألا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من جنس الكلام لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز أن يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرأ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس

فرضت من فرائضي على لسانك وشرعت من شرائعي وسننت من سنتي كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وعملوا الصالحات يقول أدوا فرائضي فيوفيهم أجورهم يقول فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا لا يبخسون منه شيأ ولا ينقصونه وأما قوله والله لا يحب الظالمين فانه يعني والله لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيأ في غير موضعه فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده فيجازي المسيء ممن كفر جزاء المحسنين ممن آمن به أو يجازي المحسن ممن آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه جزاء المسيئين ممن كفر به وكذب رسله وخالف أمره ونهيه فقال اني لا أحب الظالمين فكيف أظلم خلقي وهذا القول من الله تعالى ذكره وان كان خرج مخرج الخبر كأنه وعيد منه للكافرين به وبرسله ووعد منه للمؤمنين به وبرسله لانه أعلم الفريقين جميعا انه لا يبخس هذا المؤمن حقه ولا يظلم كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه فيكون لها بوضعها في غير أهلها ظالما ۞ القول في تأويل قوله (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) يعني بقوله جل ثناؤه ذلك هذه الانباء التي أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمه مريم وأمها حنة وزكريا وابنه يحيى وما قص من أمر الحواريين واليهود من بني اسرائيل نتلوها عليك يا محمد يقول نقرؤها عليك يا محمد على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بوحينا اليك من الآيات يقول من العبر والحجج على من حاجك من وفد نصارى نجران ويهود بني اسرائيل الذين كذبوك وكذبوا ما جئتهم به من الحق من عندي والذكر يعني والقرآن الحكيم يعني ذي الحكمة الفاصلة بين الحق والباطل بينك وبين ناسبي المسيح الى غير نسبه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن جعفر بن الزبير ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم القاطع الفاصل الحق الذي لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا يقبلن خبرا غيره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم قال القرآن حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله والذكر يقول القرآن الحكيم الذي قد كمل في حكمته ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) يعني جل ثناؤه ان شبه عيسى في خلقي اياه من غير فحل فاخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران عندي كشبه آدم الذي خلقته من تراب ثم قلت له كن فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى يقول فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى فكان لحما يقول وأمري اذ أمرته أن يكون فكان فكذلك خلقي عيسى أمرته أن يكون فكان وذكر أهل التأويل ان الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجا لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران

الذين حاجوه فى عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى فى عيسى قولا فكانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية فى سورة آل عمران ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وذلك ان رهطا من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا لمحمد ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال محمد أجل انه عبد الله قالوا له هل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربنا السميع العليم فقال قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى آخر الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ذكر لنا ان سيدى أهل نجران وأسقفهم السيد والعاقب لقيا نبى الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن عيسى فقالا كل آدمى له أب فما شأن عيسى لا أب له فانزل الله عز وجل فيه هذه الآية ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم منهم العاقب والسيد وماسرجس وماريحز فسألوه ما يقول فى عيسى فقال هو عبد الله وروحه وكلمته قالوا هم لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل فى جوف مريم ثم خرج منها فارانا قدرته وأمره فهل رأيت قط انسانا خلق من غير أب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال نزلت فى العاقب والسيد من أهل نجران وهما نصرانيان قال ابن جريج بلغنا ان نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبى صلى الله عليه وسلم فيهم السيد والعاقب وهما يومئذ سيدا أهل نجران فقالوا يا محمد فيم تشتم صاحبنا قال من صاحبكما قالا عيسى بن مريم تزعم انه عبد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فغضبوا وقالوا ان كنت صادقا فارنا عبدا يحيى الموتى ويبرئ الاكمه ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه الآية لكنه الله فسكت حتى أتاه جبريل فقال يا محمد لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل انهم سألونى ان أخبرهم بمثل عيسى قال جبريل مثل عيسى كمثل آدم

[illegible]
الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبحه بعضهم على صلى كيلا يكون تكرارا للذكر وقد تسمى الصلاة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه والعشى مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر بكر يبكر اذا خرج للامر من أول النهار ومنه الباكورة لاول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار * التأويل ان الله تعالى فى كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها أسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا أخرج الله من الاسرار عن اطعام طائر فرخه وماذا أظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة بواسطة مريم وعيسى فتقبل منى راجع الى المحرر لا الى المحرر برأى تقبلها منى ان تتكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها (۱۸۸) ربها أى تقبلها ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول ذكرا وقبولا أخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال رأفته انه جعل كفالتها الى زكريا حيث أراد أن يخرج عيسى منها بلا أب لئلا يدخل عليها غيره فتكون أبعد من التهمة وجد عندها رزقا أى من فتوحات الغيب الذى يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند أنفسهم ولا عند الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب مالم يكن فى حسابها من الولد بلا أب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام الطائر فرخه سبب تحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حالة مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة أى ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب خلقه والوسط الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثانى الذى هو لارواح الاولياء وبينه وبين الله تعالى حجاب الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذى هو لارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذى هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلى بسائر سره فى الملكوت يحارب نفسه وهواه فى المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلى بالموت لا بموت القلب بالمعاصى ولا بموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل أحياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا أى حرا من رق الكونين بل سيد الرقيق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من أهل الصف الاول رب أنى يكون لى غلام لم يكن استبعاده من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك ألا تكلم الناس لغليان الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان

الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة فى تلك الحالة بشواهد الحق فى الغيب فلا تفرغ لامر الخلق فى الشهادة بالكلام الا رمزا ولهذا يقوى الروح الحيوانى وتستمد منه القوة البشرية فيحيى الله تعالى به الشهوة الميتة فسمى ماتولد من الشهوة الميتة التى أحياها الله يحيى ولاستمرار هذه الحالة فى الايام الثلاثة أمر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا حسبى الله (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى

اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لايحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) القرا آت ويعلمه بياء الغيبة أبو جعفر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالنون انى أخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع انى أخلق بالفتح فيهما ابن كثير وأبو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة فى الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغنى ان خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون الطير فتكون بتاء التأنيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا أبو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك فى المائدة الباقون طيرا أنصارى الى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وقرأ قتيبة وأبو عمرو وطريق أبى الزعراء بالامالة فيوفيهم

خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلما أصبحوا عادوا فقرأ عليهم الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فان قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قال أتى نجرانيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له هل علمت أن أحدا ولد من غير ذكر فيكون عيسى كذلك قال فأنزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون أكان لآدم أب أو أم كما خلقت هذا فى بطن هذه فان قال قائل فكيف قال كمثل آدم خلقه وآدم معرفة والمعارف لاتوصل قيل ان قوله خلقه من تراب غير صلة لآدم وانما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذى ضربه وكيف كان وأما قوله ثم قال له كن فيكون فانما قال فيكون وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم وذلك خبر عن خبر قد تقضى وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى فقال جل ثناؤه خلقه من تراب ثم قال له كن لانه بمعنى الاعلام من الله نبيه ان تكوينه الاشياء بقوله كن ثم قال فيكون خبرا مبتدأ وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله كن فتأويل الكلام اذا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن واعلم يامحمد ان ماقال له ربك كن فهو كائن فلما كان فى قوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن دلالة على ان الكلام يراد به اعلام نبى الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه انه كائن ماكونه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر استغنى بدلالة الكلام على المعنى وقيل فيكون فعطف بالمستقبل على الماضى على ذلك المعنى وقد قال بعض أهل العربية فيكون رفع على الابتداء ومعناه كن فكان فكأنه قال فاذا هو كائن ۞ القول فى تأويل قوله (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) يعنى بذلك جل ثناؤه الذى أنبأتك به من خبر عيسى وان مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له ربه كن هو الحق من ربك يقول هو الخبر الذى هو من عند ربك فلا تكن من الممترين يعنى فلا تكن من الشاكين فى ان ذلك كذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحق من ربك فلا تكن من الممترين يعنى فلا تكن فى شك من عيسى انه كمثل آدم عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يقول فلا تكن فى شك مما قصصنا عليك ان عيسى عبد الله ورسوله وكلمة منه وروح وان مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن

المتفقشين يختصمون ه منه ج قد قيل لتذكير الضمير وتأنيث الكلمة في اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تأنيثا حقيقيا ه فالوجه أن لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين ه بشر ط يشاء ط فيكون ه والانجيل ج لان ورسولا يجوز أن يكون معطوفا على ومن الصالحين أو منصوبا بمحذوف أي ويجعله رسولا والوقف أجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرأ اني أخلق بالكسر باذن الله ج والثاني كذلك التفصيل بين المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون ه فاعبدوه ط مستقيم ه الى الله ط أنصار الله ج لان آمنا في نظم الاستئناف مع امكان الحال أي وقد آمنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ه الشاهدين ه ومكر الله

الزبير الحق من ربك بما جاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من الممترين أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمتر فيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تكن من الممترين قال والممترون الشاكون والمرية الشك والريب واحد سواء كهيئة ما تقول اعطني وناولني وهلم فهذا اختلاف في الكلام وهو واحد ۞ القول في تأويل قوله (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعني بقوله جل ثناؤه فمن حاجك فيه فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى ابن مريم والهاء في قوله فيه عائدة على ذكر عيسى وجائز أن تكون عائدة على الحق الذي قال تعالى ذكره الحق من ربك ويعني بقوله من بعد ما جاءك من العلم الذي قد بينته لك في عيسى انه عبد الله فقل تعالوا هلموا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل يقول ثم نلتعن يقال في الكلام ماله بهله الله أي لعنه الله وماله عليه بهلة الله يريد اللعن وقال لبيد وذكر قوما هلكوا فقال * نظر الدهر اليهم فابتهل * يعني دعا عليهم بالهلاك فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في آية عيسى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي في عيسى انه عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الى قوله على الكاذبين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم يقول من حاجك في عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين قال منا ومنكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال وثني ابن لهيعة عن سليمان بن زياد الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جز الزبيدي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليت بيني وبين أهل نجران حجابا فلا أراهم ولا يروني من شدة ما كانوا يمارون النبي صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) يعني بذلك جل ثناؤه ان هذا الذي أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه وانه عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتها الى مريم وروح مني لهو القصص والنبأ الحق فاعلم ذلك واعلم انه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه اياهم الا معبودك الذي تعبده وهو الله العزيز الحكيم ويعني بقوله العزيز العزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها غيره أو عبد ربا سواه الحكيم في تدبيره لا يدخل ما دبره وهن ولا يلحقه خلل فان تولوا يعني فان أدبر

ط الماكرين ه القيامة ج لان ثم لترتيب الاخبار والآخرة ز للابتداء بالنفي مع ان النفي تمام المقصود ناصرين ه أجورهم ط الظالمين ه الحكيم ه آدم ط لان الجملة لا يتصف بها المعرف فيكون ط الممترين ه * التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو ما في قوله اذ قالت امرأة عمران لمكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم أن مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبريل اليها اما أن يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما أن يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة أو معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما هؤلاء في حق أم موسى وأوحينا الى أم موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاآن بمعنى واحد لمنع التكرار الصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور في أول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها أنثى ومنها ما قال الحسن ما غذتها أمها طرفة عين بل ألقتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من أنواع اللطف والهداية والعصمة في حقها وأما التطهير فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال في حق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة وأما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في آخر عمرها من ولادة عيسى بغير أب وشهادته ببراءتها مما قذفها اليهود وقيل المراد

اصطفاؤها على نساء عالمى زمانها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كمل من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا أوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتى أمر بالعبادة على العموم واسجدى أمر بالصلاة تسمية للشئ بمعظم أركانه كما فى قوله وأدبار السجود وفى الخبر اذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين ولاريب ان السجود أشرف الاركان لقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعى مع الراكعين فالاول أمر بالصلاة مطلقا والثانى أمر بالصلاة فى الجماعة وانما عبر عن الصلاة ههنا بالركوع اما للتغيير العبارة وقد يسمى الشئ باحد أركانه واما تسمية للشئ بمعظم أركانه بناء على ماقيل الركوع أفضل من السجود لان الراكع حامل نفسه فى الركوع فالمشقة فيه أكثر وللتمييز عن صلاة اليهود وقيل واركعى مع الراكعين أمر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل أن يراد بقوله اقنتى الامر بالصلاة لان القنوت أحد أجزائها وأن يراد بقوله واسجدى واركعى استعمال كل منهما فى وقته اللائق به والواو تفيد التشريك لا الترتيب أو المراد انظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم لافى عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء روى ان مريم بعد ذلك قامت فى الصلاة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما اللهم لاتؤاخذنا باسم الرجولية ونحن أقل فى خدمتك من احدى النساء ذلك الذى سبق من أنباء حنة وزكريا ويحيى ومريم من أخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بأمر خفى من اشارة أوكتابة أوغيرها وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله وأوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وقال فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه ألقى هذه الانباء الى النبى بواسطة جبريل بحيث تخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفى استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة فى حقه صلى الله عليه وسلم فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى ومثله فى القرآن غير عزيز وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور اذ يلقون أقلامهم ينظرون أوليعلموا أو يقولون أيهم يكفل مريم حذف متعلق الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الآية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام فى شئ على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض فى استحقاق ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روى فى الخبر أنهم كانوا يلقونها فى الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جرى الماء فاليد له ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا فصار أولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم

هؤلاء الذين حاجوك فى عيسى مما جاءك من الحق من عند ربك فى عيسى وفى غيره من سائر ما أتاك من الهدى والبيان فأعرضوا عنه ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين يقول فان الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ويعملون فى أرضه وبلاده بما نهاهم عنه وذلك هو افسادهم يقول تعالى ذكره فهو عالم بهم وبأعمالهم يحصيها عليهم ويحفظها حتى يجازيهم عليها جزاءهم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان هذا لهو القصص الحق أى ان هذا الذى جئت به من الخبر عن عيسى لهو القصص الحق من أمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان هذا لهو القصص ان هذا الذى قلنا فى عيسى لهو القصص الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا لهو القصص الحق قال ان هذا القصص الحق فى عيسى ما ينبغى لعيسى ان يتعدى هذا ولا يجاوز ان يتعدى أن يكون كلمة الله ألقاها الى مريم وروحا منه وعبد الله ورسوله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان هذا لهو القصص الحق ان هذا الذى قلنا فى عيسى هو الحق وما من اله الا الله الآية فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل وأمره ان هم تولوا عما دعاهم اليه من الاقرار بوحدانية الله وانه لا ولد له ولا صاحبة وان عيسى عبده ورسوله وأبوا الا الجدل والخصومة ان يدعوهم الى الملاعنة ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انخزلوا فامتنعوا من الملاعنة ودعوا الى المصالحة كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال فأمر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم يعنى بملاعنة أهل نجران بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فتواعدوا ان يلاعنوه وواعدوه الغد فانطلقوا الى السيد والعاقب وكانا أعقلهم فتابعاهم فانطلقوا الى رجل منهم عاقل فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعتم وندمهم وقال لهم ان كان نبيا ثم دعا عليكم لا يغضبه الله فيكم أبدا ولئن كان ملكا فظهر عليكم لا يستبقيكم أبدا قالوا فكيف لنا وقد واعدنا فقال لهم اذا غدوتم اليه فعرض عليكم الذى فارقتموه عليه فقولوا نعوذ بالله فان دعاكم أيضا فقولوا له نعوذ بالله ولعله ان يعفيكم من ذلك فلما غدوا غدا النبى صلى الله عليه وسلم محتضنا حسنا آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشى خلفه فدعاهم الى الذى فارقوه عليه بالامس فقالوا نعوذ بالله ثم دعاهم فقالوا نعوذ بالله مرارا قال فان أبيتم فاسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل فان أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون كما قال الله عز وجل قالوا ما نملك الا أنفسنا قال فان أبيتم فانى أنبذ اليكم على سواء كما قال الله عز وجل قالوا ما لنا طاقة بحرب العرب ولكن نؤدى الجزية قال فجعل عليهم فى كل

ألقوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم وقال أبو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون سهاما يكتبون عليها أسماءهم فمن أخرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام أقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى أصل الاشتقاق الا أن العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون على التكفيل قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي ولا شبهة في أنهم كانوا من الخواص وأهل الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل أن يكون ما كان قبل الاقتراع وأن يكون اختصاما آخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة (١٩٢) رغبتهم في التكفل بشأنها والقيام باصلاح مهامها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لاجل نفسها حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية ان لها ولابنها شأنا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبريل كما مر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قالت لان هذا بدل من ذلك ويجوز أن يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته في ساعة منها يكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز أن يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روى عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك من كراماتها فجاز أن ترد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر الى أن يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب أمر ممكن في نفسه وكيف لا وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على ما سبيل التولد كتولد الفأر عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج غايته الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق أخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته ومما يزيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون أسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فما المانع أن يقال انها لما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد لمني المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية أي بكلمة

سنة ألفي حلة ألفا في رجب وألفا في صفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر والعصافير على الشجر لو تموا على الملاعنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال فقلت للمغيرة ان الناس يروون في حديث أهل نجران ان عليا كان معهم فقال أما الشعبي فلم يذكره فلا أدري لسوء رأي بني أمية في علي أو لم يكن في الحديث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن جعفر بن الزبير ان هذا لهو القصص الحق الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمره بما أمره به من ملاعنتهم ان ردوا عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى قال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا النبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم حتى يريكم رأيه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا فانكم عندنا رضى حدثنا ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد عن أبي الجارود عن زيد بن علي في قوله تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فاخذ يعني النبي صلى الله عليه وسلم بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلي اتبعنا فخرج معهم فلم يخرج يومئذ النصارى وقالوا انا نخاف أن يكون هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم وليس دعوة النبي كغيرها فتخلفوا عنه يومئذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو خرجوا لاحترقوا فصالحوه على صلح على ان له عليهم ثمانين ألفا فما عجزت الدراهم ففي العروض الحلة باربعين وعلى ان له عليهم ثلاثا وثلاثين درعا وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعة وثلاثين فرسا غازية كل سنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامن لها حتى نؤديها اليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا وفدا من وفد نجران من النصارى وهم الذين حاجوه في عيسى فنكصوا عن ذلك وخافوا ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفس محمد بيده ان كان العذاب لقد تدلى على أهل نجران ولو فعلوا لاستؤصلوا عن جديد الارض حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فمن حاجك فيه من بعد

ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم قال بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج ليداعي أهل نجران فلما رأوه خرجوا وفرقوا فرجعوا قال معمر قال قتادة لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة اتبعينا فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون النبي صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا زكريا عن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لاعنوني ما حال الحول وبحضرتهم منهم أحد الا أهلك الله الكاذبين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو لاعنت القوم بمن كنت تأتي حين قلت أبناءنا وأبناءكم قال حسن وحسين **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو كريب الحنفي قال ثنا المنذر بن ثعلبة قال ثنا علباء بن أحمر اليشكري قال لما نزلت هذه الآية قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم الآية قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود ويحكم أليس عهدكم بالامس من اخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير لا تلاعنوا فانتهوا ۞ القول في تأويل قوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لاهل الكتاب وهم أهل التوراة والانجيل تعالوا هلموا الى كلمة يعني الى كلمة عدل بيننا وبينكم والكلمة العدل هي ان نوحد الله فلا نعبد غيره ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا وقوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه فان تولوا يقول فان أعرضوا عما دعوتهم اليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم اليها فلم يجيبوك اليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك اشهدوا بأنا مسلمون واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت في يهود بني اسرائيل الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى الكلمة السواء وهم الذين حاجوا في ابراهيم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى كلمة السواء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم

حاصلة من الله وذلك أن عيسى خلق من غير واسطة أب صار تأثير كلمة كن في حقه أظهر وأكمل فكان كأنه نفس الكلمة كما أن من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب أيشوع أما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي تعلوه حمرة فبعيد وأما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال أحمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض أي يقطعها وعلى هذا فيجوز أن يقال له مسيح بالتشديد كشريب وقيل لانه مسح من الاوزار والآثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص وكان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز أن يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبريل مسحه بجناحيه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وأما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه ممسوح احدى عينيه أو لانه يمسح الارض اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال دجل في الارض أي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لمريم تنبيها على انه لا أب له حتى ينسب اليه كما في سائر الابناء فلا ينسب الا الى أمه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر

وقيل الكريم لان أشرف أعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب والآخرة بشفاعة الامة المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر في الوقوف أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر أمه وقيل الآلة المعروفة لاضجاع الصبي وكيف كان فالمراد أنه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف أي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات أي قوي روي ان عمره بلغ ثلاثا وثلاثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان أكمل أحوال الانسان ما بين الثلاثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد أن يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من

المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال أبو مسلم معناه أنه يتكلم حال كونه في المهد وحال كونه كهلا على حد واحد وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبا الى الكهولة فان التغير على الاله محال وقيل المراد أنه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة أمه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي و بالنبوة قال الاصم المراد أنه يبلغ حال الكهولة و يخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من أعجب الامور وأغربها ولا شك ان مثل هذه الواقعة يكون بحضر جمع عظيم و تتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أول الناس بمعرفتها النصارى لانهم أفرطوا في محبته حتى ادعوا الالهية لكنهم أطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد أصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما كان لدلالة على براءة مريم مما نسب اليها من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء وبتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك و ينسبونهم الى البهت فهم أيضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى ان نطق القرآن بذلك ثم ختم أوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك أوصاف يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا وتشككا وانما أرادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا أنه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا أتم وهو تخليق المولود بغير أب ولهذا أكده بقوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه المبتدا ويحتمل أن يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المذكورات في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه أمور أربعة أولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها التوراة لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الحسنة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بانزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل أي الى كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول أي ناطقا باني قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف على قوله باآية أي مع آية

دعا يهود أهل المدينة الى ذلك فابوا عليه فجاهدهم قال دعاهم الى قول الله عز وجل قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية * وقال آخرون بل نزلت في الوفد من نصارى نجران ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة يعني وفد نجران حدثنا موسى قال ثنا اسباط عن السدي قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الوفد من نصارى نجران فقال ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قال يعني جل ثناؤه ان هذا لهو القصص الحق في عيسى على ما قد بيناه فيما مضى قال فابوا يعني الوفد من نجران فقال ادعهم الى أيسر من هذا قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فقرأ حتى بلغ أربابا من دون الله فابوا ان يقبلوا هذا ولا الآخر وانما قلنا عنى بقوله ياأهل الكتاب أهل الكتابين لانهما جميعا من أهل الكتاب ولم يخصص جل ثناؤه بقوله ياأهل الكتاب بعضا دون بعض فليس أن يكون موجها ذلك الى انه مقصود به أهل التوراة باولى منه بان يكون موجها الى انه مقصود به أهل الانجيل ولا أهل الانجيل باولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة واذ لم يكن أحد الفريقين بذلك باولى من الآخر لانه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ولا أثر صحيح فالواجب أن يكون كل كتابي معنيا به لان افراد العبادة لله وحده واخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منهي من خلق الله وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الانجيل فكان معلوما بذلك انه عنى به الفريقان جميعا وأما تأويل قوله تعالوا فانه أقبلوا وهلموا وانما هو تفاعلوا من العلو فكان القائل لصاحبه تعال الي فانه تفاعل من العلو كما يقال تدان مني من الدنو وتقارب مني من القرب وقوله الى كلمة سواء فانها الكلمة العدل والسواء من نعت الكلمة وقد اختلف أهل العربية في وجه اتباع سواء في الاعراب الكلمة وهو اسم لا صفة فقال بعض نحويي البصرة جر سواء لانها من صفة الكلمة وهي العدل وأراد مستوية قال ولو أراد استواء كان النصب وان شاء أن يجعلها على الاستواء ويجر جاز ويجعل من صفة الكلمة مثل الخلق لان الخلق هو المخلوق والخلق قد يكون صفة واسما ويجعل الاستواء مثل المستوي قال عز وجل الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان السواء للآخر وهو اسم ليس بصفة فيجري على الاول وذلك اذا أراد به الاستواء فان أراد به مستويا جاز أن يجري على الاول والرفع في ذا المعنى جيد لانها لا تغير عن حالها ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث فاشبهت الاسماء التي هي مثل عدل و رضى وجنب وما أشبه ذلك وقالوا أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فالسواء للمحيا والممات بهذا

والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدي وجئتكم لاحله وفي الكشاف تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي أو الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس لا الفرد لانه عدد أنواعا من الآيات ثم أبدل عن الآية قوله انى أخلق فمن قرأ بفتح انى ويحتمل أن يكون ان مع ما بعده مرفوعا أى هى انى أخلق ومن قرأ انى أخلق فللاستئناف أو للبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا أحسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير من هيأت الشئ أصلحته فانفخ فيه أى فى ذلك الطير المصور أو الشئ المماثل كهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع روى انه خلق أنواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا

وذلك انه لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله وبتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز أن يقال انه تعالى أودع فى نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ فى شئ كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشئ حيا وذلك انه تولد من نفخ جبريل فى مريم وجبريل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح فى الاجساد أو يقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة فى ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذى خلق الموت والحياة ولقوله حكاية عن ابراهيم فى المناظرة ربى الذى يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وأبرئ الاكمه والابرص ذهب أكثر أهل اللغة الى أن الاكمه هو الذى يولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمى بعد ان كان بصيرا رواه الخليل وعن مجاهد انه الذى لا يبصر بالليل وأما البرص فانه بياض يظهر فى ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذى يغذوه فتضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم السائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا فى جوهره نقيا من البلغم حارا وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والآخذ فى الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذى ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا أخذ جلده

المبتدأ وان شئت أجريته على الاول وجعلته صفة مقدمة كأنها من سبب الاول فجرت عليه وذلك اذا جعلته فى معنى مستوى والرفع وجه الكلام كما فسرت لك وقال بعض نحويى الكوفة سواء مصدر وضع موضع الفعل يعنى موضع متساوية ومتساو فمرة يأتى على الفعل ومرة على المصدر وقد يقال فى سواء بمعنى عدل سوى وسوى كما قال جل ثناؤه مكانا سوى وسوى يراد به عدل ونصف بيننا وبينك وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ ذلك الى كلمة عدل بيننا وبينك وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله الى كلمة سواء بيننا وبينكم بان السواء هو العدل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عدل بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله الآية حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ مثله وقال آخرون هو قول لا اله الا الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال أبو العالية كلمة السواء لا اله الا الله وأما قوله ألا نعبد الا الله فان أن فى موضع خفض على معنى تعالوا الى أن لا نعبد الا الله وقد بينا معنى العبادة فى كلام العرب فيما مضى ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن اعادته وأما قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا فان اتخاذ بعضهم بعضا هو ما كان بطاعة الاتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصى الله وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله كما قال جل ثناؤه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يقول لا يطع بعضنا بعضا فى معصية الله ويقال ان تلك الربوبية أن تطيع الناس سادتهم وقادتهم فى غير عبادة وان لم يصلوا لهم وقال آخرون اتخاذ بعضهم بعضا أربابا سجود بعضهم لبعض ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله قال سجود بعضهم لبعض وأما قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون فانه يعنى فان تولى الذين تدعوهم الى الكلمة السواء عنها وكفروا فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم اشهدوا علينا بأنا بما توليتم عنه من توحيد الله واخلاص العبودية له وأنه الاله الذى لا شريك له مسلمون يعنى خاضعون لله به متذللون له بالاقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا وقد بينا معنى الاسلام فيما مضى ودللنا عليه بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره بقوله يا أهل الكتاب يا أهل التوراة والانجيل لم تحاجون لم تجادلون فى ابراهيم وتخاصمون فيه يعنى فى ابراهيم خليل

بالايام والسنين وأشيل عن الحمو ... [illegible] ... لاشك أن امرأ مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز [illegible]
و بما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وأحيى الموتى أحيا
عاذرا وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع
الى أهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيى الاموات بيا حي يا قيوم وكرر قوله باذن الله رفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وأنبئكم
بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من أول أمره يخبر بالغيوب روى السدي أنه كان يلعب مع الصبيان ثم كان عليه السلام
يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم وكان عليه السلام يخبرهم بأن أمك خبأت لك كذا فيرجع الصبي الى أهله و يبكي الى أن يأخذ ذلك الشيء
فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر (١٩٦) وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال عليه السلام
فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى عليه السلام كذلك يكونون فاذاهم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك أن القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من اذخر قلبت كل من التاء والذال دالا ثم أدغم واعلم أن الاخبار عما غاب معجز دال على أن ذلك الخبر صار معلوما بالوحي ما لم يستعن فيه بآلة ولا تقديم مسئلة بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من أحوال الكواكب أو الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولا من عند الله ذكر أنه لماذا أرسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك أنه يجب على كل نبي أن يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب لا
الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى عليه السلام تقرير أحكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين
ثم ذكر غرضا آخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد أن
كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التأبيد مذكورا فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة
فمجيء عيسى يكون تصديقا لما في التوراة وعن وهب بن منبه أن عيسى ما غير شيأ من أحكام التوراة وأنه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت
ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بأمرين أحدهما أن الاحبار كانوا قد وضعوا من عند أنفسهم شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء
عيسى ورفعها وأعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا

الرحمن صلوات الله عليه وكان محاجتهم فيه ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين انه كان منهم وانه كان يدين دين أهل نحلته فعابهم الله عز وجل بادعائهم ذلك ودل على مناقضتهم ودعواهم فقال وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم ودينكم اما يهودية أو نصرانية واليهودي منكم يزعم أن دينه اقامة التوراة والعمل بما فيها والنصراني منكم يزعم أن دينه اقامة الانجيل وما فيه وهذان كتابان لم ينزلا الا بعد حين من مهلك ابراهيم ووفاته فكيف يكون منهم فما وجه اختصامكم فيه وادعائكم أنه منكم والامر فيه على ما قد علمتم وقيل نزلت هذه الآية في اختصام اليهود والنصارى في ابراهيم وادعاء كل فريق منهم انه كان منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثني محمد بن اسحق وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون قالت النصارى كان نصرانيا وقالت اليهود كان يهوديا فأخبرهم الله ان التوراة والانجيل ما أنزلا الا من بعده وبعده كانت اليهودية والنصرانية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم يقول لم تحاجون وتزعمون أنه كان يهوديا أو نصرانيا وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده فكانت اليهودية بعد التوراة وكانت النصرانية بعد الانجيل أفلا تعقلون وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في دعوى اليهود ابراهيم انه منهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى كلمة السواء وهم الذين حاجوا في ابراهيم يهوديا فأكذبهم الله عز وجل ونفاهم منه فقال يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم قال اليهود برأهم الله عز وجل منه حين ادعى كل أمة أنه منهم والحق به المؤمنين من كان من أهل الحنيفية حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله أفلا تعقلون فانه يعني أفلا تعقلون تفقهون خطأ قيلكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا وقد علمتم ان اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين ۞ القول في تأويل قوله (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم

حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير مالا صيصة له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وهى قوله ان الله ربى وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض وانما جعل القول آية من ربه لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل ويجوز أن يكون تكريرا لقوله انى قد جئتكم بآية من ربكم أى جئتكم بآية بعد أخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتى بغير أب فاتقوا الله لما خصكم به من الآيات وأطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربى وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية ورد الما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم ✽ القصة الخامسة ذكر عاقبة أمر عيسى ثم شرع فى بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا عاملوه فقال فلما أحس أى علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس أو أنهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدى لما بعثه الله تعالى رسولا الى بنى اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان أمر عيسى فى قومه كامر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وأمه يسيحان فى الارض فاتفق أنه نزل على رجل فى قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان فى تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك أنه جعل على كل رجل منا يوما نطعمه ونسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتى والامر متعذر على فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدى ادع الله ليكفى ذلك فقال عليه السلام يا أمى انى ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد أحسن وأكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عليه السلام اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم أعلمنى فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما فى القدور طبيخا وما فى الخوابى خمرا فلما جاءه الملك أكل وشرب وسأله من أين هذا الخمر فتوقف الرجل فى الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى أخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيى ولدى اجابه وكان ابنه قد مات فى تلك الايام فدعا عيسى عليه السلام وطلب منه ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما أبالى ما كان فدعا الله فعاش الغلام لكلام عيسى عليه السلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار أمر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله صلى الله عليه وسلم وأظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين أنه هو المسيح المبشر به فى التوراة وأنه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من أول الامر طالبين قتله قال من أنصارى الى الله قيل انه لما دعا عليه السلام بنى اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه عليه السلام فر منهم وأخذ يسيح فى الارض فمر بطائفة من صيادى السمك منهم

لا تعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ها أنتم هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم وأتتكم به رسل الله من عنده ومن غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته فلم تحاجون يقول فلم تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم يعنى فى الذى لا علم لكم به من أمر ابراهيم ودينه ولم تجدوه فى كتب الله ولا أتتكم به أنبياؤكم ولا شاهدتموه فتعلموه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم أما الذى لهم به علم فما حرم عليهم وما أمروا به وأما الذى ليس لهم به علم فشأن ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم يقول فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا والله يعلم وأنتم لا تعلمون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله من أمر ابراهيم وغيره من الامور وفيما تجادلون فيه لانه لا يغيب عنه شئ ولا يعزب عنه علم شئ فى السموات ولا فى الارض وأنتم لا تعلمون من ذلك الا ما عاينتم فشاهدتم أو أدركتم علمه بالاخبار والسماع ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) وهذا تكذيب من الله عز وجل دعوى الذين جادلوا فى ابراهيم وملته من اليهود والنصارى وادعوا أنه كان على ملتهم وتنزيه لهم منه وأنهم لدينه مخالفون وقضاء منه عز وجل لاهل الاسلام ولامة محمد صلى الله عليه وسلم انهم هم أهل دينه وعلى منهاجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والاديان غيرهم يقول الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين الذين يعبدون الاصنام والاوثان أو مخلوقا دون خالقه الذى هو اله الخلق وبارئهم ولكن كان حنيفا يعنى متبعا أمر الله وطاعته مستقيما على محجة الهدى التى أمر بلزومها مسلما يعنى خاشعا لله بقلبه متذللا له بجوارحه مذعنا لما فرض عليه وألزمه من أحكامه وقد بينا اختلاف أهل التأويل فى معنى الحنيف فيما مضى ودللنا على القول الذى هو أولى بالصحة من أقوالهم بما أغنى عن اعادته وبنحو ما قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن شاهين الواسطى قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال قالت اليهود ابراهيم على ديننا وقالت النصارى ابراهيم على ديننا فانزل الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية فاكذبهم الله وأدحض حجتهم يعنى اليهود الذين ادعوا ان ابراهيم مات يهوديا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن موسى بن

شمعون ويعقوب من جملة الحوار يين الاثني عشر فقال عيسى عليه السلام انكم تصيدون السمك فهل لكم أن تسيروا معي حتى تصيدون الناس لحياة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيأ فامره عيسى عليه السلام بالقاء شبكته في الماء مرة أخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه في آخر أمره للقتل وكان هو في الهرب منهم قال للاولئك الاثني عشر من الحوار يين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم أن اليهود لما أخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم أدنى عليه السلام أذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل أن المراد بطلب النصرة اقدامهم على

دفع الشر عنه عليه السلام وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال في موضع آخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من أنصاري الى الله أن أظهر دين الله فالجار على القولين من صلة أنصاري مضمنا معنى الاضافة وقيل من أنصاري حال ذهابي الى الله أو حال التجائي اليه وقيل من أنصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك أي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في أي في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحوار يون نحن أنصار الله أعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره الحوالي للذين وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة أخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب وأما أن الحوار يين من هم فقيل هم الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان أمه دفعته الى صباغ فكان اذا أراد أن يعلمه شيأ كان هو أعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة فقد علمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما أريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال قد أفسدت على الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون

عقبة عن سالم بن عبد الله لا أراه الا يحدثه عن أبيه ان زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينه وقال اني لعلي أن أدين دينكم فاخبرني عن دينكم فقال اليهودي انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد ما أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيأ أبدا وأنا لا أستطيع فهل تدلني على دين ليس فيه هذا قال ما أعلمه الا أن تكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يك يهوديا ولا نصرانيا وكان لا يعبد الا الله فخرج من عنده فلقي عالما من النصارى فسأله عن دينه فقال اني لعلي أن أدين دينكم فاخبرني عن دينكم قال انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال لا أحتمل من لعنة الله شيأ ولا من غضب الله شيأ أبدا وأنا لا أستطيع فهل تدلني على دين ليس فيه هذا فقال له نحوا مما قاله اليهودي لا أعلمه الا أن تكون حنيفا فخرج من عندهم وقد رضي الذي أخبراه والذي اتفقا عليه من شأن ابراهيم فلم يزل رافعا يديه الى الله وقال اللهم اني أشهدك اني على دين ابراهيم

﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) يعني جل ثناؤه بقوله ان أولى الناس بابراهيم أن أحق الناس بابراهيم ونصرته وولايته للذين اتبعوه يعني الذين سلكوا طريقه ومنهاجه فوحدوا الله مخلصين له الدين وسنوا سنته وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا يعني والذين صدقوا محمدا بما جاءهم به من عند الله والله ولي المؤمنين يقول والله ناصر المؤمنين بمحمد المصدقين له في نبوته وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهل الملل والاديان وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته وهذا النبي وهو نبي الله محمد والذين آمنوا معه وهم المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين أولى الناس بابراهيم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد بن المثنى وجابر بن الكردي والحسن بن أبي يحيى المقدسي قالوا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم أبي وخليل ربي ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله أراه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس يقول الله سبحانه ان أولى الناس بابراهيم

منوا آمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل انه واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا تنتقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من أنت قال عيسى بن مريم قال فاني أترك ملكي فاتبعك فتبعه ذلك الملك مع أقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز أن يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعا بالحواريين لانهم كانوا أنصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن أنصار

الله فان الايمان بانه يوجب نصرة دين الله والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه وأشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيامة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه أيضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك أو اكتب ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وأمكر اذا أظلم وقيل أصله من اجتماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما ويأمه وباعن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرا أما مكرهم بعيسى عليه السلام فهو انهم هموا بقتله وأما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه روي أن ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبريل لا يفارقه ساعة فامره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل من تلك الروزنة

للذين اتبعوه وهم المؤمنون ۞ القول في تأويل قوله (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) يعني بقوله جل ثناؤه ودت تمنت طائفة يعني جماعة من أهل الكتاب وهم أهل التوراة من اليهود وأهل الانجيل من النصارى لو يضلونكم يقول لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الاسلام ويردونكم عنه الى ما هم عليه من الكفر فيهلكونكم بذلك والاضلال في هذا الموضع الاهلاك من قول الله عز وجل وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد يعني اذا هلكنا ومنه قول الاخطل في هجاء جرير

كنت القذى في موج أكدر مزبد * قذف الأتي به فضل ضلالا

يعني هلك هلاكا وقول نابغة بني ذبيان

فآب مضلوه بعين جلية * وغودر بالجولان حزم ونائل

يعني مهلكوه وما يضلون الا أنفسهم وما يهلكون بما يفعلون من محاولتهم صدكم عن دينكم أحدا غير أنفسهم يعني بانفسهم اتباعهم وأشياعهم على ملتهم وأديانهم وانما أهلكوا أنفسهم واتباعهم بما حاولوا من ذلك لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخطه واستحقاقهم به غضبه ولعنته لكفرهم بالله ونقضهم الميثاق الذي أخذ الله عليهم في كتابهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه والاقرار بنبوته ثم أخبر جل ثناؤه عنهم انهم يفعلون ما يفعلون من محاولة صد المؤمنين عن الهدى الى الضلالة والردى على جهل منهم بما الله بهم محل من عقوبته ومدخرلهم من أليم عذابه فقال تعالى ذكره وما يشعرون أنهم لا يضلون الا أنفسهم بمحاولتهم اضلالكم أيها المؤمنون ومعنى قوله وما يشعرون وما يدرون ولا يعلمون وقد بينا تأويل ذلك بشواهده في هذا الموضع فاغنى ذلك عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) يعني بذلك جل ثناؤه يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون يقول لم تجحدون بآيات الله يعني بما في كتاب الله الذي أنزله اليكم على ألسن أنبيائكم من آيه وأدلته وأنتم تشهدون أنه حق من عند ربكم وانما هذا من الله عز وجل توبيخ لاهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم حق وأنه من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد في كتابكم ثم تكفرون به ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والانجيل النبي الامي حدثني

محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون آيات الله محمد وأما تشهدون فيشهدون أنه الحق يجدونه مكتوبا عندهم حدثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ان الدين عند الله الاسلام ليس لله دين غيره ۞ القول فى تأويل قوله (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أهل التوراة والانجيل لم تلبسون يقول لم تخلطون الحق بالباطل وكان خلطهم الحق بالباطل اظهارهم بالسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله غير الذى فى قلوبهم من اليهودية والنصرانية كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعوا عن دينهم فأنزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الى قوله والله واسع عليم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل يقول لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالاسلام وقد علمتم أن دين الله الذى لا يقبل غيره الاسلام ولا يجزى الا به حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله الا أنه قال الذى لا يقبل من أحد غير الاسلام ولم يقبل ولا يجزى الا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الاسلام باليهودية والنصرانية وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله عز وجل لم تلبسون الحق بالباطل قال الحق التوراة التى أنزل الله على موسى والباطل الذى كتبوه بأيديهم قال أبو جعفر وقد بينا معنى اللبس فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ولم تكتمون يا أهل الكتاب الحق والحق الذى كتموه ما فى كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون كتموا شأن محمد وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون يقول يكتمون شأن محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج تكتمون الحق الاسلام وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تعلمون أن محمدا رسول الله وأن الدين الاسلام وأما قوله وأنتم تعلمون فانه يعنى به وأنتم تعلمون أن الذى تكتمونه

وكان قد ألقى شبهه على غيره ممن وكل به ليقتله غيلة فأخذوه وصلبوه فتفرقوا ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب وأخرى قالت كان ابن الله وأخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثنى عشر وكانوا مجتمعين فى بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فألقى الله شبهه عليه ورفع عيسى عليه السلام وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد أن رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له انه قتل رجلا من بنى اسرائيل ممن يعجب أمرك وكان يخبرهم أنه رسول الله وأراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فأخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها وصانها ثم غزا بنى اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية فى الروم وكان اسم هذا الملك طبارس وهو صار نصرانيا الا أنه ما أظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له طيطس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من أربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك فى حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا فى اخفاء أمره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث أعلى دينه وأظهر شريعته وقهر بالذل أعداءهم اليهود والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم أن المكر ان كان عبارة عن الاحتيال فى ايصال الشر فهو فى حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب أن يؤول بأن جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو بأنه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه غير ممتنع فى حق الله تعالى الا أنه قد اختص فى العرف من بالتدبير فى ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله أو مفعول اذكر يا عيسى انى متوفيك أى متمم عمرك وعاصمك من أن يقتلك الكفار الآن بل أرفعك الى سمائى وأصونك من أن يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك أى مميتك كيلا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم أرفعك الى وهذا القول مروى عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفى ثلاث ساعات ثم رفع وأحيى وقال محمد بن اسحق توفى سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه وقال الربيع بن أنس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب أخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقيل التوفى أخذ الشئ وافيا أى آخذك بروحك وبجسدك جميعا فرافعك الى دفعا لوهم من يتوهم انه أخذ روحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان أى استوفيته وقيل أجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره

وأثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه فی أكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف أی متوفی عملك ورافع طاعتك فكأنه بشره بقبول طاعته وأن ما وصل اليه من المتاعب فی تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع أجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل فی نسق الكلام تقديم وتأخير فان الواو لا تقتضی الترتيب والمعنى انی رافعك الی ومتوفيك بعد انزالك الی الدنيا ويؤيده ما ورد فی الخبر أنه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالی يتوفاه بعد ذلك أما قوله ورافعك الی فالمشبهة تمسكوا بمثله فی اثبات المكان لله تعالی وأنه فی السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بأن المراد الی محل كرامتی ومقر ملائكتی ومثله قول ابراهيم انی ذاهب الی ربی وانما ذهب من العراق الی الشام وقد سمی الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم أو المراد الی مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان فی الارض ملوكا مجازية ولئن (٢٠١) سلم أنه تعالی يمكن أن يكون فی مكان فليس رفع عيسى عليه السلام الى ذلك المكان سببا لبشارته ما لم يتبعه الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو أن يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق فی الآية دلالة على اثبات المكان له تعالی ثم انه كما عظم شأنه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا أی من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيامة ولعمری انه كذلك فلا يرى ملك يهودی فی الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على أنا نقول المراد بمتبعی المسيح هم

الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعده فصدقوه فی قوله ومبشرا برسول يأتی من بعدی اسمه أحمد أو المتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه فی أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم أن نص القرآن دل على أنه تعالی حين رفعه ألقى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فأورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول أنه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فانی اذا رأيت ولدی ثم رأيته ثانيا فحينئذ أجوز أن هذا الذی رأيته ثانيا ليس ولدی بل هو انسان آخر ألقی شبهه عليه وكذا الصحابة الذين رأوا محمدا يأمرهم وينهاهم احتمل أن يكون محمد انسانا آخر ألقی شبهه عليه وأنه يفضی الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر فی الاخبار المتواترة على أن يكون الخبر الاول انما أخبر عن المحسوس وأنتم جوزتم وقوع الغلط فی المبصرات ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره ابطال النبوات الثانی أن جبريل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفی

من الحق حق وأنه من عند الله وهذا القول من الله عز وجل خبر عن تعمد أهل الكتاب الكفر به وكتمانهم ما قد علموا من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجدوه فی كتبهم وجاءتهم به أنبياؤهم ﴿ القول فی تأويل قوله جل ثناؤه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذی أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) اختلف أهل التأويل فی صفة المعنى الذی أمرت به هذه الطائفة من أمرت به من الايمان وجه النهار وكفر آخره فقال بعضهم كان ذلك أمرا منهم اياهم بتصديق النبی صلى الله عليه وسلم فی نبوته وما جاء به من عند الله وأنه حق فی الظاهر من غير تصديقه فی ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك وبالكفر وجحود ذلك كله فی آخره ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فی قوله آمنوا بالذی أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره فقال بعضهم لبعض أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار واكفروا آخره فانه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم حدثنی المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد بن حصين عن أبی مالك فی قوله آمنوا بالذی أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون معكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدی وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذی أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون كان أحبار قرى عربية اثنی عشر حبرا فقالوا لبعضهم ادخلوا فی دين محمد أول النهار وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق فاذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا انا رجعنا الى علمائنا وأحبارنا فسألناهم فحدثونا أن محمدا كاذب وأنتم لستم على شیء وقد رجعنا الى ديننا فهو أعجب الينا من دينكم لعلهم يشكون يقولون هؤلاء كانوا معنا أول النهار فما بالهم فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبی جعفر عن أبيه عن حصين عن أبی مالك الغفاری قال قالت اليهود بعضهم لبعض أسلموا أول النهار وارتدوا آخره لعلهم يرجعون فأطلع الله على سرهم فأنزل الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذی أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وقال آخرون بل الذی أمرت به من الايمان الصلاة وحضورها معهم أول النهار وترك ذلك آخره ذكر من قال ذلك حدثنی محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبی نجيح عن مجاهد فی قول الله عز وجل آمنوا بالذی أنزل على الذين آمنوا وجه النهار يهود صلت مع محمد صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه حدثنی المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبی نجيح عن مجاهد بمثله حدثنی محمد بن سعد قال ثنی أبی قال ثنی عمی قال ثنی أبی عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت

لاهل الارض فكيف لم يكف فى منع أولئك اليهود وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث أنه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة فى القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين فى القتل من غير فائدة مع أن ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا أن المصلوب هو عيسى وأنه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع أن النصارى على كثرتهم فى المشارق والمغارب وافراطهم فى محبة عيسى أخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن فى المتواتر يوجب الطعن فى نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول أن كل من أثبت القادر المختار سلم أنه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك فى وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثانى والثالث أن ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافى التكليف والتلبيس المذكور قد أزاله تلامذة عيسى الحاضرون معه العالمون بالواقعة وعن الرابع أنه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين فى ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ماروى أن الذى ألقي عليه الشبه كان من خواص أصحابه فلهذا اصبر على أنا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر عنه فهذه الاحتمالات تمتنع أن تصير معارضة للنص القاطع والله ولى الهداية قال ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين وبين الجاحدين وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا بالقتل والسبي والذلة وأنواع المصائب والرزايا التى لا ثواب عليها والآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشئ فى غير موضعه التكذيب فى مقام التصديق وعمل السيئ مكان العمل الصالح وذلك أن المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وهو وان أراد كفر الكافر الا أنه لم يوصل الثواب اليه وقالت المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى أنه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذى سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما يؤل الى معنى واحد وهو ذكر الشئ بعضه على أثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته من الآيات خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والمراد بها آيات القرآن ويحتمل أن يراد أنه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها خبر لا يعلمها الا قارئ كتاب أو من يوحى اليه وأنت لا تكتب ولا تقرأ فبقي أن يكون من الوحى ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذى

طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار الآية وذلك أن طائفة من اليهود قالوا اذا لقيتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار فآمنوا واذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا لعلهم ينقلبون عن دينهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتأويل الكلام اذا وقالت طائفة من أهل الكتاب يعنى من اليهود الذين يقرؤن التوراة آمنوا صدقوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وذلك ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق وشرائعه وسننه وجه النهار يعنى أول النهار وسمى أوله وجها له لانه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه منه كما يقال لاول الثوب وجهه وكما قال ربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجه النهار أول النهار **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وجه النهار أول النهار واكفروا آخره يقول آخر النهار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره قال قال صلوا معهم الصبح ولا تصلوا معهم آخر النهار لعلكم تستزلونهم بذلك وأما قوله واكفروا آخره فانه يعنى به انهم قالوا واجحدوا ما صدقتم به من دينهم فى وجه النهار فى آخر النهار لعلهم يرجعون يعنى بذلك لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد عن قتادة لعلهم يرجعون يقول لعلهم يدعون دينهم ويرجعون الى الذى أنتم عليه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لعلهم يرجعون لعلهم ينقلبون عن دينهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى لعلهم يرجعون لعلهم يشكون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لعلهم يرجعون قال يرجعون عن دينهم ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم فكان يهوديا وهذا خبر من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لاخوانهم من اليهود آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واللام التى فى قوله لمن تبع دينكم نظيرة اللام التى فى قوله عسى أن يكون ردف لكم بمعنى ردفكم بعض الذى تستعجلون وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا قول بعضهم لبعض **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنا** محمد

وتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره تتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه أو هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى أن الاحكام تستفاد منه أو بمعنى المحكم أحكمت آياته أى عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذى منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء أخبر أنه تعالى نزل هذه القصص مما كتب هنالك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال صلى الله عليه وسلم وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فان كنت صادقا فأرنا مثله فأنزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم أى حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه أن كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير أب وأم أغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغى أن يكون أقوى حالا من المشبه فى وجوه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله خلقه من تراب أى قدره جسدا من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمى آدم لانه خلق من أديم الارض كلها أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان فى ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم أعجمى كآزر ووزنه فاعل لا أفعل والضمير عائد الى آدم الموجود كقولك هذا الكون أصله من الطين ثم قال له أى لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر وانما لم يقل فكان اما لانه حكاية حال ماضية واما تصوير لتلك الحالة العجيبة كقوله

فاضرب بلا دهش فخرت

أو المراد اعلم يا محمد أن ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخى الخبر عن الخبر لا تراخى المخبر عن المخبر كقول القائل أعطيت زيدا ألفا اليوم ثم أنا أعطيته أمس ألفين أى ثم أنا أخبركم انى أعطيته أمس ألفين فكذا قوله خلقه من تراب أى صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم أنه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفية وقوعه وارادته لا يقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله فى الوجود قالت الحكماء انما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون أشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها ولما قصد من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التى هى أضوأ الاجرام السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذى هو أرق الاجرام وأعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من أمواج مياه البحار وأبقاها معلقة فى الفضاء وخلق آدم من التراب الذى هو أكثف الاجرام فأعطاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر على أنه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا امتزاج وعلاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا تتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج

ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن تبع اليهودية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن آمن بدينكم لا من خالفه فلا تؤمنوا به ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم قوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض به فى وسط الكلام خبر من الله عن ان البيان بيانه والهدى هداه قالوا وسائر الكلام بعد ذلك متصل بالكلام الاول خبر عن قيل اليهود بعضها لبعض فمعنى الكلام عندهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم أى ولا تؤمنوا ان يحاجكم أحد عند ربكم ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وان الهدى هدى الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حسدا من يهود أن تكون النبوة فى غيرهم وارادة أن يتبعوا على دينهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون تأويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان البيان بيان الله أن يؤتى أحد قالوا ومعناه لا يؤتى أحد من الامم مثل ما أوتيتم كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى لا تضلون وكقوله كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى أن لا يؤمنوا مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيت أنت يا محمد وأمتك من الاسلام والهدى ان يحاجوكم عند ربكم قالوا ومعنى أو الا أى الا أن يحاجوكم يعنى الا ان يجادلوكم عند ربكم مما فعل بهم ربكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيتم يا محمد أو يحاجوكم عند ربكم تقول اليهود فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة حتى أنزل علينا المن والسلوى فان الذى أعطيتكم أفضل فقولوا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء الآية فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود وهو متلاصق بعضه ببعض لا اعتراض فيه والهدى الثانى رد على الهدى الاول وان فى موضع رفع على انه خبر عن الهدى وقال آخرون بل هذا أمر من الله لنبيه أن يقوله لليهود وقالوا تأويله قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد من الناس مثل ما أوتيتم يقول مثل الذى أوتيتموه أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله ومثل نبيكم فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم مثل الذى أعطيتكم من فضلى فان الفضل بيدى أوتيه من أشاء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم

بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا الى خلقنا بشرا من طين ثم انسل من ألطف أجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعل طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم سنه وغير رائحته ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون عن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى عليه السلام قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيي أربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق يعني الذي أنبأتك من شأن عيسى لا الذي اعتقد النصارى فيه أنه اله ولا الذي يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار أو الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانبارى أصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا وفي هذا النهي ترغيب له في زيادة الثبات والطمأنينة ولطف الأئمة

يقول لما أنزل الله كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك قل ان الفضل بيد الله الآية حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وقال آخرون بل تاويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله قالوا وهذا آخر القول الذي أمر الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود من هذه الآية قالوا وقوله أو يحاجوكم مردود على قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وتاويل الكلام على قول أهل هذه المقالة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتتركوا الحق أن يحاجوكم به عند ربكم من اتبعتم دينه فاخترتموه انه محق وانكم تجدون نعته في كتابكم فيكون حينئذ قوله أو يحاجوكم مردودا على جواب نهي متروك على قول هؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول هذا الامر الذي أنتم عليه ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قال قال بعضهم لبعض لا تخبروهم بما بين الله لكم في كتابه ليحاجوكم قال ليخاصموكم به عند ربكم قل ان الهدى هدى الله معترض به وسائر الكلام متسق على سياق واحد فيكون تاويله حينئذ ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بمعنى لا يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم بمعنى أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بايمانكم لانكم أكرم على الله منهم بما فضلكم به عليهم فيكون الكلام كله خبرا عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار سوى قوله قل ان الهدى هدى الله ثم يكون الكلام مبتدأ بتكذيبهم في قولهم قل يا محمد للقائلين ما قالوا من الطائفة التي وصفت لك قولها لتباعها من اليهود ان الهدى هدى الله ان التوفيق توفيق الله والبيان بيانه وان الفضل بيده يؤتيه من يشاء لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود وانما اخترنا ذلك من سائر الاقوال التي ذكرناها لانه أصحها معنى وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب وأشدها اتساقا على نظم الكلام وسياقه وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد الكلام ۞ القول في تاويل قوله (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت قولهم لاوليائهم ان الفضل بيد الله ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله واليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه من يشاء من خلقه يعني يعطيه من أراد من عباده تكذيبا من الله عز وجل لهم في قولهم لتباعهم لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ليس ذلك اليكم انما هو الى الله الذي بيده الاشياء كلها واليه الفضل وبيده يعطيه من يشاء والله واسع عليم يعني والله ذو سعة بفضله على من يشاء ان يتفضل عليه عليم ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر

وقد مر نظائره في سورة البقرة * التأويل الاصطفاء ثلاثة أنواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن جنس حين خلقه وأسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله * لولاك لما خلقت الافلاك * وقال صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله ياموسى اني اصطفيتك على الناس ولمريم ان الله اصطفاك لاصطفائك اياه وطهرك عن الالتفات لغيره واصطفاك على نساء العالمين لتنيل درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شأن النساء ان الله يبشرك بكلمة كل صنف من أصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من أصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه قال فيه فهو أيضا كلمة المعرفة كعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربي بتربية أرباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم أعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا لهذا الكمال في بدء أمره فقد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت أنا وجنيني حدثته وحدثني فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وأنا أسمع وسمي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات ذريته لم يرده الى مقامه كما في الخبر انه تعالى أذن للذرات بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى ألقاها الى مريم

فكان قد بقى عليه اسم المسيح أى الممسوح وكهلا أى حالة النبوة لان بلوغ الانبياء عند كهولتهم ومن الصالحين يعنى صلاحية قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل الروح الانسانى الذى هو خليفة الله فى أرضه قابل لجميع أنوار الصفات بخلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الآيات التى هى من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر ولاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول أنوار الصفات الى ان يخرجه مددا عناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبى صلى الله عليه وسلم آيات المعجزات وعلى الولى أمارات الكرامات ولما كان روح عيسى عليه السلام وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى ألقاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمى روح الله كان قابل أنوار الصفات فى بدو أمره فكلم الناس فى المهد ويكتب ويقرأ التوراة والانجيل من غير تعلم

ويحيى ويبرئ الى غير ذلك من الآيات فلما أحس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما أحس من النفس وصفاتها الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن أنصار الله آمنا بالله أى بوحدانيته والتبرئ عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما أنزلت من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات ألطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا أى النفس وصفاتها والشياطين وأتباعها فى هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلى صفات قهره فى فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين فى قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك عن

الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما أسرى بعبده الى قاب قوسين أو أدنى ومن خواص الجذبة الربوبية جود الصفات البشرية ثم الى مرجعكم باللطف والقهر بالاختيار على قدم السلوك وبالاضطرار عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله والآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون أنفسهم بانقضاء العمر فى طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة فى تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه أجراها فى تكوين آدم من تراب بلا أب وأم وخلق حواء منه بلا أم وخلق عيسى بن مريم بلا أب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ورغما بانف من قال بالايجاب فى الايجاب فلا تكن من الممترين نهى الكينونة قاله فى لازل بما كان من الممترين ولا يكون الى الابد * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز

قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج فى قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء قال الاسلام ۞ القول فى تاويل قوله (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعنى بقوله يختص برحمته من يشاء يفتعل من قول القائل خصصت فلانا بكذا أخصه وأما رحمته فى هذا الموضع فالاسلام والقرآن مع النبوة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يختص برحمته من يشاء قال النبوة يخص بها من يشاء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع يختص برحمته من يشاء قال يختص بالنبوة من يشاء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج يختص برحمته من يشاء قال القرآن والاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله والله ذو الفضل العظيم يقول ذو فضل يتفضل به على من أحب وشاء من خلقه ثم وصف فضله بالعظيم فقال فضله عظيم لانه غير مشبه فى عظم موقعه ممن أفضله عليه افضال خلقه ولا يقاربه فى جلالة خطره ولا يدانيه ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما) وهذا خبر من الله عز وجل ان من أهل الكتاب وهم اليهود من بنى اسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ومنهم الخائن أمانته الفاجر فى يمينه المستحل فان قال قائل وما وجه اخبار الله عز وجل بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الناس لم يزالوا كذلك منهم المؤدى أمانته والخائنها قيل انما أراد جل وعز باخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه فى كتابه بهذه الآيات تحذيرهم ان يأتمنوهم أموالهم وتخويفهم الاغترار بهم لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين فتأويل الكلام ومن أهل الكتاب الذى ان تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير يؤده اليك ولا يخنك فيه ومنهم الذى ان تامنه على دينار يخنك فيه فلا يؤده اليك الا ان تلح عليه بالتقاضى والمطالبة والباء فى قوله بدينار وعلى متعاقبات فى هذا الموضع كما يقال مررت به ومررت عليه واختلف أهل التأويل فى تاويل قوله الا ما دمت عليه قائما فقال بعضهم الا ما دمت له متقاضيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا ما دمت عليه قائما الا ما طلبته واتبعته حدثنا الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الا ما دمت عليه قائما قال تقتضيه اياه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الا ما دمت عليه قائما قال مطالبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون معنى ذلك الا ما دمت عليه قائما على رأسه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال

الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)* القراآت ها أنتم بالمد وغير الهمزة حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وروى ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل ها أنتم على (٢٠٦) وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز* الوقوف الكاذبين ه القصص الحق ج ط الا الله ط الحكيم ه المفسدين ه من دون الله ط لتناهى جملة وافية الى ابتداء شرط مسلمون ه من بعده ط تعقلون ه ليس لكم به علم ط لا تعلمون ه مسلما ط المشركين ه والذين آمنوا ط المؤمنين ه لو يضلونكم ط يشعرون ه تشهدون ه تعلمون ه* التفسير روى انه صلى الله عليه وسلم لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم أصروا على جهلهم قال صلى الله عليه وسلم ان الله أمرنى ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فان أبيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه صلى الله عليه وسلم مرط من شعر اسود وكان صلى الله عليه وسلم قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه صلى الله عليه وسلم وعلى عليه السلام خلفها وهو يقول اذا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو دعت الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال صلى الله عليه وسلم فانى أحاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك قال صلى الله عليه وسلم

ثنا اسباط عن السدى قوله الا ما دمت عليه قائما يقول يعترف بامانته ما دمت قائما على رأسه فاذا قمت ثم جئت تطلبه كافرك الذى يؤدى والذى يجحد وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك الا ما دمت عليه قائما بالمطالبة والاقتضاء من قولهم قام فلان بحقى على فلان حتى استخرجه لى أى عمل فى تخليصه وسعى فى استخراجه منه حتى استخرجه لان الله عز وجل انما وصفهم باستحلالهم أموال الاميين وان منهم من لا يقضى ما عليه الا بالاقتضاء الشديد والمطالبة وليس القيام على رأس الذى عليه الدين بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحل ولكن قد يكون مع استحلاله الذهاب بما عليه لرب الحق الى استخراجه السبيل بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة فذلك الاقتضاء هو قيام رب المال باستخراج حقه ممن هو عليه ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى بذلك جل ثناؤه ان من استحل الخيانة من اليهود وجحود حقوق العربى التى هى له عليه فلم يؤد ما ائتمنه العربى عليه اليه الا ما دام له متقاضيا مطالبا من أجل انه يقول لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ولا اثم لانهم على غير الحق وانهم مشركون واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل الآية قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ليس علينا فى الاميين سبيل قال ليس علينا فى المشركين سبيل يعنون من ليس من أهل الكتاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال يقال له ما بالك لا تؤدى أمانتك فيقول ليس علينا حرج فى أموال العرب قد أحلها الله لنا حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير لما نزلت ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله ما من شئ كان فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عبيد الله عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير قال لما قالت اليهود ليس علينا فى الاميين سبيل يعنون أخذ أموالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال الا وهو تحت قدمى هاتين الا الامانة فانها مؤداة ولم يزد على ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل وذلك ان أهل الكتب كانوا يقولون ليس علينا فى الاميين سبيل الى آخر الآية وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ذلك بانهم

قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال بايع اليهود رجال من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم فقالوا ليس لكم علينا أمانة ولا قضاء لكم عندنا لانكم تركتم دينكم الذى كنتم عليه وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فقال الله عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صعصعة قال قلت لابن عباس انا نغزو أهل الكتاب فنصيب من ثمارهم قال وتقولون كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق الهمدانى عن صعصعة ان رجلا سأل ابن عباس فقال انا نصيب فى الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة فقال ابن عباس فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم الا بطيب أنفسهم ۞ القول فى تأويل قوله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ان القائلين منهم ليس علينا فى أموال المؤمنين من العرب حرج ان نختانهم اياه يقولون بقيلهم ان الله أحل لنا ذلك فلا حرج علينا فى خيانتهم اياه وترك قضائهم الكذب على الله عامدين الاثم بقيل الكذب على الله أنه أحل ذلك لهم وذلك قوله عز وجل وهم يعلمون كما **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى فيقول على الله الكذب وهو يعلم يعنى الذى يقول منهم اذا قيل له مالك لا تؤدى أمانتك ليس علينا حرج فى أموال العرب قد أحلها الله لنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعنى ادعاءهم انهم وجدوا فى كتابهم قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل ۞ القول فى تأويل قوله (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) وهذا اخبار من الله عز وجل عن أدى أمانته الى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته عنده فقال جل ثناؤه ليس الامر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود من انه ليس عليهم فى أموال الاميين حرج ولا اثم ثم قال بلى ولكن من أوفى بعهده واتقى يعنى ولكن الذى أوفى بعهده وذلك وصيته اياهم التى أوصاهم بها فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به والهاء فى قوله من أوفى بعهده عائدة على اسم الله فى قوله ويقولون على الله الكذب يقول بلى من أوفى بعهد الله الذى عاهده فى كتابه فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق به وبما جاء به من الله من أداء الامانة الى من ائتمنه عليها وغير ذلك من أمر الله ونهيه واتقى يقول واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التى حرمها عليه فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله وخوف عقابه فان الله يحب المتقين يعنى فان الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرمه عليهم ويطيعونه فيما أمرهم به وقد روى عن ابن عباس انه كان يقول هو اتقاء الشرك

والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروى عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج فى المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على عليه السلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى وقيل فى الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحى والتنزيل فقل تعالوا هلموا والمراد المجىء بالرأى والعزم كما تقول تعال نفكر فى هذه المسألة وهو فى الاصل تعال علوا من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على اعالى الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان أى ارتفع الا انه كثر حتى استعمل فى كل مجىء فصار بمنزلة هلم ندع (٢٠٧) أبناءنا وأبناءكم أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم أعزة من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجىء افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا أى لعنته ويقال بهله الله أى لعنه وأبعده من رحمته ومنه قولهم أبهله اذا أهمله وناقة باهلة لا صرار عليها بل هى مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها وأخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلنى الله الى نفسى وفوضنى الى حولى وقوتى وخذلانى من كلاءته وحفظه هذا أصل الابتهال ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد فى الآية لئلا يلزم التكرار أى ثم نجتهد فى الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسأل الله ان يلعنه وفى الآية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم وعد ان يدعو أبناءه ثم جاء بهما وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها فى ان عليا أفضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس على مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان فى الرى رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصى وكان متكلم الاثنى عشرية يزعم ان عليا أفضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك أنه ليس المراد بقوله وأنفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره وأجمعوا على ان ذلك الغير كان على بن أبى طالب فاذا نفس على هى نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا على عليه السلام قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يرى آدم فى علمه ونوحا فى طاعته وابراهيم فى خلته وموسى فى قربته وعيسى فى صفوته فلينظر الى على بن

أي فطالب عليه السلام فدل الحديث على انه اجتمع فيه عليه السلام ما كان متفرقا فيهم وأجيب بأنه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ممن ليس بنبي وأجمعوا على ان عليا عليه السلام ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه وسلم فكذا في حق سائر الانبياء وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها أيضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض أعزته ونفسه وأفلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستئصال ولولا ان القوم عرفوا من التوراة والانجيل ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لما احجموا عن مباهلته وأما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة (٢٠٨) فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا عما وصفت من التوحيد وان الاله الخالق يجب أن يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فقطع كلامك منهم وفوض أمرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم وأغراضهم الفاسدة فيجازيهم بأعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما أورد على نصارى نجران من الدلائل ما قطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فخافوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية أمره الله تعالى بنمط آخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا أهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الآية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فنزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان ومعنى الى كلمة سواء بيننا نصف من بعضنا بعضا لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله بلى من أوفى بعهده واتقى يقول اتقى الشرك ان الله يحب المتقين يقول الذين يتقون الشرك وقد بينا اختلاف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول فيه بالادلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن اعادته * القول في تأويل قوله (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذي عهد اليهم ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله الى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه والاقرار به وما جاء به من عند الله وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرم الله عليهم من أموال الناس التي ائتمنوا عليها ثمنا يعني عوضا وبدلا خسيسا من عرض الدنيا وحطامها أولئك لا خلاق لهم في الآخرة يقول فان الذين يفعلون ذلك لا حظ لهم في خيرات الآخرة ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعد الله لاهلها فيها دون غيرهم وقد بينا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في معنى الخلاق ودللنا على أولى أقوالهم في ذلك بالصواب بما فيه الكفاية وأما قوله ولا يكلمهم الله فانه يعني ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يقول ولا يعطف عليهم بخير مقتا من الله لهم كقول القائل لآخر انظر الي نظر الله اليك بمعنى تعطف علي تعطف الله عليك بخير ورحمة وكما يقال للرجل لا سمع الله لك دعاءك يراد لا استجاب الله لك والله لا يخفى عليه خافية وكما قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أن لا * يكون الله يسمع ما أقول

وقوله ولا يزكيهم يعني ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ولهم عذاب أليم يعني ولهم عذاب موجع واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية ومن عني بها فقال بعضهم نزلت في أحبار من أحبار اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وقال آخرون بل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب سالم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فقال الاشعث بن قيس في والله كان ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألك بينة قلت لا فقال لليهودي احلف قلت يا رسول الله اذا يحلف فيذهب مالي فأنزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية

والانصاف لان حقيقتا الانصاف اعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه أو المراد الى كلمة سواء مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة بقوله أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فمحل أن لا نعبد خفض على البدل من كلمة أو رفع على الخبر أى هى أن لا نعبد وانما ذكر أمورا ثلاثة لان النصارى جمعوا بين الثلاثة فعبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به غيره لانهم أثبتوا أقانيم ثلاثة أبا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان أقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح وأقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلتين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث أثبتوا ثلاثة ذوات مستقلة فقد أشركوا انهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا لانهم أطاعوهم فى التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم من غير شرعة وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم فى المعاصى وهوى النفس ورؤية (٢٠٩) الامور من الوسائط أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولان من مذهبهم ان الكامل فى الرياضة يظهر فيه أثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم أثبتوا فى حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلاثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشتراك أيضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب أن لا يرجع فى التحليل والتحريم والانقياد والائتمار الا اليه عن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم هو ذاك وعن الفضيل لا أبالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد

فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب لمغلوبه فى جدال أو صراع لزمتك الحجة فاعترف بانى أنا الغالب أو يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث أعرضتم عن الحق بعدما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابراهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التوراة والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يقال هذا أيضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابراهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما نزل بعده بزمان أطول مما بينه وبين انزال التوراة والانجيل لانا نقول القرآن أخبر بان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس فى الكتابين انه كان يهوديا أو نصرانيا فظهر الفرق وأيضا المسيح ما كان موجودا فى زمان ابراهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هى النصرانية عندكم وأيضا لا نسخ فى دين اليهود والنسخ جائز فى ملة ابراهيم هاأنتم

حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا جرير بن حازم عن عدى بن عدى عن رجاء بن حيوة والعرس انهما حدثاه عن أبيه عدى بن عميرة قال كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت خصومة فارتفعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال للحضرمى بينتك والا فيمينه قال يارسول الله ان حلف ذهب بارضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقى الله وهو عليه غضبان فقال امرؤ القيس يارسول الله فما لمن تركها وهو يعلم انها حق قال الجنة قال فانى أشهدك انى قد تركتها قال جرير فكنت مع أيوب السختيانى حين سمعنا هذا الحديث من عدى فقال أيوب ان عديا قال فى حديث العرس بن عميرة فنزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية قال جرير ولم احفظ يومئذ من عدى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال آخرون أن الاشعث بن قيس اختصم هو ورجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض كانت فى يده لذلك الرجل أخذها لتعززه فى الجاهلية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقم بينتك قال الرجل ليس يشهد لى أحد على الاشعث قال فلك يمينه فقام الاشعث ليحلف فانزل الله عز وجل هذه الآية فنكل الاشعث وقال انى أشهد الله وأشهدكم ان خصمى صادق فرد اليه أرضه وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة مخافة ان يبقى فى يده شىء من حقه فهى لعقب ذلك الرجل بعده حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ثم أنزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية ثم ان الاشعث بن قيس خرج الينا فقال ما حدثكم أبو عبد الرحمن فحدثناه بما قال فقال صدق لفى أنزلت كانت بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ثم نزل الله عز وجل تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية * وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال أخبرنى داود بن أبى هند عن عامر ان رجلا أقام سلعته أول النهار فلما كان آخره جاء رجل يساومه فحلف لقد منعها أول النهار من كذا ولولا المساء ما باعها به فنزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رجل عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية الى ولهم عذاب أليم أنزلهم الله بمنزلة السحرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عمران بن حصين كان يقول من حلف على يمين فاجرة يقتطع بها مال أخيه فليتبوأ مقعده من النار

[illegible] اتبعوا أنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أوليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة انما أراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كان حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وأنتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا أو عرض بالمشركين عن اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان أردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان (٢١٠) أردتم به الموافقة في الفروع لزم أن لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقرر الشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح أفعالهم أو الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابراهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا بمن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا وأهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي آرائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط مع هدايا الادم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل أحد منا عليهم ولا يخرج منهم أحد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك وقد جئتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل

فقال له قائل شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم تجدون ذلك ثم قرأ هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا حسين بن علي بن زائدة عن هشام قال قال محمد بن عمران بن حصين من حلف على عين مصبورة فليتبوأ بوجهه مقعده من النار ثم قرأ هذه الآية كلها ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال ان اليمين الفاجرة من الكبائر ثم تلا ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عبد الله ابن مسعود كان يقول كنا نرى ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنب الذي لا يغفر يمين الصبر اذا فجر فيها صاحبها ﴿ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعني بذلك جل ثناؤه وان من أهل الكتاب وهم اليهود الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده من بني اسرائيل والهاء والميم في قوله منهم عائدة على أهل الكتاب الذين ذكرهم في قوله ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك وقوله لفريقا يعني جماعة يلوون يعني يحرفون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي يحرفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله يقول الله عز وجل وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله ويزعمون ان ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فالحقوه في كتاب الله من عند الله يقول مما أنزله الله على أنبيائه وما هو من عند الله يقول وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فاحدثوه مما أنزله الله الى أحد من أنبيائه ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم افتراء على الله يقول عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني بذلك أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله والشهادة عليه بالباطل والالحاق بكتاب الله ما ليس منه طلبا للرياسة والخسيس من حطام الدنيا وبنحو ما قلنا في معنى يلوون ألسنتهم بالكتاب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال يحرفونه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب حتى بلغ وهم يعلمون هم أعداء الله اليهود حرفوا كتاب الله وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منهم لفريقا يلوون

يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وهم اليهود كانوا يزيدون فى كتاب الله مالم ينزل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم وذلك تحريفهم اياه عن موضعه وأصل اللى الفتل والقلب من قول القائل لوى فلان يد فلان اذا فتلها وقلبها ومنه قول الشاعر * لوى يده الله الذى هو غالبه * يقال منه لوى يده ولسانه يلوى ليا وما لوى ظهر فلان أحد اذا لم يصرعه أحد ولم يفتل ظهره انسان ولا لوى بعيد المستمر اذا كان شديد الخصومة مقصارا عليها لا يغلب فيها قال الشاعر

فلو كان فى ليلى سدى من خصومة * للويت أعناق الخصوم الملاويا

﴿ القول فى تأويل قوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) يعنى بذلك جل ثناؤه وما ينبغى لاحد من البشر والبشر جمع بنى آدم لا واحد له من لفظه مثل القوم والخلق وقد يكون اسما للواحد أن يؤتيه الله الكتاب يقول أن ينزل الله عليه كتابه والحكم يعنى ويعلمه فصل الحكمة والنبوة يقول ويعطيه النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله يعنى ثم يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة ولكن اذا آتاه الله ذلك فانما يدعوهم الى العلم بالله ويحذرهم على معرفة شرائع دينه وأن يكونوا رؤساء فى المعرفة بامر الله ونهيه وأئمة فى طاعته وعبادته بكونكم معلمى الناس الكتاب وبكونكم دارسيه وقيل ان هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أتدعونا الى عبادتك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن ابى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس أوذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى أو كما قال فانزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الآية الى قوله بعد اذ أنتم مسلمون حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظى فذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله يقول ما كان ينبغى لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يأمر عباده أن يتخذوه ربا من

جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به النجاشى فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشى ما منعكم ان تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيى بها من أتانى من الآفاق قالوا نسجد لله الذى خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التى رضيها الله لنا وهى السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشى ان ذلك حق وانه فى التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك أهل الارض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابى فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل هذا الرجل أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا ابقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشى أعبيد هم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشى نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشى سلهما أهل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما اهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشى يا عمرو ان كان قنطارا فعلى قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشى فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشى ما هذا الدين الذى كنتم عليه والدين الذى اتبعوه أصدقنى قال جعفر أما الدين الذى كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة وأما الدين الذى تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول فى كتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشى يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشى فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشى أنشدكم بالله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى فقال النجاشى لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ على شيأ مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت أعين النجاشى وأصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو أن يغضب النجاشى فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشى ما تقولون فى عيسى وأمه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما أتى ذكر مريم وعيسى رفع

دون الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم بتحريفهم كتاب الله عن موضعه فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله فى كتابه ۞ القول فى تأويل قوله (ولكن كونوا ربانيين) يعنى جل ثناؤه بذلك ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فترك القول استغناء بدلالة الكلام عليه وأما قوله كونوا ربانيين فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه كونوا حكماء علماء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبى رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن أبى رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن أبى رزين مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين ولكن كونوا ربانيين حكماء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن فى قوله كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كونوا ربانيين قال فقهاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى القاسم عن مجاهد قوله ولكن كونوا ربانيين قال فقهاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن منصور بن المعتمر عن أبى رزين فى قوله كونوا ربانيين قال علماء حكماء قال معمر قال قتادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله كونوا ربانيين أما الربانيون فالحكماء الفقهاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الربانيون الفقهاء العلماء وهم فوق الاحبار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبى قال ثني عمى قال ثني أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن كونوا ربانيين يقول كونوا حكماء فقهاء حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى حمزة الثمالى عن يحيى بن عقيل الربانيون والاحبار قال الفقهاء العلماء حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس مثله حدثني ابن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله كونوا ربانيين قال كونوا حكماء فقهاء حدثت عن

الحسين

شيوم بأرضى يقول آمنون من سبكم أو آذاكم ثم قال أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشى ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذى جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم فى دين ابراهيم ثم رد النجاشى على عمرو وأصحابه المال الذى حملوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكنى ولم يأخذ منى رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا فى خير دار وأكرم جوار وأنزل الله عز وجل ذلك اليوم فى خصومتهم فى ابراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه على ملته وسنته فى زمانه وهذا النبى صلى الله عليه وسلم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا فى آخر الزمان والله ولى المؤمنين بالنصرة والتأييد والتوفيق والتسديد ومعنى أولى الناس أخصهم به وأقربهم منه من الولى القرب وقرئ وهذا النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وأن وليى منهم أبى وخليل ربى ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس الآية ثم بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون فى اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما أرادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرناه فى سورة البقرة وما يضلون الا أنفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال أو وما يقدرون على اضلال المؤمنين وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح أفعالهم بطريق الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل أى بالتوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو ان ابراهيم كان حنيفا مسلما أو ان الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل اما الكفر بما يدلان عليه فيكون قد أطلق اسم الدليل على المدلول أو الكفر بنفس التوراة والانجيل لانهم كانوا يحرفونهما و ينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وأنتم تشهدون أنهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا يكون فى الآية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل آيات الله هى القرآن وشهادتهم أنهم يعرفون فى قلوبهم انه حق وقيل ايات الله جملة المعجزات التى ظهرت على النبى صلى الله عليه وسلم فمعنى تشهدون انكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعى ثم لما وبخهم على الغواية أردفه التوبيخ بالاغواء وهو لهم بالقاء الشبهات فى ...ربوه ومعنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق

عن الحسن وابن زيد حرفوا التوراة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس أظهروا الاسلام أول النهار ثم رجعوا عنه في آخره تشكيكا للناس
قيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن
فلبسوا على الضعفاء أحد الامرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم
معترف بان شرع موسى حق ثم ان التوراة دلت على أنه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات وأما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة في التوراة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتأمل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها
يتم الاستدلال كما يفعل المبتدعة في زماننا وأنتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا أو تعلمون انكم أهل المعرفة أو تعلمون حقيتها أو أن
عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم الله حسبي (وقالت طائفة من أهل الكتاب (٢١٣) آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار
واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم قل ان الهدى
هدى الله أن يؤتى أحد مثل
ما أوتيتم أو يحاجوكم عند
ربكم قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله واسع
عليم يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ومن
أهل الكتاب من ان تأمنه
بقنطار يؤده اليك ومنهم
من ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك الا ما دمت عليه قائما
ذلك بانهم قالوا ليس علينا
في الاميين سبيل ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون
بلى من أوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين ان
الذين يشترون بعهد الله
وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا
يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزكيهم
ولهم عذاب أليم وان منهم
لفريقا يلوون ألسنتهم
بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين
أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) القرآآت أن يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤدهي ولا يؤدهي ابن
كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس ومهل وزيد عن يعقوب وقرأه أبو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد
وأبو عمرو في رواية الزيدي طريق أبي أيوب الهاشمي بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر
فحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلي
والاعشى والبرجمي وأبو زيد غير المفضل وقرأ أبو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب * الوقوف يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله

الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله كونوا
ربانيين يقول كونوا فقهاء علماء وقال آخرون بل هم الحكماء الاتقياء ذكر من قال ذلك حدثني
يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قوله كونوا
ربانيين قال حكماء أتقياء وقال آخرون بل هم ولاة الناس وقادتهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن
عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله كونوا ربانيين قال الربانيون الذين يربون
الناس ولاة هذا الامر يربونهم يلونهم وقرأ لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الربانيون الولاة والاحبار
العلماء قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني وان الرباني المنسوب الى
الربان الذي يرب الناس وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها ومنه قول علقمة بن عبدة

وكنت امرأ أفضت اليك ربابتي * وقبلك ربني فضعت ربوب

يعني بقوله ربني ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويصلحه فلم يصلحوه ولكنهم أضاعوني فضعت يقال منه
رب أمري فلان فهو يربه ربا وهو رابه فاذا أريد به المبالغة في مدحه قيل هو ربان كما يقال هو نعسان من
قولهم نعس ينعس وأكثر ما يجيء من الاسماء على فعلان ما كان من الافعال ماضيه على فعل مثل قولهم
سكران وعطشان وريان من سكر يسكر وعطش يعطش وروي يروى وقد يجيء مما كان ماضيه على فعل
يفعل نحو ما قلنا من نعس ينعس ورب يرب فاذا كان الامر في ذلك على ما وصفنا وكان الربان ما ذكرنا
والرباني هو المنسوب الى من كان بالصفة التي وصفت وكان العالم بالفقه والحكمة من الصالحين يرب
أمور الناس بتعليمه اياهم الخير ودعائهم الى ما فيه مصلحتهم وكان كذلك الحكيم التقي لله والوالي
الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم
بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم كانوا جميعا مستحقين انهم ممن
دخل في قوله عز وجل ولكن كونوا ربانيين قال فالربانيون اذاهم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور
الدين والدنيا ولذلك قال مجاهد وهم فوق الاحبار لان الاحبار هم العلماء والرباني الجامع الى العلم والفقه
البصر بالسياسة والتدبير والقيام بامور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم ۞ القول في تأويل قوله
(بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل الحجاز
وبعض البصريين بما كنتم تعلمون بفتح التاء وتخفيف اللام يعني تعلمكم الكتاب ودراستكم اياه وقراءتكم
واعتلوا لاختيارهم قراءة ذلك كذلك بان الصواب لو كان بتشديد اللام وضم التاء لكان الصواب

[illegible]

صدور بكم ط بيدالله ج ط لان يؤتيه لا يتعلق بجاءة لهم مع ان ضمير فاعله عائد الى الله من يشاء ط عليم ه ط ج لاحتمال الاستئناف والصفة من يشاء ط العظيم ه اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستئناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون ه المتقين ه يزكيهم ص اليم ه وماهو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وماهو من عند الله ج يعلمون ه تدرسون ه لا لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا على أن يؤتيه أربابا ط مسلمون ه * التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل أن يراد كل ما أنزل الله عليهم ويحتمل أن يراد بعض ما أنزل أما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدى تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم (٢١٤) ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار أي أوله والوجه في اللغة مستقبل

في تدرسون بضم التاء وتشديد الراء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بما كنتم تعلمون الكتاب بضم التاء من تعلمون وتشديد اللام بمعنى بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم اياه واعتلوا لاختيارهم ذلك بان من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم اذ لا يعلمون الا بعد تعلمهم بما يعلمون قالوا ولا موصوف بانه يعلم الا وهو موصوف بانه عالم قالوا فاما الموصوف بانه عالم فغير موصوف بانه معلم غيره قالوا فاولى القراءتين بالصواب أبلغهما في مدح القوم وذلك وصفهم بانهم كانوا يعلمون الناس الكتاب كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى ابن آدم عن ابن عيينة عن حميد الاعرج عن مجاهد أنه قرأ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون مخففة بنصب التاء وقال ابن عيينة ماعلموه حتى علموه وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام لان الله عز وجل وصف القوم بانهم أهل عماد للناس في دينهم ودنياهم وأهل اصلاح لهم ولامورهم وتربية يقول جل ثناؤه ولكن كونوا ربانيين على ما بينا قبل من معنى الرباني ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل اصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم اياهم كتاب ربهم ودراستهم اياه وتلاوته وقد قيل دراستهم الفقه وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا من تلاوة الكتاب لانه عطف على قوله تعلمون الكتاب والكتاب هو القرآن فتكون الدراسة معنيا بها دراسة القرآن أولى من أن يكون معنيا بها دراسة الفقه الذي لم يجر له ذكر ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال قال يحيى بن آدم قال أبو زكريا كان عاصم يقرؤها بما كنتم تعلمون الكتاب قال القرآن وبما كنتم تدرسون قال الفقه يعني الآية ولكن يقول لهم تعالى ذكره كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم في أمر دينهم ودنياهم ربانيين بتعليمكم اياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام وفرض وندب وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم وبتلاوتكم اياه ودراستكموه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) اختلفت القراء في قراءة قوله ولا يأمركم فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة ولا يأمركم على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود انه كان يقرؤها وهو ولن يأمركم فاستدلوا بدخول ان على انقطاع الكلام عما قبله وابتداء خبر مستأنف قالوا فلما صير مكان لن في قراءتنا لا وجبت قراءته بالرفع وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ولا يأمركم بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول للناس وكان تأويله عندهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ثم يقول للناس ولا أن يأمركم بمعنى ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ولا يأمركم بالنصب على الاتصال بالذي قبله بتأول ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا

كل شيء ومنه وجه الثوب لاول ما يبدو منه وروى ثعلب عن ابن الاعرابي أتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وأنشد الربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * قد قمن قبل تبلج الاسحار

وذلك انه كان من عادتهم أن لا يظهروا الجزع على المقتول الى أن يدركوا الثار فيعني البيت من كان مسرورا فليأت فسيشفي الغيظ ودرك الثار قبل أن يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك فان أصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به في أول الامر وانما ذلك لاجل انهم أهل كتاب وقد تفكروا في أمره صلى الله عليه وسلم وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام والبحث الشافي انه كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لي لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال أبو مسلم معنى وجه النهار وآخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا وأظهروا الوفق للمؤمنين ولكن بشرط أن تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من أهل الكتاب فان أمر هؤلاء في اضطراب فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف أمرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فتكون هذه الآية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كذبكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة ديه وأما الاحتمال الثاني ففيه وجوه منها قال الامام نزلت في شأن القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار أوله وهو صلاة الصبح

وآخر صلاة الظهر وتقريره أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلاة الظهر قال كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلاة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها من أول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء وأطلعه على سرهم كيلا تؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على أمثالها من الحيل و بصير ذلك واعظا لهم وفيه أيضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على أنه من بقية حكاية كلام أهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى آخرها كلام الله (٢١٥) الا أنهم اختلفوا في ان قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله أو من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار ولهذا عدت الآية من المواضع المشكلة أما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرأ بهمزة واحدة و يقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى ابن عمرو والمعنى ألأن أي أمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعد ذنوبه عليه وقد أحسن اليه أمن قبل احساني اليك أمن اهانتي لك والمعنى أمن هذا فعلت ما فعلت أم من ذلك ونظيره قوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا أو قائما يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الا نبيا يقرر شرائع التوراة فأما من جاء بتغيير شئ من أحكام التوراة فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فأمر الله نبيه أن يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل أن يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغيظ لهم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم يقال لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشئ آخر يعني ان ما بكم من الحسد

لي من دون الله وان يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا لان الآية نزلت في سبب القوم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك فأخبرهم الله جل ثناؤه انه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الناس الى عبادة نفسه ولا الى اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ولكن الذي له أن يدعوهم الى أن يكونوا ربانيين فأما الذي ادعى من قرأ ذلك رفعا انه في قراءة عبد الله ولن يأمركم استشهادا لصحة قراءته بالرفع فذلك خبر غير صحيح سنده وانما هو خبر رواه حجاج عن هرون لا يجوز ان ذلك في قراءة عبد الله كذلك ولو كان ذلك خبرا صحيحا سنده لم يكن فيه لمحتج حجة لان ما كان على صحته من القراء من الكتاب الذي جاء به المسلمون وراثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يجوز تركه لتأويل محل قراءة أضيفت الى بعض الصحابة بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو فتأويل الآية اذا وما كان للنبي أن يأمر الناس أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يعني بذلك آلهة يعبدون من دون الله كما ليس له أن يقول لهم كونوا عبادا لي من دون الله ثم قال جل ثناؤه نافيا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بذلك أيأمركم بالكفر أيها الناس نبيكم بجحود وحدانية الله بعد اذ انتم مسلمون يعني بعد اذ انتم له منقادون بالطاعة متذللون له بالعبودية أي ان ذلك غير كائن منه أبدا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ولا يأمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يعني بذلك جل ثناؤه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين وميثاقهم ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم وقد بينا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية لما آتيتكم من كتاب وحكمة اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق لما آتيتكم بفتح اللام من لما الا أنهم اختلفوا في قراءة آتيتكم فقرأه بعضهم آتيتكم على التوحيد وقرأه آخرون آتيناكم على الجمع ثم اختلفت أهل العربية اذا قرئ ذلك كذلك فقال بعض نحويي البصرة اللام التي مع ما في أول الكلام لام الابتداء نحو قول القائل لزيد أفضل منك لان ما اسم والذي بعدها صلة لها واللام التي في لتؤمنن به ولتنصرنه لام القسم كأنه قال والله لتؤمنن به يؤكد في أول الكلام وفي آخره كما يقال أما والله أن لو جئتني لكان كذا وكذا وقد يستغنى عنها فيؤكد في لتؤمنن به باللام في آخر الكلام وقد يستغنى عنها و يجعل خبر ما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به مثل لعبد الله والله لا يأتينه قال وان شئت جعلت خبر ما من كتاب يريد لما آتيتكم من كتاب وحكمة وتكون من زائدة وخطأ بعض نحويي الكوفيين ذلك كله وقال اللام التي تدخل في أوائل الجزاء لا تجاب بما ولا بلا فلا يقال لمن قام لا تتبعه ولا لمن قام ما أحسن فاذا وقع في جوابها

والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال أو يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو لما يتصل بالايتاء عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربهم لان ما أوتوا مثل ما أوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم وأما ان لم تقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما سبق أو يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ويكون أو بمعنى حتى ويتم الكلام بمحذوف أي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم أو يقال أن يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له أن يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح أن يقال لا تنكروا أن يؤتى أحد سوا كم من الهدى ما أوتيتموه أو يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم أو يقال الهدى اسم البيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد ان (٢١٦) مثل أن تضلوا أي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لامتك ان بيان الله هو أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو أفضل الاديان وأن لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الآخرة لانه يظهر لهم في الآخرة انكم محقون وأنهم ضالون وأما الاحتمال الثاني وهو أن يكون قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان هدى الله هو الهدى جملة معترضة فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من أن على القياس قال في الكشاف أراد أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله أو يحاجوكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم خطا عند الله بالحجة قال ومعنى اعتراض ان الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وذبكم أي سركم تصديقكم من المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول أو هو اعتراض آخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه وكيف يليق أن يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلى الله عليه وسلم لدى اتباعهم وأن يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين أتباعهم بل المراد أنه ان اتفق منكم تكلم بهذا ولا يكن الا عند خاصتكم وأصحاب أسراركم على أنه يحتمل أن يكون شائعا ولكن البغي

ما ولا علم أن اللام ليست بتوكيد للاولى لانه يوضع موضعها ما ولا فتكون كالاولى وهي جواب للاولى قال وأما قوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة بمعنى اسقاط من غلط لان من التي تدخل وتخرج لا تقع مواقع الاسماء قال ولا تقع في الخبر أيضا انما تقع في الجحد والاستفهام والجزاء وأولى الاقوال في تأويل هذه الآية على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام بالصواب أن يكون قوله لما بمعنى لمهما وأن تكون ما حرف جزاء أدخلت عليها اللام وصير الفعل معها على فعل ثم أجيب بما كان به الايمان فصارت اللام الاولى يمينا أو تلقيت بجواب اليمين وقرأ ذلك آخرون لما آتيتكم بكسر اللام من لما وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة ثم اختلف قارئ ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه اذا قرئ كذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم فما على هذه القراءة بمعنى الذي عندهم وكان تأويل الكلام واذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ثم ان جاءكم رسول يعني ذكر محمد في التوراة لتؤمنن به أي ليكونن ايمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره وقال آخرون منهم تأويل ذلك اذا قرئ بكسر اللام من لما واذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتاهم من الحكمة ثم جعل قوله لتؤمنن به من الاخذ أخذ الميثاق كما يقال في الكلام أخذت ميثاقك لتفعلن لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول واذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم لتؤمنن به ولتنصرنه وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ واذ أخذ الله النبيين لما آتيتكم بفتح اللام لان الله عز وجل أخذ ميثاق جميع الانبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه الى خلقه فيما ابتعثه به اليهم كان ممن آتاه كتابا أو ممن لم يؤته كتابا وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عز وجل ورسله بانه كان ممن أبيح له التكذيب باحد من رسله فاذا كان ذلك كذلك وكان معلوما أن منهم من أنزل عليه الكتاب وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب كان بينا أن قراءة من قرأ ذلك لما آتيتكم بكسر اللام بمعنى من أجل الذي آتاكم من كتاب لا وجه له مفهوم الا على تأويل بعيد وانتزاع عميق ثم اختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالايمان بمن جاءه من رسل الله مصدقا لما معه فقال بعضهم انما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب دون أنبيائهم واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله لتؤمنن به ولتنصرنه قالوا فانما أمر الذين أرسلت اليهم الرسل من الامم بالايمان برسل الله ونصرتها على من خالفها وأما الرسل فانه لا وجه لامرها بنصرة أحد لانها المحتاجة الى المعونة على من خالفها من كفرة بني آدم فاما هي فانها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها قالوا واذا لم يكن غيرها وغير الامم الكافرة فمن الذي ينصر النبي فيؤخذ ميثاقه بنصرته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال هي

والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزأى كلام واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل أن يكون هذا كلاما أمر الله نبيه أن يقوله عندما وصل الكلام الى هذا الحد كأنه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة آمنت بالله أو لا اله الا الله أو تعالى الله ثم يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله واعلم أنه تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أن يؤمنوا وجه النهار و يكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كمال هذا بيان الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة (٢١٧) الركيكة تأثير ولا أثر وثانيهما أنهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه وضعه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذى لفاعله أن يفعله وأن لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على أن يؤتى بعض عباده مثل ما آتاكم من المناصب العالية ويزيد عليهم من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه

ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى أمر أجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما آتاهم بل يكون أشرف وأعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى أشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن أهل الكتاب الآية فهى دالة على انقسامهم الى قسمين أهل للامانة وأهل للخيانة فقيل ان أهل الامانة هم الذين أسلموا أما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين وأخذ أموالهم وقيل ان أصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم وأهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تأمنه بقنطار يؤده هو عبد الله بن

خطأ من الكاتب وهي في قراءة ابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين يقول واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وكذلك كان يقرؤها الربيع واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب انما هي أهل الكتاب قال وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب قال الربيع ألا ترى أنه يقول ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه يقول لتؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه قال هم أهل الكتاب وقال آخرون بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الانبياء دون أممها ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الآية قال أخذ الله ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب قال لم يبعث الله عز وجل نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الى قومهم وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال لم يبعث الله عز وجل نبيا قط من لدن نوح الا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه ان خرج وهو حي والا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرنه ان خرج وهم أحياء حدثني محمد بن سنان قال ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور قال سألت الحسن عن قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية كلها قال أخذ الله ميثاق النبيين ليبلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا وقال آخرون معنى ذلك انه أخذ ميثاق النبيين وأممهم فاجتزأ بذكر الانبياء عن ذكر أممها لان في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه

على التباع لان الامم هم تباع الانبياء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم ذكر ما أخذ عليهم يعني أهل الكتاب وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه يعني بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم واقرارهم به على أنفسهم فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله * وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضا وأخذ الانبياء على أممها وتباعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به لان الانبياء عليهم السلام بذلك أرسلت الى أممها ولم يدع أحد ممن صدق المرسلين أن نبيا أرسل الى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحججه في عباده بل كلها وان كذب بعض الامم بعض أنبياء الله بجحودها نبوته مقرة بان من ثبتت صحة نبوته فعليها الدينونة بتصديقه فذلك ميثاق مقر به جميعهم ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق انما اخذ على الامم دون الانبياء لان الله عز وجل قد أخبر أنه قد أخذ ذلك من النبيين فسواء قال قائل لم يأخذ ذلك منها ربها أو قال لم يأمرها بابلاغ ما أرسلت وقد نص الله عز وجل انه أمرها بتبليغه لانهما جميعا خبران من الله عنها أحدهما انه أخذ منها والآخر منهما انه أمرها فان جاز الشك في أحدهما جاز في الآخر وأما ما استشهد به الربيع بن أنس على أن المعنى بذلك أهل الكتاب من قوله لتؤمنن به ولتنصرنه فان ذلك غير شاهد على صحة ما قال لان الانبياء قد أمر بعضها بتصديق بعض وتصديق بعضها بعضا نصرة من بعضها بعضا ثم اختلفوا في الذين عنوا بقوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقال بعضهم الذين عنوا بذلك هم الانبياء أخذت مواثيقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن ينصروه وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله وقال آخرون هم أهل الكتاب أمروا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعثه الله وبنصرته وأخذ ميثاقهم في كتبهم بذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضا عمن قاله وقال آخرون ممن قال الذين عنوا باخذ الله ميثاقه منهم في هذه الآية هم الانبياء قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم معني به أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنا ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ثم قال ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال فهذه الآية لاهل الكتاب أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدقوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثني ابن أبي جعفر عن أبيه قال قال قتادة أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا

دينارا لجحده وخانه وقال أهل الحقيقة هي فيمن يرى شيرا من الدنيا فخرج عن عهده بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يحن بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال أمنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه وأما الاقوال فيه فقد مرت في أوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس ان القنطار ألف ومائتا أوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس أنه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه أيضا انها نزلت في الوديعة وأما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه مجتمعا معه ملازما اياه فان أنظرت وأخرت أنكر ومنهم من حمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة أصله ان الطالب للشئ يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى أمة قائمة أي عاملة بامر الله غير تاركة له وقال أبو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما أي ثابتا لا ينسخ فمعنى الآية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما لانهم يبالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف وأخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم وأموالهم روي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة أو يعلمون حرمة الخيانة أو يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون

ماذا قال تقول ليس علينا فى ذلك بأس ثال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل الهم اذا أخذوا شيئا بغير حق يأكلون أموالهم الا بطيب أنفسهم بلى قال الزجاج عندى وقف التمام ههنا لانه لمجرد نفى ماقبله أى بلى عليهم سبيل فى ذلك وما بعده استئناف وقال غيره انه يذكر فى ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفى قبله فقولهم ليس علينا جناح قائم مقام قوله نحن أحباء الله تعالى فقيل لهم ان أهل الوفاء بالعهد وأهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى فى شئ ولو أنهم أوفوا بالعهود أوفوا أول كل شئ بالعهد الذى أخذه الله تعالى فى كتابهم من الايمان بنبى آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه صلى الله عليه وسلم ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدأ والضمير فى بعهده يجوز أن يرجع الى من و يجوز أن يرجع الى اسم الله كقوله فى الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى أصلان لجميع مكارم (٢١٩) الاخلاق فالوفاء بالعهد يشتمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى يأتى بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون أن يقول يحب الموفين أو الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة فى أموال الناس والخيانة فيها لا تتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لاجرم أردفها بوعيد عليها وأيضا الخيانة فى العهود وفى تعظيم أسماء الله تناسب الخيانة فى الاموال فلاجرم قال ان الذين يشترون الآية واختلفت الروايات فى سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت فى أبى رافع ولبابة بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ماعهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم و بدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشا والمآكل التى كانت لهم على أتباعهم وقال الكلبى ان ناسا من علماء اليهود أولى فاقة أصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله فى كتابكم قالوا نعم وما تعلمه أنت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم على وأنا أريد أن أميركم وأكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ثم أتوا الى رسول الله فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما أتيناه اذا هو ليس بالنعت الذى نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذى عندنا وأخرجوا الذى كتبوا فنظر اليه كعب ففرح وأمارهم وأنفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالى فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين

كتاب الله و رسالته الى عباده فبلغت الانبياء كتاب الله و رسالاته الى قومهم وأخذوا مواثيق أهل الكتاب فى كتابهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم و يصدقوه و ينصروه وأولى الاقوال بالصواب عندنا فى تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبر من الله عز وجل عن أنبيائه انه أخذ ميثاقهم به وألزمهم دعاء أممهم اليه والاقرار به لان ابتداء الآية خبر من الله عز وجل عن أنبيائه انه أخذ ميثاقهم ثم وصف الذى أخذ به ميثاقهم فقال هو كذا وهو كذا وانما قلنا أن ما أخبر الله انه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك قد أخذت الانبياء مواثيق أممها به لانها أرسلت لتدعوا عباد الله الى الدينونة بما أمرت بالدينونة به فى أنفسها فى تصديق رسل الله على ما قدمنا البيان قبل فتأويل الآية واذكروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لمهما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندى مصدق لما معكم لتؤمنن به يقول لتصدقنه ولتنصرنه وقد قال السدى فى ذلك بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى قوله لما آتيتكم يقول لليهود أخذت ميثاق النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى ذكر فى الكتاب عندكم فتأويل ذلك على قول السدى الذى ذكرناه واذكروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة وهذا الذى قاله السدى كان تأويلا لا وجه غيره لو كان التنزيل بما آتيتكم ولكن التنزيل باللام لما آتيتكم وغير جائز فى لغة أحد من العرب أن يقال أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم بمعنى بما آتيتكم ۞ القول فى تأويل قوله (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا) يعنى بذلك جل ثناؤه واذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر فقال لهم تعالى ذكره أأقررتم بالميثاق الذى واثقتمونى عليه من انكم مهما آتاكم رسول من عندى مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وأخذتم على ذلكم اصرى يقول وأخذتم على ما واثقتمونى عليه من الايمان بالرسل التى تأتيكم بتصديق ما معكم من عندى والقيام بنصرته اصرى يعنى عهدى ووصيتى وقبلتم فى ذلك منى ورضيتموه والاخذ هو القبول فى هذا الموضع والرضى من قولهم أخذ الوالى عليه البيعة بمعنى بايعه وقبل ولايته ورضى بها وقد بينا معنى الاصر باختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول فى ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وحذفت الفاء من قوله قال أأقررتم لانه ابتداء كلام على نحو ما بينا فى نظائره فيما مضى وأما قوله قالوا أقررنا فانه يعنى به قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر فى هذه الآية أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك وبنصرته ۞ القول فى تأويل قوله (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) يعنى بذلك جل ثناؤه قال الله فاشهدوا أيها النبيون بما أخذت به ميثاقكم من الايمان بتصديق رسلى التى تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ونصرته على أنفسكم وعلى أتباعكم من الامم

يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية تصديق ذلك وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهود الله مواثيقه والايمن هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد أو وعيد أو انكار أو اقرار بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشراء بعهد الله وبأيمانهم ثمنا قليلا خمسة أنواع من الجزاء فقوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة اشارة الى أنه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب أليم اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه في الدنيا غيره (٢٢٠) فانما ذلك لسخطه عليه وقد يأمر بحجبه عنه ويقول لا أكلمك ولا أرى وجهك واذا جرى ذكره

اذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب في قوله قال فاشهدوا يقول فاشهدوا على أممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم ۞ القول في تأويل قوله (فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) يعني بذلك جل ثناؤه فمن أعرض عن الايمان برسلي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة وعن نصرتهم فأدبر ولم يؤمن بذلك ولم ينصر ونكث عهده وميثاقه بعد ذلك يعني العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه فأولئك هم الفاسقون يعني بذلك أن المتولين عن الايمان بالرسل الذين وصف أمرهم ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذا عليهم بذلك هم الفاسقون يعني بذلك الخارجون من دين الله وطاعة ربهم كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الامم فأولئك هم الفاسقون هم العاصون في الكفر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال أبو جعفر يعني الرازي فمن تولى بعد ذلك يقول بعد العهد والميثاق الذي أخذ عليهم فأولئك هم الفاسقون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع مثله وهاتان الآيتان وان كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه أشهد وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله فانه مقصود به اخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل أيام حياته صلى الله عليه وسلم عما لله عليهم من العهد في الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى تذكيرهم ما كان الله آخذا على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود وما كانت أنبياء الله عرفتهم وتقدمت اليهم في تصديقه واتباعه ونصرته على من خالفه وكذبه وتعريفهم ما في كتب الله التي أنزلها الى أنبيائه التي ابتعثهم اليهم من صفته وعلامته ۞ القول في تأويل قوله (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز من مكة والمدينة وقراء الكوفة أفغير دين الله تبغون واليه ترجعون على وجه الخطاب وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز أفغير دين الله يبغون واليه يرجعون بالياء كلتيهما على وجه الخبر عن الغائب وقرأ ذلك بعض أهل البصرة أفغير دين الله يبغون على وجه الخبر عن الغائب واليه ترجعون بالتاء على وجه المخاطبة * وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أفغير دين الله تبغون على وجه الخطاب واليه ترجعون بالتاء لان الآية التي قبلها خطاب لهم فاتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام الى غير نظيره وان كان الوجه الآخر جائزا لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحيانا على الخطاب كله وأحيانا على وجه الخبر عن الغائب وأحيانا بعضه على الخطاب وبعضه على

لم يذكره بالجميل قال في الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه فمن يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقلب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الآية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والالزام

من هذه الآية ان لا يكون الله رائيا وذلك باطل بل يجوز أن يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذي يخص الله تعالى به الغيبة
أولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز أن يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم من نفي رؤية يراه العباد أيضا وقت نفي رؤية لا يرونه حينئذ وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون ألسنتهم بالكتاب قال القفال معناه أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانهم كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيرها بحسب أغراضهم الفاسدة في الكشاف أي يقلبونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف أقول وذلك ان لي اللسان أشبه

بالتشدق والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتعريضا بانهم يعبرون عنها بالقراءة والعرب تفرق بين ألفاظ المدح والذم في الشئ الواحد لتحسبوه أي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله نفى أولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه نفى العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من أحكامه المستنبطة من الاصول ويجوز أن يراد بالكتاب التوراة فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتوراة قالوا انه من التوراة وان وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير ألفاظ التوراة أو اعراب ألفاظها فالذين أقدموا على ذلك يجب أن يكونوا طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بآية من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الهاني والكعبي بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والاصدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله وبخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله أو هو حكم من أحكامه فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه أهل الكتاب ان زعموا ان عيسى كان يدعى الالهية ويأمر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية وقيل ان أبا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا البعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن نسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان أحدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب أن لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو أرادوا أن يقولوا ذلك منعهم الله منه نظيره ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا

الغيبة فقوله تبغون واليه ترجعون في هذه الآية من ذلك وتأويل الكلام يا معشر أهل الكتاب أفغير دين الله تبغون يقول أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون وله أسلم من في السموات والارض يقول وله خشع من في السموات والارض فخضع له بالعبودية وأقر له بافراد الربوبية وانقاد له باخلاص التوحيد والالوهية طوعا وكرها يقول أسلم لله طائعا من كان اسلامه منهم له طائعا وذلك كالملائكة والانبياء والمرسلين فانهم أسلموا لله طائعين وكرها من كان منهم كارها اختلف أهل التأويل في معنى اسلام الكاره الاسلام وصفته فقال بعضهم اسلامه اقراره بان الله خالقه وربه وان أشرك معه في العبادة غيره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد وله أسلم من في السموات والارض قال هو كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قال كل آدمي قد أقر على نفسه بان الله ربي وأنا عبده ممن أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرها ومن أخلص لله العبودية فهو الذي أسلم طوعا وقال آخرون بل اسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق فاقر به ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال حين أخذ الميثاق وقال آخرون عنى باسلام الكاره منهم سجود ظله ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد في قول الله عز وجل وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال الطائع المؤمن وكرها ظل الكافر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله طوعا وكرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود الكافر وهو كاره حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود ظل الكافر وهو كاره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال سجود وجهه وظله طائعا وقال آخرون بل اسلامه بقلبه في مشيئة الله واستقادته لامره وان أنكر الوهته بلسانه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر بن عامر وله أسلم من في السموات والارض قال استقاد كلهم له وقال آخرون عنى بذلك اسلام من أسلم من الناس كرها حذر السيف على نفسه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها الآية كلها فقال أكره أقوام على الاسلام

لاذقنا ك ضعف الحياة وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لايشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو أمرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس مالم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه والحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق وما أحسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى أمره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا الكلام لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلا فقيل له ان فلانا لايحل له أن يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان لله أن يتخذ من ولد على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي أن يغل ومعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن كونوا ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد والربانيون أرباب العلم واحدها ربان وهو الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام والالف والنون كهي في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون بهذا التفسير يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل أن يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه يعني الآية ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم أمر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال أبو عبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرية تدل على الانسان الذي علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة الباء في قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم والعلم على القراءتين فعلم منه أن التعليم أو العلم أو الدراسة وهي القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضي أن يكون كونه ربانيا أمرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم ومذلك الا بان يكون علمه وتعليمه ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب

وجاء أقوام طائعين حدثني الحسن بن قزعة الباهلي قال ثنا روح بن عطاء عن مطر الوراق في قول الله عز وجل وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قال الملائكة طوعا والانصار طوعا وبنو سليم وعبد القيس طوعا والناس كلهم كرها وقال آخرون معنى ذلك ان أهل الايمان أسلموا طوعا وان الكافر أسلم في حال المعاينة حين لا ينفعه اسلام كرها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفغير دين الله تبغون الآية فاما المؤمن فاسلم طائعا فنفعه ذلك وقبل منه وأما الكافر فاسلم كارها حين لا ينفعه ذلك ولا يقبل منه حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال أما المؤمن فاسلم طائعا واما الكافر فأسلم حين رأى باس الله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقال آخرون معنى ذلك في عبادة الخلق لله عز وجل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال عبادتهم لي أجمعين طوعا وكرها وهو قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وأما قوله واليه ترجعون فانه يعني واليه يا معشر من يبتغي غير الاسلام دينا من اليهود والنصارى وسائر الناس ترجعون يقول اليه تصيرون بعد مماتكم فمجازيكم باعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته وهذا من الله عز وجل تحذير خلقه ان يرجع اليه أحد منهم فيصير اليه بعد وفاته على غير ملة الاسلام ﴿القول في تاويل قوله تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فان ابتغوا غير دين الله يا محمد فقل لهم آمنا بالله فترك ذكر قوله فان قالوا نعم وذكر قوله فان ابتغوا غير دين الله لدلالة ما ظهر من الكلام عليه وقوله قل آمنا بالله يعني به قل لهم يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله غيره ولا نعبد أحدا سواه وما أنزل علينا يقول وقل وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله فأقررنا به وما أنزل على ابراهيم يقول وصدقنا أيضا بما أنزل على ابراهيم خليل الله وعلى ابنيه اسمعيل واسحق وابن ابنه يعقوب وبما أنزل على الاسباط وهم ولد يعقوب الاثنا عشر وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وما أوتي موسى وعيسى يقول وصدقنا أيضا مع ذلك بالذي أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوحي وبما أنزل على النبيين من بعده والذي أتى الله موسى وعيسى مما أمر الله عز وجل محمدا بتصديقهما فيه والايمان به التوراة التي أتاها موسى والانجيل الذي آتاه عيسى لا نفرق بين أحد منهم يقول لا نصدق بعضهم ونكذب بعضهم

بعضهم ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله وصدقت بعضا ولكنا نؤمن بجميعهم ونصدقهم ونحن له مسلمون يعني ونحن ندين لله بالاسلام لا ندين غيره بل نتبرأ اليه من كل دين سواه ومن كل ملة غيره ويعني بقوله ونحن له مسلمون ونحن له منقادون بالطاعة متذللون بالعبودية مقرون له بالالوهة والربوبية وانه لا اله غيره وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا في ذلك فيما مضى وكرهنا اعادته

۞ القول في تأويل قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يطلب دينا غير دين الاسلام ليدين به فلن يقبل الله منه وهو في الآخرة من الخاسرين يقول من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل وذكر ان أهل كل ملة ادعوا انهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية فأمرهم الله بالحج ان كانوا صادقين لان من سنة الاسلام الحج فامتنعوا فادحض الله بذلك حجتهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال زعم عكرمة ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن المسلمون فأنزل الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فحج المسلمون وقعد الكفار حدثني المثنى قال ثنا القعنبي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن المسلمون فأنزل الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحجهم ان الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال لما نزلت ومن يبتغ غير الاسلام دينا الى آخر الآية قالت اليهود فنحن مسلمون قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر من أهل الملل فان الله غني عن العالمين وقال آخرون في هذه الآية بما حدثنا به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله ولا هم يحزنون فأنزل الله عز وجل بعد هذا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت فقال بعضهم نزلت في الحرث بن سويد الانصاري وكان مسلما فارتد بعد اسلامه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رجل من الانصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك

وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة ثم تعهدها بنظرها ولا تنفعه بثمرتها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع وفي الآية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء تأمل تفهم باذن الله ولا يأمركم من قرأ بالنصب فوجهان أحدهما أن يجعل لا مزيدة لتأكيد النفي المتقدم أي ما ينبغي لبشر أن ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالفه الى أن يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني أن يكون حرف النفي زائدا فيرجع المعنى الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين غيره صلى الله عليه وسلم كانه أخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرأ بالرفع على الاستئناف فظاهر وتنصره قراءة عبد الله بن مسعود وأن يأمركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح أيأمركم أي البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار أي أنه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسجدوا له قلت وضع الشئ ابتداء أسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل أن يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم لا يعقل أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بعبادة نفسه أول ما استنبئ فكيف يعقل أن يأمرهم بذلك بعد الفهم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى والايمان بالله (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار

فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) القراآت لما بكسر اللام حمزة والحراز الباقون بعضها آتينا كم على صيغة جمع المتكلم أبو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول أبو عمرو غير عباس وقرأ عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمزة الارض بغير الهمز روى النجارى عن ورش وروى الاصفهانى عنه بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما *
الوقوف ولتنصرنه ط اصرى ط أقررنا ط الشاهدين • الفاسقون • يرجعون • من ربهم ص منهم ج مسلمون • منه ج لعطف المختلفتين الخاسرين • البينات ط الظالمين • أجمعين • فيها ج لا ينظرون • لا للاستثناء رحيم • توبتهم ج الضالون • افتدى به ط ناصرين •

الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة

ثم ندم فارسل الى قومه سلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة قال فنزلت كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فارسل اليه قومه فاسلم حدثنى ابن المثنى قال ثنى عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة بنحوه ولم يرفعه الى ابن عباس الا انه قال فكتب اليه قومه فقال ما كذبنى قومى فرجع حدثنا أبو كريب قال ثنا حكيم بن جميع عن على بن مسهر عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال ارتد رجل من الانصار فذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرنا حميد الاعرج عن مجاهد قال جاء الحرث بن سويد فاسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحرث فرجع الى قومه فانزل الله عز وجل فيه القرآن كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم قال فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحرث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله عز وجل لاصدق الثلاثة قال فرجع الحرث فاسلم فحسن اسلامه حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق قال أنزلت فى الحرث ابن سويد الانصارى كفر بعد ايمانه فانزل الله عز وجل فيه الآيات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ثم تاب وأسلم فنسخها الله عنه فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات قال رجل من بنى عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال هو رجل من بنى عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لحق بارض الروم فتنصر ثم كتب الى قومه سلوا هل لى من توبة قال فحسبت انه آمن ثم رجع قال ابن جريج قال عكرمة نزلت فى أبى عامر الراهب والحرث بن سويد بن الصامت ووحوح بن الاسلت فى اثنى عشر رجلا رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى أهلهم هل لنا من توبة فنزلت الا الذين تابوا من بعد ذلك الآيات وقال آخرون عنى بهذه الآية أهل الكتاب وفيهم نزلت ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم فهم أهل الكتاب عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن

محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها أخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد فى القرآن اذ أخذ الله وقيل واذكروا يا أهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما أن يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه أو من اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله أما الاحتمال الاول فيؤيده ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والمأخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن على أنه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه والذى يدل على صحته ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية أما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعى فهذا على سبيل الفرض منصور والتقدير وهو انهم لو كانوا أحياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والافالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف أو أمة النبيين فقد ورد كثيرا فى القرآن لفظ النبى صلى الله عليه وسلم ويراد به الامة كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وقيل النبيون أهل الكتاب وقد ورد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة أبى وابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وأما الاحتمال الثانى فالمعنى أن الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويؤكده أنه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروى عن ابن عباس انه قيل له ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب

منصور عن الحسن فى قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم الآية كلها قال اليهود والنصارى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول فى قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم وأقروا به وشهدوا أنه حق فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسدا للعرب حين بعث من غيرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم قال هم أهل الكتاب كانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم فى كتابهم ويستفتحون به فكفروا بعد إيمانهم قال أبو جعفر وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن من أن هذه الآية معنى بها أهل الكتاب على ما قال غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر والقائلين به أعلم بتأويل القرآن وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم فى ارتداده عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الآيات ثم عرف عباده سنته فيهم فيكون داخلا فى ذلك كل من كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ثم كفر به بعد أن بعث وكل من كان كافرا ثم أسلم على عهده صلى الله عليه وسلم ثم ارتد وهو حى عن إسلامه فيكون معنيا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما بل ذلك كذلك إن شاء الله فتأويل الآية إذا كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم يعنى كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قوما جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم أى بعد تصديقهم إياه وإقرارهم بما جاءهم به من عند ربه وشهدوا أن الرسول حق يقول وبعد أن أقروا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلقه حقا وجاءهم البينات يعنى وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك والله لا يهدى القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة وهم الذين بدلوا الحق إلى الباطل فاختاروا الكفر على الإيمان وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الظلم وأنه وضع الشئ فى غير موضعه بما أغنى عن إعادته أولئك جزاؤهم يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم وبعد أن شهدوا أن الرسول حق جزاؤهم ثوابهم من عملهم الذى عملوه أن عليهم لعنة الله يعنى أن حل بهم من الله الإقصاء والبعد ومن الملائكة والناس الإيما يسوءهم من العقاب أجمعين يعنى من جميعهم لا من بعض من سماه جل ثناؤه من الملائكة والناس ولكن من جميعهم وإنما جعل ذلك جل ثناؤه ثواب عملهم لأن عملهم كان بالله كفرا وقد بينا صفة لعنة الناس الكافر فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته خالدين فيها يعنى ماكثين فيها يعنى فى عقوبة الله لا يخفف عنهم العذاب لا ينقصون من العذاب شيئا فى حال من الأحوال ولا ينفسون فيه ولا هم ينظرون يعنى ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون وذلك

ونحن نقرأ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان أحدهما أن ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد إلى الموصول فى آتيتكم محذوف وفى جاءكم ما يدل عليه لما معكم لأنه فى معنى ما آتيتكم والتقدير للذى آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر إلى تكلف الرابط أن يقال أخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وما هى المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم إلى الجواب والشرط إلى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما إلا الإيمان والنصرة فالأصح فى هذا المقام أن يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا ولهذا أدخل اللام والنون المؤكدة فى لتؤمنن ولتنصرن وأدخل اللام فى الشرط وتسمى موطئة لأنها تعين من أول الأمر أن المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم إن جواب الشرط يكون مستغنى عنه لأن جواب القسم يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه أيضا وجهان أحدهما أن تكون ما مصدرية أى أخذ الله ميثاقهم لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب والحكمة لمجئ رسول الله صلى الله عليه وسلم موافقا لكم فى الأصول لتؤمنن به لأن من يؤتى الكتاب والحكمة فإن اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الأنبياء والثانى أن تكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل أصله لمن ما أى لمن أجل ما آتيتكم أدغمت النون فى الميم فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفوا أحدها للتخفيف فيؤل المعنى إلى قراءة حمزة وفى جميع القراآت قيل لا بد من إضمار بأن يقال وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة إلى الإضمار فكأنه قيل وإذ أخذت أو أخذنا ولما فى أخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الإضمار بنوع آخر واستحسنه فى التفسير الكبير مع أنه متكلف فقال وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم إن جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم أصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف أشرفهم أو الكتاب لذوى الكتب والحكمة لغيرهم أو جعل الداعى إلى الكتاب وإلى العمل به كالذى أنزل عليه الكتاب ومن للبيان أو للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجئ إلى النبيين وإنما يجئ إلى الأمم معناه أى فى زمانكم وإن كان المراد من النبيين أولادهم أو أممهم فلا إشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته فى التوحيد والنبوات وأصول الشرائع فأما تفاصيلها وإن وقع الخلاف فيها فذلك فى الحقيقة ليس بخلاف فلأن جميع الأنبياء متفقون على أن الحق فى زمان موسى ليس إلا شرعه عليه السلام وأن الحق فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم ليس إلا شرعه عليه السلام ولو قلنا إن المراد بالرسول

محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد اما ماذكرنا أو ان نعته وصفته وأحواله مذكورة فى الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر أن المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم وقيل يحتمل أن يكون الميثاق اشارة الى ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق أنه تعالى شرح صفاته صلى الله عليه وسلم فى كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت أحواله صلى الله عليه وسلم مطابقة لما جاء فى الكتب الالهية وجب الانقياد له صلى الله عليه وسلم وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين أولادهم أو أممهم أو ميثاق النبيين من الامم أو ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم أحياء أقول والله أعلم يحتمل أن يراد بقوله ثم جاءكم المجيء فى الزمان الماضى (٢٢٦) فيكون معنى الآية ان الله تعالى أخذ ميثاقه من كل نبي أوتى كتابا وحكمة أن يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصر دينه بان يظهر حقيقته فى وقته وأنه من عند الله سبحانه وأنه موافق له فى أصول العقائد وفى قواعد مكارم الاخلاق فتكون هذه الآية تمهيدا لما يجيء بعد من قوله قل آمنا بالله الآية قال الله أو كل نبي لامته مستفهما بمعنى الامر أأقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار فى الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفى اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه وأخذتم أى قبلتم على ذلك اصرى عهدى والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها عدل أى لا يقبل ويأخذ الصدقات أى يقبلها سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار أكد ذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفى قوله وأنا معكم من الشاهدين وأنه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل أحد نفسه شاهدا على نفسه كقوله وأشهدهم على أنفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر فى الجهل به وأصله أن الشاهد هو الذى يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالشاهد للشيء المعاين له أو يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال أفغير دين الله يبغون ويحتمل أن يراد أيتولون فغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فبهذا ولان ما قبله خطاب فى أقررتم وأخذتم ولا التفات بعد قوله أولئك هم الفاسقون ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير كفروا

كله أعنى الخلود فى العقوبة فى الآخرة ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم فقال تعالى ذكره الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا يعنى الا الذين تابوا من بعد ارتدادهم عن ايمانهم فراجعوا الايمان بالله وبرسوله وصدقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم وأصلحوا يعنى وعملوا الصالحات من الاعمال فان الله غفور رحيم يعنى فان الله ان فعل ذلك بعد كفره غفور يعنى ساتر عليه ذنبه الذى كان منه من الردة فتارك عقوبته عليه وفضيحته به يوم القيامة غير مؤاخذه به اذا مات على التوبة منه رحيم متعطف عليه بالرحمة ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم عنى الله عز وجل بقوله ان الذين كفروا ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد لن تقبل توبتهم عند حضور الموت وحشرجته بنفسه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قال اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا أعداء الله اليهود كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ثم ازدادوا كفرا قال ازدادوا كفرا حتى حضرهم الموت فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت قال معمر وقال مثل ذلك عطاء الخراسانى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون وقال هم اليهود كفروا بالانجيل ثم ازدادوا كفرا حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانكروه وكذبوا به وقال آخرون معنى ذلك ان الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا لن تقبل توبتهم من ذنوبهم وهم على الكفر مقيمون ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدادوا ذنوبا وهم كفار فلن تقبل توبتهم من تلك الذنوب ما كانوا على كفرهم وضلالتهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية قال قلت ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم قال انما هم هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا ثم ازدادوا كفرا بذنوب أصابوها فهم يتوبون منها فى كفرهم حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى قال أخبرنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية عن الذين آمنوا ثم

كفروا فذكر نحوا منه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود قال سألت عن هذه الآية ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قال هم اليهود والنصارى والمجوس أصابوا ذنوبا فى كفرهم فارادوا أن يتوبوا منها وان يتوبوا من الكفر لانه يقول وأولئك هم الضالون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن داود عن أبى العالية فى قوله ان تقبل توبتهم قال تابوا من بعض ولم يتوبوا من الاصل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن داود بن أبى هند عن أبى العالية قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قال هم اليهود والنصارى يصيبون الذنوب فيقولون نتوب وهم مشركون قال الله عز وجل لن تقبل التوبة فى الضلالة وقال آخرون بل معنى ذلك ان الذين كفروا بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى بزيادتهم الكفر بما هم عليه حتى هلكوا وهم عليه مقيمون لن تقبل توبتهم ان تنفعهم توبتهم الاولى وايمانهم لكفرهم الآخر وموتهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ثم ازدادوا كفرا قال تموا على كفرهم قال ابن جريج لن تقبل توبتهم يقول ايمانهم أول مرة لن ينفعهم وقال آخرون معنى قوله ثم ازدادوا كفرا ماتوا كفارا فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم وقالوا معنى لن تقبل توبتهم لن تقبل توبتهم عند موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون أما ازدادوا كفرا فماتوا وهم كفار وأما لن تقبل توبتهم فعند موته اذا تاب لم تقبل توبته * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب فى تأويل هذه الآية قول من قال عنى بها اليهود وأن يكون تأويله ان الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه بعد ايمانهم به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بما أصابوا من الذنوب فى كفرهم ومقامهم على ضلالتهم لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التى أصابوها فى كفرهم حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم و يراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى هذه الآية بالصواب لان الآيات قبلها و بعدها فيهم نزلت فاولى ان تكون هى فى معنى ما قبلها و بعدها اذا كانت فى سياق واحد وانما قلنا معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا فى كفرهم من المعاصى لانه جل ثناؤه قال لن تقبل توبتهم فكان معلوما ان معنى قوله لن تقبل توبتهم انما هو معنى به لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده محال ان يقول عز وجل أقبل ولا أقبل فى شئ واحد واذ كان ذلك كذلك وكان من حكم الله فى عباده انه قابل توبة كل تائب من كل ذنب وكان الكفر بعد الايمان أحد تلك الذنوب التى وعد

فى الاول الى الفاسقين وفى الثانى الى جميع المكلفين والاصل أفيبتغون غير دين الله لان الاستفهام [illegible] الا أنه قدم المفعول لانه أهم من حيث ان الانكار الذى هو فائدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان أهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الآية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضى تعلقها بما قبلها فالوجه أن هذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغى والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكروا أن يفعلوا ذلك أو قرر انهم يفعلون ثم بين أن الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل وكيف لا وقد أخلص له تعالى الانقياد وخضع له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدى قدرته خاضع لجلائل قدره فى طرفى وجوده وعدمه عقلا كان أو نفسا أو روحا أو جسما أو جوهرا أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظير الآية ولله يسجد من فى السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا أو كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل أى طائعين وكارهين كقولك آتانى ركضا أى راكضا ولو قلت أتانى كلاما أى متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها فى غيره من الآلام والمكاره التى تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره وأما الكافرون فينقادون فى الدين كرها أى خوفا من السيف أو عند الموت أو نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض أقول وذلك لان السفلى ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره ولسان الصوفية من شاهد الجمال أسلم طوعا ومن شاهد الجلال أسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطرى بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبى واليه ترجعون أى الى حيث لا مالك سواه ظاهرا و باطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين أخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق كل رسول كان قبله أمر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه أما وجه التوحيد فى قل فظاهر بناء على ما قلنا وأما وجه الجمع فى آمنا فللتشريف أمته بانضمامهم معه فى سلك الاخبار عن الايمان وليعلم أن هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته أو لاجلال قدر نبيه حيث أمر أن يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه أصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان بما أنزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة أحوالها الا بالفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر

الايمان بما أنزل على مشاهير الأنبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل و [illegible] تنبيه على سوء عقيدة أهل الكتاب حيث [illegible]
بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى أنهم ليسوا من الدين في شئ حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بكل
رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد أخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وسلم بان يؤمن بكل
رسول كان قبله ولم يؤخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده فيكون في الآية دليل على أنه لا نبي بعده واعلم أن الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فيجوز أن يعدى أنزل بعلى تارة كما في هذه الآية و بعرف الانتهاء أخرى كما في البقرة فنطق القرآن بالاعتبارين جميعا وقيل عدى هنالك بالى
لمكان قولوا فان الوحي يأتي الامة بطريق الانتهاء وعدى ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول يأتيه الوحي بطريق الاستعلاء وزيف في الكشاف
بقوله تعالى وأنزلنا اليك الكتاب و بقوله (٢٢٨) آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا والانصاف أن هذا القائل لم يدع أن هذه المناسبة
يجب اعتبارها في كل موضع وانما ادعى اعتبارها في الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله أعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار أن يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شئ آخر من طلب المال والجاه بخلاف أحبار اليهود الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الآخرة من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند أهل السنة ومع أصحاب الكبائر عند المعتزلة وقد يستدل بالآية على أن الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للآية وقد ذكرنا مرارا أن النزاع لفظي
لان الاسلام ان أريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه و بين الايمان كما في هذه الآية وان اريد به الاقرار باللسان فالفرق بناء على أن الاعتقاد
القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام فقال كيف يهدي
الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل
مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية أخرى عنه نزلت في رهط كانوا
أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم أخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان
الحرث بن سويد قد أسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فنزل الله هذه الآية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن

قبول التوبة منها يقول الا الذين تابوا وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان المعنى الذى لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه واذ كان ذلك كذلك فالذى لا تقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله توبة صاحبه مما أقام على كفره لان الله لا يقبل من مشرك عملا ما أقام على شركه وضلاله فاما ان تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف به نفسه غفور رحيم فان قال قائل وما ينكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال فلن تقبل توبتهم من كفرهم عند حضور أجله أو توبته الاولى قيل أنكرنا ذلك لان التوبة من العبد غير كائنة الا في حال حياته فاما بعد مماته فلا توبة وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ولا خلاف بين جميع الحجة في ان كافرا لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين ان حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة وسائر الاحكام غيرها فكان معلوما بذلك ان توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة لم ينتقل حكمه من حكم الكفار الى حكم أهل الاسلام ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز ان يقال لا يقبل الله فيها توبة الكافر فاذا صح انها في حال حياته مقبولة ولا سبيل بعد الممات اليها بطل قول الذى زعم انها غير مقبولة عند حضور الاجل وأما قول من زعم ان معنى ذلك التوبة التى كانت قبل الكفر فقول لا معنى له لان الله عز وجل لم يصف القوم بايمان كان منهم بعد كفر ثم كفر بعد ايمان بل انما وصفهم بكفر بعد ايمان فلم يتقدم ذلك الايمان كفر كان للايمان لهم توبة منه فيكون تأويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك وتأويل القرآن على ما كان موجودا في ظاهر التلاوة اذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص أولى من غيره وان أمكن توجيهه الى غيره وأما قوله وأولئك هم الضالون فانه يعنى بذلك وهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين أضلوا سبيل الحق فاخطؤا منهجه وتركوا نصف السبيل وهدى الله الذى أخبرهم عنه فعموا عنه وقد بينا فيما مضى معنى الضلال بما فيه الكفاية ❁ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا أى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم وماتوا وهم كفار يعنى وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة في الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ولا جعل على العفو عنه ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الارض من مشرقها الى مغربها فرشا وجزاء على ترك عقوبته وفي العفو عنه على كفره عوضا مما الله محل به من عذابه لان الرشا انما يقبلها من كان ذا حاجة الى ما رشى فاما من له الدنيا والآخرة فكيف يقبل الفدية وهو خلاق كل فدية افتدى بها مفتد عن نفسه أو غيره وقد بينا ان معنى الفدية العوض والجزاء

والجزاء من المفتدى منه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ثم أخبر عز وجل عما لهم عنده فقال أولئك يعنى هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار لهم عذاب أليم يقول لهم عند الله فى الآخرة عذاب موجع وما لهم من ناصرين يعنى وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره فيستنقذه من الله ومن عذابه كما كانوا ينصرونه فى الدنيا على ما حاول أذاه ومكروهه وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم قال فيقال لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك فذلك قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا قال هو كل كافر ونصب قوله ذهبا على الخروج من المقدار الذى قبله والتفسير منه وهو قوله ملء الارض كقول القائل عندى قدر زق سمنا وقدر رطل عسلا فالعسل تبين به ما ذكر من المقدار وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه وأما نحوى البصرة فانهم زعموا انه ملء لاشتغال الملء بالارض ومجىء الذهب بعدهما فصار نصبها نظير نصب الحال وذلك ان الحال يجىء بعد فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذى يأتى بعد الفعل الذى شغل بفاعله قالوا ونظير قوله ملء الارض ذهبا فى نصب الذهب فى الكلام لى مثلك رجلا بمعنى لى مثلك من الرجال وزعموا ان نصب الرجل لاشتغال الاضافة بالاسم فنصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل وأدخلت الواو فى قوله ولو افتدى به لمحذوف من الكلام بعده دل عليه دخول الواو كالواو فى قوله وليكون من الموقنين وتأويل الكلام وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والارض فكذلك ذلك فى قوله ولو افتدى به ولو لم يكن فى الكلام واو لكان الكلام صحيحا ولم يكن هنالك متروك وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو افتدى به ۞ القول فى تأويل قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) يعنى بذلك جل ثناؤه لن تدركوا أيها المؤمنون البر وهو البر من الله الذى يطلبونه منه بطاعتهم اياه وعبادتهم له ويرجونه منه وذلك تفضله عليهم بادخالهم جنته وصرف عذابه عنهم ولذلك قال كثير من أهل التأويل البر الجنة لان بر الرب بعبده فى الآخرة اكرامه اياه بادخاله الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فى قوله لن تنالوا البر قال الجنة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فى قوله لن تنالوا البر قال البر الجنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد

اليه رجل من قومه فقرأ هن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله أصدق الثلاثة ثم رجع فأسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة فى الآيات أصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الآية بشئ آخر سوى نصب الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التى يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى أو المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار وقال أهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله فى باب التكليف وفى دار العمل أن كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه عقب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وأرادوه وقال أهل التحقيق كيف يهدى الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل اذ هو فى تقدير ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق وأكن ويجوز أن يكون الواو للحال باضمار قد أى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الآية يؤل الى أنه تعالى لا يهدى قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بأن الرسول حق فى نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هى الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدى القوم الظالمين الواضعين للشئ فى غير موضعه وذلك أن الخصال الثلاث أعنى الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبى المبعوث فى آخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على أن زلة العالم أقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح فى آخر الآية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك فى أول الآية ثم أردفه بغاية الوعيد قائلا أولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله فى البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفى التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال وأصلحوا أى باطنهم مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وأظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو أو غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا الازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفره وهو المراد فى الآية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل

أنهم أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه في كل وقت وإنكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تغليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الآية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى في هذه الآية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وأيضا ثبت بالدليل أن التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة (٢٣٠) للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن وقيل هي محمولة على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضي والقفال وابن الانباري هي من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد أنه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد أن التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه أقول ويحتمل أن يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر مايتون عن الكفر لما في فعلهم من قساوة القلوب والافضاء الى الرين وانجراره الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين أما على تقدير التعميم فنقول انما جعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية حينئذ لا تكون كلية فكم من مرتد أو يهودي مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى برز الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم أن ذكر اللازم وارادة الملزوم وأنه لا بد للعدول من فائدة فصح أن بين فائدة العدول على وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وابرازهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الاحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل أنه كأنه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم أن لا تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بتقديم التوبة * واعلم أن الكافرين على ثلاثة أقسام * أحدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سبق لاجله الآية التي ردفها

ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لن تنالوا البر أما البر فالجنة فتأويل الكلام لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم حتى تنفقوا مما تحبون يقول حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يقول لن تنالوا بر ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ومما تهوون من أموالكم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر بن عباد عن الحسن قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال من المال وأما قوله وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم فانه يعنى به ومهما تنفقوا من شئ فتتصدقوا به من أموالكم فان الله تعالى ذكره بما يتصدق به المتصدق منكم فينفقه مما يحب من ماله في سبيل الله وغير ذلك عليم يقول هو ذو علم بذلك كله لا يعزب عنه شئ منه حتى يجازى صاحبه عليه جزاءه في الآخرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم يقول محفوظ لكم ذلك الله به عليم شاكر له وبنحو التأويل الذى قلنا تأول هذه الآية جماعة من الصحابة والتابعين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعرى أن يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فقال ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وهي مثل قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله سواء حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدى عن حميد عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وهذه الآية من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال أبو طلحة يا رسول الله حائطي الذى بكذا وكذا صدقة ولو استطعت ان أجعله سرا لم أجعله علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها في فقراء أهلك حدثني المثنى قال ثنا أحمد بن المنهال قال ثنا حماد بن ثابت عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال أبو طلحة يا رسول الله ان الله يسألنا من أموالنا اشهد انى قد جعلت أرضى باريحا لله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها في قرابتك فجعلها بين حسان بن ثابت وأبي بن كعب حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا ليث عن ميمون بن مهران ان رجلا سأل أبا ذر أى الاعمال أفضل قال الصلاة عماد الاسلام والجهاد سنام العمل والصدقة شئ عجب فقال يا أبا ذر لقد تركت شيأ هو أوثق عملي في نفسي لا أراك ذكرته قال ما هو قال الصيام فقال قربة وليس هناك وتلا هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حدثني يونس قال أخبرنا

ابن

ابن وهب قال أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي حسين عن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بفرس له يقال لها سبل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما أردت ان أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وغيره انها حين نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها اسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال أما ان الله قد قبلها

(تم الجزء الثالث من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الرابع أوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل)

الاستثناء *وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه *وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الآية الاخيرة وملء الشيء قدر ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وربما يقال على التفسير ومعناه أن يكون الكلام تاما الا أنه يكون مبهما كقولك عندي عشرون عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل ان يعلم أن الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا ترك كما في الآية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فبماذا يجيبون ولعل عقيدتهم في أمثال هذه المواضع أنها من الاسئلة المتقلبة وهو وهم والسر في التخصيص هو أنه لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تأكيدا للزوم وتغليظا في الوعيد والله أعلم أما الواو في قوله ولو افتدى به فانما تشبه عطف الشيء على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر أقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد أي مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله كأنه يراد به في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا أي أنت وذلك ان المثلين يقوم أحدهما مقام الآخر في أغلب الامور فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من المعلوم أن الكافر لا يملك يوم القيامة شيأ وبتقدير أن يملك فلا نفع في الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب أنه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن أعز الاشياء والمراد أنه لو قدر على أعز الاشياء وفرض أن في بذله نفعا للآخذ وأن المبذول في غاية الكثرة لعجز أن يتوصل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب ربه ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين قال أهل التحقيق ومن تأمل ما قالوه بهم أولئك لهم عذاب أليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبي الله ونعم الوكيل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم)

الابهام المتعذرمعه التمليك كما مر كان قياسه الاعراض عن التكلف فى صرف أوعن ظاهرها فى مثل
ذلك من التخيير أونحوه كما سيتضح والاخذ بظاهرها المقتضى للابهام المتعذرمعه التمليك أيضا على أن
تجويز الاضراب فى صورة السؤال فى غاية البعد اذالعادة قاضية باحالة أن الانسان يقصد الاضراب
عن اعطاء عقبه والحكم باعطاء عقب غـيره على أنه ممتنع صناعة لانها اذا أتت للاضراب لايكون
بعـدها الا الجمل ولا تكون حينئذ حرف عطف بل حرف استئناف قاله الرضى وكذلك التقسيم لانه
يستدعى سبق مقسم سابق حتى تكون أو مقسمة له الى جزئياته أو أجزائه فلم يبق الا احتمال كونها
لمطلق الجمع كالواو وقدمر امتناع الحمل عليه لانه خلاف الظاهر من معانيها ولم تقم عليه قرينة قوية
حتى تكون مقوية للعمل عليه وبما تقرر علم أن هذا المعنى هو الذى يحتاج عنه ٧ بخلاف التقسيم
والاضراب لما تبين من استحالتهما وبخلاف نحو التخيير والشك فان هذه تقتضى ماقلناه من البطلان
فلم يبق من معانيها مايحوج للجواب عنه غير احتمال كونها لمطلق الجمع وقد علمت مما تقرر الجواب
عنه بانه خـلاف الظاهر من معانيها لندرته وعدم تبادره منها ولم تقم عليه قرينة قوية حتى تكون
مرجحة للعمل عليه ويأتى عنه جواب آخر ثانيهما انالانسلم أن أو موضوعة بطريق الاصالة والحقيقة
المتبادرة لكل مماذكر من المعانى السابقة التى من جملتها كونها لمطلق الجمع ففى الكشاف أوائل
البقرة أوفى أصلها موضوعة لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير
الشك ثم أوضحه بالتمثيل له وحاصله أن معناها الحقيقى الشك وان كلا من التخيير والاباحة معنى مجازى
لها وأنها تستعمل فى غير الخبر بالمعنى المجازى فقط وفى الخبر به وبالحقيقى أيضا وفى المفصل ان كلمة أو
لاحد الامرين مطلقا وهوصريح فى أن معناها هذا يعم جميع مواردها فى الانشاء والاخبار وفى ان أو
للتشكيك والابهام والتخيير والاباحـة ليس شئ منها داخـلا فى مفهومها بل يستفاد من مواقعها فى
الكلام باعتبار السياق وقرائن الاحوال وما اختاره فى الكشاف مبنى على تبادر الشك منها فى الخبر
ويوافق ماتقرر فى معنى كلام المفصل قول السعد التفتازانى فى التلويح فى نحو جالس الحسن أو ابن
سيرين الاباحة والتخيير قد يضافان الى صيغة الامر اى لان صيغة الامر قد تأتى للاباحة كما فى قوله تعالى
واذاحللتم فاصطادوا وقد يضافان الى كلمة أو والتحقيق أن كلمة أو لاحد الامرين أو الامور وان جواز
الجمع وامتناعه انما هو بحسب محل الكلام ودلالة القرائن اه وقد حرر ذلك الرضى أتم تحرير فقال
وقالوا ان أو اذا كان فى الخبر ثلاثة معان الشك والابهام والتفصيل واذا كان فى الامر فمعنيان
التخيير والاباحة الشك اذا أخبرت عن أحد الشيئين ولا تعرفه بعينه والابهام اذا عرفته بعينه وتقصد
أن تبهم الامر على المخاطب ثم قال والتفصيل اذا لم تشك ولم تقصد الابهام على السامع كقولك هذا
اما أن يكون جوهرا أو عرضا اذا قصدت الاستدلال على أنه جوهر لاغير أو على أنه عرض لاغير
أوعلى أنه لاهذا ولا ذاك وأما فى الامر فان حصل للمأمور بالجمع بين الفعلين فضيلة وشرف فى الغالب
فهى للاباحـة نحو تعلم الفقه أو النحو والا فهى للتخيير نحو أضرب زيدا أو عمرا و الفرق بينهما
أن الاباحة يجوزفيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على أحدهما وفى التخيير يتحتم أحدهما ولا يجوز
الجمع هذا ماقيل وينبغى أن يعرف ان جواز الجمع بين الامرين فى نحو تعلم العلم اما النحو أو الفقه لم
يفهـم من اما واو بل ليستا الا لاحد الشيئين فى كل موضع وانما استفيدت الاباحة مما قبـل
العاطفة وما بعدها معا لان تعلم العلم خير وزيادة الخير خير بدلالة أو واما فى الاباحة والتخيير والشك
والابهام والتفصيل على معنى أحد الشيئين أو الا ... تعرض فى الكلام
لامن قبل أو واما بل من قبل أشياء أخر ... ده الى التفصيل
والابهام والتفصيل من حيث قصده ا... فضيلة والتخيير

بانه متى لم تعرف الزائدة منهن
وجب فيها ثلث الدية فقد
قالوا ماوجبت فيـه الدية
وهو ثنـائى كاليـدين
والرجلـين ففى الواحـدة
منـه نصف الدية أوثلاثى
كالانف ففى الواحدة منـه
ثلثها أو رباعى كالاجفان
فربعها وقالوا لو انقسمت
أصبع بأربع أنامل وجب
فى كل واحدة ربع العشر
و يقاس بهذه النسبة الزائدة
على الاربع والناقصة عن
الثلاث ثم قالوا فان قيل لم
يقسموا دية الاصابع عليها
اذا زادت أو نقصت كما فى
الانامـل بل أوجبوا فى
الاصبع الزائدة حكومة قلنا
الفـرق أن الزائدة من
الاصابـع متميـزة ومن
الانامل غيرمتميزة اه فان
قيل ماذكرته فى مسـئلة
الاعين يخالف ماقالوه من
أن من له عينان أوشمالان
أو منكب أوكفان على
معصم واستويا بطشا
وغيره أنهما كيد واحـدة
فعلى قاطعهما القصاص أو
الدية وتجب مع ذلك حكومة
لزيادة الصورة وفى قطـع
أحدهما نصف دية اليـد
وحكومـة لانها نصف فى
صورة الكل قلت الفـرق
بينهما رجوع الثنتين فى
هذه المسئلة الى أصل واحد

CHECKED

من حيث لايحصل به ذلك ثم بين أنها في الاستفهام لاتحتمل شيأ من المعاني المذكورة وفي التمني يجوز فيه الجمع وفي التحضيض والعرض كالامر في الاباحة والتخيير بحسب القرينة قال ولما كثر استعمال أو في الاباحة التي معناها جواز الجمع جاز استعمالها بمعنى الواو ثم قال بعد أمثلة ذكرها فلفظة أو في جميع الامثلة موجبة كانت أولا مفيدة لاحد الشيئين أو الاشياء ثم قال فلم تخرج أو عن معنى الوحدة التي هي موضوعة له اه واذا تاملت كلامه هذا الموافق لما مر عن التلويح والمفصل من أن أو انما هي موضوعة في كل موضع من مواضعها بطريق الحقيقة لمعنى الوحدة فهي لاحد الامرين أو الامور وجواز الجمع وامتناعه انما هو بحسب محل الكلام ودلالة القرائن كما بينه الرضي بما لامزيد عليه في التحقيق كما يظهر بتأمله علمت اتجاه ماقلناه من أن أوصيت بهذا لزيد أو عمرو باطل كقوله لاحد هذين لما تقرر من أن معنى أو ومعنى أحد متقاربان بل متحدان باعتبار الاصل في أو واذا بان أن قوله فالوصية بها لعقبي أو عقبه لغو باطل لما تقرر بان أن قوله فان انقرضوا فالمرجع خزانة المغاربة باطل أيضا لان المفرع على الباطل باطل ويؤيد ذلك قول الشيخين وغيرهما بناء على أنه يشترط لصحة الوقف قبول البطن الاول من الموقوف عليهم فان رد البطن الاول بطل الوقف قطعا كالوصية والوكالة اه وأيضا فالمعطوف على الباطل باطل كما صرحوا به ومن ثم لو قال نساء العالمين طوالق وأنت يازوجتي طالق لم يقع عليه طلاق فكذلك قوله فان انقرضوا الخ اما مفرع أو معطوف على ماقبله وهو باطل فيكون هو باطلا أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم (وسئل) عما اذا كان لايتام قاصرين مال صار اليهم من والدهم ولم يكن لهم حاجر شرعي بوصاية من والدهم ولا باقامة من حاكم شرعي فباع ذلك عنهم أخوهم الاكبر المتولي لامرهم الذاب عنهم بطريق الحماية والرعاية والكفالة والحنو والشفقة واشترى ذلك منه انسان آخر بثمن اتفقا عليه واعترف البائع المشار اليه عند الاشهاد عليه بالبيع المذكور بانه قبض الثمن من المشتري بتمامه وكماله من غير حيلة في ذلك قبضا صحيحا شرعيا مبرئا لذمة المشتري من جميع الثمن ومن كل جزء منه براءة صحيحة شرعية براءة قبض بطريق الوصاية الشرعية على اخوته المذكورين من والدهم و بان الثمن المعقود به ثمن المثل لذلك و بان للايتام المذكورين الحظ والمصلحة والغبطة في بيع ذلك بالثمن المذكور حسبما اعترف البائع المذكور بذلك رعاية لما يظهر به صحة البيع المذكور كما جرت عادة الموثقين باستدعاء مثل ذلك وتسطيره في الوثائق رعاية لما سبق ذكره وثبت ذلك عند حاكم شرعي شافعي وحكم بموجبه ثم توفي المشتري عن ورثة مستوعبين لميراثه شرعا ثم ادعى الايتام المبيوع عليهم بعد بلوغهم ورشدهم ان البيع المذكور ليس بصحيح وطالبوا ورثة المشتري بالمبيع المذكور لكون البيع وقع من غير ثبوت مسوغاته الشرعية التي منها كون البائع وصيا أو قيما ومنها وجود الحظ والمصلحة لهم في ذلك ومنها أن الثمن ثمن المثل لذلك وانما عول في ذلك كله على اعتراف البائع به على الصورة المشروحة أعلاه ولم يصدر اذن من حاكم شرعي في بيع ذلك فهل دعوى الايتام ومطالبتهم بما ذكر مسموعة أم لا وهل يكفي لصحة البيع المذكور اعتراف البائع بالمسوغات المذكورة أم لا واذا لم تجد ورثة المشتري بينة شرعية تشهد بان البائع كان حين البيع وصيا أو قيما وبوجود بقية المسوغات الشرعية اذ ذاك فهل يتبين بطلان البيع وبقاء المبيع في ملك الايتام واستحقاقهم لانتزاع ذلك من ورثة المشتري أم لا واذا تبين ذلك وانتزع الا [illegible] الطريق الشرعي بمسطور وأراد ورثة المشتري الرجوع بالثمن على [illegible] ة البيع وطالبوا بالثمن فادعى البائع ان اعترافه بقبض الثمن [illegible] ى لم يدفع له شيأ من الثمن وان الثمن

بخلاف مسئلتنا (سئل) عمن وجب عليه حد لله تعالى أو لآدمي واستوفي منه هل يطالب به في الآخرة أم لا (فاجاب) بانه لا يطالب به في الآخرة (سئل) عما لو حث كلبا على شخص فقتله هل يجب على الحاث الضمان بالقصاص أو الدية سواء كان المقتول بافتراس الكلب له بالعا أم لا (فاجاب) بانه ان كان الكلب ضاريا بطبعه وجب على الحاث القصاص (سئل) عمن قطع أذن انسان فذهب معها السمع وقلتم بان فيها دية كاملة فهل يكون حكم العين مع جفونها كذلك أم لا (فاجاب) بانه ليس حكم الاذن مع السمع كحكم العين مع البصر (سئل) عن معنى قولهم السحر في اللغة صرف الشيء عن وجهه (فاجاب) بأن معناه ظاهر فان المسحور يصير بسبب السحر كالمجبر الى فعل ماسحر لاجله (سئل) عن المدعى عليه بجناية أنه جنى على حامل بعر فالقت جنينها وأنكر هل يحلف خمسين يمينا وان انفصل ميتا (فاجاب) بان المدعي يحلف خمسين يمينا ان انفصل ميتا

باق فى ذمة المشترى الى الآن فهل دعواه بذلك مسموعة لتحليف ورثة المشترى أم لا واذا قلتم نعم فهل يقبل جواب ورثة المشترى عن ذلك بان الايتام لايستحقون علينا شيأ من هذا الثمن أولا نعلم استحقاقهم علينا بشئ من هذا الثمن أو أن مورثنا توفى ولم يبق فى ذمته شئ من هذا الثمن والحال أنهم يصدقون على شراء مورثهم للمبيع المذكور من البائع المذكور بالثمن المذكور واذا قلتم لايقبل ذلك منهم فماذا يكون كيفية يمين ورثة المشترى المترتبة على الدعوى المذكورة وهل هى على البت بان اعتراف البائع بالقبض كان بعد وجود حقيقة قبضه للثمن أو بان مورثهم دفع الثمن كله للبائع أو هى على نفى العلم أى بانهم لايعلمون أن الاعتراف عن غير حقيقة القبض أو لايعلمون بقاء الثمن فى ذمة مورثهم وما حكم الله فى ذلك كله على مذهب الحاكم الشافعى المثبت لمضمون المكتوب المذكور أفتونا مأجورين وابسطوا لنا الجواب وأوضحوه أثابكم الله الجنة آمين (فاجاب) بقوله أما دعوى الايتام المذكورين ومطالبتهم بما ذكر فممنوعة ولا يكفى لصحة البيع المذكور اعتراف البائع بالمسوغات المذكورة بل لابد من ثبوتها باقامة بينة تشهد بجميعها مفصلة من أن البائع وصى أو قيم من جهة حاكم شرعى وان البيع بثمن المثل وان فيه مصلحة للمحجور عليه ولا بد من بيان الشاهد لوجه المصلحة الا أن يكون فقيها موافقا للقاضى على الاوجه أو باعتراف المدعين بعد بلوغهم ورشدهم بجميع ماذكر فان وجدت بينة أو اعتراف كما ذكر فالبيع صحيح والا فهو باطل ولا نظر لحكم القاضى المذكور فى السؤال لانه انما حكم بموجب ماثبت عنده من اقرار البائع وموجبه الصحة ان ثبت ماذكرناه والا فالبطلان واذا بان بطلان البيع فالمبيع باق على ملك الايتام فينزعونه من ورثة المشترى ويرجعون عليهم بارش عيب حدث فى المبيع بعد قبض مورثهم الى حين انتزاعه منهم وباجرة المبيع تلك المدة ان صلح أن يؤجر وان لم يستعمل ولا كان معدا للاستعمال وبأقصى ما تلف منه فى تلك المدة بزوائده المنفصلة كالولد واللبن وغيرهما ولا رجوع للورثة على الايتام بما انفقوا على المبيع نعم يرجعون على البائع بما غرموه للايتام من أجرة منافع وفوائد لم يستوفوها هم ولا مورثهم بخلاف ماغرموه من بدل مااستوفوه منها فلا رجوع لهم به على أحد لان منفعته عادت اليهم ولانهم المباشرون لاتلافه ثم بعد انتزاع المبيع من ورثة المشترى بالطريق الشرعى الذى تقرر للورثة الرجوع على البائع بالثمن الذى اعترف بقبضه من مورثهم وأما اذا صدق الايتام على صحة البيع وأن البائع وليهم فيقبل اقراره عليهم بقبض الثمن فيرجعون به عليه لا على ورثة المشترى ولا يقبل قوله بالنسبة اليهم لم يكن اقرارى عن حقيقة كما هو ظاهر وفى الصورتين تقبل دعواه على ورثة المشترى بما ذكر فى السؤال لتحليفهم ... ماذكر فى السؤال من أنه أقر بقبض الثمن بكماله من غير حيلة فى ذ... ى من جميع الثمن ومن كل جزء منه الى آخر ماذكر فى

... معناه فلا تقبل دعواه عليهم

... العادة جرت بان الوثائق

... لخ لتحليفهم لانه لايعتاد

... كانت ممكنة لمخالفتها العادة

... ن لان ذلك لايعتاد أى وان كان

... غيره من أن من أقر بقبض ثم قال أقررت

... ذكر لاقراره تأويلا ولو كان الاقرار بذلك بعد

... نه لا يكاد يقر عند القاضى الا عن تحقيق لشمول

(باب دعوى الدم والقسامة)

(سئل) عما اذا ثبت اللوث فى أهل قرية هل يشترط فيه عدم مخالطة غيرهم كما نقل عن الام وفى شرح مسلم أنه المذهب وفى المهمات أنه الذى عليه الفتوى وصوّبه وقال البلقينى انه المذهب المعتمد وجزم به فى الروض أو عدم مساكنتهم كما صححاه فى الروضة وأصلها وتبعهما جماعة من المتأخرين كصاحب الانوار وابن الملقن والدميرى وغيرهم وما المعتمد منهما وهل يشترط أن لايكون هناك طريق أولا (فاجاب) بان المعتمد الثانى و يشترط أن لا يكون هناك طريق

(سئل) عما لو شهد انسان بلوث وهو يعلم الخطأ وشبه العمد والعمد وقال فى شهادته بذلك قتله عمدا فهل يكفى ذلك أم لا بد من تفصيله (فاجاب) بانه تكفى الشهادة المذكورة

(كتاب البغاة)

(سئل) رحمه الله عن الباغى يخرج بتأويل هل يحرم عليه ذلك أولا (فاجاب) بان البغى ليس بحرام لان الباغى انما خالف بتأويل جائز باعتقاده ومن صرح

الامكان اذ ذاك هذا كله ان كانت العادة ماذكرته من أن الاقرار بهذه الصيغة لايقع مع عدم مطابقته لما في نفس الامر فان ثبت أنه معتاد قبلت دعواه التحليف ولو مع هذه الالفاظ أما اذا لم يشهد الشهود على المقر بانه تلفظ بهذه الالفاظ فلاعبرة بوقوعها في خطهم وتقبل دعوى المقر له لتحليف الوارث مطلقا ثم لابد في جوابهم وحلفهم من مطابقتهما للدعوى فان كانت بصيغة ان اقراري بالقبض باطل كان الحلف بصيغة ان اقراره بالقبض صحيح أو بصيغة ان المشترى لم يدفع لى شيأ من الثمن كانت اليمين بصيغة ان مورثى دفع لك الثمن جميعه أو بصيغة انكم تعلمون ان اقراري لم يكن عن حقيقة كانت اليمين بصيغة لانعلم ان اقرارك عن غير حقيقة ويقاس بما ذكر من الصور ما في معناها وأصل ذلك قول الاصحاب لابد في اليمين والجواب من مطابقتهما الدعوى وقولهم ان اليمين في كل اثبات وفي كل نفى فعل من نفسه أو مملوكه الذى في يده يكون على البت وفي نفى فعل غيره يكون على نفى العلم اه و بما تقرر يعلم الجواب عن جميع ماذكر في السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم (وسئل) عمن قرأ وهلل وأذن لآخر أن يدعو الله أن يوصل ثواب ذلك الى فلان ما الحكم حينئذ أو قرأ ودعا بايصال ثواب ذلك لحي ما حكمه وما حقيقة الثواب الواصل للميت (فاجبت) بقولي الدعاء للغير الحي أو الميت بثواب الداعي أوغيره الآذن له لاينبغي فان ثواب الانسان لاينتقل عنه الى غيره بالدعاء فيكون الدعاء بذلك مخالفا للواقع وهو ممتنع أما الدعاء بحصول مثل ذلك الثواب للغير فلا بأس به لانه من الدعاء للاخ المسلم بظهر الغيب والاحاديث دالة على قبوله بهذا وغيره مع أنه ليس فيه محذور فلم يكن لامتناعه وجه بل لو ذكر الداعي الثواب ومراده مثله لم يكن فيه امتناع أيضا لان اضمار مثل في نحو ذلك سائغ شائع ذائع ومن ثم لو قال أوصيت لفلان بنصيب ابني صح وأعطى مثل نصيب ابنه بشرط رعايته لمعنى المثلية المتبادر في مثل ذلك وحقيقة الثواب الواصل للميت هي كل ملائم واصل للروح من نعيمها بالمعارف الالهية والمواهب الاختصاصية والتمكن من دخول الجنة والتملي بما شاهدته منها ومجيء رزقها اليها على باب الجنة أوفيها وهي بقباب نحو اللؤلؤ أو بخيامه أو بأجواف طير خضر أوغير ذلك بحسب تفاوت المقامات والعنايات ثم المتنعم بهذا النعيم الارفع الاوسع الا كمل الافضل هو الروح بطريق الذات وأما الجسد فهو وان كان بالبرزخ يحصل له بعض آثاره لانه فيه يحس بالنعيم وضده فللروح من الثواب أعلاه وللجسد منه أدناه وسره أن حقيقة المعرفة والتوحيد وسائر الطاعات الباطنة والمدار ليس الاعليها انما ينشأ عن الروح فاستحقت أكمل الثواب وأفضله وأما غير ذلك من الطاعات الظاهرة فهو بالنسبة اليه كالتبع والقائم به البدن فاستحق من الثواب أدناه ولا يستبعد ادراكه له مع كونه جماد الاروح فيه لانه ليس كالجماد من كل وجه بل له نوع ادراك لان الروح وان كانت [illegible] عنه اذ أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الكفار في سجين لكن لها اتصال بالبد[illegible] ولها اتصال وشعاع وانارة ونفع عام بالارض [illegible] الاتصال [illegible] [illegible]
احساس وادراك فاحس
صورته قد وقع الطاعو[illegible]
فهل هو عدوى أم لا وانا رأ[illegible]
الزيادة منكم فالمسؤل منكم أن [illegible]
حتى نعظ به أهل البلد والمسؤل منكم بسط ذلك
الطاعون وما يتعلق به كثير ومن ثم أفرد بتآليف
الكلام على حقيقته وقد صح عن الصادق المصدق

بتحريمه للاحاديث الواردة في ذمه فكلامه محمول كالاحاديث على من خرج عن الطاعة بلا تأويل أو بتأويل فاسد

(كتاب الردة)

(سئل) عمن أمر بالمعروف أونهى عن المنكر فقال له انسان أنت شرير أو كثير الشر أو ادخل الجنة واقفلها وراءك أو مالك وهذا الفضول أو مالك في شئ لايعنيك أونحو ذلك هل يكفر أولا وقد ذكر الحصني في شرح النهاية أنه لوقيل لشخص لم لاتأمر فقال مالي ولهذا الفضول كفر ولم يعزه لاحد من الاصحاب لكن مثل ذلك لايقال من قبل الرأي (فاجاب) بانه لايكفر ذلك الانسان بشئ من الالفاظ المذكورة الا باللفظ المذكور في مسئلة الحصني رحمه الله ومحلها اذا قصد به الاستخفاف بحكم الشرع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والا فلا يكفر (سئل) عمن قال ان الله في جهة هل هو مسلم وان لزمه التجسيم لان لازم المذهب ليس بمذهب أم لا (فاجاب) بان القائل المذكور مسلم وان كان مبتدعا (سئل) عن رجل قال لآخر

والطاعون فقيل يارسول الله الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة وفي رواية وهو شهادة للمسلم وورد عن عائشة رضي الله تعالى عنها بسند حسن سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال غدة كغدة الابل المقيم فيها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف وفي رواية شبه الدمل يخرج في الآباط والمراق وفيه تزكية أعمالكم وهو لكل مسلم شهادة وفي أخرى الطاعون شهادة لامتي و وخز أعدائكم من الجن يخرج في الآباط والمراق الفار منه كالفار من الزحف والصابر فيه كالمجاهد في سبيل الله وكونه يخرج في الآباط والمراق هو الغالب فلذلك اقتصر صلى الله عليه وسلم عليهما وقد يخرج في الايدي والاصابع كما وقع لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه انه لما روى حديث الطاعون دعا لنفسه ولاهل بيته بالحظ الاوفر منه فطعنوا وماتوا وطعن هو في أصبعه السبابة فكان يقول مايسرني ان لي بها حمر النعم ومن ثم قال النووي في تهذيبه الطاعون مرض معروف وهو بثر و ورم مؤلم جدا يخرج منه لهيب ويسود ماحواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء و يخرج في المراق والآباط غالبا اه وقال محققو الاطباء الطاعون مادة سمية تحدث ورماقتالا لايحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن وأغلب مايكون تحت الابط وخلف الاذن أو عند الارنبة وسببه دم رديء مائل الى العفونة والفساد فيستحيل الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير مايليه ويؤدي الى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغشيان والغشي والخفقان وهو لرداءته لايقبل من الاعضاء الا ما كان أضعف بالطبع وأردؤه مايقع في الاعضاء الرئيسة والاسود منه قل من يسلم منه وأسلمه الاحمر ثم الاصفر وتكثر الطواعين عند الوباء وفي البلاد الوبية ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وعكسه وأما الوباء فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده اه وبه يعلم أن الطاعون أخص من الوباء مطلقا فكل طاعون وباء ولاعكس و به صرح القاضي عياض واستدل له وجزم به آخرون واستدل بعضهم بانه صح ان المدينة لايدخلها الطاعون وصح عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها أوبئ أرض الله وعن بلال أنها أرض الوباء فيلزم ان الطاعون غير الوباء والا تعارض الحديثان فقول ابن الرقي انه هو غير صحيح وانما تجوز عنه به لكون كل منهما ينشأ عنه كثرة الموت و يفارقه بخصوص سببه وهو كونه من طعن الجن والوباء انما هو لفساد الهواء الذي ينشأ عنه عموم الامراض ولاينافي كون سبب الطاعون طعن الجن مامر عن الاطباء من أنه ينشأ عن مادة سمية أوهيجان الدم وانصبابه الى عضو أوغير ذلك لجواز أن ذلك يحدث عند الطعنة الباطنة التي أخبر بها الصادق فتكلموا على ماظهر بحسب قواعدهم دون مابطن لانه لايدرك بالعقل قبل وقد ينشأ الطاعون عن فساد الهواء وهذا قول مزيف كما بينه ابن القيم في هديه بأمور كثيرة منها انه يقع في أعدل الفصول وفي أصح البلاد هواء وأطيبها ماء و وباء لايعم الناس ولو كان من الهواء لعم أهل بيت ولا يدخل بيتا يجاورهم وبانه قد يقل عند فساد الهواء ويكثر عند بان كل داء بسبب من الاسباب الطبيعية له دواء من الادوية الطبيعية على ماصح في ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله والطاعون باعتراف لادواء له ولادافع له الا الذي خلقه وقدره ثم قوله صلى الله عليه وسلم فناء أمتي في طرقه عند أحمد من التصريح بذلك بقوله اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون وقيل انه الفتن التي تسفك فيها الدماء والوباء ومن زعم بل أكثرهم يموتون بهما كما صرح به ابن الاثير

ما الايمان قال لا أدري هل يكفر على مانقله الرافعي والنووي وأقرراه أم لا (فاجاب) بانه يكفر بقوله المذكور اذا قاله احتقارا (سئل) عن رجل سأل رجلا شيأ فقال له لو جئتني بالنبي صلى الله عليه وسلم ماقبلتك أومافعلت كذا هل يكفر أولا كما في مسئلة السبكي فانه سئل عن رجل سئل في شئ فقال لو جاء جبريل مافعلت كذا وكذا فقال لايكفر لان هذه العبارة تدل على تعظيم جبريل عنده (فاجاب) بانه لايكفر كما في مسئلة السبكي لان هذه العبارة تدل على تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم عنده من وجهين أولهما ماذكره السبكي وثانيهما صلاته وسلامه عليه وأيضا فدلول عبارته أنه رتب عدم قبوله السائل أوعدم فعله ذلك على مجيء النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وهو بانتفائه الفاء بل ويكون أنسب والمعنى أنه لايقبله أولا يفعل ذلك مطلقا الامع انتفاء مجيئه وهو ظاهر ولا مع مجيئه لكراهته لما سئل فيه وأيضا فلو قدر مجيئه صلى الله عليه وسلم الى المسؤل وشفاعته في قضاء

واستدل غيره بالاستقراء على ان من يموت بالطاعون أكثر ممن يموت فيما بينه وبين الطاعون الآخر فكيف اذا انضم لذلك القتل الحاصل فى الجهاد وفى الفتن التى لاتنقطع ولا تحصى كثرة وعموما فى أقطار الارض وعلى أن ذلك الدعاء فليس القصد به الدعاء على الامة بالهلاك بل المراد الدعاء لهم بلازم ذلك وهو حصول الشهادة لهم بكل من ذينك فالقصد الدعاء بجعلهما سببا للموت الذى لابد منه لاالدعاء بمطلق الهلاك ومن لازم حصول الشهادة أن ذلك يكون كفارة لما يقع من الامة لما ورد أن القتل لايمر بذنب الامحاه ومما يؤيد ذلك أن كثيرين من كبار الصحابة وغيرهم تمنى الشهادة والموت بالطاعون ولم ينظروا الى أنها تستلزم تمكين الكافر من قتل المسلم وهو معصية وتمنى المعصية حرام لان قصدهم بتمنيها ليس ذلك بل نيل درجتها الرفيعة ولا نظر لفعل الكافر لانه من ضرورة الوجود ثم ماذكر من أنه وخز أعدائنا من الجن هو الثابت وما وقع لابن الاثير تبعا للغريبى الهروى من أنه وخز اخوانكم فمردود بانه لم يرد فى شئ من كتب الحديث بعد التتبع الطويل البالغ ونسبة الزركشى كغيره ذلك الى رواية أحمد وهم وكذا نسبته لمسند الطبرانى أو كتاب الطواعين لابن أبى الدنيا وعلى تسليم وروده فلا تنافى لان اخوتهم فى الدين لاتنافى عداوتهم لانها بالطبع وان كانوا مؤمنين أو أن الاولى فى طعن كافرهم لمسلمنا والثانية فى طعن مسلمهم لكافرنا أو ان كلا يفيد ما يفيده الآخر اذ لفظ أعدائكم على عمومه لان الطعن لايقع الامن عدو فى عدوه ويكون الخطاب لجميع الانس فان الطعن يكون من كافرهم فى مؤمننا أو من مؤمنهم فى كافرنا ويؤيده حديث انه شهادة للمسلم ورجز على الكافر ولفظ اخوانكم على عمومه أيضا لكن المراد به اخوة التقابل كما فى الليل والنهار والشمس والقمر أخوان أو اخوة التكليف فانه يعمهم أيضا وهو المراد فى حديث زاد اخوانكم من الجن فانه زاد للكافر أيضا وحكمة تسليطهم على الانس بالطعن أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بمعاداة أعدائنا منهم أيضا وهم شياطينهم فابى أكثر الناس الامسالمتهم بل ومطاوعتهم على مايطلبونه منهم من المعاصى والضلال فسلطوا عليهم عقوبة لهم كما سلط عليهم أعداؤهم من الانس حيث أفسدوا فى الارض ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم عقوبة لمستحقها وشهادة ورحمة لاهلها وهذه سنة الله سبحانه وتعالى فى العقوبات تقع عامة فتكون طهرا للمؤمنين وانتقاما للكافرين وقيل الحكمة ان الله سبحانه وتعالى اختص المؤمن لنفسه وأراد به الخير فى كل ما أصابه من خير أو شر أو ألم أو لذة وقيض له من يستغفر له أو يشفع له أو يعاونه من ملك ونبى ومؤمن ومن يعاديه من شيطان يزله وعدو يقاتله وجنى يخزه وهو سبحانه وتعالى له حافظ ولعدوه قاهر مع أنه ان أصابه شر فشكر أو خير فصبر كان خيرا له وسلط الجن عليه مع كونه محفوظا فى جميع أموره كما جاز أنه يطعنه عدوه الظاهر فى وقت مع حفظه بالرعب أو النصر فى أكثر احواله لارادة الخير به ونيله درجة الشهادة بقتل العدو له وقوله تعالى .. يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أى من حيث العموم فلذلك يجوز أنه يطعنه عد.. كونه ممنوعا منه بالمعقبات من الملائكة فى أكثر أحواله لارادة الخير به ونيله درج.. وخزه مع ضعف كيده ومن ثم كان طعنه غير نافذ بخلاف طعن الانس اذ ذاك أصل .. وسكون الجيم بعدها زاى وسبب عدم نفوذه انه يقع من الباطن الى الظاهر فيؤثر .. قد ينفذ الى الظاهر وطعن الانس يؤثر أولا فى الظاهر .. فى رمضان لما صح أن الشياطين تغل فيه وتص.. صفيدهم انما هو عما يترتب عليه اثم من تزيين ا.. ذلك بل يترتب عليه الثواب كالطاعون فلا يمنعون

حاجة السائل ولم يقبله لم يكفر فقد شفع صلى الله عليه وسلم فى قضايا لم تقبل شفاعته كما فى قصة بريرة مع زوجها لما عتقت وأنها اختارت نفسها وأنه شفع عندها فيه فقال زوجك وأبو ولدك فقالت يارسول الله أتأمرنى قال لا ولكنى أشفع قالت لاحاجة لى فيه وقد قالوا يكره رد السائل بوجه الله (سئل) هل يشترط فى اسلام المرتد التلفظ بالشهادتين لظاهر حديث بنى الاسلام على خمس وغيره وظاهر نص الشافعى حيث قال اذا ادعى على شخص أنه ارتد وهو ينكر لم أكشف عن حقيقة حاله بل أقول له اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنك برئ من كل دين يخالف دين الاسلام اه وأفتى السبكى بان من تلفظ بالكفر ثم جاء الى القاضى وتلفظ بالشهادتين كان له الحكم باسلامه من غير أن يبين له ماصدر منه ونقله ولده الشيخ تاج الدين عن ابن القاص عن نص الام وتبع السبكى فى افتائه ابن دقيق العيد والسراج البلقينى قائلين لابد من بيان ماصدر منه وقال فى الروض لابد فى

وذلك باعتبار الغالب والافقد يزينون لابن آدم كثيرا من المعاصي فيه ثم رأيت الحلبي أجاب بذلك وابن
خزيمة قال المراد بعضهم لا كلهم لحديث صفدت الشياطين مردة الجن فردة نعت تخصص أو بدل
بعض من كل ورواية مردة بمعنى رواية وصفدت الشياطين المطلقة وعلى هذا فالوخز يقع في رمضان
من غير المردة وقال عياض يحتمل المراد كلهم اشارة الى كثرة الثواب وقلة اغوائهم فهم كالمصفدين
ورجح القرطبي حمله على ظاهره لكن بالنسبة لمن صام الصوم المعتبر بشروطه وآدابه ورجح بعض
المحققين ما قاله ابن خزيمة * ومنها الكلام على كونه شهادة وقد مر ذلك في الاحاديث السابقة وهو
في الصحيحين أيضا وفي حديث حسن أتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وأرسلت
الطاعون الى الشام فالطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجس على الكافر ولاينافي هذا انه قد يكون
عقوبة فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال ماظهرت الفاحشة في قوم قط الا سلط الله تعالى عليهم الموت
وفي رواية لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الافشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن
مضت في أسلافهم الذين مضوا وفي رواية مامن قوم يظهر فيهم الزنا الا أخذوا بالفناء وما من قوم يظهر
فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب ووجه عدم المنافاة
ان من رحمة الله تعالى بهذه الامة ان عجل لهم عقوباتهم في الدنيا كما في الحديث أمتي أمة مرحومة
ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل رواه أبو داود بسند حسن وهو
محمول على معظم الامة لثبوت أحاديث الشفاعة في قوم يعذبون ثم يخرجون من النار والحاصل أن
كونه عقوبة بسبب المعصية لاينافي كونه شهادة لجميع من طعن لاسيما من لم يباشر المعصية المذكورة
ولعل سبب العموم تقاعدهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أو زيادة حسنات من لم يباشر
الفاحشة لحديث الصحيح ان الرجل لتكون له عند الله المنزلة ما يبلغها بعمله فما يزال يبتليه بما
يكره حتى يبلغه اياها ولا كونه شهادة في حق العاصي نفسه لان من الرحمة في حقه أن يعجل له العقوبة في
الدنيا لتكفر خطاياه وانما كان سببه ظهور الزنا لانه غالبا يقع سرا وحده ازهاق روح المحصنين فاذا لم يقم
عليهم الحد سلط الله تعالى عليهم عدوا يقتلهم سرا من حيث لايرونه وقاعدة العذاب انه اذا نزل يعم
المستحق له وغيره ثم يبعثون على نياتهم ثم الشهيد فعيل بمعنى فاعل لانه حي فروحه شهدت دار السلام
وروح غيره انما تشهدها يوم القيامة أو لانه يشهد عند الموت ماله من الكرامة أو لانه الذي يشهد القيامة
بابلاغ الرسل أو بمعنى مفعول لانه مشهود له بالجنة أو بالامان من النار أو بحسن الخاتمة من الله أو
من ملائكته والشهادة اصطلاحا تخصيص من حصل له سبب من أسبابها بثواب مخصوص وكرامة
زائدة ولا يختص ذلك بقتيل المعركة ففي حديث الموطا الشهداء سبعة سوى قتيل المعركة وعددها
المطعون والغريق وصاحب ذات الجنب أي وهو الميت بقرحة ذات الجنب والمبطون أي الذي
يموت بمرض بطنه كالاستسقاء وقيل صاحب الاسهال وقيل المجنون وقيل صاحب القولنج والحريق
والميت تحت الهدم والمرأة تموت بجمع أي بتثليث الجيم قيل هي التي تموت بالولادة ألقت ولدها أو لا
وقيل ان لم تلقه وصححه النووي وقيل هي البكر وفي رواية المرأة يجرها ولدها بسررها الى الجنة
وقيل هي التي تموت بمزدلفة ورد بانه خطا ظاهر ومن الشهداء صاحب السل رواه أحمد والطبراني
والغريب رواه جماعة وفيه عدة أحاديث ضعيفة على ما قاله المنذري وصاحب الحمى رواه الديلمي
ومن لدغته هامة أو افترسه سبع والشريق والخار عن دابته والمتردي من رأس جبل رواها
الطبراني وغيره [illegible] دون ماله أو [illegible] دمه أو دينه أو أهله رواه أصحاب السنن الاربعة ومن
[illegible]ميت في حبس حبس فيه ظلما رواه ابن منده ومن عشق
[illegible]ت وهو طالب للعلم رواه البزار والمائد في البحر الذي يصيبه

اسلام المرتد وغيره من
الشهادتين مطلقا أم يكفي
قول لا اله الا الله عملا بظاهر
حديث أمرت أن أقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله على أنه لا تعارض لصحة
حمل هذا الحديث المطلق
على ذلك المقيد (فاجاب)
بانه يشترط في اسلام المرتد
وغيره التلفظ بالشهادتين
للاخبار الصحيحة فيه كخبر
بني الاسلام على خمس
وأمرت أن أقاتل الناس
حتى يشهدوا أن لا اله الا
الله أن محمدا رسول الله
جعل الاتيان بالشهادتين
غاية لمقاتلته فمنطوقه أن من
لم يأت بهما يقاتل وهذا
مفسر لقوله حتى يقولوا
لا اله الا الله لانها صارت
كالعلم على الشهادتين والا
فالاتيان بها وحدها
لا يكفي بلا شبهة وفي الروضة
وأصلها ذكر الشافعي في
موضع أن الاسلام أن
يشهد أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله ويبرأ
من كل دين يخالف دين
الاسلام وتقتصر في موضع
على الشهادتين ولم يشترط
البراءة فقال الجمهور ليس
فيه خلاف بل ان كان
الكافر ممن يعترف باصل
رسالة نبينا صلى الله عليه
وسلم كقوم من اليهود

النبي رواه أبوداود ومن مات مرابطا رواه ابن حبان ومن صبر فى الطاعون وان لم يمت به على ما يأتى وأمناء الله تعالى على خلقه قتلوا أو ماتوا رواه أحمد ومن قرأ حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات آخر سورة الحشر ومات فى يومه أوحين يمسى ومات فى ليلته رواه الترمذى وقال غريب ومن مات على وصية رواه ابن ماجه ومن مات على وضوء رواه الآجرى ومن صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر فى حضر ولا سفر رواه أبو نعيم ومن قال اللهم انى أشهدك بانك أنت الله الذى لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب غيرك حين يصبح ومات فى يومه أو يمسى ومات من ليلته رواه الاصبهانى وغيره ومن مات ليلة الجمعة أو يومها أخرجه جماعة وفى حديثه أنه يوقى فتنة القبر ومن دعا فى مرضه بان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت الظالمين أربعين مرة ومات فى مرضه ذلك رواه الحاكم وفى حديثه وان برئ برئ وقد غفر له جميع ذنوبه ومن مات عقب رمضان أو عمرة أو غزو أو حج نقله جمع عن الحسن ومن سأل الله سبحانه وتعالى الشهادة بصدق أخرجه مسلم ولفظه من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه وفى رواية من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء وان مات على فراشه قال النووى الثانية مفسرة للاولى ومعناهما أنه يعطى من ثواب الشهداء وان مات على فراشه وورد بسند حسن كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد أى لكن الشهادة تتفاضل ومن مات مريضا رواه ابن ماجه وفى حديثه ووقى فتنة القبر وغدى عليه وريح برزقه من الجنة وظاهره شمول جميع الامراض وهو كذلك وقول القرطبي يقيد بقوله من يقتله بطنه أى صاحب الاسهال أو الاستسقاء مردود وهذه الخصال الزائدة على الاربعين ورد فى كل منها أن صاحبها شهيد أى يعطى أجر الشهداء ومراتبها فى ذلك متفاوتة حتى فى الاشخاص كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة فى شهداء المعركة وللشهداء خصوصيات منها أنه يغفر له أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه رواها الترمذى بسند صحيح غريب ومنها انهم أحياء عند ربهم يرزقون كما فى القرآن العزيز وان أرواحهم فى جوف طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل تحت العرش رواه مسلم وبعض هذه الخصال يكون لسائر الشهداء كالاخيرة كما نقله القرطبي عن العلماء وكوقاية فتنة القبر كما ذكره الجلال السيوطى ونقله عن القرطبي ورد على من توقف من معاصريه فى كون المطعون يأمن فتنة القبر قال وأعجب من ذلك من ظن أن شهيد المعركة يفتن فى قبره وهو مخالف للنص اه وقد صح عند أحمد وغيره أن المطعون كشهيد المعركة ولفظ حديثهم يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم الى ربنا جل جلاله فى الموتى يتوفون فى الطاعون فيقول الشهداء قتلوا كما قتلنا ويقول المتوفون على فرشهم اخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا فيقول الله عز وجل انظروا الى جراحهم فان أشبهت جراح المقتولين فانهم منهم فاذا جراحهم أشبهت جراحهم وفى رواية سندها حسن يأتى الشهداء والمتوفون بالطاعون فيقول أصحاب الطاعون نحن شهداء فيقال انظروا فان كانت جراحاتهم كجراح الشهداء تسيل دما وريحهم كريح المسك فهم شهداء فيجدونهم كذلك نعم يشترط لتحصيل الشهادة بالطاعون أمور منها ما دل عليه حديث البخارى أن يمكث فى بلده الواقع به الطاعون صابرا يعلم أنه لن يصيبه الا ما كتبه الله له محتسبا فعلم أن أجر الشهداء انما [illegible] قاصدا بذلك ثواب الله تعالى راجيا به صدق موعوده عارفا أنه ان وتعالى غير متضجر به لو وقع معتمدا على الله تعالى فى س

يقولون انه مرسل الى العرب فقط فلا بد من البراءة وان كان منكرا أصل الرسالة كالوثنى كفى فى اسلامه الشهادتان قال الشيخ أبوحامد وقد رأيت هذا التفصيل منصوصا عليه فى كتاب قتال المشركين اه والمذهب الذى قطع به الجمهور أن كلمتى الشهادة لا بد منهما ولا يحصل الاسلام الا بهما وحكى الامام مع ذلك طريقة أخرى منسوبة الى المحققين ان من أتى من الشهادتين بكلمة تخالف معتقده حكم باسلامه فاذا وحد المتوقف أو قال المعطل لا اله الا الله جعل مسلما وعرض عليه شهادة الرسالة فان أنكر صار مرتدا واليهودى اذا قال محمد رسول الله حكم باسلامه اه واختصره الاصفونى بقوله فصل فى اسلام المرتد وغيره والمذهب انه لا بد فيه من الشهادتين والصحيح انهما تكفيان ممن ينكر الرسالة الا ممن خصها بالعرب حتى يقول محمد رسول الله الى جميع الخلق أو برأ من كل دين خالف دين الاسلام واختصره ابن المقرى بقوله فصل لا بد فى اسلام المرتد وغيره من

ن تفرقوا واختلفوا ونحو هـذا فى القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين
ـلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله
ـن قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله ولا تكونوا كالذين
ـ بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم قال هم اليهود والنصارى ﴿ القول
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم
بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون) يعنى
ـره أولئك لهم عذاب عظيم فى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأما قوله فاما الذين اسودت
ـا كفرتم بعد ايمانكم فان معناه فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم
ـا لعذاب بما كنتم تكفرون ولا بد لاما من جواب بالفاء فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه
جاز ترك ذكر فيقال لدلالة ما ذكر من الكلام عليه وأما معنى قوله جل ثناؤه أكفرتم بعد
ـانكم فان أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى به فقال بعضهم عنى به أهل قبلتنا من المسلمين ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه الآية لقد كفر أقوام بعد ايمانهم كما تسمعون ولقد ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول والذى نفس محمد بيده ليردن على الحوض ممن صحبنى أقوام حتى اذا رفعوا الى ورأيتهم
اختلجوا دونى فلأقولن رب أصحابى أصحابى فليقالن انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك وقوله وأما الذين
ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله قال الله عز وجل ففى رحمة الله هم
فيها خالدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن
حماد بن سلمة والربيع بن صبيح عن أبى مجالد عن أبى امامة فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم
بعد ايمانكم قال هم الخوارج * وقال آخرون عنى بذلك كل من كفر بالله بعد الايمان الذى آمن
حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على انفسهم بما بين فى كتابه ذكر من قال ذلك حدثنى
المثنى قال ثنا على بن الهيثم قال أخبرنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن
كعب فى قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال صاروا يوم القيامة فريقين فقال لمن اسود وجهه
أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال هو الايمان الذى كان قبل
الاختلاف فى زمان آدم حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية وفطرهم على
الاسلام فكانوا أمة واحدة مسلمين يقول أكفرتم بعد ايمانكم يقول بعد ذلك الذى كان فى زمان آدم
وقال فى الآخرين الذين استقاموا على ايمانهم ذلك فأخلصوا له الدين والعمل فبيض الله وجوههم
وأدخلهم فى رضوانه وجنته وقال آخرون بل الذين عنوا بقوله أكفرتم بعد ايمانكم المنافقون
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه الآية قال هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الايمان بألسنتهم وأنكروها بقلوبهم
وأعمالهم * وأولى الاقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن أبى بن كعب انه
عنى بذلك جميع الكفار وان الايمان الذى يوبخون على ارتدادهم عنه هو الايمان الذى أقروا به يوم
قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين
أحدهما سودا وجوهه والآخر بيضا وجوهه فمعلوم اذ لم يكن هنالك الا هذان الفريقان ان جميع

بيل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه وآداب السير وأركانه ومنها الاحرام
لعادات والتجرد عن الطيبات والمألوفات والتطهير عن الاخلاق المذمومات والتوجه
الى فاطر الارض والسموات
بخلوص النيات وصفاء الطويات
ومنها الوقوف بعرفات المعرفة
والعكوف على عتبة جبل الرحمة
بصدق الالتجاء وحسن العهد
والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن
الاطوار البشرية السبعية
بالاطواف الستة حول الكعبة
الربوبية ومنها السعى بين صفاء
الصفات ومروة الذات ومنها الحلق
بمحو آثار العبودية بموسى الانوار
الالهية وقس سائر المناسك على هذا
ومن كفر بوجدان الحق ولا
يتعرض لنفحات الالطاف ولا
يترقب لجذبات الاعطاف التى
توازى عمل الثقلين وهى الاستطاعة
فى الحقيقة فان الله غنى عن العالمين
لا يستكمل هو منهم وانما
يستكملون هم منه قل يا أهل
الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه
مع علماء السوء الذين يبيعون
دينهم بدنياهم ولا يعملون بما
يعلمون فيضلون ويضلون وما لعصمة
عن الهوى الا منه تعالى (يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف
بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم
آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم
أمة يدعون الى الخير ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
 ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم
أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله

تتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور كنتم خ
تامرون بالمعروف وتنهون (٢٦) عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان

الكفار داخلون فى فريق من سود وجهه وان جميع المؤمنين داخلون فى فريق وجه اذا القول قائل عنى بقوله أكفرتم بعض ايمانكم بعض الكفار دون بعض انه الخبر عنهم جميعهم واذا دخل جميعهم فى ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم الا حالة واحدة كان معلوما انه المراد بذلك فتأويل الآية اذا أولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه قوم وتسود وجوه آخرين فأما الذين اسودت وجوههم فيقال أجحدتم توحيد الله الذى وانقضتم عهده عليه بان لا تشركوا به شيأ وتخلصوا له العبادة بعد ايمانكم يعنى بعد ما كنتم تكفرون فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم تجحدون فى الدنيا ما كان الله قد أخذ بالاقرار به والتصديق وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد الله وميثاقه فلم يبدل دينه ينقلب على عقبيه بعد الاقرار بالتوحيد والشهادة له بالالوهة وانه لا اله غيره ففى رحمة الله يقول فى رحمة الله يعنى فى جنته ونعيمها وما أعد الله لاهلها فيها هم فيها خالدون أى باقون أبدا بغير نهاية ولا غاية ۞ القول فى تأويل قوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه تلك آيات الله هذه آيات الله وقد بينا كيف وضعت العرب تلك وذلك مكان هذا وهذه فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله آيات الله يعنى مواعظ الله وعبره وحججه نتلوها عليك نقرؤها عليك ونقصها بالحق يعنى بالصدق واليقين وانما يعنى بقوله تلك آيات الله هذه الآيات التى ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور يهود بنى اسرائيل وأهل الكتاب وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده وبالمبدلين والناقضين عهده بعد الاقرار به ثم أخبر عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه يتلو ذلك عليه بالحق وأعلمه ان من عاقب من خلقه بما أخبر انه معاقبه من تسويد وجهه وتخليده فى أليم عذابه وعظيم عقابه ومن جازاه منهم بما جازاه من تبيض وجهه وتكريمه وتشريف منزلته لديه بتخليده فى دائم نعيمه فبغير ظلم منه لفريق منهم بل لحق استوجبوه وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها فقال تعالى ذكره وما الله يريد ظلما للعالمين يعنى بذلك وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء واذاقتهم العذاب العظيم وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه اياهم فى جنته طالبا وضع شئ مما فعل من ذلك غير موضعه الذى هو موضعه اعلاما بذلك عباده انه لن يصلح فى حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والايمان به وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به وانذارا منه هؤلاء وتبشيرا منه هؤلاء ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور) يعنى بذلك جل ثناؤه انه يعاقب الذين كفروا بعد ايمانهم بما ذكر انه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه وتثبيت أهل الايمان به الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التى عاهدوا عليها بما وصف انه مثيبهم به من الخلود فى جنانه من غير ظلم منه لاحد الفريقين فيما فعل لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك أن الظالم انما يظلم غيره ليزداد الى عزه عزة بظلمه اياه والى سلطانه سلطانا والى ملكه ملكا لنقصان فى بعض أسبابه يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصا من أسبابه عن التمام فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب وما فى الدنيا والآخرة فلا معنى لظلمه أحدا فيجوز أن يظلم شيأ لانه ليس من أسبابه شئ ناقص يحتاج الى تمام فيتم ذلك بظلم غيره تعالى الله علوا كبيرا ولذلك قال جل ثناؤه عقيب قوله وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور واختلف أهل العربية فى وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله والى الله ترجع الامور ظاهرا وقد تقدم اسمه ظاهرا مع قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ذلك نظير قول العرب أما زيد فذهب زيد وكما قال الشاعر

وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) القرآن حق تقاته بالامالة على ولا تفرقوا بتشديد الراء البزى وابن فليح * الوقوف مسلمون • ولا تفرقوا ص لعطف المتفقتين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستئناف منها ط تهتدون • المنكر ط للعدول المفلحون • البينات ط عظيم • لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقبل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم ص لان التقدير فيقال لهم أكفرتم تكفرون • ففى رحمة الله ط خالدون • بالحق ط العالمين • ما فى الارض ط الامور • وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون • قيل لا وقف عليه وعليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الا أذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار أى ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا الا ينصرون • * التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار أمرهم فى هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى أو هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم بأسرها وأن لا يأخذه فى الله لومة لائم و يقوم بالقسط ولو على نفسه أو الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم لا والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه وكما يحق أن يتقى وهو أن يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ

الموت ان الموت شئ * يعض الموت الغنى والفقيرا

وقال بعض نحوى الكوفة ليس ذلك نظير هذا البيت لان موضع الموت الثانى لانه كلمة واحدة وليس ذلك كذلك فى الآية لان قوله ولله ما فى السموات وما من قوله والى الله ترجع الامور فى شئ وذلك ان كل واحد من القصتين مفارق مكتفية كل واحدة منهما بنفسها غير محتاجة الى الاخرى كما قال الشاعر يحتاج الى تمام الخبر عنه٧ * وهذا القول الثانى عندنا أولى بالصواب لان كتاب الله وخذ معانيه وما فيه من البيان الى الشواذ من الكلام والمعانى وله فى الفصيح من المنطق من المعانى المفهوم وجه صحيح موجود وأما قوله والى الله ترجع الامور فانه يعنى تعالى ذكره مصير أمر جميع خلقه الصالح منهم والطالح والمحسن والمسىء فيجازى كلا على قدر استحقاقهم الجزاء بغير ظلم منه أحدا منهم ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) اختلف أهل التاويل فى تاويل قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس فقال بعضهم هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين خرجوا معه من مكة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال عمر بن الخطاب لو شاء الله لقال أنتم لكنا كلنا ولكن قال كنتم فى خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعوا كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة نزلت فى ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن السدى عمن حدثه قال عمر كنتم خير أمة أخرجت للناس قال تكون لاولنا ولا تكون لآخرنا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر ابن الخطاب قال فى حجة حجها ورأى من الناس رعة سيئة فقرأ هذه كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ثم قال يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الامة فليؤد شرط الله منها حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يعنى وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس اذ كنتم بهذه الشروط التى وصفهم جل ثناؤه بها فكان تاويل ذلك عندهم كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله أخرجوا للناس فى زمانكم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن أنتم بين ظهرانيه كقوله

٧ هكذا هذه اللفظة بالاصل وليس لها معنى ولا هى موجودة فيما أخرجه السيوطى فى الدر عن قتادة

ى ولا يجوز أن يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطا والسهو والنسيان وسعها فعلى هذا لم يبق فرق بين الآيتين ولناصر القول الاول أن يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز أن يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما هى عن أن يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر فى البقرة مثله ثم انه تعالى أمرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله واتفاق الآراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا بحبل الله جميعا حال كونهم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته باستمساك المتدلى على مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه وصف غير حقيقى ومنتزع من عدة أمور ويجوز أن يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان فى الكلام تشبيهين ويجوز أن يفرض الاستعارة فى الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مأمون أن يزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجىء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أما انها ستكون فتن قيل فما المخرج منها قال صلى الله عليه وسلم كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه

ولقد اخترناهم على علم على العالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين ثنا
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال يقول كنتم خير الناس للناس على هذا
الشرط ان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن بين ظهريكم كقوله
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ميسرة الأشجعي عن أبي
حازم عن أبي هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل
تدخلونهم في الاسلام حدثنا عبيد بن اسباط قال ثنا أبي عن فضيل بن مرزوق عن عطية
كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس * وقال آخرون انما قيل كنتم خير أمة أخرجت
للناس لانهم أكثر الامم استجابة للاسلام ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا
ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر قال لم تكن أمة أكثر استجابة في الاسلام من هذه الامة فمن ثم قال كنتم خير أمة أخرجت للناس
وقال بعضهم عني بذلك انهم كانوا خير أمة أخرجت للناس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن
سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر قال قد كان ما تسمع من الخير في هذه الامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول نحن آخرها وأكرمها على الله * قال أبو جعفر وأولى هذه
الاقوال بتأويل الآية ما قال الحسن وذلك أن يعقوب بن ابراهيم حدثني قال ثنا ابن علية عن
بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انكم وفيتم سبعين أمة
أنتم آخرها وأكرمها على الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله كنتم خير أمة
أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره
الى الكعبة نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها وأما قوله تأمرون بالمعروف فانه
يعني تأمرون بالايمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه وتنهون عن المنكر يعني وتنهون عن الشرك
بالله وتكذيب رسوله وعن العمل بما نهى عنه كما حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن
صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول تأمرونهم
بالمعروف أن يشهدوا أن لا اله الا الله والاقرار بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله هو أعظم
المعروف وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر وأصل المعروف كل ما كان
معروفا فعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الايمان بالله وانما سميت طاعة الله معروفا لانه مما
يعرفه أهل الايمان ولا يستنكرون فعله وأصل المنكر ما أنكره الله ورأوه قبيحا فعله ولذلك سميت
معصية الله منكرا لان أهل الايمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها وقوله تؤمنون
بالله يعني تصدقون بالله فتخلصون له التوحيد والعبادة فان سأل سائل فقال وكيف قيل كنتم خير
أمة وقد زعمت ان تأويل الآية ان هذه الامة خير الامم التي مضت وانما يقال كنتم خير أمة لقوم كانوا
خيارا فتغير وا وانما كانوا عليه قيل ان معنى ذلك بخلاف ما ذهبت اليه وانما معناه أنتم خير أمة كما قيل
واذكروا اذ أنتم قليل وقد قال في موضع آخر واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم فادخال كان في مثل
هذا واسقاطها بمعنى واحد لان الكلام معروف معناه ولو قال أيضا في ذلك قائل كنتم بمعنى التمام كان
تأويله خلقتم خير أمة أو وجدتم خير أمة كان معنى صحيحا وقد زعم بعض أهل العربية ان معنى ذلك

كنتم

وسلم هذا القرآن حبل الله وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب
السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص ا
تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروي السواد الاعظم وروي ما أنا عليه وأصحابي قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل أحد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهي عنه وأجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فألف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومناقشة بسبب الاغراض الدنيوية أما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل أسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي أحدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا أمر أمر برفق ناصح لا بعنف مغير وكان حبه لحزب الله وطرائه في الدين وحقائقه في طلب اليقين أشد من حب الوالد لولده فكونوا كالاقربين
والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان في النسب وذلك ان الاوس والخزرج
كانا أخوين لاب وأم وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول

ـه اللوح المحفوظ أخرجت للناس والقولان الاولان اللذان قلنا أشبه بمعنى
ـبـل وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أهل طريقة وقال الامة الطريقة
ـيل قوله (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم
ـى بذلك تعالى ذكره ولو صدق أهل التوراة والانجيل من اليهود والنصارى بمحمد
ـرسلم وما جاءهم من عند الله لكان خيرا لهم عند الله فى عاجل دنياهم وآجل آخرتهم
ـون يعنى من أهل الكتاب من اليهود والنصارى المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله
ـسلم بما جاءهم به من عند الله وهم عبد الله بن سلام وأخوه وثعلبة بن سعية وأخوه وأشباههم
آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما جاءهم به من عند الله وأكثرهم
ـاسقون يعنى الخارجون عن دينهم وذلك ان من دين اليهود اتباع ما فى التوراة والتصديق بمحمد
ـصلى الله عليه وسلم ومن دين النصارى اتباع ما فى الانجيل والتصديق به وبما فى التوراة وفى كل
الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه وانه نبي الله وكلتا الفرقتين أعنى اليهود والنصارى
مكذبة فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذى يدعون انهم يدينون به الذى قال جل ثناؤه وأكثرهم
الفاسقون وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منهم
المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ذم الله أكثر الناس ۞ القول فى تاويل قوله (لن يضروكم الا
أذى) يعنى بذلك جل ثناؤه لن يضروكم يا أهل الايمان بالله ورسوله هؤلاء الفاسقون من أهل
الكتاب شيأ بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ الا أذى يعنى بذلك ولكنهم
يؤذونكم بشركهم واسماعكم كفرهم وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ودعائهم اياكم الى الضلالة ولا
يضروكم بذلك وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله كما قيل ما اشتكى شيئا الا خيرا
وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن يضروكم الا أذى يقول لن يضروكم
الا أذى تسمعونه منهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله لن
يضروكم الا أذى قال أذى تسمعونه منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج قوله لن يضروكم الا أذى قال اشراكهم فى عزير وعيسى والصليب حدثنى محمد بن سنان
قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله لن يضروكم الا أذى اذا آية قال تسمعون منهم
كذبا على الله يدعونكم الى الضلالة ۞ القول فى تاويل قوله (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم
لا ينصرون) يعنى بذلك جل ثناؤه وان يقاتلوكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم
فيولوكم أدبارهم انهزاما فقوله يولوكم الادبار كناية عن انهزامهم لان المنهزم يحول ظهره الى جهة
الطالب هربا الى ملجأ وموئل يئل اليه منه خوفا على نفسه والطالب فى أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون
محاذى وجه الطالب الهازمه ثم لا ينصرون يعنى ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله
ورسوله وايمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل قد ألقى الرعب فى قلوب
كائدكم أيها المؤمنون بنصركم وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل
الايمان نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب وانما رفع قوله ثم لا ينصرون وقد جزم قوله يولوكم
الادبار على جواب الجزاء ائتنافا للكلام لان رؤس الآيات قبلها بالنون فألحق هذه بها كما قال ولا
يؤذن لهم فيعتذرون رفعا وقد قال فى موضع آخر لا يقضى عليهم فيموتوا اذ لم يكن رأس آية
۞ القول فى تاويل قوله (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) يعنى

ـة النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث
المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف
لا بخلق الفعل وأجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص أحد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لابد أن يكون لامر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ومنه أن يقال أشفى على الشئ اذا أشرف عليه كانه بلغ شفاه أى حده وطرفه وأنقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير فى منها للحفرة أو للنار أو للشفا اما لانه فى معنى الشفة واما للاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * قال بعضهم الشفة أصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بى ضلالة حين قال له قومه انا لنراك فى ضلال مبين أى ليس فى صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التى فيها النار وتمثيلا لحياتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحياة وان طالت كانه ليس بين الحياة وبين الموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرف الشئ وبين ذلك الشئ قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبسائر ألطافه حتى آمنوا وقال أهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن
والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكن العبد هو الذى أنقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق
أفعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البين البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة أن تزدادوا هدى أو لتكونوا على رجاء

بقوله جل ثناؤه ضربت عليهم الذلة ألزموا الذلة والذلة الفعلة من الذل و
هذا الموضع أينما ثقفوا يعنى حيثما لقوا يقول جل ثناؤه ألزم اليهود المكذبين
وسلم الذلة أينما كانوا من الارض و باى مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين و
الله وحبل من الناس كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عو
قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وضربت ع
أدركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أب
قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل م
قال أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين وأما الحبل الذى ذكره الله فى هذا
فانه السبب الذى يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان
لهم عقده قبل ان يثقفوا فى بلاد الاسلام كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عي
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الا بحبل من الله قال بعهد وحبل من الناس قال بعهدهم حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد عن عثمان بن عتاب قال
عكرمة يقول الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا محمد قال
ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد
من الناس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الا بحبل من الله
وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال
ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
فهو عهد من الله وعهد من الناس كما يقول الرجل ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الميثاق
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد أينما ثقفوا الا
بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس لهم قال ابن جريج وقال عطاء العهد
حبل الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس قال الا بعهودهم وهم يهود قال والحبل العهد قال وذلك قول أبى الهيثم بن التيهان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الانصار فى العقبة أيها الرجل انا قاطعون فيك حبالا بيننا وبين
الناس يقول عهودا قال واليهود لا يأمنون فى أرض من أرض الله الا بهذا الحبل الذى قال الله عز وجل
وقرأ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى
الا قال وهم فوق يهود فى البلدان كلها مستذلون قال الله وقطعناهم فى الارض أمما
يهود حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى
قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول بعهد من الله وعهد من الناس حدثنى يحيى بن أبى
طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله واختلف أهل العربية فى المعنى الذى
جلب الباء فى قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس فقال بعض نحويى الكوفة الذى جلب الباء فى
قوله بحبل فعل مضمر قد ترك ذكره قال ومعنى الكلام ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا ان يعتصموا
بحبل من الله فاضمر ذلك واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

رأتنى بحبليها فصدت مخافة * وفى الحبل روعاء الفؤاد فروق

هذا يتناول الاول قول المعتزلة والثانى لاهل السنة وقد مر فى أوائل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين فى تكم
أمة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب فى فعل ما ينبغى والكف عما لا ينبغى
ثم اتبعه النوعين زيادة فى البيان
فقال و يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر واختلفوا فى ان كلمة من
فى قوله منكم للتبيين أو للتبعيض
فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه
ما من مكلف الا ويجب عليه الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر اما
بيده أو بلسانه أو بقلبه وكيف لا
وقد وصفهم الله تعالى بذلك فى قوله
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا
كقولك لفلان من أولاده جند
وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع
الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا
ان ذلك وان كان واجبا على الكل
الا أنه متى قام به بعض سقط عن
الباقين كسائر فروض الكفايات
وقال آخرون انها للتبعيض اما
لان فى القوم من لا يقدر على الدعوة
وعلى الامر بالمعروف والنهى عن
المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين
واما لان هذا التكليف مختص
بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو
والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون
كيف يرتب الامر فى اقامتهما وكيف
يباشر فان الجاهل ربما نهى عن
معروف وأمر بمنكر وربما عرفه
فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه
فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ فى
موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة
وينكر على من لا يزيده انكاره
الا تماديا وأيضا فقد أجمعنا على ان
ذلك واجب على الكفاية فكان
هذا بالحقيقة ايجابا على البعض
الذى يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل
تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب * واعلم أن الامر بالمعروف على ثلاثة ضرب أحدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو
نوعان أحدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث تجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا
وقال

يهاو بقول الآخر

حنتنى حانيات الدهر حتى * كأنى خاتل أدنو لصيد

مل محذوف واظهار صلته وهو متروك وذلك فى مذاهب العربية ضعيف ومن كلام
ما ما استشهد به لقوله من الابيات فغير دال على صحة دعواه لان فى قول الشاعر رأتنى
نة فى انهار آنه بالحبل ممسكا فى اخباره عنها انها رأته بحبلها اخبار منه انها رأته ممسكا
ان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الامساك وكانت الباء صلة لقوله رأتنى كما فى قول
ى انا بالله مكتف بنفسه ومعرفة السامع معناه ان تكون الباء محتاجة الى كلام يكون لها جالبا
الذى ظهر وان المعنى أنا بالله مستعين وقال بعض نحوى البصرة قوله الا بحبل من الله استثناء
ج من أول الكلام قال وليس ذلك باشد من قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال آخرون من
نحوى الكوفة هو استثناء متصل والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أى بكل مكان الا بموضع
حبل من الله يقول ضربت عليهم الذلة فى الامكنة الا فى هذا المكان وهذا أيضا طلب الحق فاخطأ
المفصل وذلك انه زعم انه استثناء متصل ولو كان متصلا كما زعم لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بحبل
من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة وليس ذلك صفة اليهود لانهم أينما ثقفوا بحبل
من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم على
ما ذكرنا عن اهل التأويل قبل فلو كان قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء متصلا لوجب
أن يكون القوم اذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم وذلك خلاف ما وصفهم الله
به من صفتهم وخلاف ما هم به من الصفة فقد تبين أيضا بذلك فساد قول هذا القائل أيضا ولكن القول
عندنا ان الباء فى قوله الا بحبل من الله أدخلت لان الكلام الذى قبل الاستثناء مقتض فى المعنى الباء
وذلك أن معنى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ثم قال الا بحبل
من الله وحبل من الناس على غير وجه الاتصال بالاول ولكنه على الانقطاع عنه ومعناه ولكن يثقفون
بحبل من الله وحبل من الناس كما قيل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فالخطأ وان كان
منصوبا بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالاول بمعنى الا خطأ فان له قتله كذلك
ولكن معناه ولكن قد يقتله خطأ فكذلك قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وان كان الذى جلب
الباء التى بعد الا الفعل الذى يقتضيها قبل الا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذى قبله بمعنى ان
القوم اذا لقوا فالذلة زائلة عنهم بل الذلة ثابتة بكل حال ولكن معناه ما بينا آنفا ۞ القول فى تأويل
قوله (وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق) يعنى تعالى ذكره وباؤا بغضب من الله وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه
وقد بينا أصل ذلك بشواهده ومعنى المسكنة وانها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ومعنى الغضب من
الله فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله يعنى جل
ثناؤه بقوله ذلك أى بوؤهم الذى باؤا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم بدل مما كانوا يكفرون
بآيات الله يقول مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه وما فرض عليهم من فرائضه
ويقتلون الانبياء بغير حق يقول وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله اليهم اعتداء على الله وجراءة
عليه بالباطل وبغير حق استحقوا منهم القتل فتأويل الكلام لزموا الذلة باى مكان لقوا الا بذمة من
الله وذمة من الناس وانصرفوا بغضب من الله متحمليه وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر بدلا مما
كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلما واعتداء ۞ القول فى

ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلاة العيد والثانى ما يؤمر به الافراد كما اذا أخر بعض الناس الصلاة عن
ى المراقبة ولا يعترض على من أخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى
عام كالبلد اذا تعطل شربه أو
انهدم سوره أو طرقه أبناء السبيل
المحتاجون أو تركوا معونتهم فان
كان فى بيت المال مال لم يؤمر
الناس بذلك وان لم يكن أمر ذوو
المكنة برعايتها والى خاص كمطل
المديون الموسر بالدين فالمحتسب
يأمره بالخروج عنه اذا استعداه
رب الدين وليس له الحبس وثالثها
الحقوق المشتركة كأمر الاولياء
بانكاح الاكفاء والزام النساء
أحكام العدد وأخذ السادة بحقوق
الارقاء وأرباب البهائم بتعهدها وان
لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير
هيئات العبادات كالجهر فى الصلاة
السرية وبالعكس أو يزيد فى
الآذان يمنع وينكر عليه ومن
تصدى للتدريس والوعظ وهو
ليس من أهله ولم يؤمن اغترار الناس
به فى تأويل أو تحريف فينكر
المحتسب عليه ويظهر أمره لئلا
يغتر به واذا رأى رجلا واقفا مع
امرأة فى شارع يطرقه الناس لم ينكر
عليه وان كان فى طريق خال فهو
موضع ريبة فينكر ويقول ان
كانت ذات محرم فصنها عن مواضع
الريب وان كانت أجنبية فخف الله
معها فى الخلوة ولا ينكر فى حقوق
الآدميين كتعدى الجار فى جدار الجار
الا باستعداء صاحب الحق وينكر
على من يطيل الصلاة من أئمة المساجد
المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا
الخصوم وقصروا فى النظر فى
الخصومات والسوقى المختص بمعاملة
النساء يختبر أمانته فان ظهرت منه
خيانة منع من معاملتهن وبالجملة
الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعى الى الخير فى حال كل مكلف وغير مكلف حتى
الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا ويدعوه لى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب فى الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا

تأويل قوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يقول تعالى ذكره فعلنا
الانبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمر ربهم وقد بينا معنى الاعتداء في غير موضع
مما فيه الكفاية عن اعادته فأعلم ربنا جل ثناؤه عباده ما فعل بهؤلاء القوم من أهل
الذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا مع ما ادخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال وأل
حدود الله واستحلوا محارمه تذكيرا منه تعالى ذكره لهم وتنبيها على موضع البلاء
ليتنبؤا ويذكروا عظة منه لامتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا منهاجهم فيسلك بهم مس
بهم من نقم الله ومثلاته ما أحل بهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
بما عصوا وكانوا يعتدون اجتنبوا المعصية والعدوان فان بهما أهلك من أهلك من قبلكم من

القول في تأويل قوله (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل
يسجدون) يعني بقوله جل ثناؤه ليسوا سواء ليس فريقا أهل الكتاب أهل الايمان منهم وال
سواء يعني بذلك انهم غير متساوين يقول ليسوا متعادلين ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفس
والخير والشر وانما قيل ليسوا سواء لان فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب الذين ذكرهما الله في
قوله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم أخبر جل ثناؤه
عن حال الفريقين عنده المؤمنة منهما والكافرة فقال ليسوا سواء أي ليس هؤلاء سواء المؤمنون
منهم والكافرون ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم وأثنى
عليهم بعدما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ومخالفة الذل والصغار
وملازمة الفاقة والمسكنة وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة فقال من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآيات الثلاث الى قوله والله عليم بالمتقين فقوله أمة قائمة مرفوعة
بقوله من أهل الكتاب وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم ان
ما بعد سواء في هذا الموضع من قوله أمة قائمة ترجمة عن سواء وتفسير عنه بمعنى لا يستوي من أهل الكتاب
أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة وزعموا ان ذكر الفرقة الاخرى ترك اكتفاء
بذكر احدى الفرقتين وهي الامة القائمة ومثلوه بقول أبي ذؤيب

عصيت اليها القلب اني لامرها * سميع فما أدري أرشد طلابها

ولم يقل أم غير رشد اكتفاء بقوله أرشد من ذكر أم غير رشد وبقول الآخر

* وذو الهم قدما خاشع متضائل * وهو مع ذلك عندهم خطأ قول القائل أريد أن يقول سواء
أقمت أم قعدت سواء أقمت حتى يقول أم قعدت وانما يجيزون حذف الثاني فيما كان من الكلام
مكتفيا بواحد دون ما كان ناقصا عن ذلك وذلك نحو ما أبالي أو ما أدري فأجازوا في ذلك ما أبالي أقمت
وهم يريدون ما أبالي أقمت أم قعدت لاكتفاء ما أبالي بواحد وكذلك في ما أدري وأبوا الاجازة في سواء
من أجل نقصانه وأنه غير مكتف بواحد فأغفلوا في توجيههم قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة
قائمة على ما حكينا عنهم الى ما وجهوه اليه مذاهبهم في العربية اذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز
عندهم في الكلام مع سواء وأخطؤا تأويل الآية فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء لا
بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله وقد ذكر ان قوله من أهل الكتاب أمة قائمة الآيات الثلاث في جماعة
من اليهود أسلموا فحسن اسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن
اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لما أسلم عبد الله بن
سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا

لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبي وخلفائه الراشـ
الضحاك الى أن المراد من المذكورين في هذه الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكفى بقوله تعالى وأولئك هم المفلحون أي الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في أن الفاسق ليس له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من أهل الفلاح وأجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح أحوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامرأة أن يأمر عليها بالمعروف في أنها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل

وغير تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوي الناس وهو مريض

والقرآن ينعى عليه بقوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد سلف
تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر ألم أزن ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا وكذا أجيب بلى يا عدو الله في
ولكن انك اذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان أحدهما انه تعالى ذكر في الآيات

فى الاسلام ومخوافيه قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا تبعه الا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فانزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله الى قوله وأولئك من الصالحين حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس كل القوم هلك قد كان لله فيهم بقية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أمة قائمة عبد الله بن سلام وثعلبة بن سلام أخوه وشعبة ومبشر وأسيد وأسد ابنا كعب وقال آخرون معنى ذلك ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله سواء عند الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن الحسن بن أبى يزيد العجلى عن عبد الله بن مسعود انه كان يقول فى قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة لانه يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التى هى قائمة وقد بينا ان أولى القولين بالصواب فى ذلك قول من قال قد تمت القصة عند قوله ليسوا سواء عن اخبار الله بامر مؤمنى أهل الكتاب وأهل الكفر منهم وان قوله من أهل الكتاب أمة قائمة خبر مبتدأ عن مدح مؤمنيهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج ويعنى جل ثناؤه بقوله أمة قائمة جماعة ثابتة على الحق وقد دللنا على معنى الامة فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما القائمة فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناها العادلة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمة قائمة قال عادلة وقال آخرون بل معنى ذلك انها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس من أهل الكتاب أمة قائمة يقول أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه وقال آخرون بل معنى قائمة مطيعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التى هى قائمة لله والقانتة المطيعة وأولى هذه الاقوال بالصواب فى تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم وان كان سائر الاقوال الاخر متقاربة المعنى لمعنى ما قاله ابن عباس وقتادة فى ذلك وذلك ان معنى قوله قائمة مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه والعدل والطاعة وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونظير ذلك الخبر الذى رواه النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة ثم ضرب لهم مثلا فالقائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه فتأويل الكلام من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ثابتة على العمل بما فيه وما سن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعنى بقوله يتلون آيات الله يقرؤن كتاب الله آناء

المتقدمة انه بين فى التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان أهل الكتاب تحسدوا فاحتالوا الالقاء الشكوك
الكلام الى انه أمر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل أهل الكتاب من الله
واستغراق
فعلى هذه
الآيات الم
أس الامة
ضده وكان
على تقف
ومتغابر
أن يتفر
ذلك سبيله
التكليف وتر
من تتمة الآية السابعة
بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤ
واحد والتكرير للتأكيد
معناه ما تختلف تفرقوا بالعد
واختلفوا فى الدين أو تفرقوا بسبب
التأويلات الفاسدة للنصوص
واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة
قوله أو تفرقوا بابدانهم بان صار كل
من الاحبار رئيسا فى بلد واختلفوا
بان صار كل منهم يدعى انه على الحق
وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف
ان أكثر علماء الزمان بهذه الصفة
فنسأل الله العصمة والسداد وأولئك
اليهود والنصارى الذين اختلفوا من
بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة
والنصوص الظاهرة أو أولئك
الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة
هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه وفى
تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان
احداهما ان ذلك العذاب فى
اليوم والاخرى أن من حكمة
أن يمض بعض الوجوه
بعضها ونظير ذلك فى
يومئذ مسفرة
ووجوه يومئذ
فترة وفى أمثال هذه الالوان للمفسرين قولان أحدهما وإليه ميل أبى مسلم
الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سئل الحسن بن الى

الليل و يعني بقوله آيات الله ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ يقول يتلون ذلك آناء الليل يقول في ساعات الليل فيتدبرونه و يتفكرون فيه وأما آناء الليل فساعات الليل واحدها أنى كما قال الشاعر

حلو ومر لعطف القدح مرته * من كل انى حذاء الليل ينتعل

وقد قيل ان واحد الآناء انا مقصور كما واحد الامعاء معا واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ساعات الليل كما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يتلون آيات الله آناء الليل أي ساعات الليل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال آناء الليل ساعات الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير سمعنا العرب تقول آناء الليل ساعات الليل وقال آخرون آناء الليل جوف الليل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يتلون آيات الله آناء الليل أما آناء الليل فجوف الليل وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الاخيرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن الحسن بن أبي يزيد العجلي عن عبد الله بن مسعود في قوله يتلون آيات الله آناء الليل صلاة العتمة هم يصلون بها ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصليها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن سليمان عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليل فجاء ومنا المصلي ومنا المضطجع فبشرنا وقال انه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فأنزل الله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون حدثني يونس قال ثنا علي بن معبد عن أبي يحيى الخراساني عن نصر بن طريف عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء يريد العتمة فقال انما على الارض أحد من أهل الاديان ينتظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم قال فنزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور قال بلغني انها نزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون فيما بين المغرب والعشاء وهذه الاقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني وذلك ان الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بانهم يتلون آيات الله في ساعات الليل وهي آناؤه وقد يكون تاليها في صلاة العشاء تاليها آناء الليل وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ومن تلاها جوف الليل فكل تال له ساعات الليل غير ان أولى الاقوال بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء لانها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله وأما قوله وهم يسجدون فان بعض أهل العربية زعم ان معنى السجود في هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود لان التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع فكان معنى الكلام عنده يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون وليس المعنى على ما ذهب اليه وانما معنى الكلام من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم وهم مع ذلك يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة ۞ القول في تأويل قوله ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في

الخيرات

المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله في تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب يا بياض القرون سودت وجوه سود القرون (٣٤) وثانيهما أن السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في
...ات من أهل
...ض اللـون
...بضت صحيفته
...بيمينه ومن
...ل وسم بسواد
...ت صحيفتـه
...كل جانب
...ن بعـرف
...فيعظم نهم
...بسبب ذلك ويحصل
...م بسببه مزيد بهجة وسرور
...يل وثبور وأيضا اذا عـرف
...كلف في الدنيا انه يحصل له في
...آخرة احدى الحالتين ازدادت
رغبته في الطاعات وترك المحرمات
قلت والتحقيق فيه أن الهيآت
والاخلاق الجيدة أنوار والملكات
والعادات الذميمة ظلمات وكل
منهما لا يظهر آثارهما كما هي الا بعد
المفارقة الى الآخرة انظرونا نقتبس
من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورا واحتج أهل السنة بالآية على
ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه
ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه
قسم أهل القيامة الى قسمين بيض
الوجوه وهم المؤمنون ومسودها
وهم الكافرون كقوله تعالى في
آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون واعترض القاضي عليه
ان عدم ذكر القسم الثالث
لا يدل على عدمه وأيضا فغلظ وجوه
فلا يفيد العموم وأيضا
في الآية هم المؤمنون
وابعد الايمان ولا شبهة
...صلى من أهل النار مع
...ت هذين القسمين
الفساق والجواب لم لا يجوز أن يكون المراد ان كل احد أسلم وقت استخراج الذرية من صلب آدم فيكون
كفارا وانه أيضا جعل موجب العذاب في آخر الآية هو الكفر لا الكفر من حيث انه كفر بعد الايمان فان قيل لم

قدم البياض على السواد أولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدأ بذكر أهل الصواب وختم
الرحمة أكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع وانه

الخيرات وأولئك من الصالحين) يعني بقوله جل وعز يؤمنون بالله واليوم الآخر يصدقون بالله وبالبعث بعد الممات ويعلمون ان الله مجازيهم باعمالهم وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله ويعبدون معه غيره ويكذبون بالبعث بعد الممات وينكرون المجازات على الاعمال والثواب والعقاب وقوله ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به وينهون عن المنكر يقول وينهون الناس عن الكفر بالله وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله يعني بذلك انهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب محمد فيما جاءهم به وينهونهم عن المعروف من الاعمال وهو تصديق محمد فيما آتاهم به من عند الله ويسارعون في الخيرات يقول ويبتدرون فعل الخيرات خشية ان يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم مناياهم ثم أخبر جل ثناؤه ان هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين لان من كان منهم فاسقا قد باء بغضب من الله لكفره بالله وآياته وقتلهم الانبياء بغير حق وعصيانه ربه واعتدائه في حدوده ۞ القول في تأويل قوله (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وما يفعلوا من خير فلن يكفروه جميعا ردا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقرأته عامة قراء المدينة والحجاز وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعا وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بمعنى وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم وكان بعض قراء البصرة يرى القراءتين في ذلك جائزا بالياء والتاء في الحرفين والصواب من القراءة في ذلك عندنا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء في الحرفين كليهما يعني بذلك الخبر عن الامة القائمة التالية آيات الله وانما اخترنا ذلك لان ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم فالحاق هذه الآية اذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سالم قال ثنا حجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء قال بلغني عن ابن عباس انه كان يقرأها جميعا بالياء فتأويل الآية اذا على ما اخترنا من القراءة وما تفعل هذه الامة من خير وتعمل من عمل لله فيه رضى فلن يكفرهم الله ذلك يعني بذلك فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ولكنه يجزل لهم الثواب عليه ويسني لهم الكرامة والجزاء وقد دللنا على معنى الكفر فيما مضى قبل بشواهده وان أصله تغطية الشئ فكذلك ذلك في قوله فلن يكفروه فلن يغطى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك فيجزل لهم الثواب فيه وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل تأول من تأول ذلك من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تفعلوا من خير فلن تكفروه يقول لن يضل عنكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وأما قوله والله عليم بالمتقين فانه يقول تعالى ذكره والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته واجتنابه معاصيه وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها تبشيرا منه لهم جل ذكره في عاجل الدنيا وحضا لهم على التمسك بالذي هم عليه من صالح الاخلاق التي ارتضاها لهم ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا وعيد من الله عز وجل للامة الاخرى الفاسقة من أهل الكتاب الذين أخبر عنهم بانهم فاسقون وانهم قد باؤا بغضب منه ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

المراد بهؤلا
قال أبي بن
لانهم آمنوا و
الواحدي في البسـ
النبي صلى الله عليه و
أكفرتم بعد ما ظهر ل
الايمان وهو ما نصبه الله
التوحيد والنبوة وقال
والاصم والزجاج انهم أهل
آمنوا قبل مبعث النبي صلى
وسلم وكفروا به بعد بعثه وق
انهم المرتدون وقال الحسـ
المنافقون وقيل هم الخوارج
قال فيهم رسول الله صلى الله
وسلم يمرقون من الدين كما يمر
السهم من الرمية ولما رأى أبو امامة
رؤسا منصوبة على درج مسجد
دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب
النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم
السماء وخير قتلى تحت أديم السماء
الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب
أشئ تقوله برأيك أم شئ سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل
سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو
ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه
قال فما شأنك دمعت عيناك قال
رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام
فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ
بيده فقال ان بأرضك منهم كثير
فأعاذك الله منهم هذا مما أخ
الامام أبو عيسى الترمذي في
ولكن المشهور من مذهـ
السنة ان الخروج على الاما
الكفر البتة والاستة
تعالى أكفرتم بمعنى

القاضي وفيه وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على أن الكفر منهم لا من الله وقالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا
قوله ففي رحمة الله فالمراد الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فاجيب

وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعني لن تدفع أمواله التي جمعها في الدنيا وأولاده الذين رباهم فيها شيأ من عقوبة الله يوم القيامة ان أخرها لهم الى يوم القيامة ولا في الدنيا ان عجلها لهم فيها وانما خص أولاده وأمواله لان أولاد الرجل أقرب أنسابه اليه وهو على ماله أقرب منه على مال غيره وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره فاذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الامر فيه فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسابه وأموالهم أبعد من أن تغني عنه من الله شيأ ثم أخبر جل ثناؤه انهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله وأولئك أصحاب النار وانما جعلهم أصحابها لانهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل الذي لا يفارقه وقرينه الذي لا يزايله ثم ذكر ذلك باخباره عنهم انهم فيها خالدون صحبتهم اياها صحبة لا انقطاع لها اذ كان من الاشياء ما يفارق صاحبه في بعض الاحوال ويزايله في بعض الاوقات وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التي صلوها ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع نعوذ بالله منها ومما قرب منها من قول وعمل

القول في تأويل قوله (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته) يعني بذلك جل ثناؤه شبه ما ينفق الذين كفروا أي شبه ما يتصدق به الكافر من ماله فيعطيه من يعطيه على وجه القربة الى ربه وهو لوحدانية الله جاحد ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب في أن ذلك غير نافعه مع كفره وانه مضمحل عند حاجته اليه ذاهب بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه كشبه ريح فيها برد شديد أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد حرث قوم يعني زرع قوم قد أملوا ادراكه ورجوا ريعه وعائدة نفعه ظلموا أنفسهم يعني أصحاب الزرع عصوا الله وتعدوا حدوده فاهلكته يعني فاهلكت الريح التي فيها الصر زرعهم ذلك بعد الذي كانوا عليه من الامل ورجاء عائدة نفعه عليهم يقول تعالى ذكره وكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته حين يلقاه يبطل ثوابها ويخيب رجاءه منها وخرج المثل للنفقة والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة فبين ذلك قوله كمثل ريح فيها صر فهو كما قد بينا في مثله من قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما أشبه ذلك فتأويل الكلام مثل ابطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر وانما جاز ترك ذكر ابطال الله أجر ذلك لدلالة آخر الكلام عليه وهو قوله كمثل ريح فيها صر ولمعرفة السامع ذلك معناه واختلف أهل التأويل في معنى النفقة التي ذكرها في هذه الآية فقال بعضهم هي النفقة المعروفة في الناس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قال نفقة الكافر في الدنيا وقال آخرون بل ذلك قوله الذي يقوله بلسانه مما لا يصدقه بقلبه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته يقول مثل ما يقول فلا يقبل منه كمثل هذا الزرع اذا زرعه القوم الظالمون فاصابه ريح فيها صر أصابته فاهلكته فكذلك أنفقوا فاهلكهم شركهم وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل وقد تقدم بياننا تأويل الحياة الدنيا بما فيه الكفاية من اعادته في هذا الموضع وأما الصر فانه شدة البرد وذلك معصوف من الشمال في اعصار الطل والانداء في صبحة معمة بعقب ليلة مصحية كما حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن عتاب قال سمعت عكرمة يقول ريح فيها صر قال برد شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس ريح فيها صر قال برد شديد وزمهرير حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ريح فيها صر يقول برد حدثنا ابن وكيع قال ثنا

لا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على أن العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته وفي اضافة ل العذاب بكفرهم والنص على خلود أهل الثواب دون أهل النار وان كانوا مخلدين أيضا دلائل واشارات الى أن والرحمة مغلب د ... له تلك ... ردت ... الوعيد ... آيات الله ... ما ... لحق العدل ... المحسن باحسانه وجزاء ... باساءته أو متلبسة بالمعنى ق لان معنى المتلو حق وما الله ... ظلما للعالمين ولكن صالح ... لا تنتظم الا بتهديد المذنبين ... التهديد فلا بد من التحقيق ... الكذب عن هو أصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب أن لا يريد شيأ مما يكون ظلما سواء فرض منه أو من العبد على نفسه أو على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلا لشئ من الاقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشئ وصح منه كونه مريدا له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى أن يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض وأيضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل ... العجز أو الحاجة وكل ذلك على ... محال لانه مالك لكل ما في ... وما في الارض بل لكل ... موجود وربما يقال معنى ... أن يكون انه لا يريد أن ... انه لا يريد أن يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البرئ من ابى شد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم

أبي عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس الصر البرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كمثل ريح فيها صر أي برد شديد حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي في الصر البرد الشديد حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس كمثل ريح فيها صر يقول ريح فيها برد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ريح فيها صر قال صر باردة أهلكت حرثهم قال والعرب تدعوها الصريت تأتي الريح باردة فتصبح صريتا قد احترق الزرع يقول قد صرت الليلة أصابه صريت تلك الصر التي أصابته حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك ريح فيها صر قال ريح فيها برد ۞ القول في تأويل قوله (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم من احباطه ثواب أعمالهم وابطاله أجورها ظلما منه لهم يعني وضعا منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله بل وضع فعله ذلك في موضعه وفعل بهم ما هم أهله لان عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ولامره متبعون ولرسله مصدقون بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ولامره مخالفون ولرسله مكذبون بعد تقدم منه اليهم أنه لا يقبل عملا من عامل الا مع اخلاص التوحيد له والاقرار بنبوة أنبيائه وتصديق ما جاءهم به وتوكيده الحجج بذلك عليهم فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك بعد الاعتذار اليه من احباط وافر عمله له ظالما بل الكافر هو الظالم نفسه لاكسابها من معصية الله وخلاف أمره ما أوردها به نار جهنم وأصلاها به سعير سقر ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم لا تتخذوا بطانة من دونكم يقول لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لانفسكم من دونكم يقول من دون أهل دينكم وملتكم يعني من غير المؤمنين وانما جعل البطانة مثلا لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه محل ما ولي جسده من ثيابه فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة وبغيهم اياهم الغوائل فحذرهم بذلك منهم عن مخالتهم فقال تعالى ذكره لا يألونكم خبالا يعني لا يستطيعونكم شرا من ألوت ألو ألوا يقال ما ألا فلان كذا أي ما استطاع كما قال الشاعر

جهراء لا تألو اذا هي أظهرت * بصرا ولا من عيلة تغنيني

يعني لا تستطيع عند الظهر ابصارا وانما يعني جل ذكره بقوله لا يألونكم خبالا البطانة التي نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم فقال ان هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالا أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال وأصل الخبل والخبال الفساد ثم يستعمل في معان كثيرة يدل على ذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصيب بخبل أو جراح وأما قوله ودوا ما عنتم فانه يعني ودوا عنتكم يقول يتمنون لكم العنت والشر في دينكم وما يسوءكم ولا يسركم وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ويصافونهم المودة بالاسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الاسلام فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال قال محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار

فلا يلزم منه مدح والثاني أيضا محال على قولكم لان كلا بارادة الله وبتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الآية على و
أجاب أهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تأ
وهو يطعم ولا يطعم التمدح بذلك على صحة عليه الثاني انه تعالى ليس بمستحق الظلم لم يكن في صورة الظلم وقد يطلق المتشابهين على الآ. وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا المقام أن الظلم وضع غير موضعه واذا كان الص من ضرورات صف فوضع كل منهما في مو وضع الشيء في موضعه ظلما واحتجت الاشاعرة ما في السموات وما في الارض ان أفعال العباد مخلوقة لله لانها من جملة ما في السموات و الارض أجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعوله وأيضا الآية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وأيضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان مظروفا لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي أعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل أو الترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك أن الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه تعالى
فيكون الجبر أيضا لازما من هذا الوجه والى الله أي الى حيث لا مالك سواه ترجع الامور وفيه اشارة الى أنه تعالى مبدأ المخلوقات كلها وهذا
اشارة الى أن معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير أمة في النظم وجهان أحدهما انه لما أمر المؤمنين بما أمرهم به ثم ... عدل الى

تقضي تحملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي داعيتهم في أن لا يبطلوا على أنفسهم هذه المزية وذلك انما

تكاليف الشرعية وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه أولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله

والحلف في الجاهلية فانزل الله عز وجل فيهم فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وتؤمنون بالكتاب كله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا في المنافقين من أهل المدينة نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يؤاخوهم أي يتولوهم من دون المؤمنين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تتخذوا بطانة من دونكم هم المنافقون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا يقول لا تستدخلوا المنافقين تتولوهم دون المؤمنين حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن الازهر بن راشد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار أهل الشرك ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا قال فلم ندر ما ذلك حتى أتوا الحسن فسألوه فقال نعم أما قوله لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فانه يقول لا تنقشوا في خواتيمكم محمدا وأما قوله ولا تستضيئوا بنار أهل الشرك فانه يعني به المشركين يقول لا تستشيروهم في شيء من أموركم قال قال الحسن وتصديق ذلك في كتاب الله ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أما البطانة فهم المنافقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال لا يستدخل المؤمن المنافق دون أخيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال هؤلاء المنافقون وقرأ قوله قد بدت البغضاء من أفواههم الآية واختلفوا في تأويل قوله ودوا ما عنتم فقال بعضهم معناه ودوا ما ضللتم عن دينكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ودوا ما عنتم يقول ما ضللتم وقال آخرون بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ودوا ما عنتم يقول في دينكم يعني انهم يودون أن تعنتوا في دينكم * فان قال لنا قائل وكيف قيل ودوا ما عنتم فجاء بالخبر عن البطانة بلفظ الماضي في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر والحالات لا تكون الا بصور الاسماء والافعال المستقبلة دون الماضية منها قيل ليس الامر في ذلك على ما ظننت من أن قوله ودوا ما عنتم حال من البطانة وانما هو خبر عنهم ثان منقطع عن الاول غير متصل به وانما تأويل الكلام يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا صفتهم كذا فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الاولى وان كانتا جميعا من صفة شخص واحد وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله ودوا ما عنتم من صلة البطانة وقد وصلت بقوله لا يألونكم خبالا فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلته ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله ودوا ما عنتم خبر مبتدأ عن البطانة عن الخبر الاول وعن حال من البطانة ولا قطع منها * القول في تأويل قوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) يعني بذلك جل ثناؤه قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم بأفواههم يعني بألسنتهم والذي بدا لهم منهم بألسنتهم اقامتهم على كفرهم وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة فذلك من أوكد الاسباب في معاداتهم أهل الايمان لان ذلك عداوة عن الدين والعداوة على الدين

بطلب العالمين يعني انهم ...لك بافعالهم القبيحة ثم ...بب وعد السعداء بقوله ...ير أمة أي تلك الكرامات دات انما فازوا بها في الآخرة ...نوا في الدنيا خير أمة وأقول الكلام في مخاطبة المؤمنين ان كل ما في الوجود ملكه بداعا واختراعا وان منتهى يه انبع ذلك من يقصده بعلم انها بسابقة العناية اذ جعلوا مظهر الالطاف بعدها رذيلة أهل الكتاب بانها لوقوعهم في طريق ولا اعتراض لاحد على ما يفعله ...سالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وأفضل منكم فانزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير أمة على الحال أي حدثتم ووجدتم خير أمة وقال الاكثرون على انها ناقصة ثم فائدة ايهام انهم كانوا موصوفين بالخير بتقي الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا تدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ خير أمة أو كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير أمة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وقال أبو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم

وما بينهما اعتراض والتقدير أنه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا نلتم من الرحمة بياض الوجه   العداوة
ما قلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال أنتم فكان هذا التشريف حاصلا لكلنا ولكنه مخصوص بقوم معينين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

العداوة التي لا زوال لها الا بانتقال أحد المتعادين الى ملة الآخر منهما وذلك انتقال من هدى الى ضلالة كانت عند المنتقل اليها ضلالة قبل ذلك فكان في ابدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه أبين الدلالة لاهل الايمان على ماهم عليه لهم من البغضاء والعداوة وقد قال بعضهم معنى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم قد بدت بغضاؤهم لاهل الايمان الى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر باطلاع بعضهم بعضا على ذلك وزعم قائلو هذه المقالة ان الذين عنوا بهذه الآية أهل النفاق دون من كان مصرحا بالكفر من اليهود وأهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد بدت البغضاء من أفواههم يقول قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين الى اخوانهم من الكفار من غشهم للاسلام وأهله وبغضهم اياهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قد بدت البغضاء في أفواههم يقول من أفواه المنافقين وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له وذلك ان الله تعالى ذكره انما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للاسلام وأهله والبغضاء اما بادلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم واما باظهار الموصوفين بذلك العداوة والشنآن والمناصبة لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالفته ومباطنته فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريفهم اياهم اما باعيانهم وأسمائهم واما بصفات قد عرفوهم بها واذ كان ذلك كذلك وكان ابداء المنافقين بالسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى اخوانهم من الكفار غير مدرك به المؤمنون معرفة ماهم عليه لهم مع اظهارهم الايمان بالسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذين نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لانفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها وانهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بانهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لانهم لو كانوا المنافقين لكان الامر منهم على ما قد بينا ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب لم يكن المؤمنون متخذيهم لانفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقد من يهود بني اسرائيل والبغضاء مصدر وقد ذكر انها في قراءة عبد الله بن مسعود قد بدا البغضاء من أفواههم على وجه التذكير وانما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث لان المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم فيجوز تذكير ما خرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه كما قال عز وجل وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكما قال فقد جاءكم بينة من ربكم وفي موضع آخر وأخذت الذين ظلموا الصيحة وجاءتكم بينة من ربكم وقال من أفواههم وانما بدا ما بدا من البغضاء بالسنتهم لان المعني به الكلام الذي ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم فقال قد بدت البغضاء من أفواههم بالسنتهم ۞ القول في تأويل قوله (وما تخفي صدورهم أكبر) يعني تعالى ذكره بذلك والذي تخفي صدورهم يعني صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة فتخفيه عنكم أيها المؤمنون أكبر يقول أكبر مما قد بدا لكم بالسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول وما تخفي صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم ۞ القول في تأويل قوله (قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) يعني بذلك جل ثناؤه قد بينا لكم أيها المؤمنون الآيات يعني بالآيات

وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى أنتم خير أمة وزيفه ابن الانباري بان الزائدة لا توضع ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله قائم على ان كان زائدة لان الب... شدة العناية والملغى لا ... العناية وقيل انها بمعنى صرتم خير أمة وأصل الامة المجتمعة على الشئ الواحد محمد صلى الله عليه وسلم هي الموصوفة بالايمان به والا... بنبوته واذا أطلقت الامة ... قول العلماء اجتمعت الامة عليهم وقد يقال لكل من دعونا انهم أمة الدعوة و... عليهم لفظ الامة الا بهذا ال... الزجاج ظاهر الخطاب في أصحاب النبي صلى الله عليه ولكنه عام في حق كل الامة ... كتب عليكم القصاص كتب ع... الصيام وقوله للناس اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما أن يتعلق بكنتم أي كنتم للناس خير أمة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا وأما انه من أي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد وأقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل وأعرف المعروفات الدين الحق والايمان بتوحيد الله ونبوة أنبيائه وأنكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض

لعبر قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذى نهينا كم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم ان كنتم تعقلون يعنى ان كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم

۞ القول فى تأويل قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى بذلك جل ثناؤه ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم يقول تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم بل ينتظرون لكم العداوة والغش وتؤمنون بالكتاب كله ومعنى الكتاب فى هذا الموضع معنى الجمع كما يقال كثير الدرهم فى أيدى الناس بمعنى الدراهم فكذلك قوله وتؤمنون بالكتاب كله انما معناه بالكتب كلها كتابكم الذى أنزل الله اليكم وكتابهم الذى أنزله اليهم وغير ذلك من الكتب التى انزلها الله على عباده يقول تعالى ذكره فانتم اذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها وتعلمون ان الذى نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله بجحودهم ذلك كله من عهود الله اليهم وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه أولى بعداوتكم اياهم وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم بغضائكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تؤمنون بالكتاب كله أى بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم وقال ها أنتم أولاء ولم يقل هذا أنتم ففرق بين ها واولاء بكناية اسم المخاطبين لان العرب كذلك تفعل فى هذا اذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذى يحتاج الى تمام الخبر وذلك مثل أن يقال لبعضهم أين أنت فيجيب المقول ذلك له ها أناذا فيفرق بين التنبيه وذا بكنى اسم نفسه ولا يكادون يقولون هذا أنا ثم يثنى ويجمع على ذلك وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا فقالوا ها أنا هذا ولا يفعلون ذلك الا فيما كان تقريبا فاما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا هذا هو وهذا أنت وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة يقولون هذا عمرو قائما وان كان هذا تقريبا وانما فعلوا ذلك فى المكنى مع التقريب تفرقة بين هذا اذا كان بمعنى الناقص الذى يحتاج الى تمام وبينه وبين ما اذا كان بمعنى الاسم الصحيح وقوله تحبونهم خبر للتقريب فى هذه الآية وبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعنى المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم باهل الخلاف لهم وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الايمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوى اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لاباد خضراءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لاباد خضراءه وكان مجاهد يقول نزلت هذه الآية فى المنافقين حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

۞ القول فى تأويل قوله (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعنى بذلك تعالى ذكره ان هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم اذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوهم بألسنتهم تقية حذرا على أنفسهم منهم فقالوا لهم قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واذا هم خلوا فصاروا فى خلاء حيث لا يراهم المؤمنون عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أناملهم وهى أطراف أصابعهم تغيظا مما بهم من الموجدة عليهم وأسى على ظهر يسندون اليه لمكاشفتهم العداوة

تمام المنافع وتقليله من أعظم المضار فكان من أعظم العبادات ولما كان أمر الجهاد فى شرعنا أقوى منه فى سائر الشرائع كـ
ـه عليه وسلم أتانى السيف أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا الفضل هذه
ـر الامم وهذا معنى
ـبن عباس فى تفسير
ـير أمة تأمرونهم أن
ـلا اله الا الله ويقروا بما
ـيقاتلوكم عليه ولا اله الا
المعروف والتكذيب
ـكر وفائدة القتل على
ـكره منصف فان أكثرهم
ـفوه من الاديان الباطلة
ـ فى الدلائل التى تورد
ـخوف بالقتل دخل فى
ـرها الى أن يألفه متدرجا
ـ بالله فلا شك انه فى
ـة أكمل لانهم آمنوا بكل
ـمان به من رسول أو
ـو بعث أو حساب أو ثواب أو
ـب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن
ـبعض ونكفر ببعض وانما اقتصر
ـفى وصف الامة على الايمان بالله لانه
ـيستلزم الايمان بالنبوة وبسائر
ـعدنا والا لم يكن فى الحقيقة ايمانا
ـولهذا نفى عن أهل الكتاب فى قوله
ـولو آمن أهل الكتاب وانما قدم
ـالامر بالمعروف على الايمان بالله فى
ـالذكر مع ان الايمان مقدم على
ـكل الطاعات لان الآية سيقت
ـلبيان فضل الامر بالمعروف وتأكد
ـالقيام به ولهذا كرر بعد قوله
ـولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
ـويأمرون بالمعروف فكانت
ـالعناية به أشد فكان تقديمه أهم
ـوليعلم ان التكميل أفضل من
ـالكمال نفسه ولهذا استلزم الاول
ـالثانى دون العكس ولان التكميل
ـيتضمن الكمال فكان فى تأخير
ـالايمان بانه تكريراله مرة
بالتضمن وأخرى بالمطابقة على أن الواو لا تفيد الترتيب وأيضا أراد أن يبنى عليه قوله ولو آمن وفى التفسير الكبير ومناجزتهم
أن أصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا يبين فيه الخير بتمكن الآية سيقت لبيان الخير يتوليس ذلك الا لان هذه الامة أقوى فى باب الامر

عوف عمن حدثه عن ابن عباس في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتل معه ربيون كثير قال جموع حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الالوف وقال آخرون عنى بالربيين العلماء ذكر من قال ذلك حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال فقهاء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الجموع الكثير قال يعقوب وكذلك قرأها اسمعيل قتل معه ربيون كثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير قال قتادة جموع كثير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل قتل معه ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة قتل نبيهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حيان والمبارك عن الحسن في قوله وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قال جعفر علماء صبروا وقال ابن المبارك أتقياء صبر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله قتل معه ربيون كثير يعني الجموع الكثيرة قتل نبيهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قاتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال وكأين من نبي أصابه القتل ومعه جماعات حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الربيون الجموع الكثيرة وقال آخرون الربيون الاتباع ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الربيون الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وهذا عتبهم الله حين انهزموا عنه حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل قال كانت الهزيمة عند صياحه في سبب صاح أيها الناس ان محمدا رسول الله قد قتل فارجعوا الى عشائركم يؤمنوكم ﴿ القول في تأويل قوله (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) يعني بقوله تعالى ذكره فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله ولا نكلوا عن جهادهم وما ضعفوا يقول وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم وما استكانوا يعني وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم ولكن مضوا قدما على بصائرهم

تحت العرش ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان الفقير أنكر عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس أو حبس والمراد في جميع الاحوال لانهم لا يخلون في حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم أو ساءهم بان كان مخالفا فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة أو لانه كان أهم في ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كأنه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من أقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال أيضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل أن يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع ما يكون في الاحوال التي يجني عليهم أحد لم يؤاخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ليس الاحسان أن تحسن

ومنهاج نبيهم صبرا على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله واتباعا لتنزيله ووحيه والله يحب الصابرين يقول والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لامره وطاعته وطاعة رسوله فى جهاد عدوه لا من فشل ففر عن عدوه ولا من انقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما عجزوا وما تضعضعوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول ما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله حتى لحقوا بالله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا يقول ما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول وما ارتدوا على نصرتهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فما وهنوا فما وهن الربيون لما أصابهم فى سبيل الله من قتل النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما ضعفوا فى سبيل الله لقتل النبى وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما ذلوا حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم ان يعلونا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب الصابرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وما استكانوا قال تخشعوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما استكانوا قال ما استكانوا لعدوهم والله يحب الصابرين ۞ القول فى تأويل قوله (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) يعنى تعالى ذكره بقوله وما كان قولهم وما كان قول الربيين والهاء والميم من ذكر أسماء الربيين الا أن قالوا يعنى ما كان لهم قول سوى هذا القول اذ قتل نبيهم وقوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا يقول لم يعتصموا اذ قتل نبيهم الا بالصبر على ما أصابهم ومجاهدة عدوهم وبمسئلة ربهم المغفرة والنصر على عدوهم ومعنى الكلام وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأما الاسراف فانه الافراط فى الشئ يقال منه أسرف فلان فى هذا الامر اذا تجاوز مقداره فأفرط ومعناه ههنا اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها وما أسرفنا فيه منها فتخطينا الى العظام وكان معنى الكلام اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله واسرافنا فى أمرنا قال خطايانا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واسرافنا فى أمرنا خطايانا وظلمنا أنفسنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله واسرافنا فى أمرنا يعنى الخطايا الكبار حدثنا القسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم قال الكبائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واسرافنا فى أمرنا قال خطايانا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واسرافنا فى أمرنا يقول خطايانا وأما قوله وثبت أقدامنا فانه يقول اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفر منهم ولا يثبت قدمه فى مكان واحد لحربهم وانصرنا على القوم الكافرين يقول وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك وانما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم وتأديب لهم

الناس أحسن اليك ذلك مكافأة الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك والله يحب المحسنين يجوز أن يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من أنواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعنى بالانفاق فى السراء والضراء فى وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما فى الدنيا بأن لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة أخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما فى الآخرة بأن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب قال ابن عباس فى رواية عطاء ان منهالا التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال فى رواية الكلبى ان رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان فى أحوالهما فخرج الثقفى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة فى السفر وخلف الانصارى فى أهله وحاجته فأقبل ذات يوم فأبصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهى ناشرة شعرها فوقعت فى نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظهر كفها ثم ندم واستحى فأدبر راجعا فقال سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح فى الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفى فأخبرته أهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبى ذنبى قد خنت أخى فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ذنبك لعل الله أن يجعل لك فرجا وتوبة فأقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يقول

يقول الله عز وجل هلا فعلتم اذ قيل لكم قتل نبيكم كما فعل هؤلاء الربيون الذين كانوا قبلكم من اتباع الانبياء اذ قتلت أنبياؤهم فصبرتم لعدوكم صبرهم ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم فتضلوا لولا الارتداد على أعقابكم كما لم يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوهم وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا فينصركم الله عليهم كما نصروا فان الله يحب من صبر لامره وعلى جهاد عدوه فيعطيه النصر والظفر على عدوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين أى فقولوا كما قالوا واعلموا انما ذلك بذنوب منكم واستغفروا كما استغفروا وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم والقراءة التى هي القراءة في قوله وما كان قولهم النصب لاجماع قراء الامصار على ذلك نقلا مستفيضا وراثة عن الحجة وانما اختير النصب في القول لان الا أن لا تكون الا معرفة فكانت أولى بان تكون في الاسم دون الاسماء التى قد تكون معرفة أحيانا ونكرة أحيانا ولذلك اختير النصب في كل اسم ولى كان اذا كان بعده ان الخفيفة كقوله وما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فاما اذا كان الذى يلى كان اسما معرفة والذى بعده مثله فسواء الرفع والنصب في الذى ولى كان فان جعلت الذى ولى كان هو الاسم رفعته ونصبت الذى بعده وان جعلت الذى ولى كان هو الخبر نصبته ورفعت الذى بعده وذلك كقوله جل ثناؤه ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءى ان جعلت العاقبة الاسم رفعتها وجعلت السوءى هو الخبر منصوبة وان جعلت العاقبة الخبر نصبت فقلت وكان عاقبة الذين أساؤا السوءى وجعلت السوءى هي الاسم فكانت مرفوعة وكما قال الشاعر

لقد علم الاقوام ما كان داءها * بثهلان الا الخزى ممن يقودها

وروى أيضا ما كان داؤها بثهلان الا الخزى نصبا ورفعا على ما قد بينت ولو فعل مثل ذلك مع أن كان جائزا غير ان أفصح الكلام ما وصفت عند العرب ﴿ القول في تأويل قوله (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) يعنى بذلك تعالى ذكره فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم وعلى جهاد عدوهم والاستعانة بالله في أمورهم واقتفائهم مناهج امامهم على ما بلاهم الله ثواب الدنيا يعنى جزاء في الدنيا وذلك النصر على عدوهم وعدو الله والظفر والفتح عليهم والتمكين لهم في البلاد وحسن ثواب الآخرة يعنى وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة وذلك الجنة ونعيمها كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فقرأ حتى بلغ والله يحب المحسنين أى والله لآتاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول حسن الثواب في الآخرة هي الجنة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان قولهم ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج في قوله فآتاهم الله ثواب الدنيا قال النصر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة قال رضوان الله ورحمته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآتاهم الله ثواب الدنيا حسن الظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة وما أعد فيها وقوله والله يحب المحسنين يقول تعالى ذكره فعل الله ذلك بهم باحسانهم فانه يحب المحسنين وهم الذين يفعلون مثل الذى وصف عنهم تعالى ذكره انهم فعلوه حين قتل نبيهم ﴿ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا

صلى الله عليه وسلم أبنو اسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أذنك أجدع أنفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين انهم أكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف أى فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم اذنبوا أى ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس مادونه من القبلة واللمسة وهذا القول أنسب بسبب النزول الذى رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله أى وعيده أو عقابه وانه سائلهم أو نهيه أو جلاله الموجب للخشية والحياء منه أو ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلابد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواحدى ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وقيل المراد ذكروا الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم بقولهم استغفر الله ربى من ذنبى كذا والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا أثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا

الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ان تطيعوا الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه فتقبلوا رأيهم في ذلك وتنتصحوهم فيما تزعمون انهم لكم فيه ناصحون يردوكم على أعقابكم يقول يحملوكم على الردة بعد الايمان والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الاسلام فتنقلبوا خاسرين يقول فترجعوا عن ايمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين يعني هالكين قد خسرتم أنفسكم وضللتم عن دينكم وذهبت دنياكم وآخرتكم ينهى بذلك أهل الايمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم وينتصحوهم في أديانهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين أي عن دينكم فتذهب دنياكم وآخرتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا قال ابن جريج لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم بشيء في دينكم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين يقول ان تطيعوا أبا سفيان يردوكم كفارا ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) يعني بذلك تعالى ذكره ان الله مسددكم أيها المؤمنون فمنقذكم من طاعة الذين كفروا وانما قيل بل الله مولاكم لان في قوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم نهيا لهم عن طاعتهم فكأنه قال يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا فيردوكم على أعقابكم ثم ابتدأ الخبر فقال بل الله مولاكم فأطيعوه دون الذين كفروا فهو خير من نصر ولذلك رفع اسم الله ولو كان منصوبا على معنى بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا كان وجها صحيحا ويعني بقوله بل الله مولاكم وليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا وهو خير الناصرين لا من فررتم اليه من اليهود وأهل الكفر بالله فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا واياه فاستنصروا دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ويرصدكم بالمكاره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بل الله مولاكم ان كان ما تقولون بألسنتكم صدقا في قلوبكم وهو خير الناصرين أي فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم ۞ القول في تأويل قوله (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) يعني بذلك جل ثناؤه سيلقي الله أيها المؤمنون في قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ممن حاربكم باحد الرعب وهو الجزع والهلع بما أشركوا بالله يعني بشركهم بالله وعبادتهم الاصنام وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة وهي السلطان التي أخبر عز وجل انه لم ينزله بكفرهم وشركهم وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم والفلج عليهم ما استقاموا على عهده وتمسكوا بطاعته ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم اليه فقال جل ثناؤه ومأواهم النار يعني ومرجعهم الذي يرجعون اليه يوم القيامة النار وبئس مثوى الظالمين يقول وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله النار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اني سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم به حجة أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم واتبعتم أمري للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لانفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد

الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك العقاب عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة أرجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وعن علي رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس أذنيه ضمهما الى رأسه وأصر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل أصروا وحرف النهي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب وأردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها ابن
بالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل أن يراد بالعلم العقل والتمييز أي تمكن من الاحتراز عن الفواحش

ابن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى قال لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوا فقذف الله عز وجل فى قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا وقالوا له ان لقيت محمدا فأخبرهم بما قد جمعنا لهم فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فأنزل الله عز وجل فى ذلك فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وما قذف فى قلبه من الرعب فقال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد صدقكم الله وعده) يعنى بقوله تعالى ذكره ولقد صدقكم الله وعده أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باحد وعده الذى كان وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والوعد الذى كان وعدهم على لسانه باحد قوله للرماة اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا وان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ ان انتهوا الى أمره كالذى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين باحد أمر الرماة فقاموا باصل الجبل فى وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم ان طلحة ابن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم أحد يعجله الله بسيفى الى الجنة أو يعجلنى بسيفه الى النار فقام اليه على بن أبى طالب فقال والذى نفسى بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفى الى النار أو يعجلنى بسيفك الى الجنة فضربه على فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلى أصحابه ما منعك أن تجهز عليه قال ان ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح فى خيله ثم حمل فقتل الرماة ثم حمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال لما كان يوم أحد ولقينا المشركين أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بازاء الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقى القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن فجعلوا يقولون الغنيمة الغنيمة قال عبد الله مهلا أما علمتم ما عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا فانطلقوا فلما أتوهم صرف الله وجوههم فاصيب من المسلمين سبعون قتيلا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء بنحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه فان أبا سفيان أقبل فى ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحدا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن فى الناس فاجتمعوا وأمر على الخيل

فيجرى مجرى قوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث وعلى هذا يجوز أن يراد نفى الاصرار فى حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو أردت فى المثال المذكور نفى المجىء فى حال الركوب لا نفى المجىء على الاطلاق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهى اشارة الى ازالة العقاب وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وهذه اشارة الى ايصال الثواب ونعم أجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضى وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء أجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل أن يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا أيضا بالآية على ان أهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب أن لا يدخلها غيرهم بفضل الله ورحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل أحوال القرون الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن وأصل الخلو الانفراد والمكان الخالى هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهى فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه وكأنه أجراه على نهج واحد أو من سننت النصل أحددته أو من سن الابل اذا أحسن الرعى والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى فى الامم السالفة يعنى سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقى عليهم اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة هذا قول أكثر المفسرين قال مجاهد المراد منه هدى الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر لكن المؤمن بقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل فى حال أحد القسمين يكفى فى معرفة حال القسم

الآية ثم أولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل أحوال أمثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف أحوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد أن يقال ندب

الزبير بن العوام ومعه يومئذ المقداد بن الاسود الكندي وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له مصعب بن عمير وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسر وبعث حمزة بين يديه وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه حتى أوذنك وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر فقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الزبير أن يحمل فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه فقال لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وان الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن عبد الله الزبيري أن محمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمير بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا في قصة ذكرها عن أحد ذكر أن كلهم قد حدث ببعضها وان حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث فكان فيما ذكر في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا تقاتلوا حتى نؤمر بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة المسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب وصفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهم سبعمائة رجل وتصاف قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلم بثياب بيض والرماة خمسون رجلا وقال انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض واقتتلوا حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين فأنزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا شك فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند ابنة عتبة وصواحبها مشمرات هوازم ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد ان هزمنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله ولقد صدقكم الله وعده أي لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولقد صدقكم الله وعده وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا تأخذوا ما أصبتم من غنائمهم شيأ حتى تفرغوا فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به ۞ القول في تأويل قوله (اذ تحسونهم باذنه) يعني تعالى ذكره بذلك ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وعدكم من النصر على عدوكم باحد حين تحسونهم يعني حين تقتلونهم يقال منه حسه يحسه حسا اذا قتله كما حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال ثنا يعقوب بن عيسى قال ثني عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف في قوله اذ تحسونهم باذنه

الى السير لان لمشاهدة آثار الاقدمين أثرا أقوى من أثر السماع كما قيل ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار هذا بيان المشار اليه بهذا اما أن يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما أن يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان أحدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية وأقول يشبه أن يكون البيان عاما لجميع المكلفين وبأي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدل والموعظة يراد بهما الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر كما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كأنه قال اذا بحثتم عن أحوال القرون الخالية علمتم ان صولة الباطل مضمحل وأن العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف أي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما أصابكم يوم أحد وهنا وجبنا ولا

باذنه قال الحس القتل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول فى قول الله عز وجل اذ تحسونهم قال القتل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تحسونهم باذنه قال تقتلونهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم أى قتلا باذنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله اذ تحسونهم يقول اذ تقتلونهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع اذ تحسونهم باذنه والحس القتل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم بالسيوف أى بالقتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن اذ تحسونهم باذنه يعنى القتل حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم وأما قوله باذنه فانه يعنى بحكمى وقضائى لكم بذلك وتسليطى اياكم عليهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم باذنى وتسليطى أيديكم عليهم وكفى أيديهم عنكم ❁ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون) يعنى بقوله جل ثناؤه حتى اذا فشلتم حتى اذا جبنتم وضعفتم وتنازعتم فى الامر يقول واختلفتم فى أمر الله يقول وعصيتم وخالفتم نبيكم فتركتم أمره وما عهد اليكم وانما يعنى بذلك الرماة الذين كان أمرهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب باحد بازاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبل أمرهم وأما قوله من بعدما أراكم ما تحبون فانه يعنى بذلك من بعد الذى أراكم الله أيها المؤمنون بمحمد من النصر والظفر بالمشركين وذلك هو الهزيمة التى كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم وبنحو الذى قلنا تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل وقد مضى ذكر بعض من قال وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون وذاكم يوم أحد عهد اليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بامر فنسوا العهد وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فنصر عليهم عدوهم بعدما أراهم من عدوهم ما يحبون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناسا من الناس يعنى يوم أحد فكانوا من ورائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا ههنا فردوا وجه من فد أمنا وكونوا حرسا لنا من قبل ظهورنا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض لما رأوا النساء مصعدات فى الجبل ورأوا الغنائم انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوا الغنيمة قبل أن يسبقوا اليها وقالت طائفة أخرى بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا فذلك قوله منكم من يريد الدنيا الذين أرادوا الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة الذين قالوا نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فكان فشلا حين تنازعوا بينهم يقول وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع حتى اذا فشلتم يقول جبنتم عن عدوكم وتنازعتم فى الامر يقول اختلفتم وعصيتم من بعدما أراكم

فجزنوا على ما قتل منكم وجرح وأنتم الاعلون وحالكم انكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو أنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار أو أنتم الاعلون بالحجة والعاقبة الجيدة كقوله والعاقبة للمتقين وفى هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما أن يكون قيدا لقوله وأنتم الاعلون أى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما أن يكون قيدا لقوله ولا تهنوا أى ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فبيناهم كذلك اذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله تعالى هذه الآية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وأنتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وأبيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا أن المفتوحة توهم انها جمع قرحة ومعنى الآية ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبل ذلك فى يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم أولى بان لا تفتروا ولا تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان فى يوم أحد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت

ماتحبون وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا أعرفن ما أصبتم من غنائمهم شيأ حتى تفرغوا فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به فانصرف عليهم عدوهم من بعدما أراهم فيهم ما يحبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتى اذا فشلتم قال ابن عباس الفشل الجبن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون من الفتح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق حتى اذا فشلتم أى تخاذلتم وتنازعتم في الامر أى اختلفتم في أمرى وعصيتم أى تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم وما عهد اليكم يعنى الرماة من بعد ما أراكم ما تحبون أى الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المبارك عن الحسن من بعد ما أراكم ما تحبون يعنى من الفتح وقيل معنى قوله حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون انه من المقدم الذى معناه التأخير وان الواو دخلت في ذلك ومعناها السقوط كما قلنا فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه وهذا مقول لى حتى اذا وفى فلما ان دنى ٧ ومنه قول الله عز وجل حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ثم قال واقترب الوعد الحق ومعناه اقترب وكما قال الشاعر

حتى اذا امتلأت بطونكم * ورأيتم أبناءكم شبوا
وقلبتم ظهر المجن لنا * ان اللئيم العاجز الخب

القول في تأويل قوله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) يعنى جل ثناؤه بقوله منكم من يريد الدنيا الذين تركوا مقعدهم الذى أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من أحد لخيل المشركين ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب اذ رأوا هزيمة المشركين ومنكم من يريد الآخرة يعنى بذلك الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التى أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أمره ابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فالذين انطلقوا يريدون الغنم هم أصحاب الدنيا والذين بقوا وقالوا لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادوا الآخرة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبى قال ثني عمى قال ثني أبى عن أبيه عن ابن عباس مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال كونوا مسلحة للناس بمنزلة أمرهم أن يثبتوا بها وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم فلما لقى نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين هزمهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المسلحة ان الله عز وجل هزم المشركين انطلق بعضهم وهم يتنادون الغنيمة الغنيمة لا تفتكم وثبت بعضهم مكانهم وقالوا لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم ففي ذلك نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فكان ابن مسعود يقول ما شعرت ان أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لما هزم الله المشركين يوم أحد قال الرماة أدركوا الناس ونبي الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم الى الغنائم فتكون لهم دونكم وقال بعضهم لا نريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة قال ابن جريج قال ابن مسعود ما علمنا ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان

فأمطرنا عليهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار كما يجيء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة واغا تكفى المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام مرصوفا وصفته مبتدأ خبره نداولها وتلك مبتدأ والايام خبره كقولك هى الايام تبلى كل جديد فان الضمير لا يوصف ويكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التى يعرفها أهل التجارب من أبناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشئ من واحد الى آخر ويقال تداولته الايدى أى تناقلته والدنيا دول أى تنتقل لما تقدم تفسيره من قوم الى آخرين لا تدوم مسارها ومغامها فيوم يحصل فيه السرور له فيه والغم لعدوه ويوم آخر بالعكس فلا يبقى شئ من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة وأخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يليق به الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة على الكافرين وأخرى على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطرارى بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة أن تكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه والى هذا يشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب ويقرر الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عدوها انقلبت مساءتهم مسرة منها أن يعلم يومئذ

يومئذ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن المبارك عن الحسن منكم من يريد الدنيا هؤلاء الذين يحترزون الغنائم ومنكم من يريد الآخرة الذين يتبعونهم يقتلونهم حدثنى الحسين ابن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى عن عبد خير قال قال عبد الله ما كنت أرى أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى عن عبد خير قال قال ابن مسعود ما كنت أظن فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحدا يريد الدنيا حتى قال الله ما قال حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا فى الغنائم ما كنت أحسب ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان ابن مسعود يقول ما شعرت ان أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق منكم من يريد الدنيا أى الذين أرادوا النهب رغبة فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ومنكم من يريد الآخرة أى الذين جاهدوا فى الله لم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فى رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعدما أراكم ما تحبون فيهم وفى أنفسكم من هزيمتكم وظهوركم عليهم فردوجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولى ومخالفتكم طاعته وايثاركم الدنيا على الآخرة عقوبة لكم على ما فعلتم ليبتليكم ليختبركم فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق فى ايمانه منكم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد ثم صرفكم عنهم ليبتليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن فى قوله ثم صرفكم عنهم قال صرف القوم عنهم فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشج فى وجهه وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية فقالوا أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر فأنزل الله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده الى قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم صرفكم عنهم ليبتليكم أى صرفكم عنهم ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) يعنى بقوله جل ثناؤه ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتاركون طاعته فيما تقدم اليكم من لزوم الموضع الذى أمركم بلزومه عنكم فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذى أتيتموه عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم اياكم وصرف وجوهكم عنهم اذ لم يستأصل جمعكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن فى قوله ولقد عفا عنكم قال قال الحسن وصفق بيديه وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشج فى وجهه قال ثم يقول عز وجل قد عفوت عنكم اذ عصيتمونى ان لا أكون استأصلتكم قال ثم يقول الحسن هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله غضاب لله يقاتلون أعداء الله نهوا عن شئ فصنعوه فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم فأفسق الفاسقين اليوم يفعل كل كبيرة ويركب كل داهية ويسحب عليها ثيابه ويزعم أن لا بأس عليه فسوف يعلم حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها فى تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتأويل الآيات اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان أو قدرته والمراد معلومه أو مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير فى علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو الخاص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة تقع على الواقع ادون المعلوم الذى لم يوجد وقيل ليعلم أولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذى يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد أو المراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر ابن شميل لانهم أحياء حضروا دار الاسلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانبارى لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين أى المشركين ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض التعليلات وبعض وفيه ان دولة

عن ابن جريج قوله ولقد عفا عنكم قال لم يستأصلكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله عن عظيم ذلك لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ولكن عدت بفضلي عليكم وأما قوله والله ذو فضل على المؤمنين فانه يعني والله ذو طول على اهل الايمان به وبرسوله بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم فان عاقبهم على بعض ذلك فذو احسان اليهم بجميل أياديه عندهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين يقول وكذلك من الله على المؤمنين ان عاقبتم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدبا وموعظة فانه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الايمان ۞ القول في تأويل قوله (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) يعني بذلك جل ثناؤه ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون اذ لم يستأصلكم اهلاكا منه جميعكم بذنوبكم وهربكم اذ تصعدون ولا تلوون على أحد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصري اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين وبها القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء على القراءة به واستنكارهم ما خالفه وروى عن الحسن البصري انه كان يقرؤه اذ تصعدون بفتح التاء والعين حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن يونس بن عبيد عن الحسن فاما الذين قرؤا تصعدون بضم التاء وكسر العين فانهم وجهوا معنى ذلك الى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم أخذوا في الوادي هاربين وذكروا أن ذلك في قراءة أبي اذ تصعدون في الوادي حدثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو عبيد قال ثنا حجاج عن هرون قالوا الهرب في مستوى الارض وبطون الاودية والشعاب اصعاد لا صعود قالوا انما يكون الصعود على الجبال والسلاليم والدرج لان معنى الصعود الارتقاء والارتفاع على الشيء علوا قالوا فاما الاخذ في مستوى الارض والهبوط فانما هو اصعاد كما يقال أصعدنا من مكة اذا ابتدأت في السفر منها والخروج وأصعدنا من الكوفة الى خراسان بمعنى خرجنا منها سفرا اليها وابتدأنا منها الخروج اليها قالوا وانما جاء تأويل أكثر أهل التأويل بان القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم في بطن الوادي ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تلوون على أحد ذاكم يوم أحد أصعدوا في الوادي ونبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم في أخراهم قال الى عباد الله وأما الحسن فاني أراه ذهب في قراءته اذ تصعدون بفتح التاء والعين الى أن القوم حين هزموا عن المشركين صعدوا الجبل وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال لما شد المشركون على المسلمين باحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فذكر الله صعودهم على الجبل ثم ذكر دعاء نبي الله صلى الله عليه وسلم اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انحازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أخراهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد قال صعدوا في أحد فرارا * قال أبو جعفر وقد ذكرنا ان أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين بمعنى السبق والهرب في مستوى الارض أو في المهابط لاجماع الحجة على ان ذلك هو القراءة الصحيحة ففي اجماعها

الكافرين على المؤمنين الفوائد المذكورة لالانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الآية انه ان حصلت الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين أي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك باهلاك أنفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج ومهل ليقطع طرفا بنقصها من أطرافها * التأويل لا تأكلوا الربا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا أضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص أي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حب ما سوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم أرباب الوسائط بقوله واتقوا بالقناعة النار أي نار الحرص التي توري منها نار القطيعة وجوزوا بقدمي طاعة الله وطاعة رسوله ثم أخبر عن المسارعة الى الجنان بمسارعة النفس والجنان عرضها السموات أي المسافة بين العبد وبينها هذا القدر لان الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية ينفقون أموالهم في السراء وأرواحهم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله أو ظلموا أنفسهم بالتعلق بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه ورؤيته ومن يغفر ومن يستر على بكذب عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل أولئك

على ذلك الدليل الواضح على ان أولى التأويلين بالآية تأويل من قال اصعدوا فى الوادى ومضوا فيه دون قول من قال صعدوا على الجبل وأما قوله ولا تلوون على أحد فانه يعنى ولا تعطفون على أحد منكم ولا يلتفت بعضكم الى بعض هربا من عدوكم مصعدين فى الوادى ويعنى بقوله والرسول يدعوكم فى أخراكم والرسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه فى أخراكم يعنى انه يناديكم من خلفكم الى عباد الله الى عباد الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس والرسول يدعوكم فى أخراكم الى عباد الله ارجعوا الى عباد الله ارجعوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والرسول يدعوكم فى أخراكم رأوا نبى الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أنبأهم الله بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم لا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والرسول يدعوكم فى أخراكم هذا يوم أحد حين انكشف الناس عنه ۞ القول فى تأويل قوله (فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) يعنى بقوله جل ثناؤه فأثابكم غما بغم يعنى فجازاكم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم ربكم غما بغم يقول غما على غم وسمى العقوبة التى عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثوابا اذ كان ذلك من عملهم الذى سخطه ولم يرضه منهم فدل بذلك جل ثناؤه ان كل عوض كان لمعوض من شئ من العمل خيرا كان أو شرا أو العوض الذى بذله رجل لرجل أو يد سلفت له اليه فانه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة ونظير ذلك قول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * دراهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء العقوبة وذلك كقول القائل لآخر سالف اليه منه مكروه لاجزينك على ذلك ولاثيبنك ثوابك وأما قوله غما بغم فانه قيل غما بغم معناه غما على غم كما قيل ولاصلبنكم فى جذوع النخل بمعنى ولاصلبنكم على جذوع النخل وانما جاز ذلك لان معنى قول القائل أثابك الله غما على غم جزاك الله غما بعد غم تقدمه فكان كذلك معنى فأثابكم غما بغم لان معناه فجزاكم الله غما بعقب غم تقدمه وهو نظير قول القائل نزلت ببنى فلان ونزلت على بنى فلان وضربته بالسيف وعلى السيف واختلف أهل التأويل فى الغم الذى أثيب القوم على الغم وما كان غمومهم الاول والثانى فقال بعضهم أما الغم الاول فكان ما تحدث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قتل وأما الغم الآخر فانه كان ما نالهم من القتل والجراح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأثابكم غما بغم كانوا تحدثوا يومئذ أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أصيب وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التى أصابتهم قال وذكر لنا انه قتل يومئذ سبعون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون رجلا من الانصار وأربعة من المهاجرين وقوله لكيلا تحزنوا على مافاتكم يقول مافاتكم من غنيمة القوم ولا ما أصابكم فى أنفسكم من القتل والجراحات حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فأثابكم غما بغم قال فرة بعد فرة الاولى حين سمعوا الصوت أن محمدا قد قتل والثانية حين رجع الكفار فضربوهم مدبرين حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ثم انحازوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون فى الجبل والرسول يدعوهم فى أخراهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه وقال آخرون بل غمهم الاول كان

جزاؤهم مغفرة أى هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم وجنات من أصناف الطاعة تجرى من تحتها الانهار العناية ونعم أجر العاملين لان نيل المقصود فى بذل المجهود قد خلت من قبلكم أمم اهم سير فسيروا فى الارض نفوسكم الحيوانية (٨٣) بالعبور على أوصافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لا تهنوا أيها السائرون فى السير الى الله ولا تحزنوا على مافاتكم من اللذات الفانية وأنتم الاعلون من أهل الدنيا والآخرة لانكم من أهل الله ان يمسسكم فى أثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة ويتخذ منكم شهداء أرباب المشاهدات والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل ألم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى وسعة فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه ويوجه آخر ابلاء لاهل الولاء تمحيص القلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بنور الغيوب ويمحق صفاتهم وسهم الكافرة ويمحو سمات أخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت

قتل من قتل منهم وجرح من جرح منهم والغم الثانى كان من سماعهم صوت القائل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الثانى حين سمعوا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فاثابكم غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول الله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقال آخرون بل الغم الاول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة والثانى اشراف أبى سفيان عليهم فى الشعب وذلك ان أبا سفيان فيما زعم بعض أهل السير لما أصاب من المسلمين ما أصاب وهرب المسلمون جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب أحد الذى كانوا ولوا اليه عند الهزيمة فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه فاراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله حين رأى ان فى أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزن فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فاقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا اليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ أعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم بيوم بدر وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب وكان جنبا فغسلته الملائكة وكان حنظلة ابن أبى سفيان قتل يوم بدر قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان فيكم محمد قالوا نعم قال اما انها قد كانت فيكم مثلة ما أمرت بها ولا نهيت عنها ولا سرتنى ولا ساءتنى فذكر الله اشراف أبى سفيان عليهم فقال فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم الغم الاول ما فاتهم من الغنيمة والفتح والغم الثانى اشراف العدو عليهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون فشل أبى سفيان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمرو بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديث أحد قالوا كان المسلمون فى ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء أثلاثا ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم وقد بلغته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع وحتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل وكان الذى أصابه ابن قمئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا فحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى أن كعب بن مالك أخا

اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين (٨٤) القرا آت وأنتموه بغير همزة يعنى بالتليين ونحوه وأولئك ورأوه روى هبة الله ابن جعفر عن الاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يرد ثواب وبابه مدغما أبو عمرو وهشام ابن عامر وسهل وحمزة وعلى وخلاف نوته مثل يؤده وكاين بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرأ يزيد وكاين بالمد بغير همزة وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى بغير نون فى الوقف وكاى الباقون وكاين فى الحالين قتل أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين ه تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعده يصلح مستأنفا الرسل ط أعقابكم ط لتناهى الاستفهام شيئا ط الشاكرين ه مؤجلا ج لابتداء الشرط منها ج للعطف منها ط الشاكرين ه قتل ط ليكون قتل النبى صلى الله عليه وسلم الزاما للحجة على من اعتذر فى الانهزام بما سمع من نداء ابليس ألا ان محمدا قد قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله ان لا يقف كثير ج لابتداء النفى مع فاء التعقيب ما استكانوا ط الصابرين ه الكافرين ه الآخرة ط المحسنين ه خاسرين ه موليكم ج الناصرين ه التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها تبعه بما هو السبب الاصلى فى ذلك فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والنهى ومعنى لما توقع ونفى المراد نفى العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفى المعلوم والمجاهدين فأقيم ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة أحدهما مقام الآخر

بني سلمة قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى رسول الله أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض نحو الشعب معه علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام والحرث بن الصامت في رهط من المسلمين قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغي لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدن فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض فلم يستطع جلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض حتى استوى عليها ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل أي ظهر دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قم فأجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فلما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان هلم الي يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن فقال أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر لقول ابن قمئة لهم اني قتلت محمدا ثم نادى أبو سفيان فقال انه قد كان في قتلاكم مثل والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أي كربا بعد كرب قتل من قتل من اخوانكم وعلو عدوكم عليكم وما وقع في أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد ان رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل اخوانكم حتى فرجت بذلك الكرب عنكم والله خبير بما تعملون وكان الذي فرج عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم ان الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم فهان الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم في اخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأثابكم غما بغم قال ابن جريج قال مجاهد أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم في أصحابهم الذين قتلوا فلما تولجوا في الشعب يتصافون وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب فظن المؤمنون انهم سوف يميلون عليهم فيقتلونهم أيضا فأصابهم حزن في ذلك أيضا أنساهم حزنهم في أصحابهم فذلك قوله فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم قال ابن جريج قوله على ما فاتكم يقول على ما فاتكم من غنائم القوم ولا ما أصابكم في أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن عبيد بن عمير قال جاء أبو سفيان ابن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ثم نادى أفي القوم ابن أبي كبشة فسكتوا فقال أبو سفيان قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أبو سفيان أعل هبل يوم بيوم بدر وحنظلة بحنظلة وأنتم واجدون في القوم مثلا لم تكن عن رأي سراتنا وخيارنا ولم نكرهه حين رأيناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قم فناد فقل الله أعلى وأجل نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا ذا لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي

تقول ما علم الله في فلان خيرا أي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وتصبروا وانما أنكر هذا الحسبان لأنه تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة وأوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كأنه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من أقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير أظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين ووجه آخر وهو أن يكون مجزوما أيضا لكن الميم لما حركت لالتقاء الساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الآن وأردنا ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروي عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة والمراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم الموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن أن يتمنى الكفر أو يريد أو يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الأشاعرة ههنا من أراد شيئا أراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة فلا ريب انه تعالى أراد به لثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فأراد صيرورتهم شهداء ولن يصيروا شهداء

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فرجعوا فقالوا والله لنأتينهم ثم لنقتلنهم قد خرجوا منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا فانما أصابكم الذى أصابكم من أجل انكم عصيتمونى فبينما هم كذلك اذ أتاهم القوم قد أنسوا وقد اخترطوا سيوفهم فكان غم الهزيمة وغمهم حين أتوهم لكيلا تحزنوا على مافاتكم من القتل ولا ما أصابكم من الجراحة فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا الآية وهو يوم أحد * وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال معنى قوله فاثابكم غما بغم أيها المؤمنون بحرمان الله اياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذى كان قد أراكم فى كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم غم ظنكم ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم والذى يدل على ان ذلك أولى بتأويل الآية ممن خالفه قوله لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم والفائت لا شك انه هو ما كانوا رجوا الوصول اليه من غيرهم امامن ظهور عليهم بغلبهم واما من غنيمة يحتازونها وان قوله ولا ما أصابكم هو ما أصابهم اما فى أبدانهم واما فى اخوانهم فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الغم الثانى هو معنى غير هذين لان الله عز وجل أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أثابهم غما بغم لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الثانى عما فاتهم من غيرهم ولا ما أصابهم قبل ذلك فى أنفسهم وهو الغم الاول على ما قد بيناه قبل وأما قوله لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم فان تأويله على ما قد بينت من انه لكيلا تحزنوا على مافاتكم فلم تدركوه مما كنتم ترجون ادراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور وحيازة غنائمهم ولا ما أصابكم فى أنفسكم من جرح من جرح وقتل من قتل من اخوانكم وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل على السبيل التى اختلفوا فيه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم قال على ما فاتكم من الغنيمة التى كنتم ترجون ولا تحزنوا على ما أصابكم من الهزيمة وأما قوله والله خبير بما تعملون فانه يعنى جل ثناؤه والله بالذى تعملون أيها المؤمنون من اصعادكم فى الوادى هربا من عدوكم وانهزامكم منهم وترككم نبيكم وهو يدعوكم فى أخراكم وحزنكم على مافاتكم من عدوكم وما أصابكم فى أنفسكم ذو خبرة وعلم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته أو يعفو عنه ۞ القول فى تأويل قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذى أثابكم ربكم بعد غم تقدمه قبله أمنة وهى الامان على أهل الاخلاص منكم واليقين دون أهل النفاق والشك ثم بين جل ثناؤه عن الامنة التى أنزلها عليهم ما هى فقال نعاسا بنصب النعاس على الابدال من الامنة ثم اختلفت القراء فى قراءة قوله يغشى فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء يغشى وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث تغشى بالتاء وذهب الذين قرؤا ذلك بالتذكير الى أن النعاس هو الذى يغشى الطائفة من المؤمنين دون الامنة فذكره بتذكير النعاس وذهب الذين قرؤا ذلك بالتأنيث الى أن الامنة هى التى تغشاهم فأنثوه لتأنيث الامنة والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قراء الامصار غير مختلفتين فى معنى ولا غير لان الامنة فى هذا الموضع هى النعاس والنعاس هو الامنة وسواء ذلك وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الحق فى قراءته وكذلك جميع ما فى القرآن من نظائره من نحو قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلى فى البطون وألم يك نطفة من منى يمنى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط فان قال قائل وما

الا اذا قتلهم الكفار فلابد أن يريد أن يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد الكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل أن تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال الزجاج أى وأنتم بصراء كقولهم رأيته بعينى أى رأيتموه معاينين حين قتل بين أيديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل أن يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتالكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم أنتم تنظرون اليهم من غير جد فى دفعهم ولا اجتهاد فى مقاتلتهم وفيه توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم فى الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبى صلى الله عليه وسلم بالشعب أمر الرماة ان يلزموا أصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم أو عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل على عليه السلام طلحة بن أبى طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فهزموا أبا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل فى المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ودافع عنه أبو بكر وعلى عليه السلام وظن ابن قمئة انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ الشيطان ففشا فى الناس خبر قتله صلى الله ـــان عليه وسلم فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول

كان السبب الذي من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما فأمنت احداهما بنفسها حتى نعست وأهمت الأخرى أنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل كان سبب ذلك فيما ذكر لنا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذي كان من أمرهم وأمر المسلمين فواعدوا النبي صلى الله عليه وسلم بدرا من قابل فقال لهم نعم فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال انظر فاذا رأيتهم قعدوا على أثقالهم وجنبوا خيولهم فان القوم ذاهبون وان رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا على أثقالهم فان القوم ينزلون المدينة فاتقوا الله واصبروا ووطنهم على القتال فلما أبصرهم الرسول قعدوا على الأثقال سراعا عجالا نادى بأعلى صوته بذهابهم فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فناموا وبقي أناس من المنافقين يظنون ان القوم يأتونهم فقال الله جل وعز يذكر حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان كانوا ركبوا الأثقال فانهم منطلقون فناموا ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس غشاهم وانما ينعس من يأمن يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمنة حتى سقط من يدي مرارا قال أبو جعفر يعني سوطه أو سيفه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا تحت حجفته يميد من النعاس حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن صب عليه النعاس يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس قال كان السيف يسقط من يدي ثم آخذه من النعاس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا والله أعلم عن أنس ان أبا طلحة حدثهم أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه ويسقط والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية الآية كلها حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا ضرار بن صرد قال ثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه قال سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال ألقي علينا يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وذاكم يوم أحد كانوا يومئذ فريقين فأما المؤمنون فغشاهم النعاس أمنة منه ورحمة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس نحوه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمنة نعاسا قال ألقي عليهم النعاس فكان ذلك أمنة لهم حدثني ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال قال عبد الله النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به فهم نيام لا يخافون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في

الله صلى الله عليه وسلم فدينالك بآبائنا وأمهاتنا آتانا الخبر قتلك فرجفت قلوبنا فانقلبنا فنزلت وما محمد الا رسول أي هو رسول قال أبو علي وقد يكون الرسول في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة أي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فخلوا كما خلوا وكان أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا أنتم كذلك لأن الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين أممهم أبدا أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين أحدهما ان الحاجة الى الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فيلزم من قتله أو موته الادبار عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات ولم ترجع أمته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم أنه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الآخرة بأي طريق كان بدليل وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن أن يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزأيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى أو هو الترديد والتشكيك أي سواء فرض وقوع الموت أو القتل فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار والارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تأتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه

قوله أمنة نعاسا قال ألقى الله عليهم النعاس فكان أمنة لهم وذكر ان أبا طلحة قال ألقي علي النعاس يومئذ فكنت أنعس حتى يسقط سيفي من يدي حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك عن أبي طلحة وهشام بن عروة عن عروة بن الزبير انهما قالا لقد رفعنا رؤسنا يوم أحد فجعلنا ننظر فما منهم من أحد الا وهو يميل بجنب حجفته قال وتلا هذه الآية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ۞ القول في تأويل قوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهمتهم أنفسهم يقول هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله شكا في أمر الله وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومحسبة منهم ان الله خاذل نبيه ومعل عليه أهل الكفر به يقولون هل لنا من الامر من شئ كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم الا هم أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة انما هم أهل شك وريبة في أمر الله يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم الى مضاجعهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا قال الله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وطائفة قد أهمتهم أنفسهم قال أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوف القتل وذلك انهم لا يرجون عاقبة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون وأما قوله ظن الجاهلية فانه يعني أهل الشرك كالذى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك وفي رفع قوله وطائفة وجهان أحدهما ان تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله قد أهمتهم والآخر بقوله يظنون بالله غير الحق ولو كانت منصوبة كان جائزا وكانت الواو في قوله وطائفة ظرفا للفعل بمعنى وأهمت طائفة أنفسهم كما قال والسماء بنيناها بأيد ۞ القول في تأويل قوله (يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا) يعني بذلك الطائفة المنافقة التى قد أهمتهم أنفسهم يقولون ليس لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله ولو كان لنا من الامر شئ ما خرجنا لقتال من قاتلنا فقتلونا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب ثم عاد الى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين فقال يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقول يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم في أنفسهم من الكفر والشك في الله ما لا يبدون لك ثم أظهر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم والحسرة التى أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد فقال مخبرا عن قيلهم الكفر واعلانهم النفاق بينهم يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا

فهل بقي أحد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ونحو ذلك يشكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم ففي أمثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس أن تموت ونحوه وجه النظم ان المنافقين أرجفوا ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا القتل وفيه تحريض المؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان أحدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم المعارك أو الغرض بيان حفظه وكلاءته لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من أسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولم يقدر في ذلك الوقت أجله صلى الله عليه وسلم لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه صلى الله عليه وسلم انهم قد قصروا في الذب عنه صلى الله عليه
يعني
وسلم وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت

يعنى بذلك ان هؤلاء المنافقين يقولون لو كان الخروج الى حرب من خرجنا الى حربه من المشركين الينا ما خرجنا اليهم ولا قتل منا أحد فى الموضع الذى قتلوا فيه باحد وذكر ان ممن قال هذا القول معتب بن بشير أحد بنى عمرو بن عوف ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير عن الزبير قال والله انى لاسمع قول معتب بن بشير أخى بنى عمرو بن عوف والنعاس يغشانى ما أسمعه الا كالحلم حين قال لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا حدثنى سعيد بن يحيى الاموى قال ثنى أبى عن ابن اسحق قال ثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير عن أبيه بمثله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قل ان الامر كله بنصب الكل على وجه النعت للامر والصفة له وقرأه بعض قراء أهل البصرة قل ان الامر كله لله برفع الكل على توجيه الكل الى أنه اسم وقوله لله خبره كقول القائل ان الامر بعضه لعبد الله وقد يجوز أن يكون الكل فى قراءة من قرأه بالنصب منصوبا على البدل والقراءة التى هى القراءة عندنا النصب فى الكل لاجماع أكثر القراء عليه من غير أن تكون القراءة الاخرى خطأ فى معنى أو عربية ولو كانت القراءة بالرفع فى ذلك مستفيضة فى القراء لكانت سواء عندى القراءة باى ذلك قرئ لاتفاق معانى ذلك باى وجهيه قرئ

۞ القول فى تأويل قوله (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين لو كنتم فى بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم وتكتمونه من شرككم فى دينكم لبرز الذين كتب عليهم القتل يقول لظهر للموضع الذى كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم ويخرج من بيته اليه حتى يصرع فى الموضع الذى كتب عليه أن يصرع فيه وأما قوله وليبتلى الله ما فى صدوركم فانه يعنى به وليبتلى الله ما فى صدوركم أيها المنافقون كنتم تبرزون من بيوتكم الى مضاجعكم ويعنى بقوله وليبتلى الله ما فى صدوركم وليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم من المؤمنين وقد دللنا فيما مضى على أن معانى نظائر قوله ليبتلى الله وليعلم الله وما أشبه ذلك وان كان فى ظاهر الكلام مضافا الى الله الوصف به مراد به أولياؤه وأهل طاعته وان معنى ذلك وليختبر أولياء الله وأهل طاعته الذى فى صدوركم من الشك والمرض فيعرفوكم من أهل الاخلاص واليقين وليمحص ما فى قلوبكم يقول وليتبينوا ما فى قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة والولاية والله عليم بذات الصدور يقول والله ذو علم بالذى فى صدور خلقه من خير وشر وايمان وكفر لا يخفى عليه شئ من أمورهم سرائرها وعلانيتها وهو لجميع ذلك حافظ حتى يجازى جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن اسحق يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله تلاومهم يعنى تلاوم المنافقين وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لو كنتم فى بيوتكم لم تحضروا هذا الموضع الذى أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم لاخرج الذين كتب عليهم القتل الى مواطن غيره يصرعون فيه حتى يبتلى به ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور أى لا يخفى عليه شئ مما فى صدورهم مما استخفوا به منكم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن بحر السقاء عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال سئل عن قوله قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قال كتب الله على المؤمنين ان يقاتلوا فى سبيله وليس كل

الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه لا يحدث شئ الا بمشيئة الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغى لاحد أن يتقدم عليه الا ان يأذن الله فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فاقيم القابل مقام الفاعل وقال أبو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحياة أحد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس أن تموت بالقتل الا بأن يخلى الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلى بين نبيه وبين أحد ليقتله صلى الله عليه وسلم ولكنه جعل من بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما أرسله به فلا تهنوا فى غزواتكم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم أى ان تموت نفس الا فى الوقت الذى علم الله موتها فيه وفى الآية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغيير الآجال ممتنع ولذا أكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه أى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذى كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضى الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى وأما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من أن يكون مذموما أو ممدوحا والحق ان هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان يأتى هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ معنى الخ...

من يقاتل يقتل ولكن يقتل من كتب الله عليه القتل ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم وقوله تولوا تفعلوا من قولهم ولى فلان ظهره وقوله يوم التقى الجمعان يعني يوم التقى جمع المشركين والمسلمين باحد انما استزلهم الشيطان أي اغاد عاهم الى الزلة الشيطان وقوله استزل استفعل من الزلة والزلة هي الخطيئة ببعض ما كسبوا يعني ببعض ما عملوا من الذنوب ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه ان الله غفور يعني به مغط على ذنوب من آمن به واتبع رسوله بعفوه عن عقوبته اياهم عليها حليم يعني انه ذو اناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها كل من ولى الدبر عن المشركين باحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران وكان يعجبه اذا خطب أن يقرأها فلما انتهى الى قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال لما كان يوم أحد هزمناهم ففررت حتى صعدت الجبل فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى والناس يقولون قتل محمد فقلت لا أجد أحدا يقول قتل محمد الا قتلته حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وذلك يوم أحد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبي الله يومئذ وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه فأنزل الله عز وجل ما تسمعون انه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية فذكر نحو قول قتادة وقال آخرون بل عنى بذلك خاص ممن ولى الدبر يومئذ قالوا وانما عنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وقال آخرون بل نزل ذلك في رجال باعيانهم معروفين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال نزلت في رافع بن المعلى وغيره من الأنصار وأبي حذيفة بن عتبة ورجل آخر قال ابن جريج وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم اذ لم يعاقبهم حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فر عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلان من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلي الاعوص فاقاموا به ثلاثا ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الآية والذين استزلهم الشيطان عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الانصاريان ثم الزرقيان وأما قوله ولقد عفا الله عنهم فان معناه ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد عفا الله عنهم اذ لم يعاقبهم حدثني

الدنيا ومن يريد الآخرة كما أخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها أي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الآية مدح الفريق الآخر الاخروي وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا اختتم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين فابهم الجزاء وأضاف الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شئ لا يكتنه كنهه وتقصر عنه العبارة وانما كان يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الآيات وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر في جانب الثواب والعقاب القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس أمامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكأين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه وأي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكأين مثل كذا في كون المجرورين مبهمين عند السامع الان في ذا اشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف أي فانه للعدد المبهم وتمييزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من في تمييز كاين وبه ورد القرآن ولتمييز بعد كذا وكاين في الاصل عن الكاف لان ذا وأي كما في مثلك رجلا لانك تبين في كذا رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من أي جنس هو ولم تبين العدد المبهم في الاصل وكن كأين معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن ولهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة له خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وربما

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في توليهم يوم أحد ولقد عفا الله عنهم فلا ندري ذلك العفو عن تلك العصابة أم عفو عن المسلمين كلهم وقد بينا تأويل قوله ان الله غفور حليم فيما مضى

القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاء به محمد من عند الله لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله فجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال لاخوانه من أهل الكفر اذا ضربوا في الارض فخرجوا من بلادهم سفرا في تجارة أو كانوا غزا يقول أو كان خروجهم من بلادهم غزاة فهلكوا فماتوا في سفرهم أو قتلوا في غزوهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار انهم يقولون لمن غزا منهم فقتل أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله أو تجارة لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا أقاموا في بلادهم ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم يعني أنهم يقولون ذلك كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما ويجهلون ان ذلك الى الله جل ثناؤه وبيده وقد قيل ان الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية قال هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا قول المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون في ذلك هم جميع المنافقين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون اخوانهم عن الجهاد في سبيل الله والضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله ويقولون اذا ماتوا أو قتلوا لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا وأما قوله اذا ضربوا في الارض فانه اختلف في تأويله فقال بعضهم هو السفر في التجارة والسير في الارض لطلب المعيشة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اذا ضربوا في الارض وهي التجارة وقال آخرون بل هو السير في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذا ضربوا في الارض الضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله وأصل الضرب في الارض الابعاد فيها سيرا وأما قوله أو كانوا غزا فانه يعني أو كانوا غزاة في سبيل الله والغزى جمع غاز جمع على فعل كما يجمع شاهد شهد وقائل قول وقد ينشد بيت رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهي * وأول حلم ليس بالمسفه * وقولهم الا ده فلا ده ٧

وانما قيل لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا فاصحب ماضي الفعل الحرف الذي لا يصحب مع الماضي منه الا المستقبل فقيل وقالوا لاخوانهم ثم قيل اذا ضربوا وانما يقال في الكلام أكرمتك اذ زرتني ولا يقال أكرمتك اذا زرتني لان القول الذي في قوله وقالوا لاخوانهم وان كان في لفظ الماضي فانه بمعنى المستقبل وذلك ان

٧ في القاموس وقولهم الا ده فلا ده أي ان لم يكن هذا الامر الآن فلا يكون بعد الآن أي ان لم تغتنم الفرصة الساعة فلست تصادفها أبدا اهـ ولكن ليس فيما رويته لشاهد فيه وهو قول رؤبة فانه ليس فيه جمع فاعل على فعل اهـ مصححه

ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال وها نان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا قرئ بهما وفيه لغات أخر غير مشهورة تركت ذكرها لانه لم يقرأ بها ولعلك تجدها في كتبنا الادبية ومحل كأين هنا رفع على الابتداء وقوله قتل أو قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كأين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف أو الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة أصله من الربة الجماعة حذف الواو في النسبة ويقال تربوا أي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعده ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي أن يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء لتقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فاصابهم من عدوهم قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال وربما تؤيد هذه القراءة بما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان تنزل القراءة الاولى على هذه الآية أيضا بان يقال المعنى وكأين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا لعدوهم أي ما خضعوا له وفيه تعريض بما أصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي

العرب تذهب بالذين مذهب الجزاء وتعاملها فى ذلك معاملة من وما لتقارب معانى ذلك فى كثير من الاشياء وان جمعهن أشياء مجهولات غير موقتات توقيت عمرو وزيد فلما كان ذلك كذلك وكان صحيحا فى الكلام فصيحا أن يقال للرجل أكرم من أكرمك وأكرم كل رجل أكرمك فيكون الكلام خارجا بلفظ الماضى مع من وكل مجهول ومعناه الاستقبال اذ كان الموصوف بالفعل غير موقت وكان الذين فى قوله لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض غير موقتين أجريت مجرى من وما فى ترجمتها التى تذهب الجزاء واخراج صلاتها بالفاظ الماضى من الافعال وهى بمعنى الاستقبال كما قال الشاعر فى ما

فانى لآتيكم بشكر ما مضى * من الامر واستحباب ما كان فى غد

فقال ما كان فى غد وهو يريد ما يكون فى غد ولو كان أراد الماضى لقال ما كان فى أمس ولم يجز له أن يقول ما كان فى غد ولو كان الذى موقتا لم يجز أن يقال ذلك خطا ان يقال لكن من هذا الذى أكرمك اذ زرته لان الذى ههنا موقت فقد خرج من معنى الجزاء ولو لم يكن فى الكلام هذا لكان جائزا فصيحا لان الذى يصير حينئذ مجهولا غير موقت ومن ذلك قول الله عز وجل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فرد يصدون على كفروا لان الذين غير موقتة بقوله كفروا وان كان فى لفظ ماض فمعناه الاستقبال وكذلك قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا وقوله الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم معناه الا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم والا من يتوب ويؤمن ونظائر ذلك فى القرآن والكلام كثير والعلة فى كل ذلك واحدة وأما قوله ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم فانه يعنى بذلك حزنا فى قلوبهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فى قلوبهم قال يحزنهم قوله لا ينفعهم شيأ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير) يعنى جل ثناؤه والله يحيى ويميت والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء والمميت من يشاء كما شاء دون غيره من سائر خلقه وهذا من الله عز وجل ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم واخراج هيبتهم من صدورهم وان قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله واعلام منه لهم ان الاماتة والاحياء بيده وانه لن يموت أحد ولا يقتل الا بعد فناء أجله الذى كتب له ونهى منه لهم اذ كان كذلك أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم فى حرب المشركين ثم قال جل ثناؤه والله بما تعملون بصير يقول ان الله يرى ما تعملون من خير وشر فاتقوه أيها المؤمنون فانه محص ذلك كله حتى يجزى كل عامل بعمله على قدر استحقاقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يحيى ويميت أى يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) يخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين يقول لهم لا تكونوا أيها المؤمنون فى شك من ان الامور كلها بيد الله وان اليه الاحياء والاماتة كما شك المنافقون فى ذلك ولكن جاهدوا فى سبيل الله وقاتلوا أعداء الله على يقين منكم فانه لا يقتل فى حرب ولا يموت فى سفر الا من بلغ أجله وحانت وفاته ثم وعدهم على جهادهم فى سبيله المغفرة والرحمة وأخبرهم ان موتا فى سبيل الله وقتلا فى الله خير لهم مما يجمعون فى الدنيا من حطامها ورغد عيشها الذى من أجله يتثاقلون عن الجهاد فى سبيل الله ويتأخرون عن لقاء العدو كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة

في طلب الامان من أبى سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات فى صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلقا اختلال لقوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كأنه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح أى ببعد يراد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسى كأن صاحبه تغير من كون الى كون أى من حال الى حال والله يحب الصابرين بأن يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم أخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك التصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان تقتدى هذه الامة بهم فان من عول فى تحصيل مهماته على نفسه وعلى عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجأ اليه فاز بالظفر وفى اضافتهم الذنوب والاسراف الى أنفسهم وهم ربانيون هضم النفس واستصغارها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر أمارات استيلاء الاعداء دل ذلك على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة أقرب الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب أولا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا فى أمرنا لان الاسراف فى كل شئ هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة كالقاء الرعب فى قلوب الاعداء وكاحداث أحوال سماوية عن أو أرضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار فى وجوههم واجراء سيل فى مواضع وقوفهم وفى الآية تأديب وارشاد من الله تعالى فى

عن ابن اسحق ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون أى ان الموت كائن لابد منه فموت فى سبيل الله أو قتل خير لو علموا فايقنوا مما يجمعون فى الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد تخوفا من الموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا وزهادة فى الآخرة وانما قال الله عز وجل لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وابتدأ الكلام ولئن متم أو قتلتم بحذف جزاء لئن لان فى قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون معنى جواز الجزاء وذلك انه وعد خرج مخرج الخبر فتأويل الكلام ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم ليغفرن الله لكم وليرحمنكم فدل على ذلك بقوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا وما يجمعون فيها وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة انه ان قيل كيف يكون لمغفرة من الله ورحمة جوابا لقوله ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم فان القول فيه أن يقال فيه كأنه قال ولئن متم أو قتلتم فذكر لهم رحمة من الله ومغفرة اذ كان ذلك فى السبيل فقال لمغفرة من الله ورحمة يقول لذلك خير مما تجمعون يعنى لتلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون ودخلت اللام فى قوله لمغفرة من الله لدخولها فى قوله ولئن كما قيل ولئن نصروهم ليولن الادبار ۞ القول فى تأويل قوله (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى بذلك جل ثناؤه ولئن متم أو قتلتم أيها المؤمنون فان الى الله مرجعكم ومحشركم فيجازيكم بأعمالكم فآثروا ما يقربكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة من الجهاد فى سبيل الله والعمل بطاعته على الركون الى الدنيا وما تجمعون فيها من حطامها الذى هو غير باق لكم بل هو زائل عنكم وعلى ترك طاعة الله والجهاد فان ذلك يبعدكم عن ربكم ويوجب لكم سخطه ويقربكم من النار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولئن متم أو قتلتم أى ذلك كان لالى الله تحشرون أى ان الى الله المرجع فلا تغرنكم الدنيا ولا تغتروا بها وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه منه آثر عندكم منها وأدخلت اللام فى قوله لالى الله تحشرون لدخولها فى قوله ولئن ولو كانت اللام مؤخرة الى قوله تحشرون لاحدثت النون الثقيلة فيه كما تقول فى الكلام لئن أحسنت الى لاحسنن اليك بنون مثقلة فكان كذلك قوله ولئن متم أو قتلتم لتحشرن الى الله ولكن لما حيز بين اللام وبين تحشرون بالصفة أدخلت فى الصفة وسلمت تحشرون فلم يدخلها النون الثقيلة كما تقول فى الكلام لئن أحسنت الى لاليك أحسن بغير نون مثقلة ۞ القول فى تأويل قوله (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) يعنى جل ثناؤه بقوله فبما رحمة من الله فبرحمة من الله وما صلة وقد بينت وجه دخولها فى الكلام فى قوله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها والعرب تجعل ما صلة فى المعرفة والنكرة كما قال فبما نقضهم ميثاقهم والمعنى فبنقضهم ميثاقهم وهذا فى المعرفة وقال فى النكرة عما قليل ليصبحن نادمين والمعنى عن قليل وربما جعلت اسما وهى فى مذهب صلة فرفع ما بعدها أحيانا على وجه الصلة ويخفض على اتباع الصلة ما قبلها كما قال الشاعر

فكفى بنا فضلا على من غيرنا * حب النبى محمد ايانا

اذا جعلت غير صلة رفعت باضمار هو وان خفضت اتبعت من فاعربته فذلك حكمه على ما وصفنا مع النكرات فاما اذا كانت الصلة معرفة كان الفصيح من الكلام الاتباع كما قيل فبما نقضهم ميثاقهم والرفع جائز فى العربية وبنحو ما قلنا فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يقول فبرحمة من الله لنت لهم وأما قوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فانه

كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان أو غيره فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الآخرة وهو الجنة وما فيها من المنافع واللذات وذلك غير حاصل فى الحال والمراد انه حكم لهم بحصولها فى الآخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول أو المراد انه سيؤتيهم مثل أتى أمر الله أى سيأتى قال القاضى ولا يمتنع أن تكون الآية مختصة بالشهداء وانهم فى الجنة عند ربهم كما ماتوا أحياء وثواب الآخرة كله حسن فما ظنك بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل أن يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية فى الجود ونهاية فى العدل وههنا نكتة وهى انه أدخل من التبعيضية فى الآية المتقدمة فى قوله نؤته منها فى الموضعين ولم يذكر فى هذه الآية لان أولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا أنفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما وجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من أقبل على خدمة الله أقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم أثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدى المراد بالذين كفروا هو أبو سفيان وأصحابه فانه كان كبيرا لقوم فى ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستأمنوهم وعن على عليه السلام هم المنافقون قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة فى الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان

فيا سخط الله القلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم واغتاظوا ربحل حاله كحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام فى جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافى ارادة لعموم (٩٤) فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم فى شئ ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله يردوكم على أعقابكم أى الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين فى الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذى هو أشق الاشياء لدى العقلاء وفى الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع فى العقاب المخلد بل الله مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض أن لاحد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر فى الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلات ونصرة غيره لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفى بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه * التأويل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشرع بعثو قانون الطريقة لتحلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا أرباب الصدق وأصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكيتها من قبل أن تلقوه المجاهدات والرياضات فى خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو وفى الجهاد الاصغر ظاهرا وفى الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التى كنتم تمنونها عيانا وأنتم تنظرون لا تقعدون ما أرواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد فى الله بارواحكم وأشباحكم أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فيه ان الايمان التقليدى لا اعتبار له

يعنى بالفظ الجافى وبالغليظ القلب القاسى القلب غير ذى رحمة ولا رأفة وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به بالمؤمنين رؤف رحيم فتأويل الكلام فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم لتباعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمه وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحمهم ورحمك معهم فبرحمة من الله لنت لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أى والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة وجعله قريبا رحيما بالمؤمنين رؤفا وذكر لنا ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة وليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قال ذكر لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه فى كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم وأما قوله لانفضوا من حولك فانه يعنى لتفرقوا عنك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لانفضوا من حولك قال لانصرفوا عنك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لانفضوا من حولك أى لتركوك ۞ القول فى تأويل قوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) يعنى تعالى ذكره بقوله فاعف عنهم فتجاوز يا محمد عن تباعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندى ما نالك من أذاهم ومكروه فى نفسك واستغفر لهم وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم واستحقوا عليه عقوبة منه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاعف عنهم أى فتجاوز عنهم واستغفر لهم ذنوب من قارف من أهل الايمان منهم ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله أمر تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم وما المعنى الذى أمره أن يشاورهم فيه فقال بعضهم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وشاورهم فى الامر مشاورة أصحابه فى مكايد الحرب وعند لقاء العدو تطييبا منه بذلك أنفسهم وتألفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وان كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته اياه وتقويمه أسبابه عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الامور وهو يأتيه وحى السماء لانه أطيب لانفس القوم وان القوم اذا شاور بعضهم بعضا وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وشاورهم فى الامر قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الامور وهو يأتيه الوحى من السماء لانه أطيب لانفسهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وشاورهم فى الامر أى لتريهم انك تسمع منهم وتستعين بهم وان كنت عنهم غنيا تألفهم بذلك على دينهم * وقال آخرون بل أمره بذلك فى ذلك وان كان له الرأى وأصوب الامور فى التدبير لما علم فى المشورة تعالى ذكره من الفضل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قوله وشاورهم فى الامر قال ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة الا لما علم فيها من الفضل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن اياس بن دعفل عن الحسن

ماتشاوروا فيه قوم قط الا هدوا لارشد أمورهم وقال آخرون انما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره بمشاورتهم فيه مع اغنائه بتقويمه اياه عنهم وتدبيره أسبابه عن آرائهم ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ويستنوا بسنته في ذلك ويحتذوا المثال الذي رأوه يفعله في حياته من مشاورته في أموره مع المنزلة التي هو بها من الله أصحابه وتباعه في الامر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم فيتشاوروا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملؤهم لان المؤمنين اذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك لم يخلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه قالوا وذلك نظير قوله عز وجل الذي مدح به أهل الايمان وأمرهم شورى بينهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال قال سفيان بن عيينة في قوله وشاورهم في الامر قال هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أثر قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في ذلك أن يقال ان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالاسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفا منه أمته مأتى الامور التي تحزبهم من بعده ومطلبها ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله فأما النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يعرفه مطالب وجوه ما حزبه من الامور بوحيه أو الهامه اياه صواب ذلك وأما أمته فانهم اذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادق وتآخ للحق وارادة جميعهم للصواب من غير ميل الى هوى ولا حيد عن هدى فالله مسددهم وموفقهم وأما قوله فاذا عزمت فتوكل على الله فانه يعني فاذا صح عزمك بتثبيتنا اياك وتسديد نالك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها وتوكل فيما تأتي من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك فثق به في كل ذلك وارض بقضائه في جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم فان الله يحب المتوكلين وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم وافق ذلك منهم هوى أو خالفه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين فاذا عزمت أي على أمر جاءك مني أو أمر من دينك في جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم الا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله أي ارض به من العباد ان الله يحب المتوكلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا عزمت فتوكل على الله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويستقيم على أمر الله ويتوكل على الله حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فاذا عزمت فتوكل على الله الآية أمره الله اذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل عليه ﴿ القول في تأويل قوله (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني تعالى ذكره بذلك ان ينصركم الله أيها المؤمنون بالله ورسوله على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به فلا غالب لكم من الناس يقول فلن يغلبكم مع نصره اياكم أحد ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم وكثرة عددهم ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله فان الغلبة لكم والظفر دونهم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده يعني ان يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله فيكلكم الى أنفسكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده يقول فييأسوا من نصرة الناس فانكم لا تجدون ناصرا من بعد خذلان الله اياكم ان خذلكم يقول فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني اياكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني ولكن على ربكم أيها

فينقلب المقلد من ايمانه عند انعدام المقلد من الوالدين أو الاستاذ وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سؤال الملكين فيقولهما له من ربك فيقول هاه لا أدري فيقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا أدري كنت أقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي بأداء حقوقه وهو الائتمار بأوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس أن تموت عن أوصافها الدنية وأخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كما أن ظلمة الليل لا تنتهي الا باشراق طلوع الشمس ثم أثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص أي من عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه أنشد

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما
بأكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لي
أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد

ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه في الآخرة وسيجزي الله الشاكرين أي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكأين من نبي قاتل أعدى العدو والذي بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون بأخلاق الرب فما وهنوا لما أصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا أي النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى أسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل

على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم

أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

المؤمنون فتوكلوا دون سائر خلقه وبه فارضوا من جميع من دونه ولقضائه فاستسلموا وجاهدوا فيه أعداءه يكفكم بعونه ويمددكم بنصره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون أى ان ينصرك الله فلا غالب لك من الناس لن يضرك خذلان من خذلك وان يخذلك فلن ينصرك الناس فمن الذى ينصركم من بعده أى لئلا يترك أمرك للناس وارفض أمر الناس لامرى وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله (وما كان لنبى أن يغل) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق وما كان لنبى أن يغل بمعنى أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم واحتج بعض قارئى هذه القراءة ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ورووا فى ذلك روايات فمنها ما حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مقسم قال ثنى ابن عباس ان هذه الآية نزلت وما كان لنبى أن يغل فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر قال فقال بعض الناس أخذها قال فأكثروا فى ذلك فأنزل الله عز وجل وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سألت سعيد بن جبير كيف تقرأ هذه الآية وما كان لنبى أن يغل أو يغل قال لا بل يغل فقد كان النبى والله يغل ويقتل حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس وما كان لنبى أن يغل قال كان ذلك فى قطيفة حمراء فقدت فى غزوة بدر فقال أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلعل النبى أخذها فأنزل الله عز وجل وما كان لنبى أن يغل قال سعيد بل والله ان النبى ليغل ويقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا خلاد عن زهير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وما كان لنبى أن يغل حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير وعكرمة فى قوله وما كان لنبى أن يغل قالا يغل قال قال عكرمة أو غيره عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزل الله هذه الآية وما كان لنبى أن يغل حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا قزعة بن سويد الباهلى عن حميد الاعرج عن سعيد بن جبير قال نزلت هذه الآية وما كان لنبى أن يغل فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا معتمر عن أبيه عن سليمان الاعمش قال كان ابن مسعود يقرأ ما كان لنبى أن يغل فقال ابن عباس بلى ويقتل قال فذكر ابن عباس انه انما كانت فى قطيفة قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غلها يوم بدر فأنزل الله وما كان لنبى أن يغل وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضم الغين انما نزلت هذه الآية فى طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم فى وجه ثم غنم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمه فيها ان فعله الذى فعله خطأ وان الواجب عليه فى الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ويعرفه الواجب عليه من الحكم فيما أفاء الله عليه من الغنائم وانه ليس له أن يخص بشئ منها أحدا ممن شهد الوقعة أو ممن كان ردأ لهم فى غزوهم دون أحد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يقول ما كان للنبى أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور فى القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول

(القراآت) الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلى ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين ومأواهم وبابه بغير همز أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف وقد صدقكم وبابه بادغام الدال فى الصاد حمزة وعلى وخلف وأبو عمرو وهشام وسهل وتغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلى وخلف الباقون بالياء كله بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلى وخلف وحمزة الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر ما

ماكان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم استنوا به حدثنا يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك انه كان يقرأ ما كان لنبي أن يغل قال أن يعطي بعضا ويترك بعضا اذا أصاب مغنما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله عزوجل وما كان لنبي أن يغل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة ولكن يعدل ويأخذ في ذلك بامر الله عزوجل ويحكم فيه بما أنزل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وما كان لنبي أن يغل قال ما كان له اذا أصاب مغنما أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضا ولكن يقسم بينهم بالسوية وقال آخرون ممن قال ذلك بفتح الياء وضم الغين انما أنزل ذلك تعريفا للناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحي الله شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك ما ينبغي لنبي أن يكون غالا بمعنى انه ليس من أفعال الانبياء خيانة أممهم يقال منه غل الرجل فهو يغل اذا خان غلولا ويقال أيضا منه أغل الرجل فهو يغل اغلالا كما قال شريح ليس على المستعير غير المغل ضمان يعني غير الخائن ويقال منه أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد وبما قلنا في ذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان ينبغي له أن يخون فكما لا ينبغي له أن يخون فلا تخونوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما كان لنبي أن يغل قال أن يخون وقرأ ذلك آخرون وما كان لنبي أن يغل بضم الياء وفتح الغين وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة واختلف قراء ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه ما كان لنبي أن يغله أصحابه ثم أسقط الاصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله وما كان لنبي أن يخان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن انه كان يقرأ وما كان لنبي أن يغل قال عوف قال الحسن أن يخان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لنبي أن يغل يقول وما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما كان لنبي أن يغل قال أن يغله أصحابه حدثنا عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان لنبي أن يغل قال الربيع بن أنس يقول ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه قال ذكر لنا والله أعلم ان هذه الآية نزلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه * وقال آخرون منهم معنى ذلك وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق وكأن متأول ذلك كذلك وجهوا قوله وما كان لنبي أن يغل الى انه مراد به يغلل يفعل ثم خففت العين من يفعل فصارت يفعل كما قرأ من قرأ قوله فانهم لا يكذبونك بتأويل يكذبونك وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ وما كان لنبي أن يغل بمعنى ما الغلول من صفات الانبياء ولا يكون نبيا من غل وانما اخترنا ذلك لان الله عزوجل أوعد عقيب قوله وما كان لنبي أن يغل أهل الغلول فقال ومن يغلل يأت بما غل

الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف وافق حفص الا ههنا لجواز قتلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب * الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين (٦٧) النار ط الظالمين ه باذنه ج لان حتى تحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء أظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب أي اذا فشلتم وفعلتم انقلب الامر وعنكم نصره والوقف على تحبون ظاهر في الوجهين الآخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفا عنكم ط المؤمنين ه أصابكم ط تعملون ه طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أي ليبتغذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم ط الصدور ه الجمعان لا لان انما خبران كسبوا ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا عنهم ط حليم ه وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم أو بمحذوف أي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير ه يجمعون ه تحشرون ه لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص والوصل أولى لعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر ج لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين ه لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده ط المؤمنون ه * التفسير انه تعالى يذكر في هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من معاظم أسباب الاستيلاء لاشك ان هذا وعد مخصوص بيوم أحد وهو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الوقعة في يوم أحد الا ان الله تعالى سيلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر

يوم القيامة الآية والتي بعدها فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول الدليل الواضح على انه انما نهى بذلك عن الغلول وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله وما كان لنبي أن يغل الآية ولو كان انما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالوعيد على الغلول وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين انه انما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الانبياء وأخلاقهم لان ذلك جرم عظيم والانبياء لا تأتي مثله فان قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك فاولى منه وما كان لنبي أن يخونه أصحابه ان ذلك كما ذكرت ولم يعقب الله قوله وما كان لنبي أن يغل الا بالوعيد على الغلول ولكنه انما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين لان معنى ذلك وما كان للنبي أن يغله أصحابه فيخونوه في الغنائم قيل له أفكان لهم أن يغلوا غير النبي صلى الله عليه وسلم فيخونوه حتى خصوا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم فان قالوا نعم خرجوا من قول أهل الاسلام لان الله لم يبح خيانة أحد في قول أحد من أهل الاسلام قط فان قال قائل لم يكن ذلك لهم في نبي ولا غيره قيل فما وجه خصوصهم اذا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة فيما حرم الله على الغال من أموالهما وما يلزم المؤتمن من أداء الامانة اليهما واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا من ان الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ناهيا بذلك عباده عن الغلول وآمرا لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم كما قال ابن عباس في الرواية التي ذكرناها من رواية عطية ثم عقب تعالى ذكره نهيهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة الآيتين معا ۞ القول في تأويل قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعني بذلك تعالى ذكره ومن يخن من غنائم المسلمين شيأ وفيئهم وغير ذلك يأت به يوم القيامة في المحشر كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن ابن حبان عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام خطيبا فوعظ وذكر ثم قال ألا عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك الا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة يقول يارسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك الا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك الا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته بقرة لها خوار يقول يارسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك الا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق يقول يارسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا زاد فيه على رقبته بعير له رغاء لا ألفين أحدكم على رقبته نفس لها صياح حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره فقال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن حدثنا أبو كريب قال ثنا حفص بن بشر عن يعقوب القمي قال ثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقول يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل

الآيات ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى أنه مختص بيوم أحد لوروده في مساق تلك القصة قال السدي لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روي ان أبا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال أين ابن أبي كبشة يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع أنواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لانه لا أحد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما أشركوا أي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال أمن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة كيف وأنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كأنه استخرج بالقهر قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان يحمل

يحمل فرساله حمحمة ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل صمتا من أدم ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق الشيباني عن عبد الله بن ذكوان عن عروة ابن الزبير عن أبي حميد قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا فجاء بسواد كثير قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه فلما أتوه جعل يقول هذا لي وهذا لكم قال فقالوا من أين لك هذا قال أهدي الي فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فخرج فخطب فقال أيها الناس ما بالي أبعث قوما الى الصدقة فيجيء أحدهم بالسواد الكثير فاذا بعثت من يقبضه قال هذا لي وهذا لكم فان كان صادقا أفلا أهدي له وهو في بيت أبيه وفي بيت أمه ثم قال أيها الناس من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة على عنقه يحمله فاتقوا الله أن يأتي أحدكم يوم القيامة على عنقه بعير له رغاء أو بقرة تخور أو شاة تثغو حدثنا ابن كريب قال ثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما جاء قال هذا لكم وهذا هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يجلس أحدكم في بيته فتأتيه هديته ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله فيقول أحدهم هذا الذي لكم وهذا هدية أهديت الي أفلا يجلس في بيت أبيه أو بيت أمه فتأتيه هديته والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدكم من ذلك شيأ الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه فلا أعرفن ما جاء رجل يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تثغو ثم رفع يديه فقال الا هل بلغت حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن أبي حميد حدثه بمثل هذا الحديث قال أفلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ثم رفع يديه حتى اني لانظر الى بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت قال أبو حميد بصر عيني وسمع أذني حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو ابن الحرث أن موسى بن جبير حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الانصاري حدثه أن عبد الله بن أنيس حدثه انه تذاكر هو وعمر يوما الصدقة فقال ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة فمن غل منها بعيرا أو شاة فانه يحمله يوم القيامة قال عبد الله بن أنيس بلى حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا أبي قال ثنا يحيى بن سعيد الانصاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال اياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء قال لا أجده ولا أجيء به فاعفاه حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصي أبو حميد قال ثنا الربيع بن روح قال ثنا ابن عياش قال ثني عبيد الله بن عمر بن حفص عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استعمل سعد بن عبادة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيرا له رغاء فقال سعد فان فعلت يا رسول الله ان ذلك لكائن قال نعم قال سعد قد علمت يا رسول الله اني أسأل فأعطي فاعفني فاعفاه حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد ابن حباب قال ثنا عبد الرحمن بن الحرث قال ثني جدي عبيد بن أبي عبيد وكان أول مولود بالمدينة قال استعملت على صدقة دوس فجاءني أبو هريرة في اليوم الذي خرجت فيه فسلم فخرجت اليه فسلمت عليه فقال كيف أنت والبعير كيف أنت والبقر كيف أنت والغنم ثم قال سمعت حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ بعيرا بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ومن أخذ بقرة

هنالك حجة الا أنها لم تزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة ولكن المراد نفي الجواز ولهاجيعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من يبالغ فيقول ما لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في رفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته أقول هذا اذا استدللنا بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه أما اذا استدللنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال ومأواهم أي والمكان الذي يأوون اليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا أقام به ثم أكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال أصحاب الاشتقاق حسه أي قتله لانه أبطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا أصاب بطنه ورأسه اذا أصاب رأسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم أحد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا أن هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم قال بعض العلماء هذا ليس بشرط

بغيرحملها جاء بها يوم القيامة لها خوار ومن أخذ شاة بغيرحقها جاء بها يوم القيامة على عنقه لها ثغاء فاياك والبقر فانها أحد قرونا وأشد أظلافا حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنى محمد بن عبد الرحمن بن الحرث عن جده عبيد بن أبي عبيد قال استعملت على صدقة دوس فلما قضيت العمل قدمت فجاءني أبو هريرة فسلم على فقال أخبرني كيف أنت والابل ثم ذكر نحو حديثه عن زيد الا أنه قال جاء به يوم القيامة على عنقه له رغاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غنم مغنما بعث مناديا الالا يغلن رجل مخيطا فما دونه الالا يغلن رجل بعيرا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء الالا يغلن رجل فرسا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حمحمة ﴿ القول في تأويل قوله (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ثم توفى كل نفس ثم تعطى كل نفس جزاء بما كسبت بكسبها وافيا غير منقوص مما استحقه واستوجبه من ذلك وهم لا يظلمون يقول لا يفعل بهم الا الذي ينبغي أن يفعل بهم من غير أن يعتدى عليهم فينقصوا عما استحقوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا معتدى عليه ﴿ القول في تأويل قوله (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك في قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من لم يغل كمن باء بسخط من الله كمن غل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى سفيان بن عيينة عن مطرف بن طريف عن الضحاك قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من أدى الخمس كمن باء بسخط من الله فاستوجب سخطا من الله وقال آخرون في ذلك بما حدثني به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس وسخطوا كمن باء بسخط من الله لرضى الناس وسخطهم يقول أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من ربه كمن باء بسخط من الله فاستوجب غضبه وكان مأواه جهنم وبئس المصير أسواء المثلان أي فاعرفوا ﴿ وأولى التأويلين بتأويل الآية عندي قول الضحاك بن مزاحم لان ذلك عقيب وعد الله على الغلول ونهيه عباده عنه ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه والعاصي له في ذلك أي انهما لا يستويان ولا تستوي حالتاهما عنده لان لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنة ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار يعني قوله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله اذا أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه وعمل بطاعة الله في تركه ذلك وفي غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه متبعا في كل ذلك رضى الله ومجتنبا سخطه كمن باء بسخط من الله يعني كمن انصرف متحملا سخط الله وغضبه فاستحق بذلك سكنى جهنم يقول ليسا سواء وأما قوله وبئس فانه يعني وبئس المصير الذي يصير اليه ويؤب اليه من باء بسخط من الله جهنم ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني تعالى ذكره بذلك ان من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الاليم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون أي لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس هم

فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الآن وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال آخرون انه بمنزلة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه أحدها قال البصريون انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع أخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال أبو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة وقيل جوابه ما يدل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما هزم المشركون ونساؤهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير أمير الرماة عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نبرح هذا المكان فأبوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى أن قتلهم المشركون وقوله في الامر اما أن يكون بمعنى الشأن والقصة أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن أو بمعنى الامر الذي يضاد النهي أي تنازعتم فيما أمركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية كأنهم فشلوا في أنفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في انهل نذهب في طلب الغنيمة أم لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بخاصة في ذلك الموضع خاصة ببعض تمهيدا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الآخرة وفائدة قوله من بعد ما أراكم ما تحبون التنبيه على عظم شأن المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله أكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية فلما أقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام وأذاقهم وبال أمرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت

درجات

درجات عند الله يقول بأعمالهم وقال آخرون معنى ذلك لهم درجات عند الله يعني لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هم درجات عند الله قال هي كقوله لهم درجات عند الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي هم درجات عند الله يقول لهم درجات عند الله وقيل قوله هم درجات كقول القائل هم طبقات كما قال ابن هرمة

ان جما المنون يكون قوم * لريب الدهر أم درج السيول

وأما قوله والله بصير بما يعملون فانه يعني والله ذو علم بما تعمل أهل طاعته ومعصيته لا يخفى عليه من أعمالهم شئ يحصي على الفريقين جميعا أعمالهم حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله بصير بما يعملون يقول ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ۞ القول في تأويل قوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) يعني بذلك لقد تطول الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا حين أرسل فيهم رسولا من أنفسهم نبيا من أهل لسانهم ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول يتلو عليهم آياته يقول يقرؤا عليهم آي كتابه وتنزيله ويزكيهم يعني يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم اياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه ويبين لهم تأويله ومعانيه والحكمة ويعني بالحكمة السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيانه لهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني وان كانوا من قبل أن يمن الله عليهم بارساله رسوله الذي هذه صفته لفي ضلال مبين يقول في جهالة جهلاء وفي حيرة عن الهدى عمياء لا يعرفون حقا ولا يبطلون باطلا وقد بينا أصل الضلالة فيما مضى وانه الاخذ على غير هدى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع والمبين الذي يبين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه انه على غير استقامة ولا هدى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الامة جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة السنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ليس والله كما تقول أهل حروراء محنة غالبة من أخطأها اهريق دمه ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى قوم لا يعلمون فعلمهم وقوم لا أدب لهم فأدبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لقد من الله على المؤمنين الى قوله لفي ضلال مبين أي لقد من الله عليكم يا أهل الايمان اذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم فيما أحدثتم وفيما عملتم ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ويخبركم برضاه عنكم اذا أطعتموه لتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته فتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وان كنتم من قبل لفي ضلال مبين أي في عمى من الجاهلية لا تعرفون حسنة ولا تستغيثون من سيئة صم عن الحق عمي عن الهدى ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير) يعني تعالى ذكره بذلك أو حين أصابتكم أيها المؤمنون مصيبة وهي القتلى الذين قتلوا منهم والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرا قد أصبتم مثليها يقول قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من

الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه وأما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد أضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وأيضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تأويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان أولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هنالك الى ان أحاط بهم العدو وعلموا أنهم لو استقروا على المكث هنالك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلا فلهذا السبب جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك الموضع يتحرزون فيه عن العدو ألا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من أصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا أضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بأمره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه أمرهم هنالك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل أقاربهم وأحبائهم من أعظم أنواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم [illegible] بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال أبو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى أزال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء

المشركين مثلى هذه المصيبة التى أصابوا هم منكم وهى المصيبة التى أصابها المسلمون من المشركين ببدر وذلك انهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين قلتم انى هذا يعنى قلتم لما أصابتكم مصيبتكم باحد انى هذا من أى وجه هذا ومن أين أصابنا هذا الذى أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون وفينا نبى الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحى من السماء وعدونا أهل كفر بالله وشرك قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك هو من عند أنفسكم يقول قل لهم أصابكم هذا الذى أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمرى وترككم طاعتى لا من عند غيركم ولا من قبل أحد سواكم ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قدير يعنى ذو قدرة ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله قل هو من عند أنفسكم بعد اجماع جميعهم على ان تأويل سائر الآية على ما قلنا فى ذلك من التأويل فقال بعضهم تأويل ذلك قل هو من عند أنفسكم بخلافكم على نبى الله صلى الله عليه وسلم اذ أشار عليكم بترك الخروج الى عدوكم والاصحار لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصير بين آطامكم فأبيتم ذلك عليه وقلتم أخرج بنا اليهم حتى نصحر لهم فنقاتلهم خارج المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا أصيبوا يوم أحد قتل منهم سبعون يومئذ وأصابوا مثليها يوم بدر قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم أحد حين قدم أبو سفيان والمشركون فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انا فى جنة حصينة يعنى بذلك المدينة فدعوا القوم ان يدخلوا علينا نقاتلهم فقال له ناس من أصحابه من الانصار يا نبى الله انا نكره ان نقتل فى طرق المدينة وقد كنا نمتنع من الغزو فى الجاهلية فبالاسلام أحق ان نمتنع فيه فابرز بنا الى القوم فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فتلاوم القوم فقالوا عرض نبى الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرضتم بغيره اذهب يا حمزة فقل لنبى الله صلى الله عليه وسلم أمرنا لامرك تبع فأتى حمزة فقال له يا نبى الله ان القوم قد تلاوموا وقالوا أمرنا لامرك تبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس لنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يناجز وانه ستكون فيكم مصيبة قالوا يا نبى الله خاصة أو عامة قال سترونها ذكر لنا ان نبى صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام ان بقرا تنحر فتأولها قتلا فى أصحابه ورأى ان سيفه ذا الفقار بن انقصم فكان قتل عمه حمزة قتل يومئذ وكان يقال له أسد الله ورأى ان كبشا أغبر فتأوله كبش الكتيبة عثمان بن أبى طلحة أصيب يومئذ وكان معه لواء المشركين حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه غير انه قال قد أصبتم مثليها يقول مثلى ما أصيب منكم قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم يقول بما عصيتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا فقال الله عز وجل أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة قال قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين فذلك قوله قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا اذ نحن مسلمون نقاتل غضبا لله وهؤلاء مشركون قل هو من عند أنفسكم عقوبة لكم بمعصيتكم النبى صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم ونحوه غير أصابنا هذا لانا قبلنا الفداء يوم بدر من الاسارى وعصينا النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فمن قتل منا كان شهيدا ومن بقى منا كان مطهرا رضينا بالله ربا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

أفلا بد من ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما ذلك الفواقيه أمره ثم أعلمهم انه قد عفا عنهم قال القاضى ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضى تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح أن يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن أهل العفو وقالت الاشاعرة لاشك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جمع غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية دل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دليلا على انه قد يعفو عن أصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم أو عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما مستأنف باضمار واذكر واما ان يتعلق بما قبله أى عفا عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والانحدار فى الوادى كالمنهزمين ذنب اقترفوه أو المعنى ليبتليكم اذ تصعدون أو ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب فى الارض والابعاد فيها قال أبو معاذ النحوى كل شئ له أسفل وأعلى كالوادى والنهر والازقة فانه يقال فيه اصعد اذا أخذ من أسفله الى أعلاه وأما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على أحد لا تلتفتون اليه وأصله من تعرج على الشئ يلوى له عنقه وعندى

دا بيتموا لرسول بدعوكم كان يقول [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل أنه كان يدعوهم الى محاربة العدو فى أخراكم فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم

الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن وابن جريج قالا معصيتهم انه قال لهم لا تتبعوهم يوم أحد فاتبعوهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين يعني بأحد وقتل منهم سبعون انسانا أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلا وقتلوا سبعين قلتم انى هذا أى من أين هذا قل هو من عند أنفسكم انكم عصيتم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقول انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلى ما أصابوا منكم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم أى ان تك قد أصابتكم مصيبة فى اخوانكم فبذنوبكم قد أصبتم مثليها قتلا من عدوكم فى اليوم الذى كان قبله ببدر قتلى وأسرى ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم انكم أحللتم ذلك بأنفسكم ان الله على كل شئ قدير أى ان الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها الآية يعنى بذلك انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلى ما أصابوا منكم يوم أحد وقال بعضهم بل تأويل ذلك قل هو من عند أنفسكم باساءتكم المشركين يوم بدر وأخذكم منهم الفداء وترككم قتلهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا ان تأخذوا منهم الفداء فتتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون قال فأخذوا الفدية منهم وقتلوا منهم سبعين قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة انه قال فى أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم قالوا بل نأخذ الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى اسمعيل عن ابن عون عن عبيدة السلمانى عن على قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم من الاسارى وقد أمرك ان تخيرهم بين أمرين ان يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا لا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس فى ذلك ما نكره قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر ۞ القول فى تأويل قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) يعنى تعالى ذكره بذلك والذى أصابكم يوم التقى الجمعان وهو يوم أحد حين التقى جمع المسلمين والمشركين ويعنى بالذى أصابهم ما نال من القتل من قتل منهم ومن الجراح من جرح منهم فباذن الله يقول فهو باذن الله كان يعنى بقضائه وقدره فيكم وأجاب ما بالفاء لان ما حرف جزاء وقد بينت نظير ذلك فيما مضى وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا يعنى وليعلم الله المؤمنين وليعلم الذين نافقوا أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد ليميز أهل الايمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم لا يخفى عليهم أمر الفريقين وقد بينا تأويل قوله وليعلم المؤمنين فيما مضى وما وجه ذلك بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وبنحو ما قلنا فى ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين أى

بسبب الهزيمة قد تقدموه صلى الله عليه وسلم وبقى هو صلى الله عليه وسلم فى الجماعة المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فأثابكم قال فى الكشاف انه عطف على صرفكم وأقول لا يبعد أن يعطف على تصعدون لانه بمعنى أصعدتم بدليل أن يقال ثاب اليه أى رجع والمرأة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها وأصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان أو شرا الا أن العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الآية على أصل اللغة استقام بلا تأويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب أى جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو فى الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء فى بغم يحتمل أن تكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل أن تكون بمعنى المصاحبة أما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما أذقتم الرسول غما بسبب عصيان أمره أذاقكم الله غم الانهزام وقيل المجازاة والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم أحد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفى الكشاف يجوز أن يكون الضمير فى فأثابكم للرسول أى فآساكم فى الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانهمام فى سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها وأما الاحتمال الثانى ففيه وجهان أحدهما أن يكون هناك غمان الاول ما أصابهم عند الفشل والتنازع والثانى ما حصل عند الهزيمة والاول غم فوت الغنائم والثانى ان أبا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما والاول هذا والثانى خوفهم من رجوع المشركين واستئصال المسلمين والاول ما أصابهم فى أنفسهم وأموالهم والثانى غمهم لارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم والاول خوف عقاب المعصية

ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذني كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري وصدقتم وعدي ليميز بين المنافقين والمؤمنين وليعلم الذين نافقوا منكم أي ليظهر وا ما فيهم ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) يعني تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه حين سار نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد لقتالهم فقال لهم المسلمون تعالوا قاتلوا المشركين معنا أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم ولكنا معكم عليهم ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه وأبدوا بألسنتهم بقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق قال ثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس فقال أطاعهم فخرج وعصاني والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد وقوله لو نعلم قتالا لاتبعناكم يقول لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكن لا نظن أن يكون قتال فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان وليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون أي يخفون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يوم أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح إن صبروا فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم فلما غلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا قال فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول وقول عبد الله أبي جابر بن عبد الله الأنصاري حين دعاهم فقالوا ما نعلم قتالا ولئن أطعتمونا لترجعن معنا فقال الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد لو نعلم قتالا قال لو نعلم أنا واجدون معكم قتالا لو نعلم مكان قتال لاتبعناكم واختلفوا في تأويل قوله أو ادفعوا فقال بعضهم معناه أو كثروا فإنكم إذا كثرتم دفعتم القوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أو ادفعوا يقول أو كثروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو ادفعوا قال بكثرتكم العدو وإن لم يكن قتال وقال آخرون معنى ذلك أو رابطوا إن لم تقاتلوا ذكر من قال ذلك حدثني إسمعيل بن حفص الأيلي وعلي بن سهل الرملي

والثاني غم التوبة فإنهم لا يأثم إلا بالعود إلى المحاربة وإذا أمر بالمعاودة بعد القتل والذلة فإن فعل غلب على ظنه القتل وإن لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الآخرة وثانيهما أن يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما يخطر ببالكم فاللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لأن في عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن وإما أن يتعلق بقوله فأثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج أنه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الإقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم أحد في مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بإدبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا بإقبالها وعلى عوائدها قالت الأشاعرة معنى إثابة الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شيء وأما المعتزلة فإنهم يقولون الغم فعل العبد لكنه أسنده إليه تعالى لأنه طبع العباد طبعا يغتمون بالمصائب وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وإن سلم أنه يخلق الله فلرعاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فإن ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض أن لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالإدبار ولا يفرحوا بالإقبال وإن جعل الإثابة مسندا إلى الرسول فإنما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصرته ولا على ما أصابهم من غلبة العدو وإن جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما في قول الزجاج فيكون المراد ذكر قولهم لو بقينا في هذا المكان وامتنعوا فيه في غم فوت الغنيمة فإنه لو لم ينكشف غم أمر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم في غموم أخر كل واحد منها أعظم من ذلك فيصبرهم دائما ما لعلهم من أن يحزنوا على فوات نفع في وقعة أخرى ثم كرر حرمة على تلك المعصية بإرجاف يوم نزل جرحهم بإرجاف أخرى فقال والله

الرملي قالا ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا عتبة بن ضمرة قال سمعت أبا عون الانصاري في قوله قاتلوا في سبيل الله قال رابطوا وأما قوله والله أعلم بما يكتمون فانه يعني به والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين لو نعلم قتالا لاتبعناكم بما يضمرون في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيسترونه من العداوة والشنآن وانهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا عنهم وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك مطلع عليه ومحصيه عليهم حتى يهتك أستارهم في عاجل الدنيا فيفضحهم به ويصليهم به الدرك الاسفل من النار في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعني تعالى ذكره بذلك وليعلم الله الذين نافقوا الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا فموضع الذين نصب على الابدال من الذين نافقوا وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما في قوله يكتمون من ذكر الذين نافقوا فمعنى الآية وليعلم الله الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين باحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم وقعدوا يعني وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم عن الجهاد مع اخوانهم وعشائرهم في سبيل الله لو أطاعونا يعني لو أطاعنا من قتل باحد من اخواننا وعشائرنا ما قتلوا يعني ما قتلوا هنالك قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين فادرؤا يعني فادفعوا من قول القائل درأت عن فلان القتل بمعنى دفعت عنه ادرؤه درأ ومنه قول الشاعر

أقول وقد درأت لها وضيني * أهذا دينه أبدا وديني

يقول تعالى ذكره قل لهم فادفعوا ان كنتم أيها المنافقون صادقين في قيلكم لو أطاعنا اخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش ما قتلوا هنالك بالسيف ولكانوا أحياء بقعودهم معكم وتخلفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهودهم جهاد أعداء الله معه الموت فانكم قد قعدتم عن حربهم وقد تخلفتم عن جهادهم وأنتم لا محالة ميتون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم لو أطاعونا ما قتلوا الآية أي انه لا بد من الموت فان استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك انهم انما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله حرصا على البقاء في الدنيا وفرارا من الموت ذكر من قال الذين قالوا لاخوانهم هذا القول هم الذين قال الله فيهم وليعلم الذين نافقوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا الآية ذكر لنا انها نزلت في عدو الله عبد الله بن أبي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال هم عبد الله بن أبي وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال هو عبد الله بن أبي الذي قعد وقال لاخوانه الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد لو أطاعونا ما قتلوا الآية قال ابن جريج عن مجاهد قال قال جابر بن عبد الله هو عبد الله بن أبي بن سلول حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا الآية قال نزلت في عدو الله عبد الله بن أبي ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني تعالى ذكره ولا تحسبن ولا تظنن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لا تحسبن ولا تظنن وقوله الذين قتلوا في سبيل الله يعني الذين قتلوا باحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواتا يقول ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيأ ولا يلتذون ولا يتنعمون فانهم أحياء عندي متنعمون في رزقي

خبير بما تعملون عالم بجميع أعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم أخبر ان الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدي الى الاستئصال لاخبار الصادق بان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فذكر تعالى الجماعة بقوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وأراد هؤلاء بقوله يغشى طائفة منكم والأمنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور في أوائل النوم وانتصاب أمنة على انها حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت راكبا رجلا أو مفعول له بمعنى نعستم أمنة أو على أنه حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على انه جمع آمن كبار وبررة أو على أنه مفعول أنزل ونعاسا بدل منه قال أبو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أخذ الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلاة الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلى الله عليه وسلم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاط ومنها اشتغالهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا حراصا على التمكين في قتلهم فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من أدل الدلائل على ان حفظ الله وكلاءته معهم ومن

فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق وثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن اسمعيل بن أمية عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد وثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قالا ثنا محمد بن اسحق عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق بن الاجدع قال سألنا عبد الله ابن مسعود عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية قال أما انا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فيطلع الله اليهم اطلاعة فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ثلاث مرات ثم يطلع فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا الا انا نختار ترد أرواحنا في أجسادنا ثم تردنا الى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدسي قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ثم ذكر نحوه وزاد فيه اني قد قضيت أن لا ترجعوا حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد قال أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع الى قناديلها فيطلع اليها ربها فيقول ماذا تريدون فيقولون نرجع الى الدنيا فنقتل مرة أخرى حدثنا ابن كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء وقال عبدة في روضة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثنا أبو كريب وأنبأنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا انه قال في قبة خضراء وقال يخرج عليهم فيها حدثنا ابن وكيع وأنبأنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق قال ثنى الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق وثنى بن الفضيل الانصاري عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ؟ أيضا يعني اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن الحرث بن الفضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق وثنى بعض أصحابي عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا جابر قال قلت بلى يا رسول الله قال ان أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له ما تحب يا عبد الله بن عمرو ان أفعل بك قال يا رب أحب أن تردني الى

الدنيا

الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع أن فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى الامنة ويؤيده ان الامنة مقصودة بالذات والنعاس مقصود بالعرض ولانها متبوع وانه تابع ومن قرأ بالياء فللعود الى النعاس وينصره كونه أقرب وكون المبدل في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيأ واحدا كان التذكير أولى وأما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن أبي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ما بهم الا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا المسلمين والهم الامر الشديد يقال أهمني ذلك الامر أي أقلقه وأحزنه فالمعنى أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان منهم بسبب التشكك وعدم الثبات والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان أحب الاشياء عندهم هو النفس وكانت أسباب الخوف على النفس هنالك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن لهم هنالك الا هم أنفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر أي غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب ان غير الحق أديان كثيرة وأردأها مقالات أهل الجاهلية فذكر أولا أنهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين أنهم اختاروا من الاديان أرذلها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة وظن الجاهلية مصدر وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق ثم أضيف لملابسة أي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام

أو أريد ظن أهل الجاهلية وهم أهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك الظن هو أنهم كانوا ينكرون الإله
العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله

الدنيا فاقاتل فيك فاقتل مرة أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا ان رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا ليتنا نعلم ما فعل اخواننا الذين قتلوا يوم أحد فانزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون كنا نحدث ان أرواح الشهداء تعارف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة وان مساكنهم السدرة حدثت عن عمار وأنبأنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه الا انه قال تعارف في طير خضر وبيض وزاد فيه أيضا وذكر لنا عن بعضهم في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء قال هم قتلى بدر وأحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة قال قالوا يا رب ألا رسول لنا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطيتنا فقال الله تبارك وتعالى أنا رسولكم فأمر جبريل عليه السلام أن يأتي بهذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآيتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال أرواح الشهداء عند الله كطير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت قال فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا ربنا ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا ثم اطلع عليهم الثالثة فقال هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا تعيد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيلك مرة أخرى فسكت عنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عطاء بن السائب عن ابن عبيدة عن عبد الله انه قال في الثالثة حين قال لهم هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا تقرئ نبينا عنا السلام وتخبره ان قد رضينا ورضي عنا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين في ثواب الجنة ويهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون أي قد أحييتهم فهم عندي يرزقون في روح الجنة وفضلها مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال الضحاك قال كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا ويرزقون فيه الشهادة ويرزقون فيه الجنة والحياة في الرزق فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم الى قوله ولا هم يحزنون زعم ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل من ذهب معلقة بالعرش فهي ترعى بكرة وعشية في الجنة تبيت في القناديل فاذا سرحن نادى مناد ماذا تريدون ماذا تشتهون فيقولون ربنا نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألهم ربهم أيضا ماذا تشتهون وماذا تريدون فيقولون نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألون الثالثة فيقولون ما قالوا ولكنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا لما نرى من فضل الثواب حدثنا ابن حميد قال ثنا عباد قال ثنا ابراهيم بن معمر عن الحسن قال ما زال ابن آدم يتحمد حتى صار حيا ما يموت ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا عمرو بن يونس قال ثنا اسحق بن أبي طلحة قال ثنى أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم الى أهل بئر معونة قال لا أدري أربعين أو سبعين قال وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري فخرج أولئك

يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو أنهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد أما عند أهل السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب أن يشرفه بأخرى وأما عند من يعتبر المصالح في أفعاله وأحكامه فلا يبعد أن يكون في الغلبة بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله أعلم يقولون هل لنا من الامر من شئ حكاية شبهة تمسك بها أهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها أحدها هل لنا من التدبير من شئ يعنون رأي عبد الله بن أبي وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين أمره أن يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكى عنه لو أطاعونا ما قتلوا ثانيها من عادة العرب أنه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر أي هل لنا من الامر الذي كان يعدنا به محمد صلى الله عليه وسلم وهو النصر والقدرة شئ ثالثها أنطمع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء
والغرض منه تعيير المسلمين على التشديد في الجهاد فأمر الله تعالى نبيه أن يجيب عنها بقوله قل ان الامر والحوادث بأسرها مستندة الى قضائه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا أراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا

النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء قعدوا فيه ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال أراه أبا ملحان الانصاري أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى أتى حيا منهم فاحتبى امام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فقتلوهم أجمعين عامر بن الطفيل قال قال اسحق حدثنى أنس بن مالك ان الله تعالى أنزل فيهم قرآنا رفع بعد ما قرأناه زمانا وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لقوا ربهم فأكرمهم فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب قالوا يا ليت بيننا وبين اخواننا من يبلغهم انا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا فقال الله تبارك وتعالى انا رسولكم الى نبيكم واخوانكم فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى قوله ولا هم يحزنون فهذا النبأ الذى بلغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء وفى نصب قوله فرحين وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على الخروج من قوله عند ربهم والآخر من قوله يرزقون ولو كان رفعا بالرد على قوله بل أحياء فرحون كان جائزا ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى بذلك تعالى ذكره ويفرحون بمن لم يلحق بهم من اخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء فى الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم ان استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله الى مثل الذى صاروا هم اليه فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون انهم اذا صاروا كذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعنى بذلك لا خوف عليهم لانهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم فقد أمنوا الخوف الذى كانوا يخافونه من ذلك فى الدنيا ولا هم يحزنون ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها المنغص الذى صاروا اليه والدعة والزلفة ونصب الا بمعنى يستبشرون لهم بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذى أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول اخواننا يقتلون كما قتلنا يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا عن بعضهم فى قوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال هم قتلى بدر وأحد زعموا ان الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة جعلت أرواحهم فى طير خضر ترعى فى الجنة وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا ليت اخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه فاذا شهدوا قتالا تعجلوا الى ما نحن فيه فقال الله تعالى انى منزل على نبيكم ومخبر اخوانكم بالذى أنتم فيه ففرحوا به واستبشروا وقالوا يخبر الله نبيكم واخوانكم بالذى أنتم فيه فاذا شهدوا قتالا أتوكم قال فذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله الى قوله أجر المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أى ويسرون بلحوق

هذا على الأديان ووقع لا محالة يخفون فى أنفسهم فى ضمائرهم أو فيما بينهم مالا يبدون لك وذلك الخفى قولهم لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا أى لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة فأمر الله تعالى نبيه أن يجيبهم بقوله قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهى مصارعهم التى قتلوا فيها لان ما كتب الله فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم خص الابتلاء بما فى الصدور والتمحيص بما فى القلوب اما لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذى فى الصدر والتمحيص مورده الهيئات والعقائد التى فى القلب واعلم ان نسق هذه الآية أنيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وأهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل أن يكون خبره محذوفا أى ووجد أو ومنهم طائفة أهمتهم ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون أو بيان والأصح وقوع القول الذى بمعناه انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان قولهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر أجمع لله وقوله يقولون مستأنف وقوله وليبتلى تقدم ذكره فى الوقوف وأما نظمه فانه لما أخبر عن هذه الطائفة من بأنهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بأنهم يقولون هل لنا من الامر من شىء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا فى حقية

من لحق بهم من اخوانهم على مامضوا عليه من جهاد هم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم وأذهب الله عنهم الخوف والحزن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم قال هم اخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون حتى بلغ وان الله لا يضيع أجر المؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى أما يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فان الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من اخوانه وأهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا و يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر باهل الغائب بقدومه فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) يقول جل ثناؤه يستبشرون يفرحون بنعمة من الله يعنى بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه وفضل يقول وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ماسلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يستبشرون بنعمة من الله وفضل الآية لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب واختلفت القراء فى قراءة قوله وان الله لا يضيع أجر المؤمنين فقرأ ذلك بعضهم بفتح الالف من ان بمعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل و بان الله لا يضيع أجر المؤمنين وبكسر الالف على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك كذلك بانها فى قراءة عبد الله وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين قالوا فذلك دليل على ان قوله وان الله مستأنف غير متصل بالاول ومعنى قوله لا يضيع أجر المؤمنين لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وان الله بفتح الالف لاجماع الحجة من القراء على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم وانما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فى طلب العدو أبى سفيان ومن كان معه من مشركى قريش منصرفهم عن أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس ان به وأصحابه قوة على عدوهم كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى حسان بن عبد الله عن عكرمة قال كان يوم أحد السبت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يارسول الله ان أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الاشهل كان شهد أحدا قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أنا وأخ لى فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو قلت لاخى أو قال لى

هذا الدين وفى المبدأ والمعاد وفى الشدة والقدر فأزال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الامانة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك مظنة أن يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين أراد أن يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك أى ذلك القول انما صدر عنهم فى هذه الحالة فكان لسائل أن يسأل ما الذى يخفونه فى أنفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل أن يراد لو كان لنا رأى مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن فى قوله قل ان الامر كله لله قال فى التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السنى والمعتزلى فذاك يقول العصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن هذا الاعتقاد بان ماقضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو أن يتميز الموافق عن المنافق كما فى المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصى والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور صاحبتها وهى الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شئ وانما ذلك لمحض الالهية أو للاستصلاح قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يوم أحد وذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان أولهم سعد بن عثمان أخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعده رجال ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن يحثين التراب فى وجوههم ويقلن هاك المغزل أغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذى تدل عليه الاخبار فى الجملة

أتغو تناغز وتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما النا من دابة نركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جراحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فقام بها الثلاثاء الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله تبارك وتعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أي الجراح وهم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد الى حمراء الاسد على ما بهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وذلك يوم أحد بعد القتل والجراح وبعد ما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ألا عصابة تشدد لامر الله تطلب عدوها فانه انكى للعدو وأبعد للسمع فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجهد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي انطلق أبو سفيان منصرفا من أحد حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزموا فأخبر الله رسوله فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد ثم رجعوا من حمراء الاسد فأنزل الله جل ثناؤه فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ان الله جل وعز قذف في قلب أبي سفيان الرعب يعني يوم أحد بعد الذي كان منه ما كان فرجع الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك الى نبي الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليهم الذي أصابهم وان رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وذلك انما يرحلون الآن فيأتون الحج ٧ فلا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال اني ذاهب وان لم يتبعني أحد لاحضض الناس فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفا فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا أبو سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن أختي أما والله ان أباك وجدك تعني أبا بكر والزبير لمن قال الله تعالى فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرت ان أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم انهم عامدون الى المدينة فقال ان ركبوا الخيل وتركوا الاثقال فانهم عامدون الى المدينة وان جلسوا على الاثقال وركبوا الخيل فقد أرعبهم الله وليسوا بعامديها فركبوا الاثقال فرعبهم الله ثم ندب ناسا يتبعونهم ليروا أن بهم قوة فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح حدثني سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت لي عائشة ان كان أبواك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد

٧ هكذا بالنسخ ولعل الصواب فيأتون الموسم يعني السوق التي يباع فيها اهـ مصححه

ان نفرا قليلا تولوا وأبعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب وأما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أيضا عثمان انهزم هو ومع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة وأما الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب ابن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلاثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار أبو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم أحد وروى ابن عيينة انه أصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان تقول زلت يا فلان تزل زليلا اذا زل في طين أو منطق والاسم الزلة واستزله غيره كأنه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم خيانات فبواسطة تلك الخيانات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين

فيه وقيل انهم لما أذنبوا بسبب مفارقة المركز أوقعهم الشيطان بشؤم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها اقدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض

ما أصابهم القرح يعني أبا بكر والزبير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول فوعد تعالى ذكره محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح اذا اتقى الله فخافه فأدى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجرا عظيما وذلك الثواب الجزيل والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) يعني تعالى ذكره وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والذين في موضع خفض مردود على المؤمنين وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الاول هم قوم فيما ذكر لنا كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد الى حمراء الاسد والناس الثاني هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد يعني بقوله قد جمعوا لكم قد جمعوا الرجال للقائكم والكرة اليكم لحربكم فاخشوهم يقول فاحذروهم واتقوا لقاءهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يقول فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقينا الى يقينهم وتصديقا لله ولوعده ووعد رسوله الى تصديقهم ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه وقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه اذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين حسبنا الله ونعم الوكيل يعني بقوله حسبنا الله كفانا الله يعني يكفينا الله ونعم الوكيل يقول ونعم المولى لمن وليه وكفله وانما وصف تعالى نفسه بذلك لان الوكيل في كلام العرب هو المسند اليه القيام بأمر من أسند اليه القيام بأمره فلما كان القوم الذين وصفهم الله به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم الى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك اليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك وتفويضهم أمرهم اليه بالوكالة فقال ونعم الوكيل الله تعالى لهم واختلف أهل التأويل في الوقت الذي قال من قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد جمعوا لكم فقال بعضهم قيل ذلك لهم في وجههم الذي خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد الى حمراء الاسد في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين ذكر من قال ذلك وذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك ومن قاله حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال مر به يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عليه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال والله يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله كان أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمراء الاسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنستأصلنهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيول قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل أنفسهم قال فاني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت أبياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي ۞ اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

ما كسبوا لان الكسب قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت أو لان جميع الذنوب لا يؤاخذهم الله تعالى بها كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل أن تكون الباء بمعنى في أي السبب في توليهم انهم كانوا أطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون أعمالا أخر اما في هذه الغزوة وقبلها ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في انه أي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والآية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر أو من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الآية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثبتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص وحيث عفا عنهم من غير ذكر التوبة بالنص علم انه صح وغلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ان يزيدوا ثباتهم في الجهاد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافق

تردى بأسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا خرق معازيل
فظلت عدوا أظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
انى نذير لاهل النسل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابلة * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم ابلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فأخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والناس الذين قالوا لهم ما قالوا النفر من عبد القيس الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ان أبا سفيان ومن معه راجعون اليكم يقول الله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الآية حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال لما ندموا يعنى أبا سفيان وأصحابه على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فهزموا فلقوا اعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له ان لقيت محمدا وأصحابه فأخبرهم انا قد جمعنا لهم فأخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فلقوا الاعرابى فى الطريق فأخبرهم الخبر فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم رجعوا من حمراء الاسد فأنزل الله تعالى فيهم وفى الاعرابى الذى لقيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال استقبل أبو سفيان فى منصرفه من أحد عيرا واردة المدينة ببضاعة لهم وبينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم حبال فقال ان لكم على رضا كم ان أنتم رددتم عنى محمدا ومن معه ان أنتم وجدتموه فى طلبى وأخبرتموه انى قد جمعت له جموعا كثيرة فاستقبلت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد انا نخبرك ان أبا سفيان قد جمع لك جموعا كثيرة وانه مقبل الى المدينة وان شئت ان ترجع فافعل ولم يزده ذلك ومن معه الا يقينا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تبارك وتعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم حتى كانوا بذى الحليفة فجعل الاعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال آخرون بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له فى غزوة بدر الصغرى وذلك فى مسير النبى صلى الله عليه وسلم عام قابل من وقعة أحد للقاء عدوه أبى سفيان وأصحابه للموعد الذى كان أوعده الالتقاء بها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال هذا أبو سفيان قال لمحمد موعدكم حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم عسى فانطلق رسول الله صلى

نوم أحد كعبد الله بن أبى وأصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم أى لاجل اخوانهم (١١٢) مثل و قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا أقارب المنافقين وان كانوا مسلمين أو اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا فى بعض الغزوات والضرب فى الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان أو بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا أو حين ضربوا ليشاكل فى المعنى قوله وقالوا لانه أراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا فى الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فاذن أخبر عنهم بعد ذلك لا بد أن يقول قالوا ويجوز أن يكون قالوا فى تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضى لانه لازم الحصول فى المستقبل مثل أتى أمر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم فى تقرير هذه الشبهة قد بلغا غاية فكان هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن أن يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضى ليعلم ان المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم فى تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له فى كلام العرب نظير لكن القرآن أولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدى فى الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا فى الارض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وأما اللام فى قوله ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم ففى متعلقه وجهان الاول انه قالوا أى قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله

الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا فوافقوا السوق فيها وابتاعوا فذلك قوله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وهي غزوة بدر الصغرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وزاد فيه وهي بدر الصغرى قال ابن جريج لما عمد النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه السلام وقال في ذلك

نفرت قلوصي عن خيول محمد * وعجوة منثورة كالعنجد
* واتخذت ماء قديد موعد *

قال أبو جعفر هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ وإنما هو

قد نفرت من رفقتي محمد * وعجوة من يثرب كالعنجد
تهوي على دين أبيها الأتلد * قد جعلت ماء قديد موعد
* وماء ضجنان لها ضحى الغد *

حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كانت بدر متجرا في الجاهلية فخرج ناس من المسلمين يريدونه ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ الأهبة للقتال وأهبة التجارة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأتوهم فلم يلقوا أحدا فأنزل الله عز وجل فيهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال هي كلمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال إن الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد إلى حمراء الأسد لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم حسبنا الله ونعم الوكيل لما قيل لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد وأما الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى فإنه لم يكن فيهم جريح إلا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج إلى بدر الخرجة الثانية إليها لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها بعد سنة من غزوة أحد في شعبان سنة أربع من الهجرة وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث وخروج النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى إليها في شعبان من سنة أربع ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب خرج فيها أصحابه ولكن قد كان قتل في وقعة الرجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى وكانت وقعة الرجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى ۞ القول في تأويل قوله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) يعني جل ثناؤه بقوله فانقلبوا بنعمة من الله فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح من وجههم الذي توجهوا فيه وهو سيرهم في أثر عدوهم

ذلك الكلام حسرة فيكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لأن أقارب ذلك المقتول إذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا أنهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت أو لم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب أنهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في أن الحياة والموت لا يكون إلا بتقدير الله فإنه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الأسف وقيل لأنهم إذا ألقوا هذه الشبهة إلى إخوانهم تثبطوا عن الجهاد فإذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي أولئك المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيامة إذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما أعلم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض أن جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يقسي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة * الوجه الثاني أن متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم وجواب عن مقالتهم أي الأمر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف أن يتلقى أوامره بالامتثال فالله أعلم بحقيقة الأحوال ولا يجري الأمر إلا على وفق إمضائه وأحكامه ونقضه وإبرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وفي أمثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ويجوز أن يكون المراد والله يحيي قلوب أوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب أعدائه بظلمات الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا

الى حمراء الاسد بنعمة من الله يعنى بعافية من ربهم لم يلقوا بها عدوا وفضل يعنى أصابوا فيها من الارباح بتجاراتهم التى اتجروا بها والاجر الذى اكتسبوه لم يمسسهم سوء يعنى لم ينلهم بها مكروه من عدوهم ولا أذى واتبعوا رضوان الله يعنى بذلك انهم أرضوا الله بفعلهم ذلك واتباعهم رسوله الى ما دعاهم اليه من اتباع أمر العدو وطاعتهم والله ذو فضل عظيم يعنى والله ذو احسان وطول عليهم فصرف عدوهم الذى كانوا قد هموا بالكرة اليهم وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم بنعمه عظيم عند من أنعم به عليه من خلقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال والفضل ما أصابوا من التجارة والاجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال وافقوا السوق فابتاعوا وذلك قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال الفضل ما أصابوا من التجارة والاجر قال ابن جريج ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل أصابوا عفوه وعزته لا ينازعهم فيه أحد قال وقوله لم يمسسهم سوء قال قتل ٧ واتبعوا رضوان الله قال طاعة النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله ذو فضل عظيم لما صرف عنهم من لقاء عدوهم حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ولم يؤذهم أحد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى حين خرج الى غزوة بدر الصغرى ببدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر فأصابوا تجارة فذلك قول الله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله أما النعمة فهى العافية وأما الفضل فالتجارة والسوء القتل ۞ القول فى تأويل قوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعنى بذلك تعالى ذكره انما الذى قال لكم أيها المؤمنون ان الناس قد جمعوا لكم فخوفوكم بجموع عدوكم ومسيرهم اليكم من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم يخوفكم بأوليائه من المشركين أبى سفيان وأصحابه من قريش لترهبوهم وتجبنوا عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يخوف والله المؤمن بالكافر ويرهب المؤمن بالكافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوف المؤمنين بالكفار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يقول الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه أى أولئك الرهط يعنى النفر من عبد القيس الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا وما ألقى الشيطان على أفواههم يخوف أولياءه أى يرهبكم بأوليائه حدثنى يونس قال أخبرنا على بن معبد عن غياث بن بشير مولى قريش عن سالم الافطس فى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوفكم بأوليائه وقال آخرون معنى ذلك انما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون فى أنفسكم فتخافونه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر أمر المشركين وعظمهم فى أعين المنافقين فقال انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يعظم أولياءه فى صدوركم فتخافونهم فان قال قائل وكيف قيل يخوف أولياءه وهل يخوف الشيطان أولياءه قيل ان كان معناه يخوفكم بأوليائه يخوف أولياءه قيل ذلك نظير قوله لينذر بأسا شديدا يعنى لينذركم بأسه الشديد وذلك ان البأس لا ينذر وانما

يكونوا مثلهم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين فى قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم (١١٤) لانه سبب التقاعد عن الجهاد وينفر الطبع عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله شئ من مغفرته ورحمته خير مما يجمعون فاللام الاولى هى الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا فى الآية الاخرى والمعنى أن القتل والموت فى السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم أنه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان ذلك خير مما تجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذى يجمعونه فى الدنيا قد يكون من باب الحلال الذى يعد خيرا أو ورد على حسب معتقدهم ان أموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذى يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى فى الغد فكم من أمير أصبح أسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل مانعا من مرض أو خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الآخرة أصفى وأضفى وأبقى وأنقى ولا سيما منافعها العقلية وأى نسبة لانتفاع الحمار بلذة بطنه وفرجه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق أنوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع آخر فقال ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون كأنه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت أو القتل بقيتم أياما قلائل فى الدنيا مع اللذات الحسية والخيالية ثم تركتموها لا محالة فتكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو أعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال فى دين الله وصلتم الى أعلى الدرجات وهى مقام العندية وانما قدم القتل على

ينذر

ينذر به وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى ذلك يخوف الناس أولياءه كقول القائل هو يعطى الدراهم ويكسو الثياب بمعنى هو يعطى الناس الدراهم ويكسوهم الثياب فحذف ذلك للاستغناء عنه وليس الذى شبه ذلك بمشبه لان الدراهم فى قول القائل هو يعطى الدراهم معلوم ان المعطى هى الدراهم وليس كذلك الاولياء فى قوله يخوف أولياءه مخوفين بل التخويف من الاولياء لغيرهم فلذلك افترقا ﴿ القول فى تاويل قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) يقول فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين ولا يعظمن عليكم أمرهم ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم اياى ما أطعتمونى واتبعتم أمرى وأنى متكفل لكم بالنصر والظفر ولكن خافون واتقوا أن تعصونى وتخالفوا أمرى فتهلكوا ان كنتم مؤمنين يقول ولكن خافونى دون المشركين ودون جميع خلقى أن تخالفوا أمرى ان كنتم مصدقى رسولى وما جاءكم به من عندى ﴿ القول فى تاويل قوله (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيأ) يقول جل ثناؤه ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون فى الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق فانهم لن يضروا الله بمسارعتهم فى الكفر شيأ كما أن مسارعتهم لو سارعوا الى الايمان لم تكن بنافعته وكذلك مسارعتهم الى الكفر غير ضارته كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يعنى أنهم المنافقون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر أى المنافقون ﴿ القول فى تاويل قوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه يريد الله أن لا يجعل لهم حظا لهؤلاء الذين يسارعون فى الكفر نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم فسارعوا فيه ثم أخبر انهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة لهم عذاب عظيم فى الآخرة وذلك عذاب النار وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة أن يحبط أعمالهم ﴿ القول فى تاويل قوله (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) يعنى بذلك جل ثناؤه المنافقين الذين تقدم الى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم أن لا يحزنه مسارعتهم الى الكفر فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بايمانهم فارتدوا عن ايمانهم بعد دخولهم فيه ورضوا بالكفر بالله وبرسوله عوضا من الايمان لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن ايمانهم شيأ بل انما يضرون بذلك أنفسهم بايجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قبل لها به وانما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله الى هذه الآية عباده المؤمنين على اخلاص اليقين والانقطاع اليه فى أمورهم والرضا به ناصرا وحده دون غيره من سائر خلقه ورغبهم فى جهاد أعدائه وأعداء دينه وشجع بها قلوبهم واعلمهم ان من وليه بنصره فلن يخذل ولو اجتمع عليه جميع من خالفه وحاده وان من خذله فلن ينصره ناصر ينفعه نصره ولو كثرت أعوانه ونصراؤه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين اشتروا الكفر بالايمان أى المنافقين لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم أى موجع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون ﴿ القول فى تاويل قوله (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) يعنى بذلك تعالى ذكره ولا تظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ان املاءنا لهم خير لانفسهم ويعنى بالاملاء الاطالة فى العمر والانساء فى الاجل ومنه قوله جل ثناؤه واهجرنى مليا أى حينا طويلا ومنه قيل عشت طويلا وتمليت حينا والملا نفسه الدهر والملوان

الموت فى الآية الاولى وعكس فى الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو أفضل أولان الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل فى سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان أن حشر الخلائق كلهم اليه بأى وجه يفارقون الدنيا ولا شك أن الغالب على أحوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر أطلق القتل اطلاقا ليعم أنواع القتل كلها وفى قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد فى ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف أعظم أنواع الوعد ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمى فى الحرف المتصل باسم الله تنبيها على ان الالهية تقتضى هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز فى العقول من انه هو الذى يبدئ ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه أضاف حشره الى غيرهم ليعلم انهم أحياء كانوا أو أمواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم أن القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم فى بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر فى الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثانى اشارة الى من يعبده طمعا فى ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم أهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما أحسن هذا النسق يروى أن عيسى صلى الله عليه وسلم مر باقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من أن لا يخلصكم من عذابه ثم مر بآخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى عليهم سيماء العبودية أكثر فقالوا

الليل والنهار ومنه قول تميم بن مقبل ألا يا ديار الحي بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان يعني بالملوان الليل والنهار وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم فقرأ ذلك جماعتهم ولا يحسبن بالياء وبفتح الالف من قوله انما على المعنى الذي وصفت من تأويله وقرأ آخرون ولا تحسبن بالتاء وانما أيضا بفتح الالف من انما بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم فان قال قائل فما الذي من أجله فتحت الالف من قوله انما في قراءة من قرأ بالتاء وقد علمت ان ذلك اذا قرئ بالتاء فقد أعملت تحسبن في الذين كفروا واذا أعملتها في ذلك لم يجز لها أن تقع على انما لان أنما انما يعمل فيها عامل يعمل في شيئين نصبا قيل أما الصواب في العربية ووجه الكلام المعروف من كلام العرب كسر ان اذا قرئت تحسبن بالتاء لان تحسبن اذا قرئت بالتاء فانها قد نصبت الذين كفروا فلا يجوز أن تعمل وقد نصبت اسما في ان ولكني أظن ان من قرأ ذلك بالتاء في تحسبن وفتح الالف من أنما انما أراد تكرير تحسبن على أنما كأنه قصد الى أن معنى الكلام ولا تحسبن يا محمد أنت الذين كفروا لا تحسبن أنما نملي لهم خير لانفسهم كما قال جل ثناؤه فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة بتأويل هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغتة وذلك وان كان وجها جائزا في العربية فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ ولا يحسبن الذين كفروا بالياء من يحسبن وبفتح الالف من أنما على معنى الحسبان للذين كفروا دون غيرهم ثم يعمل في انما نصبا لان يحسبن حينئذ لم يشغل بشيء عمله فيه وهي تطلب منصوبين وانما اخترنا ذلك لاجماع القراء على فتح الالف من انما الاولى فدل ذلك على ان القراءة الصحيحة في يحسبن بالياء لما وصفنا وأما الف انما الثانية فالكسر على الابتداء باجماع من القراء عليه وتأويل قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا اثما يقول يكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر ولهم عذاب مهين يقول ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الاثر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ۞ القول في تأويل قوله (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) يعني بقوله ما كان الله ليذر المؤمنين ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق فلا يعرف هذا من هذا حتى يميز الخبيث من الطيب يعني بذلك حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر الكفر من الطيب وهو المؤمن المخلص الصادق الايمان بالمحن والاختبار كما ميز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم اليهم واختلف أهل التأويل في الخبيث الذي عنى الله بهذه الآية فقال بعضهم فيه مثل قولنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ميز بينهم يوم أحد المنافق من المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ابن جريج يقول يبين الصادق بايمانه من الكاذب قال ابن جريج قال مجاهد يوم أحد ميز بعضهم عن بعض المنافق عن المؤمن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي المنافق وقال آخرون معنى ذلك حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر

نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الآية دليل على أن المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم أو قتلتم عطفا للشيء على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما أرشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفا عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روى ان امرأة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل عثمان أما والله لا تجدونه ألأم القوم فقال لها علي ألا ان عثمان فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه وروى انه قال حينئذ أعياني أزواج الاخوان أن يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه انه قال انما أنا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب أحدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لا حلم أحب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب أن يكون أكثرهم حلما وأحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه ورأوا فيه آثار الشفقة وأمارات النصيحة وعن بعض الصحابة انه قال لقد أحسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم أن من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم أن الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم أن

قال

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يعني الكفار يقول لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة حتى يميز الخبيث من الطيب يميز بينهم في الجهاد والهجرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حتى يميز الخبيث من الطيب قال حتى يميز الفاجر من المؤمن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا عن يؤمن بالله ومن يكفر فأنزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يخرج المؤمن من الكافر والتاويل الاول أولى بتاويل الآية لان الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقتها فكونها بان تكون فيهم أشبه منها بان تكون في غيرهم ﴿ القول في تاويل قوله (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ولكن الله اجتباه فجعله رسولا وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي فيما يريد أن يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء بعلمه وأولى الاقوال في ذلك بتاويله وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد وجهاد عدوه وما أشبه ذلك من صنوف المحن حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحيه ذلك اليه ورسالته كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء قال يخلصهم لنفسه وانما قلنا هذا التاويل أولى بتاويل الآية ابتداؤها خبر من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده يعني بغير محن حتى يفرق بالابتلاء من مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم ثم عقب ذلك بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب فكان فيما افتتح به من صفة اظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر دلالة واضحة على ان الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم الا بالذي ذكر أنه مميز به نعتهم الامن استثناه من رسله الذي خصه بعلمه ﴿ القول في تاويل قوله (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه بقوله وان تؤمنوا وان تصدقوا من اجتبيته من رسلي بعلمي وأطلعته على المنافقين منكم وتتقوا ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه فلكم أجر عظيم يقول فلكم بذلك من ايمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآمنوا بالله ورسوله وان تؤمنوا وتتقوا أي ترجعوا وتتوبوا فلكم أجر عظيم ﴿ القول في تاويل قوله (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق ولا يحسبن الذين يبخلون بالياء من يحسبن وقرأته جماعة أخر ولا تحسبن بالتاء ثم اختلف أهل العربية في تاويل ذلك فقال بعض نحوي الكوفة معنى ذلك لا يحسبن الباخلون البخل هو خيرا لهم فاكتفى بذكر يبخلون من البخل كما تقول قدم فلان فسررت به وأنت تريد فسررت بقدومه وهو عماد وقال بعض نحوي أهل البصرة انما أراد بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم لا تحسبن البخل هو خيرا لهم فالقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان به وهو البخل لانه

الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب له لم يغضب واذا حصل له مطلوب لم يأنس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي أشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع أحدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على (117) شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العيش مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم أكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب أن يكون أكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد أما الحكم بزيادتها فللنظر الى أصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكأنه قال فبرحمة وأما افادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه أصلا وجوز بعضهم أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير فباي رحمة واذا كان لينه وفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب أو الطمع في الثواب أو الثناء أو يحمله على ذلك رقة طبع أو حمية أو عصبية الى غير ذلك من الاغراض وأيضا رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد موآتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وربط على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين أن الحكمة في لين جانبه ماهي فقال ولو كنت فظا سيئ الخلق وأصله فظظ كحذر فظظت يا رجل بالكسر فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك أي أسنانك ومما يحمل الآية على واقعة أحد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم

فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي أن اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا أمر بالغلظة في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين (١١٨) واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين أشداء على الكفار رحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شئ في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وأبي جهل وأبي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين أصفى الاصفياء وبين أشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الآية فاذن جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذاك بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه أوجب عليه أن يعفو عنهم في الحال كأنه تعالى قد عفا عنهم كأنه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل أن تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل أي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها

فذكر الحسبان وذكر ما آتاهم الله من فضله فاضمرهما اذ ذكرهما قال وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ولم يقل ومن لم ينفق من بعد الفتح لانه لما قال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد كان فيه دليل على أنه قد عناهم وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة ان من في قوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في معنى جمع ومعنى الكلام لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم فكيف من أنفق من بعد الفتح فالاول مكتف وقال في قوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم محذوف غير أنه لم يحذف الا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف لان هو عائد البخل وخيرا لهم عائد الاسماء فقد دل هذان العائدان على ان قبلهما اسمين واكتفى بقوله يبخلون من البخل قال وهذا اذا قرئ بالتاء فالبخل قبل الذين واذا قرئ بالياء فالبخل بعد الذين وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل كما قال الشاعر

اذا نهي السفيه جرى اليه * وخالف والسفيه الى خلاف

كأنه قال جرى الى السفه فاكتفى عن السفيه بالسفه كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بالتاء بتأويل ولا تحسبن أنت يا محمد بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم من ترك ذكر البخل اذ كان في قوله هو خيرا لهم دلالة على أنه مراد في الكلام اذ كان قد تقدمه قوله الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله وانما قلنا قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء لان المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر فاذا قرئ قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله هو خيرا لهم خبرا عنه واذا قرئ ذلك بالتاء كان قوله الذين يبخلون اسما له قد أدى عن معنى البخل الذي هو اسم المحسبة المتروك وكان قوله هو خيرا لهم خبرا لها فكان جاريا مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح فلذلك اخترنا القراءة بالتاء في ذلك على ما بيناه وان كانت القراءة بالياء غير خطا ولكنه ليس بالافصح ولا الاشهر من كلام العرب وأما تأويل الآية التي هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة في ذلك ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله في الدنيا من الاموال فلا يخرجون منه حق الله الذي فرضه عليهم فيه من الزكوات هو خيرا لهم عند الله يوم القيامة بل هو شر لهم عنده في الآخرة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم هم الذين آتاهم الله من فضله فبخلوا أن ينفقوها في سبيل الله ولم يؤدوا زكاتها وقال آخرون بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله في التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يعني بذلك أهل الكتاب أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله قال هم يهود الى قوله والكتاب المنير وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الاول وهو أنه معني بالبخل في هذا الموضع منع الزكاة لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال البخيل الذي منع حق الله منه انه يصير ثعبانا في عنقه ولقول الله عقيب هذه الآية لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله اياهم بالزكاة ان الله فقير

❁ القول في تأويل قوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) يعني بقوله جل ثناؤه سيطوقون

سيجعل

سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقا في أعناقهم كهيئة الاطواق المعروفة كالذى حدثني الحسن بن قزعة قال ثنا سلمة بن علقمة قال ثنا داود عن أبي قزعة عن أبي مالك العبدى قال مامن عبد يأتيه ذو رحم له يسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا أخرج له الذى بخل به عليه شجاعا أقرع قال وقرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة الى آخر الآية حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي قزعة عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه الا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ثنا داود عن أبي قزعة حجر بن بيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله اياه فيبخل به عليه الا أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه ثم قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله حتى انتهى الى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة حدثني زياد بن عبيد الله المزنى قال ثنا مروان بن معاوية وحدثني محمد بن عبد الله الكلابي قال ثنا عبد الله بن بكر السهمى وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد واللفظ ليعقوب جميعا عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يأتي رجل مولاه فيسأله من فضل مال عنده فيمنعه اياه الا دعا له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذى منع حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال ثعبان ينقر رأس أحدهم يقول أنا مالك الذى بخلت به حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا وائل يحدث أنه سمع عبد الله قال في هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال شجاع يلتوى برأس أحدهم حدثني ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدى عن شعبة قال ثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن ابى اسحق عن أبي وائل عن عبد الله بن مثله الا أنهما قالا قال شجاع أسود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبي اسحق عن أبي وائل عن ابن مسعود قال يجيء ماله يوم القيامة ثعبانا فينقر رأسه فيقول أنا مالك الذى بخلت به فينطوى على عنقه حدثت عن سفيان بن عيينة قال ثنا جامع بن شداد وعبد الملك بن أعين عن أبي وائل عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له شجاع أقرع يطوقه ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى اما سيطوقون ما بخلوا به فانه يجعل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يطوقه فيأخذ بعنقه فيتبعه حتى يقذفه في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي وائل قال هو الرجل الذى يرزقه الله مالا فيمنع قرابته الحق الذى جعل الله لهم في ماله فيجعل حية فيطوقها فيقول مالى ولك فيقول أنا مالك حدثنا المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن حكيم بن جبير عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق قال سألت ابن مسعود عن قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال يطوقون شجاعا أقرع ينهش رأسه وقال آخرون معنى ذلك سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فيجعل في أعناقهم طوقا من نار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

وقيل من شرت الدابة شورا اعرضتها على البيع أقبلت بها وأدبرت والمكان الذى تعرض فيه الدواب مشوارا يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار وتركيبه يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور (١١٩) وحسن الآراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه أعلم الناس وأعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك ذلك نوع من الاهانة والغظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها أن علوم الانسان متناهية فلا يبعد أن يخطر ببال أحد مالم يخطر بباله ولاسيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه مابه اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في وقعة أحد فاخطؤا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه أثر من تلك الواقعة ومنها أن يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها أن تصير النفوس الطاهرة مطابقة على تحصيل أصلح الوجوه فيكون أعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى ما أمر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وأمره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الآن أعظم حالا مما كانوا وان عفوه أعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل مانزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأى والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل تجوز المشاورة في كلها أم لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج مانزل فيه الوحى بالاتفاق فهو اذن لمعهود سابق وليس ذلك الا ما جرى من أمر الحرب في قصة أحد وقد أشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على

قال طوقا من النار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال في هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوقا من نار حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن ابراهيم في قوله سيطوقون قال طوقا من نار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوق من نار وقال آخرون معنى ذلك سيحمل الذين كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود ما كتموا من ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ألم تسمع أنه قال يبخلون ويأمرون الناس بالبخل يعني أهل الكتاب يقول يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان وقال آخرون معنى ذلك سيكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به الى قوله والكتاب المنير حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سيطوقون سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذي قلناه في ذلك في مبدأ قوله سيطوقون ما بخلوا به للاخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه السلام ۞ القول في تأويل قوله (ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير) يعني بذلك جل ثناؤه أنه الحي الذي لا يموت والباقي بعد فناء جميع خلقه فان قال قائل فما معنى قوله له ميراث السموات والارض والميراث المعروف هو ما انتقل من ملك مالك الى وارثه بموته ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده قيل ان معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء واعلام خلقه انه كتب عليهم الفناء وذلك ان ملك المالك انما يصير ميراثا بعد وفاته فانما قال جل ثناؤه ولله ميراث السموات والارض اعلاما بذلك منه عباده ان أملاك جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم وانه لا أحد الا وهو فان سواه فانه الذي اذا هلك جميع خلقه فزالت أملاكهم عنهم لم يبق أحد يكون له ما كانوا يملكونه غيره وانما معنى الآية لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم في الحين الذي لا يملكون شيئا وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيره من سائر خلقه ذو خبرة وعلم محيط بذلك كله حتى يجازي كلا منهم على قدر استحقاقه المحسن بالاحسان والمسيء على ما يرى تعالى ذكره ۞ القول في تأويل قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) ذكر ان هذه الآية وآيات بعدها نزلت في بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الآثار بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص كان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل قال فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لاغنياء ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا

فغضب

للباقين فقبل منه وأشار عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ (١٢٠) عام خص منه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مأمورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي لعموم فاعتبروا يا أولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة ... قد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من أمور الدين ... بعد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب ... لان ظاهر الامر للوجوب وقد روي عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم البكر تستأمر في نفسها ولو أكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت أي قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأي الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اذا أرشدتك الى شيء وألزمته اياك فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم أحد وان يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم من بعده أي من بعد خذلانه لدلالة الفعل عليه أو هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج من هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله وليخص المؤمنون اياه بالتوكل لما علم أن الامر كله له ولا رادلقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل أن يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو أن يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتأييده وتوفيقه وتسديده

فغضب أبو بكر فضرب وجهه فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك ياعدو الله فاكذبونا ما استطعتم ان كنتم صادقين فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ماصنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ماحملك على ماصنعت فقال يارسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ماقلت ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لابى بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق وفى قول أبى بكر وما بلغه فى ذلك من الغضب لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس قال دخل أبو بكر فذكر نحوه غير أنه قال وانا عنه لاغنياء وماهو عنا بغنى ولو كان غنيا ثم ذكر سائر الحديث نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قالها فنحاص اليهودى من بنى مرثد لقيه أبو بكر فكلمه فقال له يافنحاص اتق الله وآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص ياأبابكر تزعم ان ربنا فقير يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى ان كان ماتقول حقا فان الله اذا لفقير فأنزل الله عز وجل هذا فقال أبو بكر فلولا هدنة كانت بين النبى صلى الله عليه وسلم و بين بنى مرثد لقتلته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال صك أبو بكر رجلا منهم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غنى وهم يهود حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح قال الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غنى قال شبل بلغنى انه فنحاص اليهودى وهو الذى قال ان الله ثالث ثلاثة و يد الله مغلولة حدثنا ابن حميد قال ثنى يحيى بن واضح قال ثنا عطاء عن الحسن قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان ربكم يستقرض منكم فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن البصرى قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال عجبت اليهود فقالت ان الله فقير يستقرض فنزلت لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ذكر لنا أنها نزلت فى حيى بن أخطب لما أنزل الله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقير الغنى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود يستقرض الفقير من الغنى قال فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قال هؤلاء اليهود فتأويل الآية اذا لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود ان الله فقير الينا ونحن أغنياء عنه سنكتب ماقالوا من الافك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق واختلفت القراء فى قراءة قوله سنكتب ماقالوا وقتلهم فقرأ ذلك قراء الحجاز وعامة قراء العراق سنكتب ماقالوا بالنون وقتلهم الانبياء بغير حق نصب القتل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين سيكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق بضمها و رفع القتل على مذهب مالم

التأويل ولقد صدقكم الله أيها الطلاب وعد أملا من طلبنى وجدنى اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بأمره لا على وفق الطبع حتى اذا فشلتم كنتم فى قتال النفس وتنازعتم فى أمر الطلب وعصيتم الدليل المربى من بعدما أراكم الدليل بالتربية ماتحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الآخرة قرئت هذه الآية عند الشبلى فصاح صيحة وقال ما كان من أحد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعدما تجلى لكم أنوار المشاهدات وبالصحو بعدما أسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعدما أرضعكم بألبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعنى بعد ابتلائكم عفا عن التفاتكم الى الدنيا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين فى الازل اذ تصعدون فى طريق الحق طالبين بعدما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى أحد من الامرين الدنيا والآخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادى فأثابكم بدل غم الدنيا والآخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على مافاتكم من زخارف الدنيا ولا لما أصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة فى طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفى جزاءكم ثم أخبر عن انزال حقائق أصناف ألطافه على عباده فى صور مختلفة فأنزل الامن فى صورة النعاس على الصحابة وأخرج جواهر الوقائع السنية لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان أكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من أرباب النفوس ومدعى الاسلام لاهم لهم الا هم أنفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية وهوان الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من أمر النصر والظفر من شئ ماقتلنا ههنا بباطل على أيدى حزب الشيطان وليبتلى الله مافى صدوركم أيها

المنافقون لان الصدو ومعدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما فى صدورهم من غل يوسوس فى صدور الناس وليمحص ما فى قلوبكم أيها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمئنان كتب فى قلوبهم الايمان ألا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولى ليجعله مرآة لظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان لله تعالى فى كل شئ من الخير والشر أسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا فى الارض سافروا فى البلاد مستفيدين من العباد أو سلكوا فى أرض نفوسهم سبيل الرشاد أو كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة فى قلوب الصديقين والله يحيى قلوب أهل المجاهدة بأنوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون أنهم يحسنون وباقى الحقائق قد مرت فى التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانسانى انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفى كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانقضت من الجوانب وتلاشت واختلت حكمة التمدن وفقدت الكمالات التى خلق الانسان لاجلها ثم الكلام فى ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس

محمد

يسم فاعله اعتبارا بقراءة تذكر أنها من قراءة عبد الله فى قوله ونقول ذوقوا يذكر أنها فى قراءة عبد الله ويقال فاغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد اليه من تأويل القراءة التى تنسب الى عبد الله وخالف الحجة من قراء الاسلام وذلك ان الذى ينبغى لمن قرأ سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء على وجه مالم يسم فاعله أن يقرأ ويقال لان قوله ونقول عطف على قوله سنكتب فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما فى المعنى بان يقرآ جميعا على مذهب مالم يسم فاعله أو على مذهب ما سمى فاعله فاما أن يقرأ أحدهما على مذهب مالم يسم فاعله والآخر على وجه ما قد سمى فاعله من غير معنى ألجأه على ذلك فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب والصواب من القراءة فى ذلك عندنا سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب لقوله ونقول ولو كانت القراءة فى سيكتب بالياء وضمها لقيل ويقال على ما قد بينا فان قال قائل كيف قيل وقتلهم الانبياء بغير حق وقد ذكرت الآثار التى رويت ان الذين عنوا بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن من أولئك أحد قتل نبيا من الانبياء لانهم لم يدركوا نبيا من أنبياء الله فيقتلوه قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبت اليه وانما قيل ذلك كذلك لان الذى عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الانبياء وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته فاضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته الى جميعهم اذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة وبالرضى من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى

﴿ القول فى تأويل قوله (ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) يعنى بذلك جل ثناؤه ونقول للقائلين بان الله فقير ونحن أغنياء القاتلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق يعنى بذلك عذاب نار محرقة ملتهبة والنار اسم جامع للملتهبة وانما الحريق صفة لها يراد بها المحرقة كما قيل عذاب أليم يعنى مؤلم ووجيع يعنى موجع وأما قوله ذلك بما قدمت أيديكم أى قولنا لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم فى الدنيا وبان الله عدل لا يجور فيعاقب عبدا له بغير استحقاق منه العقوبة ولكنه يجازى كل نفس بما كسبت ويوفى كل عامل جزاء ما عمل فجازى الذين قال لهم يوم القيامة من اليهود الذين وصف صفتهم فاخبر عنهم انهم قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الانبياء بغير حق بما جازاهم به من عذاب الحريق بما اكتسبوا من الآثام واجترحوا من السيئات وكذبوا على الله بعد الاعذار اليهم بالانذار فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من اذاقتهم عذاب الحريق ظالما ولا واضعا عقوبته فى غير أهلها وكذلك هو جل ثناؤه غير ظلام أحدا من خلقه ولكنه العادل بينهم والمتفضل على جميعهم بما أحب من فواضله ونعمه

﴿ القول فى تأويل قوله (الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) يعنى بذلك جل ثناؤه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول وقوله الذين قالوا ان الله فى موضع خفض ردا على قوله الذين قالوا ان الله فقير ويعنى بقوله قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول أوصانا وتقدم الينا فى كتبه وعلى ألسن أنبيائه ألا نؤمن لرسول يقول أن لا نصدق رسولا فيما يقول انه جاء به من عند الله من أمر ونهى وغير ذلك حتى يأتينا بقربان تأكله النار يقول حتى يجيئنا بقربان وهو ما تقرب به العبد الى ربه من صدقة وهو مصدر مثل العدوان والخسران من قولك قربت قربانا وانما قال تأكله النار لان أكل النار ما قربه أحدهم لله فى ذلك الزمان كان دليلا على قبول الله منه ما قرب له ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى انه محق فيما نازع أو قال كما حدثنا

ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما
يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم (١٢٣) ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما
أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها
قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم
ان الله على كل شئ قدير وما
أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله
وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله
أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان
يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم
والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا
لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا
ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت
ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين
قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما
آتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا
خوف عليهم ولا هم يحزنون
يستبشرون بنعمة من الله وفضل
وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما
أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم
واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل
عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف
أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان
كنتم مؤمنين) القراآت يغل بفتح
الياء وضم الغين ابن كثير وأبو
عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب
غير رويس الباقون بالضم والفتح
على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء
الغيبة الحلوانى عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر على الابتداء الباقون بالفتح
وخافونى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل الباقون بالحذف * الوقوف ان يغل

محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى يأتينا بقربان تأكله النار كان الرجل يتصدق فاذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بقربان تأكله النار كان الرجل اذا تصدق بصدقة فتقبلت منه بعث الله نارا من السماء فنزلت على القربان فأكلته فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات يعنى بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم وبالذى قلتم يعنى وبالذى ادعيتم انه اذا جاء به لزمكم تصديقه والاقرار بنبوته من أكل النار قربانه اذا قرب لله دلالة على صدقه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين يقول له قل لهم قد جاءتكم الرسل الذين كانوا من قبلى بالذى زعمتم انه حجة لهم عليكم فقتلتموهم فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بان الذى جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين فى ان الله عهد اليكم ان تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته وانما أعلم الله عباده بهذه الآية ان الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يعدوا أن يكونوا فى كذبهم على الله وافترائهم على ربهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه صادقا محقا وجحودهم نبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى عهد الله تعالى اليهم انه رسوله الى خلقه مفروضة طاعته الا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التى أيدهم الله بها والادلة التى أبان صدقهم بها افتراء على الله واستخفافا بحقوقه ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ان الاذى الذى كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل يقول الله تعالى له لا يحزنك يا محمد كذب هؤلاء الذين قالوا ان الله فقير وقالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وافتراؤهم على ربهم اغترارا بامهال الله اياهم ولا يعظمن عليك تكذيبهم اياك وادعاؤهم الاباطيل من عهود الله اليهم فانهم ان فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله فقد كذبت أسلافهم رسل الله قبلك ممن جاءهم بالحجج القاطعة العذر والادلة الباهرة العقل والآيات المعجزة الخلق وذلك هو البينات وأما الزبر فانه جمع زبور وهو الكتاب وكل كتاب فهو زبور ومنه قول امرئ القيس

لمن طلل أبصرته فشجانى * كخط زبور فى عسيب يمانى

ويعنى بالكتاب التوراة والانجيل وذلك ان اليهود كذبت عيسى وما جاء به وحرفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبدلت عهده اليهم فيه وان النصارى جحدت ما فى الانجيل من نعته وغيرت ما أمرهم به فى أمره وأما قوله المنير فانه يعنى الذى ينير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه وانما هو من النور والاضاءة يقال قد أنار لك هذا الامر بمعنى أضاء لك وتبين فهو ينير انارة والشئ المنير وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حجاج عن ابن جريج قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الحرف فى مصاحف أهل الحجاز والعراق والزبر بغير باء وهو فى مصاحف أهل الشام وبالزبر بالباء مثل الذى فى سورة فاطر ۞ القول فى تأويل قوله (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يعنى

بذلك تعالى ذكره أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله الذين وصف صفتهم وأخبر عن جراءتهم على ربهم ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ومرجع جميعهم اليه لانه قد حتم الموت على جميعهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب من كذبك يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم وافتراء من افترى على فقد كذب قبلك رسل جاؤا من الآيات والحجج من أرسلوا اليه بمثل الذي جئت من أرسلت اليه فلك فيهم اسوة تتعزى بهم ومصير من كذبك وافترى على وغيرهم ومرجعهم الى فاوفى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة كما قال جل ثناؤه وانما توفون أجوركم يوم القيامة يعنى أجور أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فمن زحزح عن النار يقول فمن نحى عن النار وأبعد منها فقد فاز يقول فقد نجا وظفر بحاجته يقال منه فاز فلان بطلبته يفوز فوزا ومفازا ومفازة اذا ظفر بها وانما معنى ذلك فمن نحى عن النار فابعد منها وأدخل الجنة فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يقول وما لذات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها الا متاع الغرور يقول الا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فانتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره يقول تعالى ذكره ولا تركنوا الى الدنيا فتسكنوا اليها فانما أنتم منها في غرور وتمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون وقد روى فى تاويل ذلك ما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جرير عن الاعمش عن بكر بن الاخنس عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قال كزاد الراعى تزوده الكف من التمر أو الشئ من الدقيق أو الشئ يشرب عليه اللبن فكان ابن سابط ذهب فى تاويله هذا الى أن معنى الآية وما الحياة الدنيا الا متاع قليل لا يبلغ من تمتعه ولا يكفيه لسفره وهذا التاويل وان كان وجها من وجوه التاويل فان الصحيح من القول فيه هو ما قلنا لان الغرور انما هو الخداع فى كلام العرب واذ كان كذلك فلا وجه لصرفه الى معنى القلة لان الشئ قد يكون قليلا وصاحبه منه فى غير خداع ولا غرور وأما الذى هو فى غرور فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو منه فى غرور والغرور مصدر من قول القائل غرنى فلان فهو يغرنى غرورا بضم الغين وأما اذا فتحت الغين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذى يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ۞ القول فى تاويل قوله (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) يعنى بذلك تعالى ذكره لتبلون فى أموالكم لتختبرن بالمصائب فى أموالكم وأنفسكم يعنى وبهلاك الاقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملتكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعنى من اليهود وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة وما أشبه ذلك من افترائهم على الله ومن الذين أشركوا يعنى النصارى أذى كثيرا والاذى من اليهود ما ذكرنا ومن النصارى قولهم المسيح ابن الله وما أشبه ذلك من كفرهم بالله وان تصبروا وتتقوا يقول وان تصبروا لامر الله الذى أمركم به فيهم وفى غيرهم من طاعته وتتقوا يقول وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم فتعملوا فى ذلك بطاعته فان ذلك من عزم الامور يقول فان ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به وقيل ان ذلك كله نزل فى فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع كالذى حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة فى قوله لتبلون فى أموالكم وأنفسكم

لا لابتداء الشرط يوم القيامة ج لانها جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون ه نصف الجزء جهنم ط المصير ه عند الله ط بما تعملون ه والحكمة ج لمكان العطف مبين ه (١٢٤) مثليها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط أنفسكم ط قدير ه وليعلم المؤمنين ه لا نافقوا ج لاحتمال العطف والاستئناف والوصل أولى على تقدير وقد قيل لهم أو ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستئناف فى قلوبهم ط يكتمون ج لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون أو خبر مبتدأ محذوف ما قتلوا ط صادقين ه أمواتا ط عند ربهم ص يرزقون ه لا لان فرحين حالهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان يحزنون ه م للآية واستئناف الفعل اذ يستحيل أن يكون الاستبشار حالا للذين يرزقون وفضل لا لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المؤمنين ه ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين أحسنوا أو نصبا على المدح والاول أوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا ق والوصل أولى العطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل ه سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ه أولياءه ص لوصل النهى عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين ه * التفسير هذا حكم من أحكام الجهاد وأصل الغلول أخذ الشئ فى خفية يقال أغل الجازر والسالخ اذا أبقى فى الجلد شيأ من اللحم ليسرقه والغل الحقد الكامن فى الصدر والغلالة الثوب الذى يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذى يجرى فى أصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال أيضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهرى غل يغل غلولا أى خان وأغل مثله الا ان العرف جعله فى الغالب مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة حتى قال أبو عبيدة الغلول فى المغنم

ولتسمعن

ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي بكر رضوان الله عليه وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله الى فنحاص يستمده وكتب اليه بكتاب وقال لابي بكر لا تفتات على بشئ حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح السيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربكم أن نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتات على بشئ حتى ترجع فكف ونزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وما بين الآيتين الى قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم نزلت هذه الآيات في بني قينقاع الى قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال ابن جريج يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم قال أعلم الله المؤمنين انه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم ثم قال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا أذى كثيرا فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب ويسمعون اشراكهم فقال الله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور يقول من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به وقال آخرون بل نزلت في كعب بن الاشرف وذلك انه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتشبب بنساء المسلمين *ذكر من قال ذلك* حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال هو كعب بن الاشرف وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق اليه خمسة نفر من الانصار فيهم محمد بن مسلمة ورجل يقال له أبو عبس فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي فلما رآهم ذعر منهم فأنكر شأنهم وقالوا جئناك لحاجة قال فليدن الى بعضكم فليحدثني بحاجته فجاءه رجل منهم فقال جئناك لنبيعك أدراعا عندنا لنستنفق بها فقال والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدئ عنهم الناس فأتوه فنادوه فقالت امرأته ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشئ مما تحب قال انهم حدثوني بحديثهم وشأنهم قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة انه أشرف عليهم فكلمهم أترهنون أبناءكم وأرادوا أن يبيعهم تمرا قال فقالوا انا نستحي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين فقال أترهنوني نساءكم قالوا أنت أجمل الناس ولا نأمنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك سلاحنا فقد علمت حاجتنا الى السلاح اليوم فقال ائتوني بسلاحكم واحتملوا ما شئتم قالوا فانزل الينا نأخذ عليك وتأخذ علينا فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت ارسل الى أمثالهم من قومك يكونوا معك قال لو وجدني هؤلاء نائما ما أيقظوني قالت فكلمهم من فوق البيت فأبى عليها فنزل اليهم يفوح ريحه قالوا ما هذه الريح يا فلان قال هذا عطر أم فلان امرأته فدنا اليه بعضهم يشم رائحته ثم اعتنقه ثم قال اقتلوا عدو الله فطعنه أبو عبس في خاصرته وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف فقتلوه ثم رجعوا فأصبحت اليهود مذعورين فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ويؤذيهم ثم دعاهم الى أن يكتب بينه وبينهم صلحا قال فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه ۞ القول في تأويل قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) يعني بذلك تعالى ذكره واذكر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد اذ أخذ الله ميثاقهم ليبينن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على

خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلاث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ومعنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي أن يخون أي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها أعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الآخرة كيف وانه أمين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات أفلا يكون أمينا في الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد أي وما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان أحدهما يخان أي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان النبي عليه السلام كلما كان أجل منصبا كانت الخيانة في حقه أفحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت

بيانه للناس فى كتابهم الذى فى أيديهم وهو التوراة والانجيل وانك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم يقول فتركوا أمر الله وضيعوه ونقضوا ميثاقه الذى أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمنا قليلا يقول وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك عوضا منه خسيسا قليلا من عرض الدنيا ثم ذم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال فبئس ما يشترون واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها اليهود خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة انه حدثه عن ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه الى قوله عذاب أليم يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم كان أمرهم أن يتبعوا النبى الذى يؤمن بالله وكلماته وقال اتبعوه لعلكم تهتدون ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال أوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون عاهدهم على ذلك فقال حين بعث محمدا صدقوه وتلقون الذى أحببتم عندى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية قال ان الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقام رجل الى سعيد بن جبير فسأله فقال واذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود ليبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال وكان فيه ان الاسلام دين الله الذى افترضه على عباده وأن محمدا يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وقال آخرون عنى بذلك كل من أوتى علما بأمر الدين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم الآية هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فان كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين كان يقال مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقال طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واع هذا رجل علم علما فعلمه وبذله ودعا اليه ورجل سمع خيرا فحفظه ووعاه وانتفع به حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال جاء رجل الى قوم فى المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال ان أخاكم كعبا يقرئكم السلام ويبشركم ان هذه الآية ليست فيكم واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال له عبد الله وأنت فاقرئه السلام وأخبره انها نزلت وهو يهودى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة بنحوه عن عبد الله وكعب وقال آخرون معنى ذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثنى يحيى بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد

الله

كانوا فى غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقعت أقبح وأنهم مما يخوّن أى ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب أكفرت الرجل جعلته كافرا أو نسبته الى الكفر قال القتيبى لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى أن يقال هو من أغللته أى وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبى أن يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان أغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقد طعن بعضهم فى هذه القراءة وقال ان أكثر ما جاء من هذا القبيل فى التنزيل أسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان ليأخذ أخاه ما كان لنفس أن تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى أبو عبيدة عن يونس انه قال ليس فى الكلام ما كان لك أن تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روى انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن فى يده غل رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما أسباب النزول أكثرها يروى انه تأخرت قسمة الغنيمة فى بعض الغزوات لمانع فجاءه قوم وقالوا ألا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل أحد ذهبا ما حبست منكم درهما أترون انى أغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان أشراف الناس طمعوا أن يخصهم النبى صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشئ زائد فنزلت وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز طمعا بالغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم

الله يقرؤن واذأخذر بك من الذين أوتوا الكتاب ميثاقهم قال من النبيين على قومهم حدثنا أبو كريب قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذ أخذ الله ميثاق النبيين قال فقال أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم وأما قوله ليبيننه للناس فانه كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنى أبى قال ثنا محمد بن ذكوان قال ثنا أبو نعامة السعدى قال كان الحسن يفسر قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ليتكلمن بالحق وليصدقنه بالعمل واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه بالتاء وهى قراءة أعظم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه الخطاب بمعنى قال الله لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقرأ ذلك آخرون ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا على وجه الخبر الغائب لانهم فى وقت اخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم كانوا غير موجودين فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب والقول فى ذلك عندنا انهما قراءتان صحيحة وجوههما مستفيضتان فى قراءة الاسلام غير مختلفتى المعانى فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب فى ذلك غير أن الامر فى ذلك وان كان كذلك فان أحب القراءتين الى ان أقرأ بهما ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا استدلالا بقوله فنبذوه انه اذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله فنبذوه حتى يكون متسقا كله على معنى واحد ومثال واحد ولو كان الاول بمعنى الخطاب لكان أن يقال فنبذتموه وراء ظهوركم أولى من أن يقال فنبذوه وراء ظهورهم وأما قوله فنبذوه وراء ظهورهم فانه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به وقد بينا المعنى الذى من أجله قيل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يحيى بن أيوب البجلى عن الشعبى فى قوله فنبذوه وراء ظهورهم قال انهم قد كانوا يقرؤنه انما نبذوا العمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فنبذوه وراء ظهورهم قال نبذوا الميثاق حدثنى محمد بن سنان قال ثنا عثمان بن عمر وقال ثنا مالك بن مغول قال نبئت عن الشعبى فى هذه الآية فنبذوه وراء ظهورهم قال قذفوه بين أيديهم وتركوا العمل به وأما قوله واشتروا به ثمنا قليلا فان معناه ما قلنا من أخذهم ما أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى واشتروا به ثمنا قليلا أخذوا طمعا وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فبئس ما يشترون يقول فبئس الشراء يشترون فى تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فبئس ما يشترون قال تبديل اليهود التوراة ۞ القول فى تأويل قوله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ذلك فقال بعضهم عنى بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا العدو فاذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سهل ابن عسكر وابن عبد الرحيم البرقى قالا ثنا ابن أبى مريم قال ثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير قال ثنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ان رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله واذا قدم النبى صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل

يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروى انه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت مبالغة فى النهى لرسوله يعنى وما كان لنبى أن يعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت فى أداء الوحى كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يترك ذلك فقيل ما كان لنبى أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة فى الناس أو رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة أكثر المفسرين أجروه على ظاهره ونظيره فى مانع الزكاة يوم يحمى عليها فى نار جهنم ويدل عليه الحديث الذى رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشئ فى قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال اذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقى قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك وقتئذ يكون أنتن من الجيفة وأثقل من الجبل وذلك لسوء بالأمره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة وقال أبو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لو باله وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرر عليه يوم القيامة ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشئ وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا

الله تعالى فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هؤلاء المنافقون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لو قد خرجت لخرجنا معك فاذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم تخلفوا وكذبوا ويفرحون بذلك ويرون انها حيلة احتالوا بها وقال آخرون عنى بذلك قوم من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول لهم الناس علماء وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على هدى ولا خير ويحبون أن يقول لهم الناس قد فعلوا حدثنا ابن كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن اسحق بنحو ذلك الا انه قال وليسوا باهل علم لم يحملوهم على هدى وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون ان يحمدوا بان يقال لهم أهل صلاة وصيام ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا فانهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا قد جمع الله كلمتنا ولم يخالف أحد منا أحدا انه نبي وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أهل الصلاة والصيام وكذبوا بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله قال الله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال قالت اليهود أمر بعضهم بعضا فكتب بعضهم الى بعض ان محمدا ليس بنبي فاجمعوا كلمتكم وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم ففعلوا وفرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ونحن على دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال سعيد بن جبير بكتمانهم محمدا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هو قولهم نحن على دين ابراهيم عليه السلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا هم أهل الكتاب أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه وفرحوا بذلك وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فرحوا بانهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله وهم يزعمون انهم يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تحسبن

أبلغ مما لو نص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل ما أجمل فقال أفمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج أفمن اتبع رضوان الله بامتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم أحد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول أقرب لتكون الآية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأواه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا يجوز في الحكمة أن يسوى بين المسيء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل أي لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف أعمالهم كأنه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في أنفسهم درجات لا ان لهم درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى أي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في أهل الثواب والدركات في أهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأواه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويزيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان الذي لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد في اجلة تشريفا وانه يليق باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب لانهم منه اونور في

العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن منها ضحضاحا وغمرا وقال ان أهون أهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرها دماغه ينادي يارب وهل يعذب أحد عذابي والاوجه أن يكون عائدا الى الكل لان درجات (١٢٩) أهل الثواب متفاوتة وكذا دركات أهل العقاب بحسب تفاوت أعمال الخلق وقد يستعمل الدرجات في مراتب أهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد من الله على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة ومنها كأنه تعالى قال لا أكتفي في وصفه بأن أنزهه عن الخيانة ولكني أقول ان وجوده فيكم من أعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل أن يعينه بأقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما أن يعود الى أصل البعثة واما أن يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول أن الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وأيضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى أن يشرحها النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأيضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة أنوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند طلوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الثاني ان هذا الرسول بعث

الذين يفرحون بما أتوا كفرا بالله وكفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصوم فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال آخرون بل معنى ذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال يهود قال فرحوا باعجاب الناس تبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه ولا تملك يهود ذلك وقال آخرون معنى ذلك انهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل ابراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير انه قال في هذه الآية ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال اليهود يفرحون بما أتى الله ابراهيم عليه السلام حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي المعلى العطار عن سعيد بن جبير قال هم اليهود فرحوا بما أعطى الله تعالى ابراهيم عليه السلام وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه ففرحوا بكتمانهم ذلك اياه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة ان علقمة بن أبي وقاص أخبره ان مروان قال لرافع اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا ليعذبنا الله أجمعين فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا الله بما أخبروه عنه مما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره ان مروان بن الحكم قال لبوابه يا رافع اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن جميعا فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما نزلت في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال ابن عباس سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه ان قد أخبروه بما قد سألهم عنه فاستحمدوا بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من يهود أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد والله عالم منهم خلاف ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا ان أعداء الله اليهود يهود خيبر أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فزعموا انهم راضون بالذي جاء به وانهم متابعون وهم متمسكون بضلالتهم وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا فأنزل الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال ان أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا انا على رأيكم وهيئتكم وانا لكم ردء فكذبهم الله فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآيتين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال جاء رجل الى عبد الله فقال ان كعبا يقرأ عليك السلام ويقول ان هذه الآية لم تنزل فيكم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال أخبروه انها نزلت وهو يهودي * وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية

قول من قال عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز انه أخذ ميثاقهم ليبيننّ للناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه لان قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية فى سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على انهم المعنيون بذلك فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وانك لى رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم فى كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالاقرار بنبوتك وبيان أمرك للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقى الذى أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم اياى فى ذلك ومخالفتهم أمرى ويحبون أن يحمدهم الناس بانهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوحيه وتنزيله الذى أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم لم يفعلوا شيئا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذى أعده لاعدائه فى الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قال بمنجاة من العذاب قال أبو جعفر ولهم عذاب أليم يقول ولهم عذاب فى الآخرة أيضا مؤلم مع الذى لهم فى الدنيا معجل ۞ القول فى تأويل قوله (ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير) وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء يقول تعالى ذكره مكذبا لهم لله ملك جميع ما حوته السموات والارض فكيف يكون أيها المفترون على الله من كان ملك ذلك له فقيرا ثم أخبر جل ثناؤه انه القادر على تعجيل العقوبة لقائلى ذلك ولكل مكذب به ومفتر عليه وعلى غير ذلك مما أراد وأحب ولكنه يتفضل بحلمه على خلقه فقال والله على كل شئ قدير يعنى من اهلاك قائلى ذلك وتعجيل عقوبته لهم وغير ذلك من الامور ۞ القول فى تأويل قوله (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك وعلى سائر خلقه بانه المدبر المصرف الاشياء والمسخر ما أحب وان الاغناء والافقار اليه وبيده فقال جل ثناؤه تدبروا أيها الناس واعتبروا ففيما أنشأته فخلقته من السموات والارض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم وفيما عقبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون فى هذا لمعاشكم وتسكنون فى هذا راحة لاجسادكم معتبر ومدكر وآيات وعظات فمن كان منكم ذا لب وعقل يعلم ان من نسبنى الى انى فقير وهو غنى كاذب مفتر فان ذلك كله بيدى أقلبه وأصرفه ولو أبطلت ذلك لهلكتم فكيف ينسب فقر الى من كان كل ما به عيش ما فى السموات والارض بيده واليه أم كيف يكون غنيا من كان رزقه بيد غيره اذا شاء رزقه واذا شاء حرمه فاعتبروا يا أولى الالباب ۞ القول فى تأويل قوله (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا من نعت أولى الالباب والذين فى موضع خفض ردا على قوله لاولى الالباب ومعنى الآية ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذاكرين الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يعنى بذلك قياما فى صلاتهم وقعودا فى تشهدهم وفى غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية قال هو ذكر الله فى الصلاة وفى غير الصلاة وقراءة القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يسرا من الله

من أنفسهم أى من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم أخذ ما يجب أخذه عنه واذا كانوا واقفين على أحواله فى الصدق والامانة كان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه أيضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابراهيم صلى الله عليه وسلم كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب لا يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من أنفسهم أى من جنس الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس أميل ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة انهما قرآ من أنفسهم بفتح الفاء أى أشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل أن يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وأما سائر أوصافه من قوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر تفسيرها فى البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين كما سلف فى قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها أعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون أعم نفعا وأتم وقعا ولما أجاب عن نسبة النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلول حكى عنهم شبهة أخرى وهى قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا وأجاب عنها بقوله قل هو من عند أنفسكم والواو فى قوله أولما أصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة أحد الا ان حرف الاستفهام قدم

الله وتخفيفا فان قال قائل وكيف قيل وعلى جنوبهم فعطف بعلى وهى صفة على القيام والقعود وهما اسمان قيل لان فى قوله وعلى جنوبهم فى معنى الاسم ومعناه ونياما أو مضطجعين على جنوبهم فحسن عطف ذلك على القيام والقعود لذلك من المعنى كما قيل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فعطف بقوله أو قاعدا أو قائما على قوله لجنبه لان معنى قوله لجنبه مضطجعا فعطف بالقاعد والقائم على معناه فكذلك ذلك فى قوله وعلى جنوبهم وأما قوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض فانه يعنى بذلك انهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك فيعلمون انه لا يصنع ذلك الا من ليس كمثله شئ ومن هو مالك كل شئ ورازقه وخالق كل شئ ومدبره ومن هو على كل شئ قدير وبيده الاغناء والافقار والاعزاز والاذلال والاحياء والاماتة والشقاء والسعادة ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) يعنى بذلك تعالى ذكره ويتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا فترك ذكر قائلين اذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه وقوله ما خلقت هذا باطلا يقول لم تخلق هذا الخلق عبثا ولا لعبا ولم تخلقه الا لامر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة وانما قال ما خلقت هذا باطلا ولم يقل ما خلقت هذه ولا هؤلاء لانه أراد بهذا الخلق الذى فى السموات والارض يدل على ذلك قوله سبحانك فقنا عذاب النار ورغبتهم الى ربهم فى ان يقيهم عذاب الجحيم ولو كان المعنى بقوله ما خلقت هذا باطلا السموات والارض لما كان لقوله عقيب ذلك فقنا عذاب النار معنى مفهوم لان السموات والارض أدلة على بارئها لا على الثواب والعقاب وانما الدليل على الثواب والعقاب الامر والنهى وانما وصف جل ثناؤه أولى الالباب الذين ذكرهم فى هذه الآية انهم اذا رأوا المأمورين المنهيين قالوا يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثا سبحانك يعنى تنزيها لك من أن تفعل شيئا عبثا ولكنك خلقتهم لعظيم من الامر لجنة أو نار ثم فزعوا الى ربهم بالمسئلة أن يجيرهم من عذاب النار وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره فيكونوا من أهل جهنم ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار) اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قالوا ولا يخزى مؤمن مصيره الى الجنة وان عذب بالنار بعض العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حفص الجبيرى ومحمد بن بشار قالا أخبرنا المؤمل أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس فى قوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من تخلد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن ابن المسيب ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هى خاصة لمن لا يخرج منها حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا قبيصة بن مروان عن الاشعث الحملى قال قلت للحسن يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو قال نعم حق قال قلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال فقال لى انك والله لا تستطيع على شئ ان للنار أهلا لا يخرجون منها كما قال الله قال قلت يا أبا سعيد فيمن دخلوا ثم خرجوا قال كانوا أصابوا ذنوبا فى الدنيا فأخذهم الله بها فأدخلهم بها ثم أخرجهم بما يعلم فى قلوبهم من الايمان والتصديق به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هو من يخلد فيها ✻ وقال آخرون معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار من مخلد فيها وغير مخلد فيها فقد أخزى بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن بحر بن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فقلت ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال وما اخزاؤه

على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى هذا وأصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه والتقدير أقلتم حين أصابتكم ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ من أين أصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبى معهم والمراد بالمصيبة واقعة أحد وبمثليها وقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل أراد نسبة الضعف فى الهزيمة لا فى عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم أيضا فى الاولى يوم أحد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد أصبتم مثليها جواب ضمنى يعنى ان أحوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا أصبتم منهم مثلى ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند أنفسكم وفى تقريره وجوه الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول فى أمور فى الخروج عن المدينة وكان رأيه فى الاقامة ثم فى الفشل وفى التنازع وفى مفارقة المركز وفى الاشتغال بطلب الغنيمة الثانى ما روى عن على رضى الله عنه انه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم الفداء من الاسارى وأمرك ان تخيرهم بين أن يقدموا الاسارى فيضربوا أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا نأخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو ونرضى أن يستشهد منا بعددهم فقتل يوم أحد سبعون رجلا بعدد أسارى بدر فمعنى هو من عند أنفسكم هو بأخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان للعبد اختيارا فى الفعل والترك وانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله

ان الله على كل شئ قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله أن يقدر عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود والحق أن وجود الواسطة لا ينافى انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن

حين أخزاه بالنار وان دون ذلك لخزيا وأولى القولين بالصواب عندى قول جابر ان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك ان الخزى انما هو هتك ستر المخزى وفضيحته ومن عاقبه ربه فى الآخرة على ذنوبه فقد فضحه بعقابه اياه وذلك هو الخزى وأما قوله وما للظالمين من أنصار يقول وما لمن خالف أمر الله فعصاه من ذى نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه وينقذه من عذابه ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) اختلف أهل التأويل فى تأويل المنادى الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية فقال بعضهم المنادى فى هذا الموضع القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال هو الكتاب ليس كلهم لقى النبى صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا منصور بن حكيم عن خارجة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال ليس كل الناس سمع النبى صلى الله عليه وسلم ولكن المنادى القرآن وقال آخرون بل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال هو محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول محمد بن كعب وهو أن يكون المنادى القرآن لان كثيرا ممن وصفهم الله بهذه الصفة فى هذه الآيات ليس ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم ولا عاينه فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ولكنه القرآن وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبرا عن الجن اذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم انهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد وبنحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان الى قوله وتوفنا مع الابرار سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الاجابة فيها وصبروا عليها ينبئكم الله عن مؤمن الانس كيف قال وعن مؤمن الجن كيف قال فأما مؤمن الانس فقال اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية وقيل اننا سمعنا مناديا ينادى الى الايمان كما قال تعالى ذكره الحمد لله الذى هدانا لهذا بمعنى هدانا الى هذا وكما قال الراجز

أوحى لها القرآن فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت

بمعنى أوحى اليها ومنه قوله بان ربك أوحى لها وقيل يحتمل أن يكون معناه اننا سمعنا مناديا للايمان ينادى ان آمنوا بربكم فتأويل الآية اذا ربنا سمعنا داعيا يدعو الى الايمان يقول الى التصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك وطاعته فيما أمرنا به ونهانا عنه مما جاء به من عندك فآمنا ربنا يقول فصدقنا بذلك يا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا خطايانا ولا تفضحنا بها فى القيامة على رؤس الاشهاد بعقوبتك ايانا عليها ولكن كفرها عنا وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار يعنى بذلك واقبضنا اليك اذا قبضتنا اليك فى عداد الابرار واحشرنا محشرهم ومعهم والابرار جمع بر وهم الذين بروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم اياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضى عنهم ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) ان قال لنا قائل وما وجه مسئلة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ما وعدهم وقد علمت ان الله منجز وعده وغير جائز أن يكون منه اخلاف موعد قيل اختلف فى ذلك أهل البحث فقال بعضهم ذلك

الله قال ابن عباس أى وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرتم المصالح فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين أى ليتميزوا عن أهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان العرض تصوير انهم شرعوا فى الاعمال اللائقة بالنفاق فى ذلك الوقت وأحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو أبو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى لما انخزل عبد الله بن أبى بثلث الناس تبعهم وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله ان كان فى قلبكم حب هذا الدين أو ادفعوا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم يكن بكم هم الآخرة وطلب مرضاة الله أى كونوا من رجال الدين أو من رجال الدنيا وقال السدى وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة أحد أسباب الهيبة والرعب ثم انه كأن سائلا سأل فماذا أجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كأنهم جحدوا أن يكون بين الفريقين قتال البتة أو المراد لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بأيديكم الى التهلكة وذلك ان رأى عبد الله كان فى الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم فى الجواب فاسد أما الاول فلان ظهور أمارات الحرب كاف فى وجوب القتال والدفع عن النفس قول والمال والطفل فى أمور الدنيا قائم مقام العلم ولا امارة أقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل أحد وأما الثانى فلانه تعالى لما وعدهم النصر

قولنخرج مخرج المسئلة ومعناه الخبر قالوا وانما تأويل الآية والكلام ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار لتؤتينا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة قالوا وليس ذلك على أنهم قالوا ان توفيتنا مع الابرار فانجز لنا ماوعدتنا لانهم قد علموا ان الله لا يخلف الميعاد وان ماوعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ولكنه تفضل بابتدائه ثم ينجزه وقال آخرون بل ذلك قول من قاله على معنى المسئلة والدعاء لله بان يجعلهم ممن آتاهم ماوعدهم من الكرامة على ألسن رسله لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله فى أنفسهم ثم سألوه أن يؤتيهم ماوعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم فيكون ذلك منهم مسئلة لربهم أن لا يخلف وعده قالوا ولو كان القوم انما سألوا ربهم أن يؤتيهم ماوعد الابرار لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه قالوا وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين وقال آخرون بل قالوا هذا القول على وجه المسئلة والرغبة منهم الى الله أن يؤتيهم ماوعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر والظفر بهم واعلاء كلمة الحق على الباطل فيعجل ذلك لهم قالوا ومحال أن يكون القوم مع وصف الله اياهم بما وصفهم به كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد فيرغبوا الى الله جل ثناؤه فى ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم فى تعجيل ذلك لهم لما فى تعجيله من سرور الظفر وراحة الجسد والذى هو أولى الاقوال بالصواب فى ذلك عندى ان هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره مفارقا لاهل الشرك بالله الى الله ورسوله وغيرهم من تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا الى الله فى تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم فقالوا ربنا آتنا ماوعدتنا من نصرتك عليهم عاجلا فانك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم فعجل حربهم ولنا الظفر عليهم يدل على صحة ذلك آخر الآية الاخرى وهو قوله فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا الآيات بعدها وليس ذلك مما ذهب اليه الذين حكيت قولهم فى شئ وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب أن يقال افعل بنا يارب كذا وكذا بمعنى افعل بنا الكذا الذى ولو جاز ذلك لجاز أن يقول القائل الآخر أقبل الى وكلمنى بمعنى أقبل الى لتكلمنى وذلك غير موجود فى الكلام ولا معروف جوازه وكذلك أيضا غير معروف فى الكلام آتنا ماوعدتنا بمعنى اجعلنا ممن آتيته ذلك وان كان كل من أعطى شيأ سنيا فقد صير نظيرا لمن كان مثله فى المعنى الذى أعطيه ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك وان كان قد يؤل معناه اليه فتأويل الكلام اذا ربنا أعطنا ماوعدتنا على ألسن رسلك انك تعلى كلمتك كلمة الحق بتأييدنا على من كفر بك وحادك وعبد غيرك وعجل لنا ذلك فانا قد علمنا انك لا تخلف ميعادك ولا تخزنا يوم القيامة فتفضحنا بذنوبنا التى سلفت منا ولكن كفرها عنا واغفرها لنا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك قال يستنجز موعود الله على رسله

❁ القول فى تأويل قوله (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) يعنى تعالى ذكره فاجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم بانى لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيرا ذكرا كان العامل أو أنثى وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء فى الهجرة فانزل الله تبارك وتعالى فى ذلك هذه الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يارسول الله تذكر الرجال فى الهجرة ولا نذكر فنزلت أنى لا أضيع عمل عامل منكم من

والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كانجوابهم قال هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المنبئ عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم والمراد انهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال أكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القريب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال الله أقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة ألف أو يزيدون فهذه الزيادة لاشك فيها وقال الواحدى فيه دليل على ان الآتى بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يظهر القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم أى لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطأة قلوبهم مانطقوا به من التوحيد والله أعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجارى أحوالهم فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء الذين قالوا منصوب على الذم أو على البدل من الذين نافقوا أو مرفوع على الذم أى هم الذين أو على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير فى أفواههم أو قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم أحد اخوة فى النسب أو فى سكنى الدار أو فى الجنسية فى النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبدالله بن أبى وأصحابه واعترض الاصم بانه قد خرج يوم أحد فكيف وصف بالقعود فى قوله وقعدوا أى والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب أن القعود عن القتال وهو لجبن عنه وتركه لا ينافى الخروج لو أطاعونا فى أمرنا اياهم بالقعود ماقتلوا كأنهم قعدوا وما كتموا بذلك بل أرادوا تثبيط غيرهم وذلك لما فى الطباع من محبة الحياة وكراهة الموت ومن يسمع يخلف على بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب فى القعود

يثبر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت
بسبب قعودكم لا بغيره من أسباب النجاة وفيه استهزاء بهم أي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا

ذكر أو أنثى الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول قالت أم سلمة يا رسول الله لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشئ فانزل الله تبارك وتعالى والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة أنها قالت يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشئ فانزل الله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض وقيل فاستجاب بمعنى فاجابهم كما قال الشاعر

وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

بمعنى فلم يجبه عند ذاك مجيب وأدخلت من في قوله من ذكر أو أنثى على الترجمة والتفسير عن قوله منكم بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث وليست من هذه بالتي يجوز اسقاطها وحذفها من الكلام في الجحد لانها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام الا به وزعم بعض نحوي البصرة انها دخلت في هذا الموضع كما تدخل في قولهم قد كان من حديث قال ومن ههنا أحسن لان النهي قد دخل في قوله لا أضيع وأنكر ذلك بعض نحوي الكوفة وقال لا تدخل من وتخرج الا في موضع الجحد وقال قوله لا أضيع عمل عامل منكم لم يدركه الجحد لانك تقول لا أضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت فيدخل ولا لانه لم ينله الجحد ولكن من مفسرة وأما قوله بعضكم من بعض فانه يعني بعضكم أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم من بعض في النصرة والملة والدين وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل على حكم أحدكم في أني لا أضيع عمل ذكر منكم ولا أنثى ۞ القول في تأويل قوله (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) يعني بقوله جل ثناؤه فالذين هاجروا قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله الى اخوانهم من أهل الايمان بالله والتصديق برسوله وأخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة وأوذوا في سبيلي يعني وأوذوا في طاعتهم ربهم وعبادتهم اياه مخلصين له الدين وذلك هو سبيل الله التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها وقتلوا يعني وقتلوا في سبيل الله وقاتلوا فيها لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحونها عنهم ولا تفضلن عنهم بعفوي ورحمتي ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا يعني جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وسبيله من عند الله يعني من قبل الله لهم والله عنده حسن الثواب يعني ان الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صرفه وذلك ما لا يبلغه وصف واصف لانه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال ثني عمرو بن الحرث ان أبا عشانة المغافري حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب جل ثناؤه هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واختلفت

وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان القتل أمر مكروه يجب على العاقل أن يحترز منه لو أمكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا والخطاب للرسول أو لكل أحد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول أو المراد لا يحسبن حاسب أو لا تحسبنهم أمواتا وضمير المفعول للذين قتلوا أي لا تحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكورا كلاهما كما حذف المبتدأ في قوله بل أحياء أي هم أحياء للدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا أبلغهم عنكم فانزل هذه الآية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي أراك مهتما قلت يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا فقال ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم أباك كفاحا فقال يا عبدي سلني أعطك فقال أسألك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال

يارب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من أهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان أولياء الشهداء الآراء
كانوا اذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية تنفيسا عنهم

القراء فى قراءة قوله وقاتلوا وقتلوا فقرأه بعضهم وقتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين وقرأ ذلك آخرون وقاتلوا وقتلوا بتشديد قتلوا بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلهم المشركون بعضا بعد بعض وقتلا بعد قتل وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا بمعنى أن بعضهم قتل وقاتل من بقى منهم والقراءة التى لا أستجيز أن أعدوها احدى هاتين القراءتين وهى وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف أو وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا لانها القراءة المنقولة نقل وراثة وما عداهما فشاذ وبأى هاتين القراءتين التى ذكرت أنى لا أستجيز أن أعدوهما قرأ قارئ فمصيب فى ذلك الصواب من القراءة لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى قراء الاسلام مع اتفاق معنييهما

القول فى تأويل قوله (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى تصرفهم فى الارض وضربهم فيها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد يقول ضربهم فى البلاد فنهى الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم فى البلاد وامهال الله اياهم مع شركهم وجحودهم نعمه وعبادتهم غيره وخرج الخطاب بذلك للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى به غيره من أتباعه وأصحابه كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله ولكن كان بأمر الله صادعا والى الحق داعيا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد والله ما غروا نبى الله ولا وكل اليهم شيأ من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك وأما قوله متاع قليل فانه يعنى أن تقلبهم فى البلاد وتصرفهم فيها متعة يتمتعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم فتخترمهم مناياهم ثم مأواهم جهنم بعد مماتهم والمأوى المصير الذى يأوون اليه يوم القيامة فيصيرون فيه ويعنى بقوله وبئس المهاد وبئس الفراش والمضجع جهنم

القول فى تأويل قوله (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار) يعنى بذلك جل ثناؤه لكن الذين اتقوا ربهم لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته فى العمل بما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه لهم جنات يعنى بساتين تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا نزلا من عند الله يعنى انزالا من الله اياهم فيها أنزلهموها ونصب نزلا على التفسير من قوله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كما يقال لك عند الله جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا وكما يقال هو لك صدقة وهو لك هبة وقوله من عند الله يعنى من قبل الله ومن كرامة الله اياهم وعطاياه لهم وقوله وما عند الله خير للابرار يقول وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا فان الذى يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس وما عند الله خير من كرامته للابرار وهم أهل طاعته باق غير فان ولا زائل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله وما عند الله خير للابرار قال لمن يطيع الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود عن عبد الله قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها ثم قرأ عبد الله وما عند الله خير للابرار وقرأ هذه الآية ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن أبى جعفر عن فرج بن فضالة عن لقمان عن أبى الدرداء أنه كان يقول ما من مؤمن الا والموت خير له وما من كافر الا والموت خير له ومن لم يصدقنى فان الله يقول وما عند الله خير للابرار ويقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم

والخبار اعن حال قتلاهم انهم أحياء متنعمون واختلف العلماء فى معنى هذه الحياة فعن طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخى أريد بها الذكر الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وروى ان عبد الملك بن مروان لما رأى الزهرى وعلمه وفقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال مجاز هذه الحياة ان أجسادهم باقية فى قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روى انه لما أراد معاوية أن يجرى العين الى قبور الشهداء أمر بان ينادى من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فأخرجناهم رطاب الابدان فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانقطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طائفة من متكلمى المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون أحياء والغرض تكذيب منكرى المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب أولى وبانه نهى عن حسبانهم أمواتا والذى يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم أحياء فى الحال لا اعتقاد انهم أحياء فى القيامة فان ذلك مما لا يشك النبى والمؤمنون فيه وبما رويناه عن ابن عباس ان أرواحهم فى أجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون فى الدنيا لا بد أن يكون قبل يوم القيامة وذهب كثير من المحققين الى انهم أحياء فى الحال لكن بحياة روحانية وان أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان أجزاء البدن فى الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شئ واحد من أول عمره الى آخره والباقى مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع أعضائه وأجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشئ المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا ساريا أو جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا أو أماته الله فيعيده حيا وبهذا يثبت

لىزدادوا اثما ۞ القول فى تاويل قوله (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) اختلف أهل التاويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أصحمة النجاشى وفيه أنزلت ذكر من قال ذلك حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا أبو بكر الهذلى عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا فصلوا على أخ لكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال هذا النجاشى أصحمة فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط فانزل الله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه قالوا يصلى على رجل ليس بمسلم قال فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا فانه كان لا يصلى الى القبلة فانزل الله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى النجاشى وفى ناس من أصحابه آمنوا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وصدقوا به قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشى وصلى عليه حين بلغه موته قال لاصحابه صلوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم فقال أناس من أهل النفاق يصلى على رجل مات ليس من أهل دينه فانزل الله هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم قال نزلت فى النجاشى وأصحابه ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم واسم النجاشى أصحمة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبد الرزاق وقال ابن عيينة اسم النجاشى بالعربية عطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى طعن فى ذلك المنافقون فنزلت هذه الآية وان من أهل الكتاب يؤمن بالله الى آخر الآية وقال آخرون بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ومن معه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعنى هذه الآية فى عبد الله بن سلام ومن معه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن زيد فى قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم الآية كلها قال هؤلاء يهود وقال آخرون بل عنى بذلك مسلمة أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم من اليهود والنصارى وهم مسلمة أهل الكتاب ✽ وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد وذلك ان الله جل ثناؤه عم بقوله وان من أهل الكتاب أهل الكتاب جميعا فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى وانما أخبر ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وكلا الفريقين أعنى اليهود والنصارى من أهل الكتاب ✽ فان قال قائل فما أنت قائل فى الخبر الذى رويت عن جابر وغيره انها نزلت فى النجاشى وأصحابه قيل ذلك خبر فى اسناده نظر ولو كان صحيحا لا شك فيه لم يكن لما قلنا فى معنى الآية خلاف وذلك ان جابرا ومن قال بقوله انما قالوا انزلت فى النجاشى وقد تنزل الآية فى الشئ ثم يعم بها كل من كان فى معناه فالآية وان كانت نزلت فى النجاشى فان الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذى حكم به للنجاشى حكما لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشى فى اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصديق

عذاب القبر ودوامه وتزول الشبهات ومن تأمل فى الامور [illegible] النفس [illegible] البدن [illegible]
لضعف الآخر كالات البدن يضعف وقت (١٣٦) النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا أعرضت النفس
عن الطعام والشراب وأقبلت على مطالعة العالم العلوى زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا واطلعت فيها الخبايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية وأكثر أرباب الشرع على انهم أحياء فى الحال بحياة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد أجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل أنواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها فى الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن الناس من طعن فى هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى فى التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة والحق فى هذه المسئلة عندى خلاف ما يقوله أهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من أن النفس تنقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ أو تتألم هى بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة أو بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذى أقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع أن يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير فى مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس فى هذا العالم جعلت متصرفة فى البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء وأعمال الجوارح والآلات وبعد الموت تجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء بها
والحساب فكيف ينبغى ان يقاس أحدهما على الآخر فلعله يكفى بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى أن تقوم القيامة

بما جاءهم به من عند الله بعد الذى كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده فى الكتابين التوراة والانجيل فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية وان من أهل الكتاب التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله فيقر بوحدانيته وما أنزل اليكم أيها المؤمنون يقول وما أنزل اليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليهم يعنى وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب وذلك التوراة والانجيل والزبور خاشعين لله يعنى خاضعين لله بالطاعة مستكينين له بها متذللين كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن زيد فى قوله خاشعين لله قال الخاشع المتذلل لله الخائف ونصب قوله خاشعين لله على الحال من قوله لمن يؤمن بالله خاشعين لله وهو حال مما فى يؤمن من ذكر من لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يقول لا يحرفون ما أنزل اليهم فى كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدلونه ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه لعرض من الدنيا خسيس يعطونه على ذلك التبديل وابتغاء الرياسة على الجهال ولكن ينقادون للحق فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل اليهم من كتبه وينتهون عما نهاهم عنه فيها ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم ﴿ القول فى تأويل قوله (أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) يعنى بذلك جل ثناؤه أولئك لهم أجرهم هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم لهم أجرهم عند ربهم يعنى لهم عوض أعمالهم التى عملوها وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم يعنى مدخور ذلك لهم لديه حتى يصيروا اليه فى القيامة فيوفيهم ذلك ان الله سريع الحساب وسرعة حسابه تعالى ذكره أنه لا يخفى عليه شئ من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد ذلك فيقع فى الاحصاء ابطاء فلذلك قال ان الله سريع الحساب ﴿ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن انه سمعه يقول فى قول الله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قال أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا أى اصبروا على طاعة الله وصابروا أهل الضلالة ورابطوا فى سبيل الله واتقوا الله لعلكم تفلحون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله اصبروا وصابروا ورابطوا يقول صابروا المشركين ورابطوا فى سبيل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج اصبروا على الطاعة وصابروا أعداء الله ورابطوا فى سبيل الله حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على ما أمرتم به وصابروا العدو ورابطوهم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا وعدى اياكم على طاعتكم لى ورابطوا أعداءكم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول فى هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا يقول اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذى وعدتكم ورابطوا عدوى وعدوكم حتى يترك دينه لدينكم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فى قوله اصبروا وصابروا ورابطوا على عدوكم حدثنى المثنى قال ثنا مطرف بن عبد

الكبرى وهذا القدر لا ينافى كون البدن مشاهدا فى القبر من غير تحرك ولا احساس وتعلق ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون أن يردوا على شيأ وفى حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر فى انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان أكثر من ذلك كما سيكون فى القيامة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وأفضى الامر الى الالجاء وهو السر فى آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وأما الشهداء فلا يبعد أن يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا تعجيلا للثواب كما عجلوا فى الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغى أن يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها أعلق مضنة وبه تثبت جميع ما ورد فى الشريعة الحقة والله أعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذوو كرامة كقوله فالذين عند ربك أو المراد بحيث لا علك أحد سوى ربهم أو المراد فى علمه وفى حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعى كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد فى الحديث فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال

الله المري قال ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب فذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر أما بعد فانه مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال آخرون معنى ذلك ورابطوا أي رابطوا على الصلوات أي انتظروها واحدة بعد واحدة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ثني داود بن صالح قال قال أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قال قلت لا قال انه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبري عن جده عن شرحبيل عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا اسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن مهاجر قال ثني يحيى بن يزيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب قال قلنا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء في أماكنها وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه * وأولى التأويلات بتأويل الآية قول من قال في ذلك يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعتكم بكم وذلك ان الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيأ فيجوز اخراجه من ظاهر التنزيل فلذلك قلنا انه عنى بقوله اصبروا الامر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها وصابروا يعني وصابروا أعداءكم من المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان المعروف من كلام العرب في المفاعلة أن تكون من فريقين أو اثنين فصاعدا ولا تكون من واحد الا قليلا في أحرف معدودة واذ كان ذلك كذلك فانما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم حتى يظفرهم الله بهم ويعلي كلمته ويخزي أعداءهم والا يكن عدوهم أصبر منهم وكذلك قوله ورابطوا معناه ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك في سبيل الله وأرى ان أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء ويحمي عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر كان ذا خيل قد ارتبطها أو ذا رجلة لا مركب له وانما قلنا معنى ورابطوا ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم لان ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط وانما توجه الكلام الى الاغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي حتى يأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه الى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو اجماع من أهل التأويل ۞ القول في تأويل قوله لعلكم تفلحون يعني بذلك تعالى ذكره واتقوا الله أيها المؤمنون واحذروه أن تخالفوا أمره وتتقدموا نهيه لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا فتبقوا في

ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة وهو مستثنى من خلفهم أنهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم أي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيامة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة أن يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تألم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان أعلمهم أمن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حالهم في أنفسهم وذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم وأعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة أنفسهم وان الله أي وبان الله لا يضيع أجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة أحد تعرف أولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى أما الاولى فما روي ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوتهم فندب أصحابه الى الخروج في طلب أبي سفيان وقال لا أريد الآن أن يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا باتيان جميع المأمورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات وأحسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته نعيم

نعيم الابد وتنجعوا في طلباتكم عنده كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول في قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني آخر تفسير سورة آل عمران القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول في تأويل قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به ثم وصف تعالى ذكره نفسه بانه المتوحد بخلق جميع الانام من شخص واحد وعرف عباده كيف كان مبتدأ انشائه ذلك من النفس الواحدة ومنبههم بذلك على ان جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة وان بعضهم من بعض وان حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الاخ على أخيه لاجتماعهم في النسب الى أب واحد وأم واحدة وان الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض وان بعد التلاقي في النسب الى الاب الجامع بينهم مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الادنى وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله فقال الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من آدم كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما خلقكم من نفس واحدة فمن آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم ونظيرة قوله من نفس واحدة والمعنى به رجل قول الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى وهو يريد الرجل فانث للفظ الخليفة وقال تعالى ذكره من نفس واحدة لتأنيث النفس والمعنى من رجل واحد ولو قيل من نفس واحد وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى كان صوابا

﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) يعني بقوله جل ثناؤه خلق منها زوجها وخلق من النفس الواحدة زوجها يعني بالزوج الثاني لها وهو فيما قال أهل التأويل امرأتها حواء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وخلق منها زوجها قال حواء من قصيرى آدم وهو نائم فاستيقظ فقال أثا بالنبطية امرأة حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلق منها زوجها يعني حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه حدثني موسى بن هرون قال أخبرنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال اسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت تسكن الي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ألقي على آدم صلى الله عليه وسلم السنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبدالله بن العباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولام مكانه وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعته تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما

وان بلغ الأمر بهم الى الجراحات وروى انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ويتوكأ عليه صاحبه ساعة ومن في قوله الذين أحسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال أبو بكر الاصم نزلت في يوم أحد لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى أخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة أخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة أخرى قد قتل زوجها وأبوها وأخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك تهون وأما الثانية فروى ابن عباس ان أبا سفيان لما عزم أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى القابل فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين

كشف عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمي ودمي وزوجتي فسكن اليها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وخلق منها زوجها جعل من آدم حواء وأما قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء فانه يعني ونشر منهما يعني من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء قد رآهم كما قال جل ثناؤه كالفراش المبثوث يقال منه بث الله الخلق وأبثهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وبث خلق

القول في تاويل قوله جل ثناؤه (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة تساءلون بالتشديد بمعنى تتساءلون ثم أدغم احدى التاءين في السين فجعلهما سينا مشددة وقرأه بعض قراء الكوفة تساءلون بالتخفيف على مثال تفاعلون وهما قراءتان معروفتان ولغتان فصيحتان أعني التخفيف والتشديد في قوله تساءلون به وبأي ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه لان معنى ذلك بأي وجهيه قرئ غير مختلف وأما تاويله واتقوا الله أيها الناس الذي اذا سأل بعضكم بعضا سأل به فقال السائل للمسؤل أسألك بالله وأنشدك بالله وأعزم عليك بالله وما أشبه ذلك يقول تعالى ذكره فكما تعظمون أيها الناس ربكم بالسنتكم حتى تروا ان من أعطاكم عهده فاخفركموه أتى عظيما فكذلك فعظموه بطاعتكم اياه فيما أمركم واجتنابكم ما نهاكم عنه واحذروا عقابه من مخالفتكم اياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به قال يقول اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذي تساءلون به يقول اتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تساءلون به قال تعاطفون به وأما قوله والارحام فان أهل التأويل اختلفوا في تاويله فقال بعضهم معناه واتقوا الله الذي اذا سألتم بينكم قال السائل للمسؤل أسألك به وبالرحم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذي تعاطفون به والارحام يقول الرجل يسئل بالله وبالرحم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال هو كقول الرجل أسألك بالله أسألك بالرحم يعني قوله اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم هو كقول الرجل أسألك بالرحم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن منصور أو مغيرة عن ابراهيم في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أسألك بالله والرحم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن الحسن قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم قال محمد وعلى هذا التاويل قول بعض من قرأ قوله والارحام بالخفض عطفا بالارحام على الهاء التي في قوله به كأنه أرادوا اتقوا الله الذي تساءلون به وبالارحام فعطف بظاهر على مكني مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لانها لا تنسق

راكبادهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها أدما وزبيبا وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وأنزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بأبي سفيان فدسهم الى المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب وقال السدي هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني أبا سفيان وأصحابه والمفعول محذوف أي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم نعيم أو قول الشيطان ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الاسلام فكان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب زيادتها ونقصانها وأما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فتاويله ان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان بظاهر مجازا وقد مر تحقيق الكلام لنا في هذا المعنى في أوائل الكتاب وكأنهم أضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل عليه السلام حين ألقي في

بظاهر على مكنى فى الخفض الافى ضرورة شعر وذلك لضيق الشعر وأما الكلام فلا شئ يضطر المتكلم الى اختيار المكروه من المنطق والردىء فى الاعراب منه ومما جاء فى الشعر من رد ظاهر على مكنى فى حال الخفض قول الشاعر

تعلق فى مثل السوارى سيوفنا * وما بينها والكعب غوط تعانق

فعطف بالكعب وهو ظاهر على الهاء والالف فى قوله بينها وهى مكنية * وقال آخرون تاويل ذلك واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان تقطعوها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله واتقوا الارحام لا تقطعوها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله وصلوا الارحام فانه اتقى لكم فى الدنيا وخير لكم فى الآخرة حدثنى على ابن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قول الله اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن منصور عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوه فى الارحام حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة فى قول الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله الذى تساءلون به والارحام قال يقول اتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا المثنى قال ثنا اسحق عن عبد الرحمن بن أبى حماد وأخبرنا أبو جعفر الخراز عن جويبر عن الضحاك ان ابن عباس كان يقرأ والارحام يقول اتقوا الله لا تقطعوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اتقوا الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أن تقطعوها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها وقرأ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل قال أبو جعفر وعلى هذا التاويل قرأ ذلك من قرأه نصبا بمعنى واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها عطفا على الارحام فى اعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره قال والقراءة التى لا نستجيز القارئ أن يقرأ غيرها فى ذلك النصب واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام بمعنى واتقوا الارحام أن تقطعوها لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الاسماء على مكنى فى حال الخفض الا فى ضرورة شعر على ما قد وصفت قبل ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله كان عليكم رقيبا) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره ان الله لم يزل عليكم رقيبا ويعنى بقوله عليكم على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه يا أيها الناس اتقوا ربكم المخاطب

التار فاظهروه باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله فى قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل الكافى أو الكافل أو الموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهى العافية وفضل وهو الربح بالتجارة أو النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافى وهذه غاية المطالب ونهاية الامانى وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلى فى ثواب المطيعين هو فضل ربهم ورحمته عليهم ولم ينج أحدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف أحدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان هو الشيطان لعتوه وتمرده واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف أولياءه أو الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف أى يخوفكم أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم أولياء الشيطين والاولياء هم أبو سفيان وأصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير فى فلا تخافوهم للناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وأبو على وزيفه ابن الانبارى بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر الله حسبى * التاويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالآن نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تجشم اذاقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا

والغائب اذا اجتمعا فى الخبرفان العرب تخرج الكلام على الخطاب فتقول اذا خاطبت رجلا واحدا أو جماعة فعلت هى وآخرون غيب معهم فعلا فعلتم كذا وصنعتم كذا ويعنى بقوله رقيبا حفيظا محصيا عليكم أعمالكم متفقدا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم اياها وقطعكموها وتضييعكم حرمتها كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان الله كان عليكم رقيبا حفيظا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد فى قوله ان الله كان عليكم رقيبا على أعمالكم يعلمها ويعرفها ومنه قول أبى دؤاد الايادى * كمقاعد الرقباء للضر با * أيديهم نواهد القول فى تأويل قوله (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى يقول لهم وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى أموالهم اذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يقول ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الحلال بالحرام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال مكان الحلال الحرام قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل فى صفة تبديلهم الخبيث بالطيب الذى نهوا عنه ومعناه فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفيع منه ويجعلون مكانه لليتيم الردىء والخسيس فذلك تبديلهم الذى نهاهم الله تعالى عنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعط زيفا وتأخذ جيدا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ومعمر عن الزهرى قال يعطى مهزولا ويأخذ سمينا وبه عن سفيان عن رجل عن الضحاك قال لا تعط فاسدا وتأخذ جيدا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول شاة بشاة ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم وقال آخرون معنى ذلك لا تستعجل الرزق الحرام فتأكله قبل أن يأتيك الذى قدر لك من الحلال ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذى قدر لك وبه عن سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح مثله وقال آخرون معنى ذلك كالذى حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار يأخذه الاكبر وقرأ وترغبون أن تنكحوهن قال اذا لم يكن لهم شىء والمستضعفين من الولدان لا يورثونهم قال فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذى أخذه خبيث * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويل ذلك ولا تتبدلوا أموال أيتامكم أيها الاوصياء الحرام عليكم الخبيث لكم فتأخذوا رفائعها وخيارها وجيادها بالطيب الحلال لكم من أموالكم الردىء الخسيس بدلا منه وذلك أن تبدل الشىء بالشىء فى كلام العرب أخذ شىء مكان آخر غيره يعطيه المأخوذ منه أو يجعله مكان الذى أخذ فاذ كان ذلك معنى التبديل والاستبدال فمعلوم ان الذى قاله ابن زيد من أن معنى ذلك هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميته ووالده دون صغارهم الى ماله قول لا معنى له لانه اذا أخذ الاكبر من ولده جميع ماله دون الاصاغر منهم فلم يستبدل مما أخذ شيا

لالى أجساد كثيرة منهم وتبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء الحقيقية وكذا الجسد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا أنفسهم بسيوف الرياضات ومطارف الاذكار وأسنة الطاعات وتجرع هموم مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتألم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وكما ورد فى حديث الشهداء من مبلغ اخواننا عنا انا فى الجنة والذى جاء فيه ان أرواحهم فى أجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن أن يخلق الله تعالى من ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى وأما كون الطير خضراء فامالان بدن الميت يميل الى الخضرة واما أن يكون عبارة عن النضرة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم وامالان حالهم بالنسبة الى ما يؤل اليه أهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين اللذين يعبر عنهما بالبياض والسواد فى قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعانى ما وجدتها فى كتب التفسير والتأويل وأرجو أن أكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله أعلم بمرادهما (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون

فما التبدل الذى قال جل ثناؤه ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولم يبدل الآخذ مكان المأخوذ بدلا وأما الذى قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجىء الحلال فانهما أيضا ان لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذى روى عن ابن مسعود انه قال ان الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها ففساده نظير فساد قول ابن زيد لان من استعجل الحرام فأكله ثم آتاه الله رزقه الحلال فلم يبدل شيأ مكان شئ وان كان أرادا بذلك ان الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجىء الحلال فيكون أكلهم ذلك سببا لحرمان الطيب منه فذلك وجه معروف ومذهب معقول يحتمله التأويل غير أن الاشبه فى ذلك بتأويل الآية ما قلنا لان ذلك هو الاظهر من معانيه لان الله جل ثناؤه انما ذكر ذلك فى قصة أموال اليتامى وأحكامها فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية فاخرجها من أن يكون من غير جنسه ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره ولا تخلطوا أموالهم يعنى أموال اليتامى بأموالكم فتأكلوها مع أموالكم كما حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم يقول لا تأكلوا أموالكم وأموالهم تخلطوها فتأكلوها جميعا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زهير عن مبارك عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية فى أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولى اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم قال فخالطوهم واتقوا ۞ القول فى تأويل قوله (انه كان حوبا كبيرا) قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره انه كان حوبا كبيرا ان أكلكم أموال أيتامكم مع أموالكم حوب كبير والهاء فى قوله انه دالة على اسم الفعل أعنى الاكل وأما الحوب فانه الاثم يقال منه حاب الرجل يحوب حوبا وحوبا وحيابة و يقال منه قد تحوب الرجل من كذا اذا تأثم منه ومنه قول أمية بن الاسكر الليثى

وان مهاجرين تكنفاه * لعمر الله قد خطئا وحابا

ومنه قيل نزلنا بحوبة من الارض و بحيبة من الارض اذا نزلوا بموضع سوء منها والكبير العظيم فمعنى ذلك ان أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم اثم عند الله عظيم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو وعمرو بن على قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله حوبا كبيرا قال اثما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله انه كان حوبا كبيرا قال اثما عظيما حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى كان حوبا أما حوبا فاثما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله حوبا قال اثما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان حوبا كبيرا يقول ظلما كثيرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله انه كان حوبا كبيرا قال ذنبا كبيرا وهى لاهل الاسلام حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول حوبا كبيرا قال اثما والله عظيما ۞ القول فى تأويل قوله (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وان خفتم يا معشر أولياء اليتامى أن لا تقسطوا فى صداقهن فتعدلوا فيه وتبلغوا

ما قالوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات و بالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير) القرآت ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزننى وليحزن الذين آمنوا وقرأ يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاى ولا خلاف فى مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلاثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء فى تحسبنهم أبو عمرو وابن كثير وقرأ حمزة كلها بتاء الخطاب وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة والاخروان بالخطاب غير بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل و يعقوب بعباس مخير الباقون بالتخفيف بفتح الياء وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير و يعقوب وأبو عمرو لقد سمع و بابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام

بصداقهن صدقات أمثالهن فلا تنكحوهن ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتى أحلهن الله لكم وطيبهن من واحدة الى أربع وان خفتم أن تجوروا اذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهن واحدة أو ماملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء فقالت يا ابن أختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة صداقها فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ماسواهن من النساء حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء قالت يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل مايعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن على سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ماطاب لهم من النساء سواهن قال يونس بن يزيد قال ربيعة فى قول الله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قال يقول اتركوهن فقد أحللت لكم أربعا حدثنا الحسن بن الجنيد وأبو سعيد بن مسلمة قالا أنبأنا اسمعيل بن أمية عن ابن شهاب عن عروة قال سألت عائشة أم المؤمنين فقلت يا أم المؤمنين أرأيت قول الله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء قالت يا ابن أختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداق نسائها فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن الا أن يقسطوا فيكملوا لهن الصداق ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء ان لم يكملوا لهن الصداق حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى يونس عن ابن شهاب قال ثنى عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فذكر مثل حديث يونس عن ابن وهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة مثل حديث ابن حميد عن ابن المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت نزل يعنى قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى الآية فى اليتيمة تكون عند الرجل وهى ذات مال فلعله ينكحها لمالها وهى لا تعجبه ثم يضربها ويسيء صحبتها فوعظ فى ذلك * قال أبو جعفر فعلى هذا التأويل جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا قوله فانكحوا وقال آخرون بل معنى ذلك النهى عن نكاح مافوق الاربع حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم وذلك أن قريشا كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والاكثر والاقل فاذا صار معدما مال على مال يتيمه الذى فى حجره فانفقه أو تزوج به فنهوا عن ذلك وقيل لهم ان أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم اليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع وان خفتم أيضا من الاربع ألا تعدلوا فى أموالهم فاقتصروا على الواحدة أو على ماملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول فى هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قال كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة ويكون عنده الايتام فيذهب ماله فيميل على مال الايتام قال فنزلت هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى

سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام فى وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلوانى عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما وخرج عن مدغما شجاع وأبو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب غير رويس وأبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم * الوقوف فى الكفر ج للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام أو الغاء شيئا ط فى الآخرة ج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ٥ شيئا ج لما ذكر فى الآخرة ط أليم ٥ لانفسهم ط اثما ج لما ذكر أيضا مهين ٥ من الطيب ط ورسله ط عظيم ٥ خيرا لهم ط شر لهم ط القيامة ط والارض ط خبير ٥ أغنياء م لئلا يصير مابعده من مقولهم ومن قرأ بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرأ ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله أو يقول الزبانية فلا يتعطف على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق ٥ للعبيد ج ٥ لاحتمال الصفة وأن يكون المراد هم الذين والوقف أولى لانه لا يظلم العبيد مطلقا لا العبيد الموصوفة نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله النار ط صادقين ٥ المنير ٥ الموت ط يوم القيامة ط لابتداء شرط فى أمر معظم فقد فاز ط الغرور ٥ كثيرا ط الامور ٥ ولا تكتمونه ز لان الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يضف الى ظرف اذ قليلا ط يشترون ٥ من العذاب ج لما ذكر أليم ٥ والارض ط قدير ٥ * التفسير نزلت فى كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم وأتاح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل فى المنافقين ومسارعتهم هى انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا

فانكحوا

الطالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه احد وقيل ان قوما من الكفار أسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش
فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر فى لحوق ضرر بك ونصر بعضهم هذا القول باب المسارعة وهي شدة الرغبة فى

فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال كان الرجل يتزوج الاربع والخمس والست والعشرة يقول الرجل ما يمنعني ان أتزوج كما تزوج فلان فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به فنهوا أن يتزوجوا فوق الاربع حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن طاوس عن ابن عباس قال قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فان الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى فنهى الله عن ذلك وقال آخرون بل معنى ذلك ان القوم كانوا يتحوبون فى أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها ولا يتحوبون فى النساء ألا يعدلوا فيهن فقيل لهم كما خفتم أن لا تعدلوا فى اليتامى فكذلك فخافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن ولا تنكحوا منهن الا من واحدة الى الاربع ولا تزيدوا على ذلك وان خفتم أن لا تعدلوا أيضا فى الزيادة عن الواحدة فلا تنكحوا الا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كان الناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه قال فذكروا اليتامى فنزلت وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال فكما خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى النساء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى الى أيمانكم كانوا يشددون فى اليتامى ولا يشددون فى النساء ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال الله تبارك وتعالى كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى فخافوا فى النساء فانكحوا واحدة الى الاربع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حتى بلغ أدنى ألا تعولوا يقول كما خفتم الجور فى اليتامى وهمكم ذلك فكذلك فخافوا فى جمع النساء وكان الرجل فى الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك فأحل الله جل ثناؤه أربعا ثم الذى صيرهن الى أربع قوله مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة وان خفت أن لا تعدل فى أربع فثلاث والا فثنتين والا فواحدة وان خفت أن لا تعدل فى واحدة فما ملكت يمينك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد ابن جبير قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فخافوا فى النساء مثل الذى خفتم فى اليتامى أن لا تقسطوا فيهن حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال جاء الاسلام والناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ فيتبعوه أو ينهوا عن شئ فيجتنبوه حتى سألوا عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع حدثنا المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال بعث الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه وكانوا يسألونه عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع قال وكما تخافون أن لا تقسطوا فى اليتامى فخافوا أن لا تقسطوا وتعدلوا فى النساء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قال كانوا فى الجاهلية ينكحون عشرا

الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة انما يليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم أحبطوا وبان الحزن انما يكون على فوات أمر مقصود وذلك هو ما قصده النبي من الانتفاع بايمانهم وانتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى أنه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الآية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب أنه نهى عن الاسراف فى الحزن بحيث يأتى عليه ونظيره لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أو المراد لا يحزنك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله أى دينه شيأ من الضرر يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم أنه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفى الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم وان الداعى الى تعذيبهم خالص خال وسالم لم يبق معه صارف ألبتة ثم أنزل فى اليهود خاصة وهو الاشبه أو فى الكفار عامة ان الذين اشتروا الآية والغرض تأكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل ان أكثرهم ينازعونك فى الدين لا لاجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة فى منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو أن يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكبيرة فى الآخرة كان فى غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق

من النساء الايامى وكانوا يعظمون شأن اليتيم فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية فقال وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء كانوا في جاهليتهم لا يرزؤن من مال اليتيم شيأ وهم ينكحون عشرا من النساء وينكحون نساء آبائهم فتفقدوا من دينهم شأن النساء فوعظهم الله في اليتامى وفي النساء فقال في اليتامى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب الى انه كان حوبا كبيرا ووعظهم في شأن النساء فقال انكحوا ما طاب لكم من النساء الآية وقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الى ما ملكت أيمانكم يقول فان خفتم الجور في اليتامى وغمكم ذلك فكذلك فخافوا في جميع النساء قال وكان الرجل يتزوج العشر في الجاهلية فما دون ذلك وأحل الله أربعا وصيرهم الى أربع يقول فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة وان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك وقال آخرون معنى ذلك فكما خفتم في اليتامى فكذلك فتخوفوا في النساء أن تزنوا بهن ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يقول ان تحرجتم في ولاية اليتامى وأكل أموالهم ايمانا وتصديقا فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا النساء نكاحا طيبا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل معنى ذلك وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أنتم ولاتهن فلا تنكحوهن وانكحوا أنتم ما حل لكم منهن ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال نزلت في اليتيمة تكون عند الرجل هو وليها ليس لها ولي غيره وليس أحد ينازعه فيها ولا ينكحها لمالها فيضر بها ويسيء صحبتها حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم أي ما حل لكم من يتاماكم من قراباتكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية قول من قال تأويلها وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء فلا تنكحوا منهن الا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة الى الاربع فان خفتم الجور في الواحدة أيضا فلا تنكحوها ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم فانه أحرى أن لا تجوروا عليهن وانما قلنا ان ذلك أولى بتأويل الآية لان الله جل ثناؤه افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الاموال فقال تعالى ذكره وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا ثم أعلمهم أنهم ان اتقوا الله في ذلك فتحرجوا فيه فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرج في أمر النساء مثل الذي عليهم من التحرج في أمر اليتامى وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيه كما عرفهم المخلص من الجور في أموال اليتامى فقال انكحوا ان أمنتم الجور في النساء على أنفسكم ما أبحت لكم منهن وحللته مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أيضا الجور على أنفسكم في أمر الواحدة بان لا تقدروا على انصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فانكم أحرى أن لا تجوروا عليهن لانهن أملاككم وأموالكم ولا يلزمكم لهن

الضرر بالغير ولو قيل ان الآية في المرتدين فالمعنى ان اشتياردين بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الرأي والانسان المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد الشهداء أحدا لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه سادّ مسدّ مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول أول وان مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يمض الا أحد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الاتراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا أن أملاني خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي لا يحسبنهم الاصحاب ان الاملاء خير لهم أو لا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال أملى عليه الزمان أي طال وأملى له أي طول له وأمهله قال أبو عبيدة ومنه الملا الارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال أقمت عنده ملاوة من الدهر أي حينا وبرهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب أولا بالعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والآية دلت على أنها ليست بخير فغيه دلالة على أنه سبحانه فاعل الخير والشر وأيضا انه نص على ان الغرض من هذا الاملاء أن يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وأيضا أخبر عنهم انه لا خير لهم فيه وأنهم لا يحصلون منه الا على ازدياد البغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا أنهم مجبورون على ذلك في صورة مختارين أجابت المعتزلة بان المراد ان هذا الاملاء ليس خيرا من موت الشهداء اذ الآية من تتمة قصة أحد لا أنه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا أنه

من الحقوق كالذي يلزمكم للعرائر يكون ذلك أقرب لكم الى السلامة من الاثم والجور ففي الكلام اذ كان المعنى ما قلنا متروك استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره وذلك ان معنى الكلام وان خفتم ألا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء اللاتى أوجبها الله عليكم فلا تتزوجوا منهن الا ما أمنتم معه الجور مثنى وثلاث ورباع وان خفتم أيضا من ذلك فواحدة وان خفتم فى الواحدة فما ملكت أيمانكم فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء بدلالة ما ظهر من قوله تعالى فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان قال قائل فاين جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قيل قوله فانكحوا ما طاب لكم غير ان المعنى الذى يدل على المراد بذلك ما قلنا ٧ قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى الاقساط فى كلام العرب العدل والانصاف وأن القسط الجور والحيف بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما اليتامى فانها جمع لذكران الايتام واناثهم فى هذا الموضع وأما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانه يعنى فانكحوا ما حل لكم منهن دون ما حرم عليكم منهن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء ما حل لكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما حل لكم فان قال قائل وكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فانكحوا من طاب لكم وانما يقال ما فى غير الناس قيل معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبت اليه وانما معناه فانكحوا نكاحا طيبا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانكحوا النساء نكاحا طيبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله فالمعنى بقوله ما طاب لكم الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهن فلذلك قيل ما ولم يقل من كما يقال خذ من رفيقى ما أردت اذا عنيت خذ منهم ارادتك ولو أردت خذ الذى تريده منهم لقلت خذ من رفيقى من أردت منهم وكذلك قوله أو ما ملكت أيمانكم بمعنى أو ملك أيمانكم وانما معنى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع كما قيل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وأما قوله مثنى وثلاث ورباع فانهن ترك اجراؤهن لانهن معدولات عن اثنين وثلاث وأربع كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك اجراؤه وكذلك احاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع لا يجرى ذلك كله للعلة التى ذكرت من العدول عن وجوهه ومما يدل على ان ذلك كذلك وان الذكر والانثى فيه سواء ما قيل فى هذه السورة وسورة فاطر مثنى وثلاث ورباع يراد به الجناح والجناح ذكر وانه لا يضاف الى ما يضاف اليه الثلاثة والثلاث وان الالف واللام لا تدخله فكان فى ذلك دليل على انه اسم للعدد معرفة ولو كان نكرة لدخله الالف واللام وأضيف كما يضاف الثلاثة والاربعة ومما يبين فى ذلك قول تميم بن أبى بن مقبل

ترى النغرات الزرق تحت لبانه * أحاد ومثنى أصعقتها صواهله

فرد أحاد ومثنى على النغرات وهى معرفة وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها كما قال الشاعر

قتلنا به من بين مثنى وموحد * بأربعة منكم وآخر خامس

ومما يبين ان ثناء وأحاد غير جارية قول الشاعر

ولقد قتلتم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس المدبر

(وقول الشاعر)

لنفى الخيرية لا للنفى كونه خيرا من شئ آخر وعن الثانى ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله أندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الاضلال ويقال ما كانت موعظتى لك الا للزيادة فى تماديك فى الغى اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم مزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا فى الكلام تقديم وتأخير وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما انما نملى لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية ورد بان التقديم والتأخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع أن الواحدى أنكرها ثم انه تعالى أخبر أنه لا يجوز فى حكمته أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل أحد الجنسين عن الآخر بالقاء الحوادث وابداء الوقائع كما فى قصة أحد شعر

لله در النائبات فانها
صدأ اللئام وصيقل الاحرار

فقال ما كان الله ليذر اللام لتأكيد النفى والخطاب فى أنتم للمصدقين جميعا من أهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان فى حكمة الله أن يترك المخلصين على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما لغتان مزت الشئ بعضه من بعض أميزه ميزا وميزته تمييزا وفى الحديث من ماز أذى عن الطريق فهو له صدقة وحجة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا الا أنه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فان الميز يقع على الادون والاهون ثم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح فبمثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من

منت لك أن تلاقيني المنايا * أحاد أحاد في شهر حلال

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته لم يسمع منها خماس ولا المخمس ولا السباع ولا المسبع وكذلك ما فوق الرباع الا في بيت الكميت فانه يروى له في العشرة عشار وهو قوله فلم يستريثوك حتى رميت * فوق الرجال خصالا عشارا

يريد عشرا عشرا يقال انه لم يسمع غير ذلك وأما قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فان نصب واحدة بمعنى فان خفتم أن لا تعدلوا فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح فيما أوجبه الله لهن عليكم فانكحوا واحدة منهن ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع كان جائزا بمعنى فواحدة كافية أو فواحدة مجزية كما قال جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وان قال لنا قائل قد علمت ان الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاح أربع فكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وذلك في العدد تسع قيل ان تأويل ذلك فانكحوا ما طاب لكم من النساء اما مثنى ان أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم واما ثلاث ان لم تخافوا ذلك واما أربع ان أمنتم ذلك فيهن يدل على صحة ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة لان المعنى فان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة ثم قال وان خفتم ألا تعدلوا أيضا في الواحدة فما ملكت أيمانكم فان قال قائل فان أمر الله ونهيه على الايجاب والالزام حتى تقوم حجة بان ذلك على التأديب والارشاد والاعلام وقد قال تعالى ذكره فانكحوا ما طاب لكم من النساء وذلك أمر فهل من دليل على انه من الامر الذي هو على غير وجه الالزام والايجاب قيل نعم والدليل على ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فكان معلوما بذلك ان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وان كان مخرجه مخرج الامر فانه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء لا بمعنى الامر بالنكاح فان المعنى به وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فتحرجتم فيهن فكذلك فتحرجوا في النساء فلا تنكحوا الا ما أمنتم الجور فيه منهن ما أحللته لكم من الواحدة الى الاربع وقد بينا في غير هذا الموضع بان العرب تخرج الكلام بلفظ الامر ومعناها فيه النهي أو التهدد والوعيد كما قال جل ثناؤه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وكما قال ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون فخرج ذلك مخرج الامر والمقصود به التهدد والوعيد والزجر والنهي فكذلك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء بمعنى النهي فلا تنكحوا الا ما طاب لكم من النساء وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله أو ما ملكت أيمانكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم يقول فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أو ما ملكت أيمانكم السراري حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثني يحيى بن أبي طالب قال حدثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك قوله فان خفتم ألا تعدلوا في المجامعة والحب ۞ القول في تأويل قوله (ذلك أدنى ألا تعولوا) يعني قوله تعالى ذكره وان خفتم ألا تعدلوا في مثنى أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة أو خفتم ألا تعدلوا في الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم فهو أدنى يعني أقرب ألا تعولوا يقول أن لا تجوروا ولا تميلوا يقال منه عال الرجل فهو يعول عولا وعيالة اذا مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص وأما من الحاجة فانما يقال عال الرجل يعيل عيلة وذلك اذا احتاج كما قال الشاعر

الغيب ولكن الله يجتبي أي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبناء الكلام على ثلاث مراتب الاولى ان هذا المنصب العلي الا الله تعالى بعلمه لا يليق بكل أحد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول أيضا لا يعلم المغيبات بان يطلع علمها من تلقاء نفسه وبخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن وذلك منافق الثالثة ان هذا أيضا مختص ببعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله أن تعتقدوه وحده علاما للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل أن تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلانا منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي بمثلها يتميز الفريقان ويخلص أهل الوفاء من أهل الجفاء أو المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن أقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم قال قا
السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي في صورها كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين

فـايدرى الفـقير متى غناه * ومايدرى الغنى متى يعـيـل

يعنى يفتقر و بنحوماقلنافى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن ذلك أدنى ألاتعولوا قال العول الميل فى النساء حدثنا ابن حميد قال ثنى حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ذلك أدنى ألاتعولوا يقول لاتميلوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ذلك أدنى ألاتعولوا أن لاتميلوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبى هند عن عكرمة ألاتعولوا قال أن لاتميلوا ثم قال أما سمعت الى قول أبى طالب * بميزان قسط وزنه غير عائل * حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد بن زيد عن الزبير عن حريث عن عكرمة فى هذه الآية ألاتعولوا قال أن لاتميلوا قال وأنشد بيتا من شعر زعم ان أبا طالب قاله

بميزان قسط لايخس شعيرة * ووازن صدق وزنه غير عائل

قال أبو جعفر و يروى هذا البيت على غير هذه الرواية

بميزان صدق لايغـل شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله ألاتعولوا قال أن لاتميلوا حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى اسحق الكوفى قال كتب عثمان بن عفان رضى الله عنه الى أهل الكوفة فى شئ عاتبوه عليه فيه انى لست بميزان لاأعول حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد بن على قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك فى قوله أدنى ألاتعولوا قال لاتميلوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى ألاتعولوا أدنى أن لاتميلوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ألاتعولوا قال تميلوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ذلك أدنى ألاتعولوا يقول أن لاتميلوا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ذلك أدنى ألاتعولوا يقول تميلوا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله أدنى ألاتعولوا يعنى أن لاتميلوا حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ذلك أدنى ألاتعولوا يقول ذلك أدنى أن لاتميلوا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله ذلك أدنى ألاتعولوا قال أن لاتجوروا حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون وعارم أبو النعمان قالا ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس عن ابن اسحق عن مجاهد ذلك أدنى ألاتعولوا قال تميلوا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ذلك أدنى ألاتعولوا ذلك أقل لنفقتك الواحدة أقل من ثنتين وثلاث وأربع وجاريتك أهون نفقة من حرة أن لاتعولوا أهون عليك فى العيال ۞ القول فى تأويل قوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره وأعطوا النساء مهورهن عليكم واجبة وفريضة لازمة يقال منه نحل فلان فلانا كذا فهو ينحله نحلة ونحلا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يقول فريضة حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال

فاشتهروا فقالوا زعم محمد ان الله يعلمه بالمؤمن بالذين يكفرون به ممن لا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبى قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من أهل الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال أبو العالية نزلت حين سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ فى التحريض على بذل النفس فى الجهاد حرض على بذل المال فى سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا أى لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبى أو أحد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف للدلالة التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدى جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت فى مانعى الزكاة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام فى معرض الذم ولان تارك التفضل لو عد بخيلا لم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفى حكم الزكاة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفى الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت فى أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم الذى آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة أحد وذلك هو شرح أحوال أهل الكتاب ويعضده ان كثيرا من آيات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل فى رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار والمعنى فيه أنهم لم ينطقوا بافواههم وألسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما أن يكون محمولا على ظاهره وهو أن يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها فى عنقه تنهشه من قرنه

أخبرني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بالنحلة المهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال فريضة مسماة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال النحلة في كلام العرب الواجب يقول لا ينكحها الا بشيء واجب لها صدقة يسميها لها واجبة وليس ينبغي لاحد أن ينكح امرأة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا بصداق واجب ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبا بغير حق وقال آخرون بل عني بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة أولياء النساء وذلك انهم كانوا يأخذون صدقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن سيار عن أبي صالح قال كان الرجل اذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ونزلت وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وقال آخرون بل كان ذلك من أولياء النساء بأن يعطي الرجل أخته الرجل على ان يعطيه الآخر أخته على ان لا كثير مهر بينهما فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي ان أناسا كانوا يعطي هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يأخذون كثير مهر فقال الله تبارك وتعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة * قال أبو جعفر وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك التأويل الذي قلناه وذلك ان الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن ولا دلالة في الآية على ان الخطاب قد صرف عنهم الى غيرهم فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الذين قيل لهم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع هم الذين قيل لهم وآتوا النساء صدقاتهن وان معناه وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة لانه قال في الاول فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فأنكحوا فيكون قوله وآتوا النساء صدقاتهن مصروفا الى انه معني به أولياء النساء دون أزواجهن وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق صدقاتهن دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) يعني بذلك جل ثناؤه فان وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئا من صدقاتهن طيبة بذلك أنفسهن فكلوه هنيئا مريئا كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عمارة عن عكرمة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال المهر حدثنا محمد بن المثنى قال ثني حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة عن عماره في قول الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الصدقات حدثني المثنى قال ثني الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الازواج حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبيدة قال قال لي ابراهيم أكلت من الهني المري قال ما ذاك قال امرأتك أعطتك من صداقها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه من شيء أعطته امرأته من صداقها أو غيره فقال له علقمة ادن فكل من الهني المري حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول اذا كان غير اضرار ولا خديعة فهو هني مري كما قال الله جل ثناؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الصداق فكلوه هنيئا مريئا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله فان طبن لكم عن

الى قدمه وتنقر رأسه ويقول أنا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مامن رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع أقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان فيلزمه أن يطوقه يقول أنا كنزك واما أن يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة أطواقا أي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي أمثالهم يقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به يوم القيامة ونظيره ماروى عن ابن عباس انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه أي يؤمرون بأدائه فلا يمنعونه حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له فيه ومنه وورث سليمان داود أي انفرد بذلك بعد داود مشاركا له فيه أوعيا بما عليه والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر أي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهي أبلغ في الوعيد لان الغضب كأنه تناهى الى حد أقبل على الخطاب وشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما أمر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن أغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وأيضا لو كان نبيا لكان انما يطلب

شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمي ان أناسا كانوا يتأثمون ان يرجع أحدهم في شئ مما ساق الى امرأته فقال الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول ما طابت به نفسا في غير كره وهوان فقد أحل الله لك ذلك ان تأكله هنيئا مريئا وقال آخرون بل عنى بهذا القول أولياء النساء فقيل لهم ان طابت أنفس النساء اللواتي اليكم عصمة نكاحهن بصدقاتهن نفسا فكلوه هنيئا مريئا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا سيار عن أبي صالح في قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال كان الرجل اذا زوج ابنته عمد الى صداقها فأخذه قال فنزلت هذه الآية في الاولياء فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك بالصواب التأويل الذي قلنا وان الآية مخاطب بها الازواج لان افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم وقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا في سياقه وان قال قائل فكيف قيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وقد علمت ان معنى الكلام فان طابت لكم أنفسهن بشئ وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع وذلك انه تعالى ذكره قال وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قيل أما نقل فعل النفوس الى أصحاب النفوس فان ذلك لمستفيض في كلام العرب من كلامها المعروف ضقت بهذا الامر ذراعا وذرعا وقررت بهذا الامر عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني كما قال الشاعر

اذا التقياذو والعضلات قلنا * اليك اليك ضاق بها ذراعا

فنقل صفة الذراع الى رب الذراع ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل وكذلك وجه النفس في قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا اذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر وأما توحيد النفس من النفوس لانه انما أراد الهوى والهوى يكون جماعة كما قال الشاعر

بها جيف الحسرى فاما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

وكما قال الآخر * في حلقكم عظم وقد شجينا * وقال بعض نحوي الكوفة جائز في النفس في هذا الموضع الجمع والتوحيد فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وأنفسا وضقت به ذراعا وذرعا وأذرعا لانه منسوب اليك والى من تخبر عنه فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ولم يذهب الوهم الى انه ليس بمعنى جمع لان قبله جمعا قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا ان النفس وقع موقع الاسماء التي تأتي بلفظ الواحد مؤدية بمعناه اذ ذكر بلفظ الواحد وانه بمعنى الجمع عن الجمع وأما قوله هنيئا فانه مأخوذ من هنأت البعير بالقطران اذا جرب فعولج به كما قال الشاعر

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

فكان معنى قوله فكلوه هنيئا مريئا فكلوه دواء شافيا يقال منه هنأني الطعام ومرأني أي صار لي دواء وعلاجا شافيا وهنيني ومريني بالكسر وهي قليلة والذين يقولون هذا القول يقولون يهنأني ويمرأني والذين يقولون هنأني يقولون يهنيني ويمريني فاذا أفردوا قالوا قد أمرأني هذا الطعام مراءة ويقال هنأت اذا أطعمتهم سمع من العرب يقول انما سميت هانئا بالهناء بمعنى ليقول ويكنى ﴿ القول في تأويل قوله (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) قال أبو جعفر واختلف أهل التأويل في السفهاء الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم فقال بعضهم هم النساء والصبيان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اليتامى والنساء حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال

المال لاجل أن تجيء نار من السماء فتحرقه كما كان في الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا أنه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في الآية تعيين القائلين الا أن العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم في موضع آخر يد الله مغلولة عنوا أنه بخيل وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني ولما روى عكرمة ومحمد ابن اسحق والسدي ومقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمائهم أتزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وهو اذن فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر ولطم في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر وأيضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب وأنت وربك فقاتلا فلا يبعد أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم الاموال قالوا له لو كان الاله غنيا فأي حاجة الى أموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاصا وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبهتهم أما على قواعد أهل السنة فبيان يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد أن يأمر عبيده ببذل الاموال مع كونه أغنى الاغنياء وأما على قوانين المعتزلة فبيان في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تمييز البعض للبعض فبذلك يرتبط

ثنا هشيم عن يونس عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعطوا الصغار والنساء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن قال المرأة والصبي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن شريك عن أبي حمزة عن الحسن قال النساء والصغار والنساء أسفه السفهاء حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء ابنك السفيه وامرأتك السفيهة وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حميد عن عبد الرحمن الرواسي عن السدي قال يرده الى عبد الله قال النساء والصبيان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أما السفهاء فالولد والمرأة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يعني بذلك ولد الرجل وامرأته وهي أسفه السفهاء حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء الولد والنساء أسفه السفهاء فيكونوا عليكم أربابا حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال أولادكم ونساؤكم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك قال النساء والصبيان حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا أحمد قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن أبي عنبسة عن الحكم ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما أمر الله بهذا المال ان يخزن فيحسن خزانته ولا يملكه المرأة السفيهة والغلام السفيه حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبي مالك قال النساء والصبيان حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال امرأتك وبنيك وقال السفهاء الولدان والنساء أسفه السفهاء وقال آخرون بل السفهاء الصبيان خاصة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هم اليتامى حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن سالم عن سعيد قال السفهاء اليتامى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تنحلوا الصغار وقال آخرون بل عنى بذلك السفهاء من ولد الرجل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذي هو قوامك بعد الله تعالى حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تسلط السفيه من ولدك فكان ابن عباس يقول نزل ذلك في السفهاء وليس اليتامى من ذلك في شيء حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري انه قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه حدثنا يونس قال أخبرنا

ابن

امروا به‌ان و ينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد [illegible] وقد قال في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه في وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند أولي الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ماقالوا في صحائف الحفظة أو نحفظه ونثبته في علمنا اثباته كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيامة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على أنهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من أسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول كالاليم بمعنى المؤلم أو سميت باسم صاحبها أي ذات حرقة والمعنى ينتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما أذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل أن يقال عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتب ويحتمل أن يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب أو الوعيد بما قدمت أيديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان أكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان أو بسائر الجوارح والآلات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله أي وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على أن فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير أن لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز أن

ابن وهب قال سمعت ابن زيد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية قال لا تعط السفيه من ولدك رأسا ولا حائطا ولا شيئا هو لك قيما من مالك وقال آخرون بل السفهاء في هذا الموضع النساء خاصة دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي ان رجلا عمد فدفع ماله الى امرأته فوضعته في غير الحق فقال الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن الثوري عن حميد عن قيس عن مجاهد في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هن النساء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما قال نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم وهن سفهاء كن أزواجا أو أمهات أو بنات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا هشام عن الحسن قال المرأة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال النساء من أسفه السفهاء حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبي عوانة عن عاصم عن مورق قال مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة فقال لها ابن عمر ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما * قال أبو جعفر والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا ان الله جل ثناؤه عم بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فلم يخصص سفيها دون سفيه فغير جائز لاحد أن يؤتي سفيها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا كان أو أنثى والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله هو المستحق الحجر بتضييعه ماله وفساده وافساده وسوء تدبيره ذلك وانما قلنا ما قلنا من ان المعنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء هو من وصفنا دون غيره لان الله جل ثناؤه قال في الآية التي تتلوها وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم اليهم اذا بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد وقد يدخل في اليتامى الذكور والاناث فلم يخصص بالامر بدفع مالهم من الاموال الذكور دون الاناث ولا الاناث دون الذكور واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم اليهم وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم فاذ كان ذلك كذلك فبين ان السفهاء الذين نهى الله المؤمنين ان يؤتوهم أموالهم هم المستحقون الحجر والمستوجبون أن يولى عليهم أموالهم وهم من وصفنا صفتهم قبل وان من عدا ذلك فغير سفيه لان الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأونس رشده وأما قول من قال عنى بالسفهاء النساء خاصة فانه جعل اللغة على غير وجهها وذلك ان العرب لا تكاد تجمع فعيلا على فعلاء الا في جمع الذكور أو الذكور والاناث وأما اذا أرادوا جمع الاناث خاصة لا ذكران معهم جمعوه على فعائل وفعيلات مثل غريبة تجمع غرائب وغريبات فاما الغرباء فجمع غريب واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم فقال بعضهم عنى بذلك لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان على ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل أيها الرشداء أموالكم التي تملكونها فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ولكن ارزقوهم أنتم منها ان كانوا ممن تلزمكم نفقته واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك منهم أبو موسى الاشعري وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وحضرمي وسنذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل

يعذب البالغين بغير ذنب وهو يدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى أن الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت أصل الظلم له أجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكر أن ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين أقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وتحقيقه ما ذكرنا انه مالك الكل له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم أن تصدر عنه كانه قال ان خيل اليكم أن في الوجود شرا بناء على ما في طبعكم من أن الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من الشر القليل الذي في ضمنه خير كثير ونقول أراد نفي الشر القليل وأصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازورا وحيي ابن أخطب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول

البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران والرجحان
ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله عليه السلام لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلاة قربان أي بها يتقرب الى الله ويستشفع في
الحاجة لديه وللعلماء فيما ادعاه اليهود قولان (١٥٤) قال السدي ان هذا الشرط جاء في التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول
الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم
بقربان تأكله النار الا المسيح
ومحمدا فكانت هذه العادة جارية
الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل
انه افتراء لان المعجزات كلها في
كونها خارقة للعادة وآية لصحة النبوة
سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه
اما أن يكون في التوراة أن مدعي
النبوة وان جاء بجميع الآيات لا تقبلوا
قوله الا أن يجيء بهذه الآية المعينة
وحينئذ لا تكون سائر المعجزات دالة
على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز
في هذه واما أن يكون فيها أن مدعي
النبوة يطالب بالمعجزة أية كانت
وحينئذ يكون طلب هذا المعجز
المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى
الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم
رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
أي بعدلوله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم
صادقين انما الايمان يجب عند
الاتيان بالقربان وانما ذكر مجيء
الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء
القربان ليتم الالزام وذلك أن القوم
يحتمل أن يقولوا ان الاتيان بهذا
القربان شرط للنبوة لا موجب
لها والشرط يلزم من عدمه عدم
المشروط لكن لا يلزم من وجوده
وجود المشروط فلو اكتفى بذكر
القربان لم يتم الالزام وحيث أضاف
اليه البينات ثبت انهم أتوا بالموجب
وبالشرط جميعا فكان الاقرار
بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله
فان كذبوك في أصل الشريعة
والنبوة أو في قولك ان الانبياء
الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان وقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك وأي رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات قال
وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور أي مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذي حكمة
فيشبه أن يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح الواضح

حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها يقول لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك واطعمهم من مالك واكسهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا يقول لا تسلط السفيه من ولدك على مالك وأمره أن يرزقه منه ويكسوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط السفيه من مالك شيئا هو لك وقال آخرون بل عنى ذلك ولا تؤتوا السفهاء اموالهم ولكنه أضيف الى الولاة لانهم قوامها ومدبروها ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وقد يدخل في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال المنهيين عن ان يؤتوهم ذلك وأموال السفهاء لان قوله أموالكم غير مخصوص منها بعض الاموال دون بعض ولا تمنع العرب ان تخاطب خطابا فيخرج الكلام بعضه خبرا عنهم وبعضه عن غيب وذلك نحو ان يقولوا أكلتم يا فلان أموالكم بالباطل فيخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى انك وأصحابك أو وقومك أكلتم أموالكم فكذلك قوله ولا تؤتوا السفهاء معناه لا تؤتوا أيها الناس سفهاءكم أموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فتضيعوها واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بالنهي عن ايتاء السفهاء الاموال كلها ولم يخصص منها شيئا دون شيء كان بينا بذلك ان معنى قوله التي جعل الله لكم قياما انما هو التي جعل الله لكم ولهم قياما ولكن السفهاء دخل ذكرهم في ذكر المخاطبين بقوله لكم وأما قوله التي جعل الله لكم قياما وقيما وقواما في معنى واحد وانما القيام أصله القوام غير ان القاف التي قبل الواو لما كانت مكسورة جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها كما يقال صمت صياما وحلت حيالا وتقول منه فلان قوام أهل بيته وقيام أهل بيته واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم التي جعل الله لكم قيما بكسر القاف وفتح الياء بغير ألف وقرأه آخرون قياما بالالف قال محمد والقراءة التي نختارها قياما بالالف لانها القراءة المعروفة في قراءة أمصار الاسلام وان كانت الاخرى غير خطا ولا فاسد وانما اخترنا ما اخترنا من ذلك لان القرا آت اذا اختلفت في الالفاظ واتفقت في المعاني فاعجبها الينا ما كان أظهر وأشهر في قراءة امصار الاسلام وبنحو الذي قلنا في تاويل قوله قياما قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيي الاموي قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك أموالكم التي جعل الله لكم قياما التي هي قوامك بعد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أموالكم التي جعل الله لكم قياما فان المال هو قيام الناس قوام معايشهم يقول كنت أنت قيم أهلك فلا تعط امرأتك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما يقول الله سبحانه لا تعمد الى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر الى ما في أيديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم ومؤنتهم قال وقوله قياما بمعنى قوامكم في معايشكم حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن قوله قياما

المنتير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات أن معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة أو الاستنارة أشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم اشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور ثم أكد (١٥٥) التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت كل ذات فالقضية لايمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم مافى نفسي ولا أعلم مافى نفسك وكذا كل الجمادات لان لها ذوات ولقوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله ولانه لاموت لاهل الجنة ولاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون فى دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روى عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات أهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفى الآية دليل على أن المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لابد أن يكون باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحياة الجسمانية لانها لاتحصل الابالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية ثم الحرارة الغريزية تؤثر فى تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا تزال تستمر هذه الحالة الى أن تفنى الرطوبة الاصلية فتنطفى الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا فى هذه الحياة قالوا والارواح المجردة لاموت لها ونافشهم المسلمون فيه وانما توفون أجوركم يوم القيامة فى ذكر التوفية اشارة الى أن بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزح لتنحية والابعاد والزحزحة تكريره فقد فاز لم يقيد الفوز بشيء لانه لافوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به قال صلى

قال قيام عيشك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن ضرود عن ابن مجاهد انه قرأ التي جعل الله لكم قياما بالالف يقول قيام عيشك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما قال لاتعط السفيه من ولدك شيئا هو لك قيم من مالك وأما قوله وارزقوهم فيها واكسوهم فان أهل التاويل اختلفوا فى تاويله فاما الذين قالوا انما عنى الله جل ثناؤه بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أولياء السفهاء لا أموال السفهاء فانهم قالوا معنى ذلك وارزقوا أيها الناس سفهاءكم من نسائكم وأولادكم من اموالكم طعامهم ومالابد لهم منه من مؤنهم وكسوتهم وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى وسنذكر من لم يذكر من قائليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أمروا أن يرزقوا سفهاءهم من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم من أموالهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وارزقوهم قال يقول أنفقوا عليهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وارزقوهم فيها واكسوهم يقول أطعموهم من مالك واكسهم وأما الذين قالوا انما عنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم فانهم قالوا معنى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وارزقوا أيها الولاة ولاة أموال السفهاء سفهاءكم من أموالهم طعامهم ومالابد لهم من مؤنهم وكسوتهم وقد مضى ذكر ذلك * قال أبو جعفر وأما الذى نراه صوابا فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم من التأويل فقد ذكرناه ودللنا على صحة ماقلنا فى ذلك بما أغنى عن اعادته فتأويل قوله وارزقوهم فيها واكسوهم على التأويل الذى قلنا فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم فى طعامهم وكسوتهم فى أموالكم ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها وعلى سفهائكم منهم من لاتجب عليكم نفقته ومن غيرهم الذين تلون أنتم أمورهم من أموالهم فيما لابد لهم من مؤنهم فى طعامهم وشرابهم وكسوتهم لان ذلك هو الواجب من الحكم فى قول جميع الحجة لاخلاف بينهم فى ذلك مع دلالة ظاهر التنزيل على ماقلنا فى ذلك ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك عدهم عدة جميلة من البر والصلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفا فى البر والصلة يعنى النساء وهن السفهاء عنده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال عدة تعدوهم وقال آخرون بل معنى ذلك ادعوا لهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقولوا لهم قولا معروفا ان كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه فقل لهم قولا معروفا قل لهم عافانا الله واياك وبارك الله فيك * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال فى ذلك بالصحة ماقاله ابن جريج وهو ان معنى قوله وقولوا لهم قولا معروفا أى قولوا يامعشر ولاة السفهاء قولا معروفا للسفهاء ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وخلينا بينكم وبينها فاتقوا الله فى أنفسكم وأموالكم وما أشبه ذلك من القول الذى فيه حث على طاعة الله ونهي عن معصيته ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وابتلوا اليتامى

حتى اذا بلغوا النكاح) يعنى تعالى ذكره بقوله وابتلوا اليتامى واختبروا عقول يتاماكم فى أفهامهم وصلاحهم فى أديانهم واصلاحهم أموالهم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله وابتلوا اليتامى قالا يقول اختبروا اليتامى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما ابتلوا اليتامى فجربوا عقولهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وابتلوا اليتامى قال عقولهم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وابتلوا اليتامى قال اختبروهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح قال اختبروهم فى رأيه وفى عقله كيف هو اذا عرف انه قد أنس منه رشد دفع اليه ماله قال وذلك بعد الاحتلام قال أبو جعفر وقد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى الابتلاء الاختبار بما فيه الكفاية عن اعادته وأما قوله اذا بلغوا النكاح فانه يعنى اذا بلغوا الحلم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا احتلموا حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح قال عند الحلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا بلغوا النكاح قال الحلم

❁ القول فى تأويل قوله (فان آنستم منهم رشدا) يعنى بقوله فان آنستم منهم رشدا فان وجدتم منهم وعرفتم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا قال عرفتم منهم يقال آنست من فلان خيرا وقرى بعد الالف ايناسا وأنست به آنس انسا بقصر الفها اذا ألفه وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله فان أحسستم منهم رشدا بمعنى أحسستم أى وجدتم واختلف أهل التأويل فى معنى الرشد الذى ذكره الله فى هذه الآية فقال بعضهم معنى الرشد فى هذا الموضع العقل والصلاح فى الدين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فان آنستم منهم رشدا عقولا وصلاحا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان آنستم منهم رشدا يقول صلاحا فى عقله ودينه وقال آخرون معنى ذلك صلاحا فى دينهم واصلاحا لاموالهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن مبارك عن الحسن قال رشدا فى الدين وصلاحا وحفظا للمال حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا فى حالهم والاصلاح فى أموالهم وقال آخرون بل ذلك العقل خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال لا ندفع الى اليتيم ماله وان أخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يؤنس منه رشده العقل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد آنستم منهم رشدا قال العقل حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن الشعبى قال سمعته يقول ان الرجل ليأخذ بلحيته وما بلغ رشده وقال آخرون بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فان آنستم منهم رشدا قال صلاحا وعلما بما يصلحه ❁ قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بمعنى الرشد فى هذا الموضع العقل واصلاح المال لاجماع الجميع على أنه اذا

* الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه فالاول رعاية حقوق الله والثانى محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وذلك أن لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى (١٥٦) والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن على بن أبى طالب لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون فى أموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو لالتقاء الساكنين ولم يجب لما قبلها من الضم والمراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والذى كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن فى الدين الحنيف وأهليه واغراء المخالفين وتحريضهم عليهم واغواء المنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة أو تصبروا على أداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التى لا يترخص العاقل فى تركها لكونه حميد العاقبة بين الصواب أو هو من عزائم الله ومما ألزمكم الاخذ به قال الواحدى كان هذا قبل نزول آية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة أحد فلا تكون منسوخة بآية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم فى كثير الاحوال والامر بالقتال لا ينافى الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودى كان شاعرا وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش فى شعره وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك ونزلت الآية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار وأردف اسامة بن زيد

وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى وذلك قبل أن يسلم عبد الله فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفى المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ضم عبد الله بن أبى أنفه برداته وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له ياسعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله اعف عنه واصفح فوالذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى نزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى اعطاكه شرق بذلك ففعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه الآية ثم انه تعالى تعجب من حال اليهود انه كيف يليق بحالهم ايراد الطعن فى نبوته مع أن كتبهم ناطقة به وأيضا من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ أخذ الله باضمار اذكر والضمير فى لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور أى لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدى وقال الحسن وقتادة يعود الى الكتاب كانه أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا يكتمونه قيل الواو للحال أى غير كاتمين ويحتمل أن يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهى عن الكتمان لكنه صرح به للتأكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشىء المطروح المتروك وعن على ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا

كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه فى ماله وحوز ما فى يده عنه وان كان فاجرا فى دينه واذ كان ذلك اجماعا من الجميع فكذلك حكمه اذا بلغ وله مال فى يدى وصى أبيه أو فى يد حاكم قد ولى ماله لطفولته واجب عليه تسليم ماله اليه اذا كان عاقلا بالغا مصلحا لماله غير مفسد لان المعنى الذى به يستحق أن يولى على ماله الذى هو فى يده هو المعنى الذى به يستحق أن يمنع يده من ماله الذى هو فى يد ولى فانه لا فرق بين ذلك وفى اجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما فى يده فى حال صحة عقله واصلاح ما فى يده الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له فى مثل ذلك الحال وان كان قبل ذلك كان فى يد غيره لا فرق بينهما ومن فرق بين ذلك عكس عليه القول فى ذلك وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله فان كان ما وصفنا من الجميع اجماعا فبين ان الرشد الذى به يستحق اليتيم اذا بلغ فأونس منه دفع ماله اليه ما قلنا من صحة عقله واصلاح ماله ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا) يعنى بذلك تعالى ذكره ولاة أموال اليتامى يقول الله لهم فاذا بلغ أيتامكم الحلم فآنستم منهم عقلا واصلاحا لاموالهم فادفعوا اليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم وأما قوله فلا تأكلوها اسرافا يعنى بغير ما أباحه الله لكم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا يقول لا تسرف فيها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تأكلوها اسرافا قال يسرف فى الاكل وأصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك فى الافراط وربما كان فى التقصير غير أنه اذا كان فى الافراط فاللغة المستعملة فيه أن يقال أسرف يسرف اسرافا واذا كان كذلك فى التقصير فالكلام منه سرف يسرف سرفا يقال مررت بكم فسرفتكم يراد منه فسهوت عنكم وأخطأتكم كما قال الشاعر

اعطوا هنيدة تحذوها ثمانية * ما فى عطائهم من ولا سرف

يعنى بقوله ولا سرف لا خطأ فيه يراد به أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطؤها ۞ القول فى تأويل قوله (وبدارا أن يكبروا) يعنى جل ثناؤه بقوله وبدارا ومبادرة وهو مصدر من قول القائل بادرت هذا الامر مبادرة وبدارا وانما يعنى بذلك جل ثناؤه ولاة أموال اليتامى يقول لهم لا تأكلوا أموالهم اسرافا يعنى ما أباح الله لكم أكله ولا مبادرة منكم بلوغهم وايناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه اليهم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله اسرافا وبدارا يعنى أكل مال اليتيم مبادرا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا وبدارا يقول لا تسرف فيها ولا تبادره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبدارا تبادر أن يكبروا فيأخذوا أموالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اسرافا وبدارا قال هذه لولى اليتيم خاصة جعلوا له أن يأكل معه اذا لم يجد شيأ يضع يده معه فيذهب بوجهه يقول لا أدفع اليه ماله وجعلت تأكله تشتهى أكله لانك ان لم تدفعه اليه لك فيه نصيب واذا دفعته اليه فليس لك فيه نصيب وموضع أن فى قوله أن يكبروا نصب بالمبادرة لان معنى الكلام لا تأكلوها مبادرة كبرهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) يعنى بقوله جل ثناؤه ومن كان غنيا من ولاة أموال

اليتامى على أموالهم وليستعفف بماله عن أكلها بغير الاسراف والبدار أن يكبروا و بما أباح الله له أكلها به كما حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش وابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف قال لغناه من ماله حتى يستغنى عن مال اليتيم وبه قال حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف بغناه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من مال نفسه ومن كان فقيرا منهم اليها محتاجا فليأكل بالمعروف * قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل فى المعروف الذى أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به اذا كانوا أهل فقر وحاجة اليها فقال بعضهم ذلك هو القرض يستقرضه من ماله ثم يقضيه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن حارثة بن مضرب قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انى أنزلت مال الله تعالى منى بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن زهير عن العلاء بن المسيب عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله فمن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت يونس عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلمانى انه قال فى هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال الذى ينفق مال اليتيم يكون عليه قرضا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال انما هو قرض ألا ترى انه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم قال فظننت انه قالها برأيه حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام عن محمد عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وهو عليه قرض حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن سلمة عن علقمة عن ابن سيرين عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال المعروف القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة مثل حديث هشام حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى القرض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول ان كان غنيا فلا يحل له من مال اليتيم أن يأكل منه شيأ وان كان فقيرا فليستقرض منه فاذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه فذلك أكله بالمعروف حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أبى يذكر عن حماد عن سعيد بن جبير قال يأكل قرضا بالمعروف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سعيد بن جبير قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعنى قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان أخذ من ماله قدر قوته قرضا فان أيسر بعد قضاه وان حضره الموت ولم يوسر يتحلله من اليتيم وان كان صغيرا

علم عما ابتذله وهذا مع شدة وعاء ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم تعوا الملق ليتوسلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو و يدخل فى الوعيد كل من كتم شيأ من أمر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم أو لتقية من غير ضرورة أو لبخل بالعلم وغيره (١٥٨) أن ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود وأوعدهم عليه وسلى رسوله بذلك فقال لاتحسبن الذين يفرحون من قرأ بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول أو لكل أحد وأحد المفعولين الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلاتحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التأكيد ومن ضم الباء فى الثانى مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف أى لايحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين والثانى للتأكيد ومعنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه أى بمكان الفوز وقال الفراء أى ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه وفى الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له ان كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس مالكم ولهذه انما دعا النبى صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآيتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتاب من اليهود فى الارض كلها أن محمدا ليس نبى الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذى جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن أهل الصوم والصلاة ونحن أولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما أتوا بما فعلوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية يعنى بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة وعن أبى سعيد الخدرى أن رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج

يتحلله

يحلله من وليه حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير فلايا كل قرضا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف قال هو القرض حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب عن الشعبي ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليا كل بالمعروف قال لايا كله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة فان أكل منه شيأ قضاه حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فليأ كل بالمعروف قال قرضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فليأ كل بالمعروف قال سلفا من مال يتيمه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعن حماد عن سعيد بن جبير فليأ كل بالمعروف قالا هو القرض قال الثوري وقاله الحكم أيضا ألا ترى انه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن مجاهد قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعني ومن كان فقيرا فليا كل بالمعروف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فليا كل بالمعروف قال القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن أبي وائل قال قرضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن سعيد بن جبير قال اذا احتاج الولي أو افتقر فلم يجد شيأ أكل من مال اليتيم وكتبه فان أيسر قضاه وان لم يوسر حتى تحضره الوفاة دعا اليتيم فاستحل منه ما أكل حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ومن كان فقيرا فليا كل بالمعروف من مال اليتيم بغير اسراف ولا قضاء عليه فيما أكل منه واختلف قائلوا هذا القول في معنى أكل ذلك بالمعروف فقال بعضهم أن يأكل من طعامه باطراف الاصابع ولا يلبس منه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي قال أخبرني من سمع ابن عباس يقول ومن كان فقيرا فليا كل بالمعروف قال باطراف أصابعه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله الاشجعي عن سفيان عن السدي عمن سمع ابن عباس يقول فذكر مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليا كل بالمعروف يقول فمن كان غنيا من ولي مال اليتيم فليستعفف عن الله ومن كان فقيرا من ولي مال اليتيم فليأ كل معه باصابعه لا يسرف في الا كل ولا يلبس حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة في مال اليتيم يدك مع أيديهم ولا تتخذ منه قلنسوة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء وعكرمة قالا تضع يدك مع يده وقال آخرون بل المعروف في ذلك أن يأكل ما يسد جوعه ويلبس ما وارى العورة ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال ان المعروف ليس يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوع ووارى العورة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال كان يقال ليس المعروف يلبس الكتان والحلل

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا اليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ومغبة فساد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا أنصفنا من أنفسنا وجدنا أكثر مجاري أمورنا على هذه الحالة فنسأل الله العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك (١٥٩) السموات والارض والغرض أنه كيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب * التأويل بل هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا وبالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا رأس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والآخرة أولئك هم الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه أن من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله فقير ونحن أغنياء فيه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة أنا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن أغنياء بقربان تأكله النار قالت يهود صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا ننقاد لرسول أي لخاطر رحماني أو الهام رباني حتى يأتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها نسيكة لله عز وجل تأكله نار الله الموقدة التي تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا تأكله نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلي أي واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم أي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق أثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حياته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من أهل العلم الظاهر ومن أهل الرياء أذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على

بجهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور أى من أمور أولى العزم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله أعلم (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا (١٦٠) سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) القراآت الابرار بالامالة أبو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائى والنجارى عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد والنقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلى وخلف وقرأ ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد نزلا حيث كان بالاختلاس عباس

* الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة أو مستأنفا نصبا أو رفعا على المدح بتقدير أعنى الذين أو هم الذين والوصل أشهر والارض ج لحق المحذوف أى يقولون ربنا باطلا ج للابتداء بسبحانك تعظيما والا فالقول محذوف وفاء التعقيب متعقب النار ه أخزيته ط أنصاره

ولكن المعروف ما سد الجوع وارى العورة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن مغيرة عن ابراهيم نحوه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو معبد قال سئل مكحول عن والى اليتيم ما أكله بالمعروف اذا كان فقيرا قال يده مع يده قيل له فالكسوة قال يلبس من ثيابه فاما أن يتخذ من ماله مالا لنفسه فلا حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله فليأكل بالمعروف قال ما سد الجوع ووارى العورة اما انه ليس لبوس الكتان والحلل وقال آخرون بل ذلك المعروف أكل تمره وشرب رسل ماشيته بقيامه على ذلك فاما الذهب والفضة فليس له أخذ شئ منهما الا على وجه القرض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن القاسم بن محمد قال جاء رجل الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أموال أيتام وهو يستأذنه أن يصيب منها فقال ابن عباس ألست تبغى ضالتها قال بلى قال ألست تهنأ جرباها قال بلى قال ألست تلط حياضها قال بلى قال ألست تفرط عليها يوم ورودها قال بلى قال فاصب من رسلها يعنى من لبنها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال جاء اعرابى الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أيتاما وان لهم ابلا ولى ابل وأنا أمنح فى ابلى وأفقر فماذا يحل من ألبانها قال ان كنت تبغى ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسقى عليها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبى العالية فى هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من فضل الرسل والتمرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية فى والى مال اليتيم قال يأكل من رسل الماشية ومن التمرة لقيامه عليه ولا يأكل من المال وقال ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود عن رفيع عن أبى العالية قال رخص لولى اليتيم أن يصيب من الرسل ويأكل من الثمرة وأما الذهب والفضة فلا بد أن ترد ثم قرأ فاذا دفعتم اليهم أموالهم ألا ترى أنه قال لا بد من أن يدفع حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال انما كانت أموالهم ادخال النخل والماشية فرخص لهم اذا كان أحدهم محتاجا أن يصيب من الرسل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الشعبى فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا كان فقيرا أكل من التمر وشرب من اللبن وأصاب من الرسل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ذكر لنا ان عم ثابت بن رفاعة وثابت يومئذ يتيم فى حجره من الانصار أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله ان ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله قال أن تأكل بالمعروف من غير أن تقى مالك بماله ولا تتخذ من ماله وفرا وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل فيقوم وليه على صلاحه وسقيه فيصيب من تمرته أو تكون له الماشية فيقوم وليه على صلاحها أو يلى علاجها ومؤنتها فيصيب من جزازها وعوارضها ورسلها فاما رقاب المال وأصول المال فليس له أن يستهلكه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى ركوب الدابة وخدمة الخادم فان أخذ من ماله قرضا فى غنى فعليه أن يؤديه وليس له أن يأكل من ماله شيئا وقال آخرون منهم له أن يأكل من جميع المال اذا كان

فآمنا ف‍قيل والوصل أولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على آمنا اى اذا آمنا فاغفر الابرار ه ج للآية والعطف يوم القيامة ط الميعاد ه أنثى ج لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتدأ من بعض ج والانهار ز لان ثوابا مفعول له أو مصدر من عند الله ط الثواب ه البلاد ه ط لان التقدير لهم متاع أو ذلك متاع جهنم ط المهاد ه (١٦١) من عند الله ط للابرار ه لله لا لان ما بعده

يلي ذلك وان أتى على المال ولا قضاء عليه ‌ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن كريب قال ثنا اسمعيل بن صبيح عن أبي ادريس عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعا عن القاسم بن محمد قال سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عما يصلح لولي اليتيم قال ان كان غنيا فليستعفف وان كان فقيرا فليأكل بالمعروف **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر بن الخطاب كان يقول يحل لولي الامر ما يحل لولي اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الفضل بن عطية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا احتاج فليأكل بالمعروف فان أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري فلا ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومعروف ذلك أن يتقي الله في يتيمه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم أنه كان لا يرى قضاء على ولي اليتيم اذا أكل وهو محتاج **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور وعن مغيرة عن حماد عن ابراهيم فليأكل بالمعروف في الوصي قال لا قضاء عليه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال في هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا عمل فيه ولي اليتيم أكل بالمعروف **حدثنا** بشر بن محمد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اذا احتاج أكل بالمعروف من المال طعمة من الله له **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن البصري قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان في حجري يتيما أفأضربه قال فيما كنت ضاربا منه ولدك قال أفأصيب من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن الزبير بن موسى عن الحسن البصري مثله **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن عطاء أنه قال يضع يده مع أيديهم فيأكل معهم كقدر خدمته وقدر عمله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت والي اليتيم اذا كان محتاجا أكل بالمعروف لقيامه بماله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله تبارك وتعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان استغنى كف وان كان فقيرا أكل بالمعروف قال أكل بيده معهم لقيامه على أموالهم وحفظه اياها يأكل مما يأكلون منه وان استغنى كف عنه ولم يأكل منه شيأ * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال بالمعروف الذي عناه الله تبارك وتعالى في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة اليه على وجه الاستقراض منه فاما غير ذلك الوجه فغير جائز له أكله وذلك ان الجميع مجمعون على ان والي اليتيم لا يملك من مال يتيمه الا القيام بمصلحته فلما كان اجماعا منهم أنه غير مالكه وكان غير جائز لاحد أن يستهلك مال أحد غيره يتيما كان رب المال أو مدركا رشيدا وكان عليه ان تعدى فاستهلكه بأكل أو غيره ضمانه لمن استهلكه عليه باجماع من الجميع وكان والي اليتيم سبيله سبيل غيره في انه لا يملك مال يتيمه كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه اذا أكل منه سبيله سبيل غيره وان

حال آخر قليلا ط عندربهم ط الحساب ه تفلحون ه * التفسير انه لما طال الكلام في تقرير القصص والاحكام عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة اخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجيب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله ما تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض واعلم انه ذكر في

سورة البقرة ان في خلق السموات والارض الى ان عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لابد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني

المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادى قدس الوحدانية والمحاوقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها أقهر وأبهر والعجائب فيها
أكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله أيسر ولما قال فى تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفى هذه السورة لآيات لاولى الالباب لان العقل له
ظاهر ولب ففى أول الامر يكون عقلا وفى (١٦٢) كمال الحال يكون لبا وباقى التفسير قدمر هنالك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية
وهى أن يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو فى موضع حال آخر أى معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون فى أغلب أحوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلاة أى يصلون فى حال القيام فان عجزوا ففى حال القعود فان عجزوا ففى حال الاعتماد وهذا موافق لمذهب الشافعى فى ترتيب صلاة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبير بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلاة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت أولى ولان الاستغراق فى النوم يكون فى هيئة الاستلقاء أكثر فذلك وضع الغافلين وقال أبو حنيفة بل يصلى مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر فى البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون فى الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق والسبب فيه أن الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت
المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالتفكر فى
المخلوقات ممكن وفى الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لابد من تصورهما وتصوره
سبحانه محال لان تصور الشئ عبارة عن حصول صورة الشئ فى النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شئ الا انه نا

فارقه فى ان له الاستقراض منه عند الحاجة اليه كما له الاستقراض عليه عند حاجته الى ما يستقرض عليه اذ كان قيما بما فيه مصلحته ولا معنى لقول من قال انما عنى بالمعروف فى هذا الموضع أكل والى اليتيم من مال اليتيم لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه لان لوالى اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره اذا كان اليتيم محتاجا الى ذلك بأجرة معلومة كما يستأجر له غيره من الاجراء وكما يشترى له من نصيبه غنيا كان الوالى أو فقيرا واذا كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف على ان أكل مال اليتيم انما أذن لمن أذن له من ولايته فى حال الفقر والحاجة وكانت الحال التى للولاة أن يؤجروا أنفسهم من الايتام مع حاجة الايتام الى الاجراء غير مخصوص بها حال غنى ولا حال فقر كان معلوما ان المعنى الذى أبيح لهم من أموال أيتامهم فى كل أحوالهم غير المعنى الذى أبيح لهم ذلك فيه فى حال دون حال ومن أبى ما قلنا ممن زعم ان لولى اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته اليه على غير وجه القرض استدلالا بهذه الآية قيل له أمجمع على ان الذى قلت تأويل قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فان قال لا قيل له فما برهانك على ان ذلك تأويله وقد علمت انه غير مالك مال يتيمه فان قال لان الله أذن له بأكله قيل له أذن له بأكله مطلقا أم بشرط فان قال بشرط وهو أن يأكله بالمعروف قيل له وما ذلك المعروف وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين ان ذلك هو أكله قرضا وسلفا ويقال لهم أيصلح ذلك أرأيت المولى عليهم فى أموالهم من المجانين والمعاتيه ألولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم اليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها كما قلتم ذلك فى أموال اليتامى فأبحتموها لهم فان قالوا ذلك لهم خرجوا من قول جميع الحجة وان قالوا ليس ذلك لهم قيل لهم فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى وحكم ولاتهم واحد فى أنهم ولاة أموال غيرهم فلن يقولوا فى أحدهم شيأ الا ألزموا فى الآخر مثله ويسئلون كذلك عن المحجور عليه هل لمن يلى ماله أن يأكل ماله عند حاجته اليه نحو سؤالناهم عن أموال المجانين والمعاتيه ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) قال أبو جعفر يعنى بذلك جل ثناؤه واذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى الى اليتامى أموالهم فأشهدوا عليهم يقول فأشهدوا على الايتام باستيفائهم ذلك منكم ودفعكموه اليهم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم يقول اذا دفع الى اليتيم ماله فليدفعه اليه بالشهود كما أمره الله تعالى ۞ القول فى تأويل قوله (وكفى بالله حسيبا) يقول تعالى ذكره وكفى بالله كافيا من الشهود الذين يشهدهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمه اليه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكفى بالله حسيبا يقول شهيدا يقال منه قد أحسبنى الذى عندى يراد به كفانى وسمع من العرب لاحسبنكم من الاسودين يعنى به من الماء والتمر والمحسب من الرجال المرتفع الحسب والمحسب المكفى ۞ القول فى تأويل قوله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) يعنى بذلك تعالى ذكره للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللاناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة وذكر ان هذه الآية نزلت من أجل ان أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الاناث كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبر
معمر

معمر عن قتادة قال كانوا لا يورثون النساء فنزلت وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت فى أم كحلة وابنة كحلة وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الانصار وكان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها فقالت يارسول الله توفى زوجى وتركنى وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يارسول الله لاتركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكى عدوا نكسب عليها ولا تكتسب فنزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قال كان النساء لا يرثن فى الجاهلية من الآباء وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وان كان ذكرا فقال الله تبارك وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الى قوله نصيبا مفروضا قال أبو جعفر ونصب قوله نصيبا مفروضا وهو نعت للنكرة لخروجه مخرج المصدر كقول القائل لك على حقا واجبا ولو كان مكان قوله نصيبا مفروضا اسم صحيح لم يجز نصبه لا يقال لك عندى حق درهما فقوله نصيبا مفروضا كقوله نصيبا فريضة وفرضا كما يقال عندى درهم هبة مقبوضة ﴿ القول فى تأويل قوله (واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية هل هو محكم أم منسوخ فقال بعضهم هو محكم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الشيبانى عن عكرمة عن ابن عباس قال محكمة وليست منسوخة يعنى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبى قالا هى محكمة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال واجب ما طابت به أنفس أهل الميراث وحدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هى واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبى قالا هى محكمة ليست بمنسوخة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن عن سفيان وثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هى واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا فقال سعيد هذه الآية يتهاونون بها الناس قال وهما وليان أحدهما يرث والآخر لا يرث والذى يرث هو الذى أمر أن يرزقهم قال يعطيهم قال والذى لا يرث هو الذى أمر أن يقول لهم قولا معروفا وهى محكمة وليست بمنسوخة حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم بنحو ذلك وقال هى محكمة وليست بمنسوخة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطرف عن الحسن قال هى ثابتة ولكن الناس بخلوا وشحوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور والحسن قالا هى محكمة وليست بمنسوخة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هى قائمة يعمل بها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

بكل محيط لكنه اذا تفكر فى خلق السموات مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان فى كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس أحوال هذه المصنوعات الى صانعها علم أن ذاته تعالى (١٦٣) منزه عن مشابهة شئ من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا فى حيز وجهة فيقول سبحانك أى أنزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق فى بحار العظمة وجهة الجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة فى حضيض عالم البشرية محاطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض أن يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته أى أبلغت فى اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفى كلامهم من أدرك مرعى الضان فقد أدرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا اننا سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم فى هذه الكلمات والآيات على وجه ألق فروعى والله أعلم باسرار كلامه عن النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل أهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على أنه بمعنى المخلوق أو الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفى كلمة هذا ضرب من التعظيم كأنه لعظم شأنه معقود به الهمم حتى صار حاضرا فى خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر أى خلقا باطلا أو على الحال وقيل بنزع الخافض أى بالباطل أو للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على أن كل ما يفعله الله تعالى

فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ماطابت به الانفس حقا واجبا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهرى قالا فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هى محكمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن قتادة عن يحيى بن يعمر قال ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وهذه الآية ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هى ثابتة وقال آخرون منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد انه قال فى هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال كانت هذه الآية قسمة قبل المواريث فلما أنزل الله المواريث لاهلها جعلت الوصية لذوى القرابة الذين يحرمون ولا يرثون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن قتادة قال سألت سعيد بن المسيب عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هى منسوخة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث فلما كانت الفرائض والمواريث نسخت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى مالك قال نسختها آية الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك مثله حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنا عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى الآية الى قوله قولا معروفا وذلك قبل أن تنزل الفرائض فانزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض فاعطى كل ذى حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال نسختها المواريث * وقال آخرون هى محكمة وليست بمنسوخة غير ان معنى ذلك واذا حضر القسمة يعنى بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصى له به قالوا وأمر بان يجعل وصيته فى ماله لمن سماه الله تعالى فى هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن سعيد الاموى قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن أبى مليكة عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه وعائشة حية فلم يدع فى الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال ماأصاب انما هذه الوصية يريد الميت أن يوصى لقرابته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى ابن أبى مليكة ان القاسم بن محمد أخبره ان عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر قسم فذكر نحوه حدثنا عمر بن موسى الصفار قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال أمر أن يوصى بثلثه فى قرابته حدثنا ابن المبارك قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال انما ذلك عند الوصية فى ثلثه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هى الوصية من الناس قال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا

حضر

فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية يتوقف سبحانك جملة معترضة تنزيه له من العبث وان يخلق شيأ بغير حكمة فوجه النظم فى قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة فى خلق الارض والسموات أن يجعلهما مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى (١٦٤) ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان أحد طرفى الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لابد أن ينتهى الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن أن يعلل أفعال الله بمصالح العباد بل له أن يتصرف فى ملكه كيف يشاء والباطل فى اللغة الذاهب الزائل الذى لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشى والاضمحلال والمراد انك خلقتهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما فى غاية شدة التركيب وبصدد البقاء الا انك غنى عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى أقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه فى الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالآية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وأودع فى كل واحد منها ماقوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلى قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن أن تقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها فى ذلك فلا تبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون فى ذلك وقالوا ان الفلكيات أسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف فى هذا المقام أن وجود الوسائط لا ينافى استناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون أفعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافى جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك مايدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم فى الهرب من ذلك فيكون أقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون أقرب الى الادب وأحرى بالاجابة وكل

حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال القسمة الوصية كان الرجل اذا أوصى قالوا فلان يقسم ماله فقال ارزقوهم منه يقول أوصوا لهم يقول للذى يوصى وقولوا لهم قولا معروفا فان لم توصوا لهم فقولوا لهم خيرا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة قول من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة وانما عنى بها الوصية لاولى قربى الموصى وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف وانما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره لما قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره ان شيئا من أحكام الله تبارك وتعالى التى أثبتها فى كتابه أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر أو منسوخ لحكم آخر الا والحكمان اللذان قضى لاحدهما بانه ناسخ والآخر بانه منسوخ ناف كل أحد منهما صاحبه غير جائز اجتماع الحكم بهما فى وقت واحد بوجه من الوجوه أو يقوم وان كان جائزا صرفه الى غير النسخ بان أحدهما ناسخ والآخر منسوخ حجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك لما قد دللنا فى غير موضع وكان قوله تعالى ذكره واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه محتملا أن يكون مرادا به واذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يراد فاوصوا لاولى قرابتكم الذين يرثونكم منه وقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا كما قال فى موضع آخر كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ولا يكون منسوخا بآية الميراث لم يكن لاحد صرفه الى انه منسوخ بآية الميراث اذ كان لا دلالة على انه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة وهو محتمل من التأويل ما بينا واذا كان ذلك كذلك فتأويل قوله واذا حضر القسمة قسمة الموصى ماله بالوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاقسموا لهم منه بالوصية يعنى فاوصوا لاولى القربى من أصولكم وقولوا لهم يعنى الآخرين وهم اليتامى والمساكين قولا معروفا يعنى يدعى لهم بخير كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قبل وأما الذين قالوا ان الآية منسوخة بآية المواريث والذين قالوا هى محكمة والمأمور بها ورثة الميت فانهم وجهوا قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاعطوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا بعض من قال ذلك وسنذكر بقية من قال ذلك ممن لم نذكره حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم ان يصلوا أرحامهم ويتاماهم بالوصيات كان أوصى وان لم تكن وصية وصل اليهم من مواريثهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية يعنى عند قسمة الميراث حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة قال ان أباه اعطاه من ميراث مصعب حين قسم ماله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين قال كانوا يرضخون لهم عند القسمة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن عن حطان ان أبا موسى أمر ان يعطوا اذا حضر قسمة الميراث أولوا القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدى ومحمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان بن عبد الله الرقاشى قال قسم أبو موسى بهذه الآية واذ

ذلك تعليم من الله تعالى عباده فى حسن الطلب قال الواحدى الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج أخزى الله العدو أى أبعده وقيل أهانه وقيل فضحه وقيل أهلكه وقال ابن الانبارى الخزى فى اللغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو بوقوع فى بلاء قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد أخزاه الله والمؤمن (١٦٥) لا يخزى لقوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه وأجيب بانه لا يلزم من أن لا يكون من آمن وهو مع النبى صلى الله عليه وسلم مخزى أن لا يكون غيره وهو مؤمن مخزى وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزى وعن سعيد بن المسيب والثورى ان هذا فى حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود وأيضا انه مخزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله لا يخزى نفى الخزى على الاطلاق والمطلق يكفى فى صدقه صورة واحدة وهى نفى الخزى الخالد ويحتمل أن يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفى هو الثانى لم يلزم التنافى واحتجت المرجئة بالآية على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزى الله النبى والمدخل فى النار مخزى بهذه الآية والمقدمات بأسرها يدخلها المنع أما الاولى فباحتمال أن لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا وأما الاخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا فى أن العذاب الروحانى أشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذى هو التخجيل وهو أمر نفسانى وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين أى لداخلين فى النار من أنصار فى نفى الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفى الجنس يقتضى نفى النوع والجواب أن الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وأيضا لا تأثير للشفاعة الا باذن الله فيؤول معنى الآية الى أن الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وأيضا

أدلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصراله وعورض بالآيات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به أو جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٦) لقوله ادع الى سبيل ربك أدعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في

قوله ان هذا القرآن يهدي كأنه يدعو الى نفسه و ينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعو من أدبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي و يعظ الدلائل تصاريفه قال يا واضع الميت في قبره * خاطبك الدهر فلم تسمع و يقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فمقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال أبو عبيدة هذا على التقديم والتأخير أي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء مناد للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة أو مخففة معناه أي آمنوا أو بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي و ينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من رفع شان المطلق والمجمل وكونه حينئذ أوقع في النفس وأعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا أصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية وأما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول أريد بها ما تقدم منهم والثاني المستانف وقيل الاول ما أتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وذنبا والثاني ما أتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار أي

معدودين منهم ومن أتباعهم أو مشاركين لهم في الثواب أو على مثل أعمالهم ودرجاتهم كقول الرجل أنا مع الشافعي في هذه المسئلة أي مساوله في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالآية على ان العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقيب في فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى أجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلى الله

حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ويحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان عن أبي موسى في هذه الآية واذا حضر القسمة الآية قال قضى بها أبو موسى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر في الميراث اذا قسم قال كانوا يعطون منه التابوت والشيء الذي يستحيا من قسمته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عاصم عن أبي العالية والحسن قالا يرضخون ويقولون قولا معروفا في هذه الآية واذا حضر القسمة ثم اختلف الذين قالوا هذه الآية محكمة وان القسمة لاولي القربى واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث ان كان بعض أهل الميراث صغيرا فقسم عليه الميراث ولي ماله فقال بعضهم ليس لولي ماله أن يقسم من ماله و وصيته شيئا لانه لا يملك من المال شيئا ولكنه يقول لهم قولا معروفا قالوا والذي أمره الله بان يقول لهم قولا معروفا هو ولي مال اليتيم اذا قسم مال اليتيم بينه و بين شركاء اليتيم الا أن يكون ولي ماله أحد الورثة فيعطيهم من نصيبه و يعطيهم من يجوز أمره في ماله من انصبائهم قالوا فاما من مال الصغير فالذي يولى عليه ماله لا يجوز لولي ماله ان يعطيهم منه شيئا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي سعيد قال سالت سعيد بن جبير عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال ان كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم وان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانوا صغارا قال وليهم اني لست أملك هذا المال وليس لي وانما هو للصغار فذلك قوله وقولوا لهم قولا معروفا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال هما وليان ولي يرث وولي لا يرث فاما الذي يرث فيعطي وأما الذي لا يرث فيقول لهم قولا معروفا حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا ابن داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث ان كان الميراث لمن قد أدرك فله أن يكسوا منه وان يطعم الفقراء والمساكين وان كان الميراث ليتامى صغار فيقول الولي انه ليتامى صغار ويقول لهم قولا معروفا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي سعيد عن سعيد بن جبير قال ان كانوا كبارا رضخوا وان كانوا صغارا اعتذروا اليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سليمان الشيباني عن عكرمة واذا حضر القسمة أولوا القربى قال كان ابن عباس يقول اذا ولي شيئا من ذلك رضخ لاقرباء الميت وان لم يفعل اعتذر اليهم وقال لهم قولا معروفا حدثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا هذه تكون على ثلاثة أوجه أما وجه فيوصي لهم وصية فيحضرون و يأخذون وصيتهم وأما الثاني فانهم يحضرون فيقسمون اذا كانوا رجالا فينبغي لهم أن يعطوهم وأما الثالث فتكون الورثة صغارا فيقوم وليهم اذا قسم بينهم فيقول للذين حضروا حقكم حق وقرابتكم قرابة ولو كان لي في الميراث نصيب لاعطيتكم ولكنهم صغار فان يكبروا فسيعرفون حقكم فهذا القول المعروف حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رجل عن سعيد انه قال اذا حضر القسمة أولوا القربى

والبتامى

عليه وسلم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أى على تصديق رسلك لانه مذكور عقيب ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وعقيب قوله آمنا وهو التصديق فتكون على صلة للوعد كقولك وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل أن يتعلق بمحذوف أى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة (١٦٧) رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به فى آخر الادعية لان معظم الغرض فى الدعاء اظهار سيماء العبودية أو المراد وفقنا للاعمال التى بها نصير أهلا لوعدك واعصمنا عما به نكون أهلا لاخزائك أو طلبوا تعجيل النصر على الاعداء أو المراد احفظ علينا أسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع الآخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الآيات انهم نظروا فى المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا فى عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا أن صانعه حكيم والحكيم لا تخلو أفعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تأملوا فى غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة التكليف الجنة أو النار فتضرعوا الى معبودهم فى توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر أهم من جلب المنفعة جعلوا أول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحانى عند العقلاء أشد من العذاب الجسمانى فلاجرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا فى هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين فى ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف واعطاه ما أراد لان الله تعالى حكى عنهم فى هذه الآيات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم أى أجابهم انى أى بانى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر

واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال اذا كان الوارث عند القسمة فكان لا ناء والشئ الذى لا يستطاع أن يقسم فليرضخ لهم وان كان الميراث لليتامى فليقل لهم قولا معروفا وقال آخرون منهم ذلك واجب فى أموال الصغار والكبار لاولى القربى واليتامى والمساكين فان كان الورثة كبارا تولوا عند القسمة اعطاءهم ذلك وان كانوا صغارا تولى اعطاء ذلك منهم ولى مالهم ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فحدث عن محمد عن عبيدة أنه ولى وصية فامر بشاة فذبحت وصنع طعاما لاهل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى قال وقال الحسن لم تنسخ كانوا يحضرون فيعطون الشئ والثوب الخلق قال يونس ان محمد بن سيرين ولى وصية أو قال أيتاما فامر بشاة فذبحت فصنع طعاما كما صنع عبيدة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا هشام بن حسان عن محمد أن عبيدة قسم ميراث أيتام فامر بشاة فاشتريت من مالهم وبطعام فصنع وقال لولا هذه الآية لاحببت أن يكون من مالى ثم قرأ هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه الآية فكان من ذهب من القائلين القول الذى ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومن قال يرضخ عنه قسمة الميراث لاولى القربى واليتامى والمساكين تأول قوله فارزقوهم منه فاعطوهم منه وكان الذين ذهبوا الى ما قال عبيدة وابن سيرين تأولوا قوله فارزقوهم منه فاطعموهم منه واختلفوا فى تأويل قوله وقولوا لهم قولا معروفا فقال بعضهم هو أمر من الله تعالى ذكره ولاة اليتامى أن يقولوا لاولى قرابتهم واليتامى والمساكين اذا حضروا قسمتهم مال من ولوا عليه ماله من الاموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيها أن يعتذروا اليهم على نحو ما قد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار كما حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وقولوا لهم قولا معروفا قال هو الذى لا يرث أمر أن يقول لهم قولا معروفا قال يقول ان هذا المال لقوم غيب أو ليتامى صغار ولكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه شيأ قال فهذا القول المعروف وقال آخرون بل المأمور بالقول المعروف الذى أمر جل ثناؤه أن يقال له الرجل الذى يوصى فى ماله والقول المعروف هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير وقد ذكرنا قائلى ذلك أيضا بما أغنى عن اعادته فيما مضى

القول فى تأويل قوله (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم وليخش ليخف الذين يحضرون موصيا يوصى فى ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية فيمن لا يرثه ولكن ليأمره أن يبقى ماله لولده كما لو كان هو الموصى يسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتيال ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الى آخر الآية فهذا فى الرجل يحضره الموت فيسمعه أن يوصى بوصية تضر بورثته فامر الله سبحانه الذى يسمعه أن يتقى الله ويوفقه ويسدده للصواب ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته اذا خشى عليهم الضيعة حدثنا على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا

أو أنثى من في منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من أفراد المخاطبين وفي من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما أنثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض أي يجمع ذكوركم واناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله أو المراد بعضكم كأنه من البعض الآخر لفرط اتصالكم واتحادكم (١٦٨) كما يقال فلان مني أي على خلقي وسيرتي قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد

عليهم يعني الذي يحضره الموت فيقال له تصدق من مالك وأعتق وأعط منه في سبيل الله فنهوا أن يأمروه بذلك يعني أنه من حضر منكم مريضا عند الموت فلا يأمره أن ينفق ماله في العتق أو الصدقة أو في سبيل الله ولكن يأمره أن يبين ماله وما عليه من دين و يوصي في ماله لذوي قرابته الذين لا يرثون و يوصي لهم بالخمس أو الربع يقول أليس يكره أحدكم اذا مات وله ولد ضعاف يعني صغارا أن يتركهم بغير مال فيكونوا عيالا على الناس فلا ينبغي أن تأمروه بما لا ترضون به لانفسكم ولا أولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يقول من حضر ميتا فليأمره بالعدل والاحسان ولينهه عن الحيف والجور في وصيته وليخش على عياله ما كان خائفا على عياله لو نزل به الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال اذا حضرت وصية ميت فمره بما كنت آمرا نفسك بما تتقرب به الى الله وخف في ذلك ما كنت خائفا على ضعفتك لو تركتهم بعدك يقول فاتق الله وقل قولا سديدا ان هو زاغ حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا الرجل يحضره الموت فيحضره القوم عند الوصية فلا ينبغي أن يقولوا له أوص بمالك كله وقدم لنفسك فان الله سيرزق عيالك ولا يتركوه يوصي بماله كله يقول للذين حضروا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فيقول كما يخاف أحدكم على عياله لو مات أن يتركهم صغارا ضعافا لا شئ لهم الضيعة بعده فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم فيقول له القول السديد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة الى سعيد بن جبير فسألناه عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية قال قال الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله صلهم أعطهم برهم ولو كانوا هم الذين يأمرهم بالوصية لأحبوا أن يبقوا لاولادهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يحضرهم اليتامى فيقولون اتق الله وصلهم وأعطهم فلو كانوا هم لأحبوا أن يبقوا لاولادهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية يقول اذا حضر أحدكم من حضره الموت عند وصيته فلا يقل أعتق من مالك وتصدق فيفرق ماله و يدع أهله عيلا ولكن مروه فليكتب ماله من دين وما عليه و يجعل من ماله لذوي قرابته خمس ماله و يدع سائره لورثته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الآية قال هذا يفرق المال حين يقسم فيقول الذين يحضرون أقللت زد فلانا فيقول الله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم فليخش أولئك وليقولوا فيهم مثل ما يحب أحدهم أن يقال في ولده بالعدل اذا أكثر أبق على ولدك وقال آخرون بل عنى بذلك وليخش الذين يحضرون الموصي وهو يوصي الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فخافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطفولتهم أن ينهوه عن الوصية لاقربائه وأن يأمروا بامساك ماله والتحفظ به لولده وهم لو كانوا من أقرباء الموصي لسرهم أن يوصي لهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال

وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان أم سلمة قالت يا رسول الله اني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما للشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا أوطانهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعده باختيارهم وأخرجوا من ديارهم ألجأهم الكفار الى الخروج وأوذوا في سبيلي يريد طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل أي قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فالواو لا تفيد الترتيب والترتيب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا وأما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت أمارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد أي قتلوا وقد قاتلوا لأكفرن جواب للقسم لأقدرن عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة أي ثوابا يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد أي أنا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد أي اثابة أو تثويبا من عنده لان قوله لأكفرن ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم وقال الكسائي هو منصوب على القطع أي على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة أو بيعا أو صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه قادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات القاضي جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه

حدثنا

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة فأتينا مقسما فسألناه يعني عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية فقال ما قال سعيد بن جبير فقلنا كذا وكذا فقال ولكنه الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله وأمسك عليك مالك فليس أحد أحق بمالك من ولدك ولو كان الذي يوصي ذا قرابة لهم لاحبوا أن يوصي لهم حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت قال قال مقسم هم الذين يقولون اتق الله وأمسك عليك مالك فلو كان ذا قرابة لهم لاحبوا أن يوصي لهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي وقرأ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال قالوا حقيق أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لاهلها كما أن لو كانت ذرية نفسه بتلك المنزلة لاحب أن يوصي لهم وان كان هو الوارث فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذي يحق عليه فان ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحب أن يحث عليه فليتق الله هو فليأمره بالوصية وان كان هو الوارث أو نحوا من ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أمر من الله ولاة اليتامى من أن يلوهم بالاحسان اليهم في أنفسهم وأموالهم ولا يأكلوا أموالهم اسرافا وبدارا أن يكبروا وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاة ولده الصغار بعدهم لهم بالاحسان اليهم لو كانوا هم الذين ماتوا وتركوا أولادهم يتامى صغارا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يعني بذلك الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف يخاف عليهم العيلة والضيعة ويخاف بعده أن لا يحسن اليهم من يليهم يقول فان ولي مثل ذريته ضعافا يتامى فليحسن اليهم ولا يأكل أموالهم اسرافا وبدارا خشية أن يكبروا فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا يكفهم الله أمر ذريتهم بعدهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن عطية بن رديح بن عطية قال ثني عمي محمد بن رديح عن أبيه عن الشيباني قال كنا بالقسطنطينية أيام مسلمة بن عبد الملك فينا ابن محيريز وابن الديلمي وهانئ بن كلثوم قال فجعلنا نتذاكر ما يكون في آخر الزمان قال فضقت ذرعا بما سمعت قال فقلت لابن الديلمي يا أبا بشر يودي أنه لا يولد لي ولد أبدا قال فضرب بيده على منكبي وقال يا ابن أخي لا تفعل فانه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل الا وهي خارجة ان شاء وان أبى قال ألا أدلك على أمر ان أنت أدركته نجاك الله منه وان تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك قال قلت بلى قال فتلا عند ذلك هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * قال أبو جعفر وأولى التأويلات بالآية قول من قال تأويل ذلك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم العيلة لو كانوا فرقوا أموالهم في حياتهم أو قسموها وصية منهم بها لاولي قرابتهم وأهل اليتم والمسكنة فأبقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم بعدهم مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب فليأمروا من حضروه وهو يوصي لذوي قرابته وفي اليتامى والمساكين وفي غير ذلك بماله بالعدل وليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وهو أن يعرفوه ما أباح الله له من الوصية وما اختاره المؤمنون من أهل الايمان بالله وبكتابه وسنته وانما قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن معنى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فأوصوا لهم بما قد دللنا عليه من الادلة فاذا كان ذلك تأويل قوله

دليل على أن حكمة الله تعالى اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل رأسا عن الحسن أخبر الله تعالى انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار (١٦٩) كانوا في التنعم أراد أن يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمعه أي لا يغرنك أيها السامع أو للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله أوله والمراد هو فليعل السبب في عدم اغتراره هو تواتر أمثال هذه الآيات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم في المكاسب والمزارع والمتاجر ذلك التقلب أو الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما وعد الله المؤمنين من الثواب أو هو قليل في نفسه اذ لا نسبة لمدته الى ما بين أمدي الازل والابد ومع قلته سبب للوقوع في نار جهنم أبد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم تكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شئ آخر يكون أصلا بالنسبة اليها قلت ويحتمل أن يكون قوله وما عند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شئ من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار في لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء ونصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني أهل الكتاب

كلهم فقال وان من أهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وعن جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبريل الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاصحاب أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبران أو على اسمه عند الفصل كما في الآية والمراد بما أنزل اليكم القرآن وما أنزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من أحبارهم ورؤسائهم أولئك أجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شأن هذا الوعد حسبما أشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم و يعطي ما لكل أحد من جزاء الحسنات والسيئات أو المراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك أن أحوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فأمر فيه بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر

وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين الآية قالوا اجب أن يكون قوله تعالى ذكره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم تأديبا منه عباده في أمر الوصية بما أذنهم فيه اذ كان ذلك عقيب الآية التي قبلها في حكم الوصية وكان أظهر معانيه ما قلنا فالحاق حكمه بحكم ما قبله أولى من اشتباه معانيهما من صرف حكمه الى غيره بما هو له غير مشبه وبمعنى ما قلنا في تأويل قوله وليقولوا قولا سديدا قال من ذكرنا قوله في مبتدأ تأويل هذه الآية وبه كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال يقول قولا سديدا يذكر هذا المسكين وينفعه ولا يجحف بهذا اليتيم وارث المؤدي ولا يضر به لانه صغير لا يدفع عن نفسه فانظر له كما تنظر الى ولدك لو كانوا صغارا والسديد من الكلام هو العدل الصواب * القول في تأويل قوله (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يقول بغير حق انما يأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة بأكلهم أموال اليتامى ظلما في الدنيا نار جهنم وسيصلون بأكلهم سعيرا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا قال اذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال هذه لاهل الشرك حين كانوا لا يورثونهم ويأكلون أموالهم وأما قوله وسيصلون سعيرا فانه مأخوذ من الصلا والصلا الاصطلاء بالنار وذلك التسخن بها كما قال الفرزدق

وقاتل كلب الحي عن نار أهله * ليربض فيها والصلا متكنف

وكما قال العجاج * والصاليات للصلا صلى * ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرا من الامور من حرب أو قتال أو خصومة أو غير ذلك كما قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله * واني لحرها اليوم صالي

فجعل ما باشر من شدة الحرب واحراء القتال بمنزلة مباشرة أذى النار وحرها واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق وسيصلون سعيرا بفتح الياء على التأويل الذي قلنا وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين وسيصلون بضم الياء بمعنى يحرقون من قولهم شاة مصلية يعني مشوية قال أبو جعفر والفتح بذلك أولى من الضم لاجماع جميع القراء على فتح الياء من قوله لا يصلاها الا الاشقى ولدلالة قوله الا من هو صال الجحيم على ان الفتح بها أولى من الضم وأما السعير فانه شدة حر جهنم ومنه قيل أسعرت الحرب اذا اشتدت وانما هو مسعور ثم صرف الى سعير قيل كف خضيب ولحية دهين وانما هو مخضوبة صرفت الى فعيل فتأويل الكلام اذا وسيصلون نارا سعيرة أي موقودة مشعلة شديدا

والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على أداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها ومخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشارك كمتمع أهل المنزل أو المدينة فأمر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الرديئة من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع أعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان

شديدا حرها وانما قلنا ان ذلك كذلك لان الله جل ثناؤه قال واذا الجحيم سعرت فوصفها بانها مسعورة ثم أخبر جل ثناؤه ان أكلة أموال اليتامى يصلونها وهي كذلك فالسعير اذا في هذا الموضع صفة للجحيم على ما وصفنا ۞ القول في تأويل قوله (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) يعني جل ثناؤه بقوله يوصيكم الله يعهد الله اليكم في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين يقول يعهد اليكم ربكم اذا مات الميت منكم وخلف أولادا ذكورا واناثا فلولده الذكور والاناث ميراثه أجمع بينهم للذكر منهم مثل حظ الانثيين اذا لم يكن وارث غيرهم سواء فيه صغار ولده وكباره واناثهم في ان جميع ذلك بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ورفع قوله مثل بالصفة وهي اللام التي في قوله للذكر ولم ينصب بقوله يوصيكم الله لان الوصية في هذا الموضع عهد واعلام بمعنى القول والقول لا يقع على الاسماء المخبر عنها فكأنه قيل يقول الله تعالى ذكره لكم في أولادكم للذكر منهم مثل حظ الانثيين وقد ذكر ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم تبيينا من الله الواجب من الحكم في ميراث من مات وخلف ورثة على ما بين لان أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لاحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقي العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ولا للنساء منهم وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية فأخبر الله جل ثناؤه ان ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثا في هذه الآية وفي آخر هذه السورة فقال في صغار ولد الميت وكبارهم واناثهم لهم ميراث أبيهم اذا لم يكن له وارث غيرهم للذكر مثل حظ الانثيين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الصغار من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وترك خمس أخوات فجاءت الورثة يأخذون ماله فشكت أم كحة ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ثم قال في أم كحة ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وذلك انه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والانثى والابوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا تعطى المرأة الربع والثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه أو نقول له فيغيره فقال بعضهم يا رسول الله أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ونعطي الصبي الميراث وليس يغني شيأ وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث الا من قاتل ويعطونه الاكبر فالاكبر وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل ان المال كان للولد قبل نزوله وللوالدين الوصية فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو عطاء عن ابن عباس في قوله يوصيكم الله في أولادكم قال كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس مع الولد وللزوج الشطر والربع وللزوجة الربع والثمن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ

أجا للسنان ثم انه لا بد للانسان في تكاليف أقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على أضداد الشعائر بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على أمر فقد ربط قلبه عليه وألزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا أمر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الآية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كأحكام الحج والزكاة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما أصابكم يوم أحد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي أن يكونوا أصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة أمرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله في الجهاد فيها أمرهم بالمصابرة مع الاعداء أما المرابطة ففيها قولان أحدهما أن يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط أولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعد القتال الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلاة بعد الصلاة لما روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة وفي حديث أبي هريرة ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال فذلك الرباط ثلاث مرات والله أعلم * التأويل ان في خلق سموات القلوب وأطوارها وخلق أرض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية ومغانمها ونهار الروحانية وأنوارها لآيات لاولي الالباب الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا

الاثنين قال كان ابن عباس يقول كان المال وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس مثله وروى عن جابر بن عبد الله ماحدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض فتوضأ ونضح على من وضوئه فأفقت فقلت يارسول الله انما يرثنى كلالة فكيف بالميراث فنزلت آية الفرائض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى محمد بن المنكدر عن جابر قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه في بنى سلمة يمشيان فوجدانى لا أعقل فدعا بوضوء فتوضأ ثم رش على فأفقت فقلت يارسول الله كيف أصنع فى مالى فنزلت يوصيكم الله فى أولادكم الآية

❁ القول فى تأويل قوله (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك) يعنى بقوله فان كن فان كان المتروكات نساء فوق اثنتين ويعنى بقوله نساء بنات الميت فوق اثنتين يقول أكثر فى العدد من اثنتين فلهن ثلثا ماترك يقول فلبناته الثلثان مما ترك بعده من ميراثه دون سائر ورثته اذا لم يكن الميت خلف ولدا ذكرا معهن واختلف أهل العربية فى المعنى بقوله فان كن نساء فقال بعض نحويى البصرة بنحو الذى قلنا فان كان المتروكات نساء وهو أيضا قول بعض نحويى الكوفة وقال آخرون منهم بل معنى ذلك فان كان الاولاد نساء وقال انما ذكر الله الاولاد فقال يوصيكم الله فى أولادكم ثم قسم الوصية فقال فان كن نساء وان كان الاولاد واحدة ترجمة منه بذلك عن الاولاد قال أبو جعفر والقول الاول الذى حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب فى ذلك عندى لان قوله وان كن لو كان معنيا به الاولاد لقيل وان كانوا لان الاولاد تجمع الذكور والاناث واذا كان كذلك فانما يقال كانوا لا كن

❁ القول فى تأويل قوله (وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعنى بقوله وان كانت المتروكة واحدة فلها النصف يقول فلتلك الواحدة نصف ماترك الميت من ميراثه اذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكرا ولا أنثى فان قال قائل فهذا فرض الواحدة من النساء ومافوق الاثنتين فأين فريضة الاثنتين قيل فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التى لا يجوز فيها الشك وأما قوله ولابويه فانه يعنى ولابوى الميت لكل واحد منهما السدس من تركته وماخلف من ماله سواء فيه الوالدة والوالد لا يزداد واحد منهما على السدس ان كان له ولد ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فان قال قائل فاذ كان كذلك التأويل فقد يجب أن لا يزاد الوالد مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت وذلك ان قلته قول خلاف لما عليه الامة مجمعون من تصييرهم باقى تركة الميت مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها منها لوالده أجمع قيل ليس الامر فى ذلك كالذى ظننت وانما لكل واحد من أبوى الميت السدس من تركته مع ولده ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فريضة من الله له مسماة فان زيد على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة اذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة فانما زيدها ثانيا لقرب عصبة الميت اليه اذ كان حكم كل ما أبقته سهام الفرائض فلاولى عصبة الميت وأقربهم اليه بحكم ذلك لها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاب أقرب عصبة ابنه وأولاها به اذا لم يكن لابنه الميت ابن

❁ القول فى تأويل قوله (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) يعنى جل ثناؤه بقوله فان لم يكن له فان لم يكن للميت ولد

بصيرا [illegible]

من البسائط والمركبات ويقولون ماخلقت هذا باطلا أى خلقته اظهارا للحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا بأعد عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك فهما كل الخزى والندامة والغواية والضلالة ثم أخبر عن شرط العبودية فى استجلاب فضل الربوبية ربنا اننا سمعنا من هاتف الحق فى الغيب بالسمع الحقيقى مناديا فاغفر لنا ذنوبنا أى كما أسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعى منا قبل أن تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا أضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر أو أنثى على قدر هممكم وحولكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة وأخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلى صفات الربوبية وأوذوا فى طلبى بأنواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لا كفرن عنهم سيئات وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجرى من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند الجنة وغيرها وان من أهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله الذى دخل قلبه ويؤمن بما أنزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما أنزل اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى لشىء خضع له لا يشترون لما أوتوا من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاء آت ورابطوا الارواح بالوصول بالله واتقوا الله فى الالتفات الى ماسواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر

دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (سورة النساء مدنية حروفها ١٦٠٣٠ وكلامها ٣٧٤٥ آياتها مائة وست وسبعون)
(بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى (١٧٣) أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا
تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه
كان حوبا كبيرا وان خفتم أن لا
تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا
فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك
أدنى أن لا تعولوا وآتوا النساء
صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن
شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي
جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها
واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا
وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح
فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم
أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا
أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا
دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم
وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما
ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا واذا
حضر القسمة أولوا القربى واليتامى
والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم
قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان
الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما
انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا) القراآت تساءلون خفيفا
بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي
وخلف عباس مخير الباقون
بالتشديد أي بادغام تاء التفاعل
في السين والارحام بالجر حمزة الباقون
بالنصب ما طاب بالامالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على أيهما وقف واذا
انفرد هنيئا همزها كل القرآن يزيد قيما ابن عامر ونافع الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلي وخلف لنفسه
وقتيبة على أصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها * الوقوف ونساء ج * لان الجملتين وان اتفقتا الا انه

ذكرا أو أنثى وورثه أبواه دون غيرهما من ولد ووارث فلامه الثلث يقول فلامه من تركته وما خلف
بعده ثلث جميع ذلك فان قال قائل فمن الذي له الثلثان الآخران قيل له الاب فان قال قائل بماذا قلت
بانه أقرب أهل الميت اليه ولذلك ترك ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان اذ كان قد بين على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباده ان كل ميت فاقرب عصبته به أولى بميراثه بعد اعطاء ذوي السهام
المفروضة سهامهم من ميراثه وهذه العلة هي العلة التي من أجلها سمي للام ما سمي لها اذا لم يكن الميت
خلف وارثا غير أبويه لان الام ليست بعصبة في حال للميت فبين الله جل ثناؤه لعباده ما فرض لها من
ميراث ولدها الميت وترك ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها اذ كان قد عرفهم في جملة بيانه لهم من
له بقايا تركة الاموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم وكان بيانه ذلك معينا لهم على تكرير
حكمه مع كل من قسم له حقا من ميراث ميت وسمى له منه سهما ۞ القول في تأويل قوله جل ذكره (فان
كان له اخوة فلامه السدس) ان قال قائل وما المعنى الذي من أجله ذكر حكم الابوين مع الاخوة وترك
ذكر حكمهما مع الاخ الواحد قلت اختلاف حكمهما مع الاخوة الجماعة والاخ الواحد فكان في ابانة
الله جل ثناؤه لعباده حكمهما فيما يرثان من ولدهما الميت مع اخوته غنى وكفاية عن ان حكمهما
فيما ورثاه منه غير متغير عما كان لهما ولا أخ للميت ولا وارث غيرهما اذ كان معلوما عندهم ان كل
مستحق حقا بقضاء الله ذلك له لا ينتقل حقه الذي قضى به له ربه جل ثناؤه عما قضى به له الى غيره الا
بنقل الله ذلك عنه الى من نقله اليه من خلقه فكان في فرضه تعالى ذكره للام ما فرض اذا لم يكن
لولدها الميت وارث غيرها وغير والده ولا أخ الدلالة الواضحة للخلق ان ذلك المفروض هو ثلث مال
ولدها الميت حق لها واجب حتى يغير ذلك الفرض من فرض لها فلما غير تعالى ذكره ما فرض لها من
ذلك مع الاخوة الجماعة وترك تغييره مع الاخ الواحد علم بذلك ان فرضها غير متغير عما فرض لها الا في
الحال التي غيره فيها من لزم العباد طاعته دون غيرها من الاحوال ثم اختلف أهل التأويل في عدد
الاخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله فان كان له اخوة فقال جماعة أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من علماء أهل الاسلام في كل زمان عنى الله جل ثناؤه
بقوله فان كان له اخوة فلامه السدس اثنين كان الاخوة أو أكثر منهما انثيين كانا أو كن اناثا أو ذكرين
كانا أو كانوا ذكورا وان كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى واعتل كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قالته
الامة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضا قطع
العذر مجيئه ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقول
بل عنى الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة جماعة أقلها ثلاثة وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه
حجب الام عن ثلثها مع الاب باقل من ثلاثة اخوة فكان يقول في أبوين وأخوين للام الثلث وما بقي
فللاب كما قال أهل العلم في أبوين وأخ واحد ذكر الرواية عنه بذلك حدثني محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم قال ثنا ابن أبي فديك قال ثني ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس
انه دخل على عثمان رضي الله عنه فقال لم صار الاخوان يردان الام الى السدس وانما قال الله فان كان له
اخوة والاخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا باخوة فقال عثمان رضي الله عنه هل أستطيع
نقض أمر كان قبلي وتوارثه الناس ومضى في الامصار قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي
ان المعنى بقوله فان كان له اخوة اثنان من اخوة الميت فصاعدا على ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه

اعلويضت المعطوفات والارحام ط رقيبا ه بالطيب ص الى أموالكم ط كبيرا ه ورباع ج ايمانكم ط أن لاتعولوا ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لان المشروط خارج عن أصل الموجب مريئا ه معروفا ه النكاح ج أموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف ج بالمعروف ط للعود الى حل الموجب بعد وقوع العارض عليهم ط حسيبا ه والاقربون الاول

وسلم دون ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما لنقل الامة وراثة صحة ما قالوه من ذلك عن الحجة وانكارهم ما قاله ابن عباس فى ذلك فان قال قائل وكيف قيل فى الاخوين اخوة وقد علمت أن الاخوين فى منطق العرب مثال لا يشبه مثال الاخوة فى منطقها قيل ان ذلك وان كان كذلك فان من شأنها التأليف بين الكلامين بتقارب معنييهما وان اختلفا فى بعض وجوههما فلما كان ذلك كذلك وكان مستفيضا فى منطقها منتشرا مستعملا فى كلامها ضربت من عبد الله وعمرو رؤسهما وأوجعت منهما ظهورهما وكان ذلك أشد استفاضة فى منطقها من أن يقال أوجعت منهما ظهرهما وان كان مقولا أوجعت ظهرهما كما قال الفرزدق

بما فى فؤادينا من الشوق والهوى ✻ فيبرأ منهاض الفؤاد المشغف

غير ان ذلك وان كان مقولا فأفصح منه بما فى أفئدتنا كما قال جل ثناؤه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فلما كان ما وصفت من اخراج كل ما كان فى الانسان واحدا اذا ضم الى الواحد منه آخر من انسان آخر فصار اثنين من اثنين بلفظ الجمع أفصح فى منطقها وأشهر فى كلامها وكان الاخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان فى الانسان من أعضائه واحدا لا ثانى له فأخرج أنثيهما بلفظ أنثى العضوين اللذين وصفت فقيل اخوة فى معنى الاخوين كما قيل ظهور فى معنى الظهرين وأفواه فى معنى فوين وقلوب فى معنى قلبين وقد قال بعض النحويين انما قيل اخوة لان أقل الجمع اثنان وذلك ان ذلك ضم شئ الى شئ صارا جميعا بعد اذ كانا فردين فجمعا ليعلم أن الاثنين جمع وهذا وان كان كذلك فى المعنى فليس بعلة تنبئ عن جواز اخراج ما قد جرى الكلام مستعملا مستفيضا على ألسن العرب لاثنيه بمثال وصورة غير مثال ثلاثة فصاعدا منه وصورتها لان من قال أخواك قاما فلا شك انه قد علم أن كل واحد من الاخوين فرد ضم أحدهما الى الآخر فصارا جميعا بعد ان كانا شتى غير ان الامر وان كان كذلك فلا تستجيز العرب فى كلامها أن يقال أخواك قاموا فيخرج قولهم قاموا وهو لفظ للخبر عن الجميع خبرا عن الاخوين وهما بلفظ الاثنين لان لكل ما جرى به الكلام على ألسنتهم معروفا عندهم بمثال وصورة اذا غيره بغيره ما قد عرفوه فيهم أنكروه فكذلك الاخوان وان كانا مجموعين ضم أحدهما الى صاحبه فلهما مثال فى المنطق وصورة غير مثال الثلاثة منهم فصاعدا وصورتهم فغير جائز أن يغير أحدهما الى الآخر الا بمعنى مفهوم واذ كان ذلك كذلك فالقول أولى بالصحة مما قلنا قبل فان قال قائل ولم نقصت الام عن ثلثها بمصير اخوة الميت معها اثنين فصاعدا قيل اختلفت العلماء فى ذلك فقال بعضهم نقصت الام عن ذلك وردته الام لان على الاب مؤنتهم دون أمهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس أضروا الام ولا يرثون ولا يحجبها الاخ الواحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك وكان أهل العلم يرون انهم انما حجبوا أمهم من الثلث لان أباهم يلى نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم وقال آخرون بل نقصت الام السدس وقصرت على سدس واحد معونة لاخوة الميت بالسدس الذى حجبوا أمهم عنه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال السدس الذى حجبته الاخوة الام لهم انما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أمهم وقد روى عن ابن عباس خلاف هذا القول وذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن عيينة عن

عمرو

ص أو كثر ط بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا ه خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ط سعيرا ه ✻ التفسير لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطيف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وحفظ أموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلاة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التى يناط بها اصلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن أن فيه سورتين صدرهما يا أيها الناس احداهما فى النصف الاول وهى الرابعة من سورة والاخرى فى النصف الثانى وهى أيضا الرابعة من سوره ثم التى فى النصف الاول مصدرة بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذى خلقكم والتى فى النصف الثانى مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة أما القيد الاول وهو أنه خلقنا فلا شك أنه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هى العبودية ومن شان العبد امتثال أمر مولاه فى كل ما يامره وينهاه وأيضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على أن مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة أخرى منه وأما القيد الثانى وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما أوجب علينا الطاعة لان خلق أشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير أشكالهم وتباين أمزجتهم واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة أو العلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم فى هذا القيد فوائد أخر منها انه يامر عقيبه

عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة لا ولد له ولا والد قال أبو جعفر وأولى ذلك بالصواب أن يقال في ذلك ان الله تعالى ذكره فرض للام مع الاخوة السدس لما هو اعلم به من مصلحة خلقه وقد يجوز أن يكون ذلك كان لما ألزم الآباء لاولادهم وقد يجوز أن يكون ذلك لغير ذلك وليس ذلك مما كلفنا علمه وانما أمرنا بالعمل بما علمنا وأما الذي روى عن طاوس عن ابن عباس فقول لما عليه الامة مخالف وذلك انه لا خلاف بين الجميع أن لا ميراث لاخي ميت مع والده فكفى اجماعهم على خلافه شاهدا على فساده ۞ القول في تاويل قوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) يعني جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصي بها أو دين ان الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والاناث ولابويه من تركته من بعد وفاته انما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها بعد قضاء دينه كله فلم يجعل تعالى ذكره لاحد من ورثة الميت ولا لاحد ممن أوصى له بشيء الا من بعد قضاء دينه من جميع تركته وان أحاط بجميع ذلك ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه فان جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في اجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو رده الى ورثته ان أحبوا أجاز والزيادة على ثلث ذلك وان شاؤا ردوه فاما ما كان من ذلك الى الثلث فهو ماض عليهم وعلى كل ما قلنا من ذلك الامة مجمعة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبر وهو ما حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن علي رضي الله عنه قال انكم تقرؤن هذه الآية من بعد وصية يوصي بها أو دين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا زكرياء بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضوان الله عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبي اسحق عن الحرث عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن ابن مجاهد عن أبيه من بعد وصية يوصي بها أو دين قال يبدأ بالدين قبل الوصية واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق يوصي بها أو دين وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة يوصى بها على معنى ما لم يسم فاعله قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك من بعد وصية يوصي بها أو دين على مذهب ما قد سمي فاعله لان الآية كلها خبر عمن قد سمي فاعله ألا ترى أنه يقول ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فكذلك الذي هو أولى بقوله يوصي بها أو دين أن يكون خبرا عمن قد سمي فاعله لان تاويل الكلام ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد من بعد وصية يوصي بها أو دين يقضى عنه ۞ القول في تاويل قوله (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) يعني جل ثناؤه بقوله آباؤكم وأبناؤكم هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم من قسم ميراث ميتكم فيهم على ما سمى لكم وبينه في هذه الآية آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذي أوصيتكم ان تعطوهموها فانكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعا لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم واختلف أهل التأويل في تاويل قوله لا تدرون فقال بعضهم يعني بذلك أيهم أقرب لكم نفعا في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله آباؤكم وأبناؤكم

بالاحسان الى اليتامى والتسوان وكونهم متفرعين من أصل واحد وأزواجهم واحدة أعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة وأظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر أمر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا وأجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا هو آدم عليه السلام والتانيث في الوصف نظرا الى لفظة النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وقال أبو مسلم وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره أبو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبائعيين بالآية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة أن يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف أي أنشاها وخلق منها أو معطوف على خلقكم والخطاب للذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي خلقكم من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر أقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا التكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو والا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب أن يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل

لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة يوم القيامة لان الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم في بعض وقال آخرون معنى ذلك لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال بعضهم في نفع الآخرة وقال بعضهم في نفع الدنيا وقال آخرون في ذلك بما قلنا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أيهم خير لكم في الدين والدنيا الوالد أو الولد الذين يرثونكم لم يدخل عليكم غيرهم فرضى لهم المواريث لم يأت بآخرين يشركونهم في أموالكم ۞ القول في تاويل قوله (فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما) يعني بقوله جل ثناؤه فريضة من الله وان كان له اخوة فلامه السدس فريضة يقول سهاما معلومة موقتة بينها الله لهم ونصب قوله فريضة على المصدر من قوله يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فريضة فاخرج فريضة من معنى الكلام اذ كان معناه ما وصفت وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس فريضة فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس كما تقول هو لك هبة وهو لك صدقة عليك وأما قوله ان الله كان عليما حكيما فانه يعني جل ثناؤه ان الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه أيها الناس فانتهوا الى ما يأمركم يصلح لكم أموركم حكيما يقول لم يزل ذا حكمة في تدبيره وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض وفيما يقضي بينكم من الاحكام لا يدخل حكمه خلل ولا زلل لانه قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة ۞ القول في تاويل قوله (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين) يعني بذلك جل ثناؤه ولكم أيها الناس نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن من مال وميراث ان لم يكن لهن ولد يوم يحدث لهن الموت لا ذكر ولا أنثى فان كان لهن ولد أي فان كان لازواجكم يوم يحدث لهن الموت ولد ذكر أو أنثى فلكم الربع مما تركن من مال وميراث ميراثا لكم عنهن من بعد وصية يوصين بها أو دين يقول ذلكم لكم ميراثا عنهن مما يبقى من تركاتهن وأموالهن من بعد قضاء ديونهن التي يمتن وهي عليهن ومن بعد انفاذ وصاياهن الجائزة ان كن أوصين بها ۞ القول في تاويل قوله (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) يعني جل ثناؤه بقوله ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ولازواجكم أيها الناس ربع ما تركتم بعد وفاتكم من مال وميراث ان حدث باحدكم حدث الوفاة ولا ولد له ذكر ولا أنثى فان كان لكم ولد يقول فان حدث باحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى واحدا كان الولد أو جماعة فلهن الثمن مما تركتم يقول فلازواجكم حينئذ من أموالكم وتركتكم التي تخلفونها بعد وفاتكم الثمن من بعد قضاء ديونكم التي حدث بكم حدث الوفاة وهي عليكم ومن بعد انفاذ وصاياكم الجائزة التي توصون بها وانما قيل من بعد وصية توصون بها أو دين فقدم ذكر الوصية على ذكر الدين لان معنى الكلام ان الذي فرضت لمن فرضت له منكم في هذه الآيات انما هو له من بعد اخراج أي هذين كان في مال الميت منكم من وصية أو دين فلذلك كان سواء تقدم ذكر الوصية قبل ذكر الدين

والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى أعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم (١٧٦) كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما أولادهما ومن أولادهما جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فللعطف على اسم الله أي واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار أكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله * فلسنا بالجبال ولا الحديدا * وهو اختيار أبي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء أي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة أخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي عنه هو الحلف بالآباء وههنا حلف أولا بالله ثم قرن به الرحم فاين أحدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم أيضا منهي عنه لكن لا نسلم انه نهي عنه مطلقا وانما المنهي عنه ما حلف على سبيل التعظيم وأما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء في الحديث أفلح وأبيه ان صدق سلمنا انه منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتسءل وهو سؤال البعض البعض أسألك بالله وبالرحم وأنشدك الله والرحم وقرئ وتقديم

وتقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية لانه لم يرد من معنى ذلك اخراج أحد الشيئين الدين والوصية من ماله فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية ۞ القول في تاويل قوله (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) يعني بذلك جل ثناؤه وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء أهل الاسلام وان كان رجل يورث كلالة يعني وان كان رجل يورث متكال النسب فالكلالة على هذا القول مصدر من قولهم تكالله النسب تكالا وكلالة بمعنى يعطف عليه النسب وقرأه بعضهم وان كان رجل يورث كلالة بمعنى وان كان رجل يورث من يتكالله بمعنى من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت واختلف أهل التأويل في الكلالة فقال بعضهم هي ماخلا الوالد والولد ذكر من قال ذلك حدثنا الوليد بن شجاع السكوني قال ثني علي بن مسهر عن عاصم عن الشعبي قال قال أبو بكر رضي الله عنه اني قد رأيت في الكلالة رأيا فان كان صوابا فمن الله وحده لاشريك له وان يكن خطأ فمني والشيطان والله منه بريء ان الكلالة ماخلا الولد والوالد فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال اني لاستحي من الله تبارك وتعالى ان أخالف أبا بكر في رأي رآه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عاصم الاحول قال ثنا الشعبي ان أبا بكر رضي الله عنه قال في الكلالة أقول فيها برأي فان كان صوابا فمن الله هو مادون الولد والوالد قال فلما كان عمر رضي الله عنه قال اني لاستحي من الله ان أخالف أبا بكر حدثنا أبو بشر بن عبد الاعلى قال أخبرنا سفيان عن عاصم الاحول عن الشعبي ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قالا الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن عمران بن حدير عن السميط قال كان عمر رجلا يسر فخرج يوما وهو يقول بيده هكذا يديرها الا أنه قال أتى علي حين ولست أدري ما الكلالة ألا وان الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن عامر عن أبي بكر قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدث عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن الحنفية عن ابن عباس قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن سليم بن عبد عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سليم بن عبد السلولي عن ابن عباس قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قال الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد اتفقوا انه من مات ولم يدع ولدا ولا والدا انه كلالة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق بن يوسف عن شريك عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد أجمعوا أن الكلالة الذي ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال أدركتهم وهم يقولون اذا لم يدع الرجل ولدا ولا والدا ورث كلالة حدثنا

والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف أي والارحام كذلك أي انها مما يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال أولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا أما تكرار الامر فللتأكيد كقولك للرجل عجل عجل وأما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكأنه قيل انه ربك وأحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء في الآية دليل على جواز المسئلة بالله وروى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الآية من تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة ثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها اذا هذا بنى أصحاب أبي حنيفة على هذا الاصل مسئلتين احداهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لايجوز الرجوع فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع أعمالكم فيجازيكم

بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى أموالهم وأصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه فى عرف الشرع اختص بالذى لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم (١٧٨) والمراد انه اذا احتلم لا يجرى عليه أحكام الصغار لانه فى تحصيل مصالحه يستغنى بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بأمره فان قيل اذا كان اسم اليتيم فى الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون يتيما لا يجوز دفع أمواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى أموالهم ففى الجواب طريقان أحدهما ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقى السحرة ساجدين أى الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة فى نفسها ولا تستأمر الا وهى بالغة وعلى هذا يكون فى الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يماطلوا ان أونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما رواه مقاتل والكلبى انها نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثانى ان المراد بهم الصغار أى الذين هم يتامى فى الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم أموالهم وآتوهم من أموالهم ما يحتاجون اليه

بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة والكلالة الذى لا ولد له ولا والد لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابنة فهؤلاء الاخوة من الام حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم قال فى الكلالة ما دون الولد والوالد حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة كل من لا يرثه والد ولا ولد وكل من لا ولد له ولا والد فهو يورث كلالة من رجالهم ونسائهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والزهرى وأبى اسحق قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن محمد عن معمر عن الزهرى وقتادة وأبى اسحق مثله * وقال آخرون الكلالة ما دون الولد وهذا قول عن ابن عباس وهو الخبر الذى ذكرناه قبل من رواية طاوس عنه انه ورث الاخوة من الام السدس مع الابوين وقال آخرون الكلالة ما خلا الوالد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة قال سألت الحكم عن الكلالة قال فهو ما دون الاب واختلف أهل العربية فى الناصب الكلالة * فقال بعض البصريين ان شئت نصبت كلالة خبر كان وجعلت يورث من صفة لرجل وان شئت جعلت كان تستغنى عن الخبر نحو وقع وجعلت نصب كلالة على الحال أى يورث كلالة كما يقال يضرب قائما وقال بعضهم قوله كلالة خبر كان لا يكون الموروث كلالة وانما الموروث الكلالة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن الكلالة منصوب على الخروج من قوله يورث وخبر كان يورث والكلالة وان كانت منصوبة بالخروج من يورث فليست منصوبة على الحال ولكن على المصدر من معنى الكلام لان معنى الكلام وان كان رجل يورث متكلله النسب كلالة ثم ترك ذكر متكلله اكتفاء بدلالة قوله يورث عليه واختلف أهل العلم فى المسمى كلالة فقال بعضهم الكلالة الموروث وهو الميت نفسه سمى بذلك اذا ورثه غير والده وولده ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى الكلالة قال الذى لا يدع والدا ولا ولدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن سليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر رضى الله عنه فسمعته يقول ما قلت وما قلت قال الكلالة من لا ولد له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن سليمان بن عبد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد وقال آخرون الكلالة هى الورثة الذين يرثون الميت اذا كانوا اخوة أو أخوات أو غيرهم اذا لم يكونوا ولدا ولا والدا على ما قد ذكرنا من اختلافهم فى ذلك وقال آخرون بل الكلالة الميت والحى جميعا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة الميت الذى لا ولد له ولا والد والحى كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله هؤلاء وهو أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده وذلك لصحة الخبر الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله انما يرثنى كلالة فكيف بالميراث وبما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمرو بن سعيد قال كنا مع حميد بن عبد الرحمن فى سوق الرقيق قال فقام من عندنا ثم رجع فقال هذا آخر ثلاثة من بنى سعد حدثونى هذا الحديث قالوا مرض سعد بمكة مرضا شديدا قال فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله لى مال كثير وليس لى وارث الا كلالة فأوصى بمالى كله فقال لا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا اسحق

ابن

لنفقتهم وكسوتهم ثم والخطاب للأولياء والأوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج أي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار أو لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى والاعتزال عنها حتى تتلف بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردىء قال صاحب الكشاف هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد ان الباء في بدل تدخل على المأخوذ وفي تبدل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه بأنه لعله يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون الباء في موضعه وقيل معنى الآية ان يأكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم منضمة الى أموالكم في الانفاق تسوية بين المالين في الحل انه أي الاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى أموالكم وأكل أموال اليتامى محرم على الاطلاق فزيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم أحرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم وان خفتم ألا تقسطوا أقسط الرجل عدل وقسط جار وقال الزجاج أصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من قولهم قاسطته فقسطته أي غلبته على قسطه واذا قالوا أقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل أنصف اذا أتى بالنصف فيلزمه العدل لتوالتسوية واعلم ان قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فقالت

ابن سويد عن العلاء بن زياد قال جاء شيخ الى عمر رضي الله عنه فقال اني شيخ وليس لي وارث الا كلالة اعراب متراخين أفأوصي بثلث مالي قال لا فقد أنبأت هذه الاخبار عن صحة ما قلنا من معنى الكلالة وانها ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده ❁ القول في تأويل قوله (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) يعني بقوله جل ثناؤه وله أخ أو أخت وللرجل الذي يورث كلالة أخ أو أخت يعني أخا أو أختا من أمه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن سعد انه كان يقرأ وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لامه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت القاسم بن ربيعة يقول قرأت على سعد وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لامه حدثني محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة بن عائذ قال قرأت على سعد فذكر نحوه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد بن أبي وقاص قرأ وان كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام ان كان واحدا فله السدس وان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام فهم شركاء في الثلث سواء الذكر والانثى وقوله فلكل واحد منهما السدس اذا انفرد الاخ وحده أو الاخت وحدها ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لامه فان اجتمع أخ وأخت أو أخوان لا ثالث معهما لامهما أو أختان كذلك أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لامهما السدس وان كانوا أكثر من ذلك يعني فان كان الاخوة والاخوات لام الميت المورث كلالة أكثر من اثنين فهم شركاء في الثلث يقول فالثلث الذي فرضت لاثنيهم اذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثا لهما من أخيهما الميت المورث كلالة شركة بينهم اذا كانوا أكثر من اثنين الى ما بلغ عددهم على عدد رؤسهم لا يفضل ذكرهم على أنثى في ذلك ولكنه بينهم بالسوية * فان قال قائل وكيف قيل وله أخ أو أخت ولم يقل لهما أخ أو أخت وقد ذكر مثل ذلك رجل أو امرأة فقيل وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قيل ان من شأن العرب اذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر فعطفت باحدهما على الآخر بأو ثم أتت بالخبر أضافت الخبر اليهما أحيانا وأحيانا الى أحدهما واذا أضافت الى أحدهما كان سواء عندها اضافة ذلك الى أي الاسمين الذين ذكرتهما اضافته فتقول من كان عنده غلام أو جارية فليحسن اليه يعني فليحسن الى الغلام وفليحسن اليها يعني فليحسن الى الجارية وفليحسن اليهما وأما قوله فلكل واحد منهما السدس وقد تقدم ذكر الاخ والاخت بعطف أحدهما على الآخر والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما في قوله وله أخ أو أخت فان ذلك انما جاز لان معنى الكلام ولكل واحد من المذكورين السدس ❁ القول في تأويل قوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) يعني جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصى بها أي هذا الذي فرضت لاخي الميت المورث كلالة وأخته أو اخوته وأخواته من ميراثه وتركته انما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذي كان عليه يوم

حدث به حدث الموت من تركته وبعد انفاذ وصاياه الجائزة التي يوصي بها في حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من بعد وصية يوصى بها أو دين والدين أحق ما بدئ به من جميع المال فيؤدى عن أمانة الميت ثم الوصية ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم وأما قوله غير مضار فانه يعني تعالى ذكره من بعد وصية يوصي بها غير مضار ورثته في ميراثهم عنه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله غير مضار قال في ميراث أهله حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله غير مضار قال في ميراث أبيه حدثنا بشر بن معاذ قال ثني يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله غير مضار وصية من الله ان الله تبارك وتعالى كره الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه فلا تصلح مضارة في حياة ولا موت حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا عبيدة بن حميد وثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية جميعا عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية غير مضار وصية من الله والله عليم حليم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الحيف في الوصية من الكبائر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الاعلى قالا ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار والحيف في الوصية من الكبائر حدثني موسى بن سهل الرملي قال ثنا اسحق بن ابراهيم أبو النصر قال ثنا عمرو بن المغيرة قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو عمرو التيمي عن أبي الضحى قال دخلت مع مسروق على مريض فاذا هو يوصي قال فقال له مسروق اعدل لا تضلل ونصبت غير مضار على الخروج من قوله يوصي بها وأما قوله وصية فان نصبه من قوله يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وسائر ما أوصى به في الاثنين ثم قال وصية من الله مصدرا من قوله يوصيكم وقد قال بعض أهل العربية ذلك منصوب من قوله فلكل واحد منهما السدس وصية من الله وقال هو مثل قولك لك درهمان نفقة الى أهلك والذي قلناه بالصواب أولى لان الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمة المواريث في هاتين الآيتين بقوله يوصيكم الله ثم ختم ذلك بقوله وصية من الله أخبر أن جميع ذلك وصية منه به عباده فنصب قوله وصية على المصدر من قوله يوصيكم أولى من نصبه على التفسير من قوله فلكل واحد منهما السدس لما ذكرنا ويعني بقوله تعالى ذكره وصية من الله عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم والله عليم يقول والله ذو علم بمصالح خلقه ومضارهم ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وانسابه من ميراثه ومن يحرم ذلك منهم ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسما وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم حليم يقول ذو حلم على خلقه وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضا في اعطائهم الميراث لاهل الجلد والقوة من ولد الميت وأهل الغناء والباس منهم دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وانائهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم

يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا أنه يريد أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها أو يدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وان خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت (۱۸۰) عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله تعالى يستفتونك في النساء الآية فقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله وان خفتم أن لا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة أخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة وما في أكل أموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء لحوق الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج وأكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنا أيضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روي عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا أنفق مال نفسه على النسوة أخذ في انفاق أموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم أن تظلموا اليتامى بأكل أموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم أن تنكحوا أكثر من أربع لئلا يلحقكم هذا الخوف فان خفتم في الاربع أيضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع

العظيم) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تلك حدود الله فقال بعضهم يعني به تلك شروط الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي تلك حدود الله يقول شروط الله وقال آخرون بل معنى ذلك تلك طاعة الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تلك حدود الله يعني طاعة الله يعني المواريث التي سمى الله وقال آخرون معنى ذلك تلك سنة الله وأمره وقال آخرون بل معنى ذلك تلك فرائض الله * قال أبو جعفر وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما نحن مبينوه وهو أن حد كل شيء ما فصل بينه وبين غيره ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الأرضين حدود لفصولها بين ما حدبها وبين غيره فكذلك قوله تلك حدود الله معناه هذه القسمة التي قسمها لكم ربكم والفرائض التي فرضها الأحياء منكم من موتاكم في هذه الآية على ما فرض وبين في هاتين الآيتين حدود الله يعني فصول ما بين طاعة الله ومعصيته في قسمكم مواريث موتاكم كما قال ابن عباس وإنما ترك طاعة الله والمعنى بذلك حدود طاعة الله اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قوله ومن يطع الله ورسوله الآية التي بعدها ومن يعص الله ورسوله فتأويل الآية إذا هذه القسمة التي قسم بينكم أيها الناس عليها مواريث موتاكم فصول فصل بها لكم بين طاعته ومعصيته وحدود لكم تنتهون إليها فلا تتعدوها فيعلم منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم وفيما نهاكم عنه منها ثم أخبر جل ثناؤه عما أعد لكل فريق منهم فقال لفريق أهل طاعته في ذلك ومن يطع الله ورسوله في العمل بما أمره به والانتهاء إلى ما حده له في قسمة المواريث وغيرها ويجتنب ما نهاه عنه في ذلك وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فقوله يدخله جنات يعني بساتين تجري من تحت غروسها وأشجارها الأنهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يفنون ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم يقول وإدخال الله إياهم الجنان التي وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعني الفلح العظيم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله الآية قال في شأن المواريث التي ذكر قبل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تلك حدود الله التي حد الله لخلقه وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة فانتهوا إليها ولا تعدوها إلى غيرها ۞ القول في تأويل قوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يعص الله ورسوله في العمل بما أمراه به من قسمة المواريث على ما أمراه بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من فرائض الله مخالفا أمرهما إلى ما نهياه عنه ويتعد حدوده يقول ويتجاوز فصول طاعته التي جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته إلى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثته وغير ذلك من حدوده يدخله نارا خالدا فيها يقول باقيا فيها أبدا لا يموت ولا يخرج منها أبدا وله عذاب مهين يعني وله عذاب مذل من عذب به مخزى له وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده الآية في شأن المواريث التي ذكر قبل قال ابن جريج ومن يعص الله ورسوله قال من أصاب من الذنوب ما يعذب الله

والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينه أي كأنه قيل إن خفتم الأربع فثلاثا وإن خفتم فاثنتين وإن خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الأمر للوجوب وعورض بقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بمخافة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على الإطلاق وأيضا الآية سيقت لبيان وجوب تقليل الأزواج لا لأصل الوجوب وإنما قال ما طاب ولم يقل من طاب لأنه أراد به الجنس تقول ما عندك فيقال رجل أو امرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك أو ما تلك الحقيقة ولأن الإناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله أو ما ملكت أيمانكم ولأن ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم أي ما حل لكم من النساء لأن فيهن من يحرم نكاحها كما سيجيء واعترض عليه الإمام بأن قوله فانكحوا أمر إباحة فيؤول المعنى إلى قوله أبحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمناه لكن الآية تصير مجملة لأن أسباب الحل والإباحة غير مذكورة في هذه الآية وإذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وإنه أولى من الإجمال عند التعارض لأن العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة أصلا والجواب عن الأول أن ذكر الشيء ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني أن قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم إذا كان إشارة إلى ما بقي بعد ما أخرجته آية التحريم فلا إجمال وأما قوله مثنى وثلاث ورباع ولم يوجد في كلام الفصحاء إلا هذه وأحاد وموحد وجوزوا إلى عشار ومعشر قياسا على قول الكميت ولم يستر يثوك حتى رميت * فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على أن فيها عدلا محققا وذلك أن فائدتها تقسيم أمر ذي أجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزأ جزأ وجاء في القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد أيضا التكرير عملا بالاستقراء وإلحاقا للفرد المتنازع فيه بالأعم

عليه * فان قال قائل أو يخلد فى النار من عصى الله ورسوله فى قسمة المواريث قيل نعم اذا جمع الى معصيتهما فى ذلك شكا فى ان الله فرض عليه ما فرض على عباده فى هاتين الآيتين أو علم ذلك فحاد الله ورسوله فى أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى تمام الآيتين أيورث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدو ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال استنكارا منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه واناث ولده ممن خالف الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم على ما قسمه فى كتابه وخالف حكمه فى ذلك وحكم رسوله استنكارا منه حكمهما كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين الذين فيهم نزلت وفى أشكالهم هذه الآية فهو من أهل الخلود فى النار لانه باستنكاره حكم الله فى تلك يصير بالله كافرا ومن ملة الاسلام خارجا ۞ القول فى تأويل قوله (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) يعنى بقوله جل ثناؤه واللاتى يأتين الفاحشة والنساء اللاتى يأتين بالزنا أى يزنين من نسائكم وهن محصنات ذوات أزواج أو غير ذوات أزواج فاستشهدوا عليهن أربعة منكم يقول فاستشهدوا عليهن بما أتين به من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم يعنى من المسلمين فان شهدوا عليهن فامسكوهن فى البيوت يقول فاحبسوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت يقول حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا يعنى أو يجعل الله لهن مما أتين به من الفاحشة مخرجا وطريقا الى النجاة مما أتين به من الفاحشة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى عن محمد بن يزيد قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت أمر بحبسهن فى البيوت حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم قال الزنا كان أمر بحبسهن حين يشهد عليهن أربعة حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا والسبيل الحد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الى أو يجعل الله لهن سبيلا فكانت المرأة اذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما فهذا سبيلهما الذى جعل الله لهما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فقد جعل الله لهن وهو الجلد والرجم حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واللاتى يأتين الفاحشة حتى بلغ أو يجعل الله لهن سبيلا فان هذا من قبل الحدود فكانا يؤذيان بالقول جميعا وبحبس المرأة ثم جعل الله لهن سبيلا فكان سبيل من أحصن جلد مائة ثم رمى بالحجارة وسبيل من لم يحصن جلد مائة ونفى سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح وعبد الله بن كثير الفاحشة الزنا والسبيل الحد الرجم والجلد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم الى أو يجعل الله لهن

سبيلا

ثلاث وبعد ثلاث مثلا غير مكرر ولفظا حكم بأن أصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا العدل والوصف فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان أصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين الى واحد ثم الى لفظ ثلاث أو مثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما فى الكشاف واذا جرى على ... فمحمول على البدل ... بعدم جريانه على المعارف ... الا فمعنى الآية فانكحوا ... ات لكم معدودات هذا العدد ... اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا ... فان خفتم أن لا تعدلوا بين ... الاعداد فواحدة فمن قرأ ... أراد فاختاروا أو انكحوا ... واحدة ومن قرأ بالرفع أراد ... واحدة وذروا الجمع رأسا ... الامر كله يدور مع العدل فأينما ... فعليكم به ثم قال أو ... لت أيمانكم فى السوى ... فى السهولة بين الحرة ... دة وبين ما شاء من الاماء ... أقل تبعة وأخف مؤنة من ... لا على المرء أكثرهن أو أقل ... بينهن فى القسم أم لم يعدل ... بين أم لم يعزل ولما كانت ... ية بينها وبينهن احتج بها ... فى بيان ان نوافل العبادات ... ن النكاح وذلك للاجماع ... الاشتغال بالنوافل أفضل ... سرى فوجب أن يكون ... من النكاح لان الزائد على ... المتساويين يكون زائدا على ... الآخر ولمانع أن يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل أن يكون التسوية بينهما وقد يكون للمقاربة أى ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه فى دفع الحاجة الضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان أكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكن من النكاح الا باذن مولاه وأيضا انه قال بعد ذلك فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه

سبيلا هؤلاء اللاتى قد نكحن وأحصن اذا زنت المرأة فانها كانت تحبس فى البيت ويأخذ زوجها مهرها فهوله فذلك قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف حتى جاءت الحدود فنسختها فجلدت ورجمت وكان مهرها ميراثا فكان السبيل هو الجلد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول فى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد نسخ الحد هذه الآية حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد أو يجعل الله لهن سبيلا قال جلد مائة الفاعل والفاعلة حدثنا الرفاعى قال ثنا يحيى عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الجلد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى نكس رأسه ونكس أصحابه رؤسهم فلما سرى عنه رفع رأسه فقال قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر أما الثيب فتجلد ثم ترجم وأما البكر فتجلد ثم تنفى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن حطان بن عبد الله عن عبادة بن الصامت قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب تجلد مائة وترجم بالحجارة والبكر جلد مائة ونفى سنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله أخى بنى رقاش عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فلقى ذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة ثم نفى سنة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال يقول لا تنكحوهن حتى يتوفاهن الموت ولم يخرجهن من الاسلام ثم نسخ هذا وجعل السبيل التى ذكر أن يجعل لهن سبيلا قال فجعل السبيل اذا زنت وهى محصنة رجمت وجعل السبيل للبكر جلد مائة حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال الجلد والرجم حدثنا المثنى قال ثنا محمد بن أبى جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب تجلد وترجم والبكر تجلد وتنفى حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن اسمعيل بن مسلم البصرى عن الحسن عن عبادة بن الصامت قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذا احمر وجهه وكان يفعل ذلك اذا نزل عليه الوحى فأخذه كهيئة الغشى لما يجد من ثقل ذلك فلما أفاق قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكران يجلدان وينفيان سنة والثيبان يجلدان ويرجمان * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قول من قال السبيل التى جعلها الله جل ثناؤه للثيبين المحصنين الرجم بالحجارة وللبكرين جلد مائة ونفى سنة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ولم يجلد واجماع الحجة التى لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعة عليه الخطأ والسهو والكذب وصحة الخبر عنه انه قضى فى البكرين بجلد مائة ونفى سنة فكان فى الذى صح عنه من تركه

الخطابات وردت متتالية على نسق واحد فيجب أن يدخل التعقيب دفعى للاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا والعبد لا يأكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد أن يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الآية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الآية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا أجمعنا على ان الرق له تأثير فى نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب أن يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج بأى عدد أريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق فى جميع الاعداد لصحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافى ثبوت الحكم فى الباقى بل نقول ذكرها يدل على نفى الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تصريحا فى ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وأيضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيه على حصول الاذن فى جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن فى جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها وأما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد أمرنا باتباعه فى قوله فاتبعوه وأقل مراتب الامر الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتى فليس منى والمعتمد عند الجمهور فى جوابهم أمران أحدهما الخبر كنحو ما روى ان نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم امسك أربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب أو الرضاع وأقول ان القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وأيضا قوله امسك أربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا فى نظائر هذا الحديث وثانيهما الاجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب

اذا كان شاذا فلا يعبأ به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي أن يقال مثنى أو ثلاث (١٨٤) أو رباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ أن لا يجوز النكاح الا على أحد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالمثنية ولفريق ثان بالثلاث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو ذلك أدنى أن لا تعولوا أي اختيار الواحدة أو التسري أقرب من ان لا تميلوا أو لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه أن لا تفتقروا ورجل عائل أي فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه أن لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال أعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس أن لا تعيلوا وأيضا انه لا يناسب أول الآية وان خفتم أن لا تقسطوا وأيضا هب انه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى أشار الى الشيء بذكر لازمه أي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى أن لا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان حمل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار أولى وبتقدير التسليم

جلد من رجم من الزناة في عصره دليل واضح على وهي الخبر الذي روي عن الحسن عن حطان عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل للثيب المحصن الجلد والرجم وقد ذكر ان هذه الآية في قراءة عبد الله واللذي يأتين بالفاحشة من نسائكم والعرب تقول أتيت أمرا عظيما وبأمر عظيم وتكلمت بكلام قبيح وكلاما قبيحا ۞ القول في تأويل قوله (واللذان يأتيانها منكم) يعني جل ثناؤه بقوله واللذان يأتيانها منكم والرجل والمرأة اللذان يأتيانها يقول يأتيان الفاحشة والهاء والالف في قوله يأتيانها عائدة على الفاحشة التي في قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم والمعنى واللذان يأتيان منكم الفاحشة فآذوهما ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فقال بعضهم هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير اللاتي عنين بالآية قبلها وقالوا قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم معني به الثيبات المحصنات بالازواج وقوله واللذان يأتيانها منكم يعني به البكران غير المحصنين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ذكر الجواري والنساء اللذين لم ينكحوا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم البكران فآذوهما وقال آخرون بل عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان الزانيان ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجلان الفاعلان لا يكني حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واللذان يأتيانها منكم الزانيان وقال آخرون بل عني بذلك الرجل والمرأة الا انه لم يقصد به بكر دون ثيب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن عطاء واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجل والمرأة حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما جميعا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء وعبد الله بن كثير قوله واللذان يأتيانها منكم قال هذه للرجل والمرأة جميعا ۞ قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في تأويل قوله واللذان يأتيانها منكم قول من قال عني به البكران غير المحصنين اذا زنيا وكان أحدهما رجلا والآخر امرأة لانه لو كان مقصودا بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصودا بقوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم قصد البيان عن حكم الزواني لقيل والذين يأتونها منكم فآذوهم أو قيل والذي يأتيها منكم كما قيل في التي قبلها واللاتي يأتين الفاحشة فأخرج ذكرهن على الجمع ولم يقل واللتان يأتيان الفاحشة وكذلك تفعل العرب اذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه أخرجت اسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد وذلك ان الواحد يدل على جنسه ولا تخرجها بذكر اثنين فتقول الذين يفعلون كذا فلهم كذا والذي يفعل كذا فله كذا ولا تقول اللذان يفعلان كذا فلهما كذا الا أن يكون فعلا لا يكون الا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون الا من زان وزانية فاذا كان ذلك كذلك قيل بذكر الاثنين يراد بذلك الفاعل والمفعول به فأما ان يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه

مشتركين فكذلك مما يعرف في كلامها واذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من قال عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان وصحة قول من قال عني به الرجل والمرأة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم انهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهن في قوله واللاتي يأتين الفاحشة لان هاتين اثنتان وأولئك جماعة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهن سبيلا لانه أغلظ في العقوبة من الاذى الذي هو تعنيف وتوبيخ أو سب وتعيير كما كان السبيل التي جعلت لهن من الرجم أغلظ من السبيل التي جعلت للابكار من جلد المائة ونفي السنة ﴿ القول في تأويل قوله (فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) اختلف أهل التأويل في الاذى الذي كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتيان الفاحشة من قبل ان يجعل لهما سبيلا منه فقال بعضهم ذلك الاذى أذى بالقول واللسان كالتعيير والتوبيخ على ما أتيا من الفاحشة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآذوهما قال كانوا يؤذيان بالقول جميعا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الجارية والفتى اذا زنيا يعنفان ويعيران حتى يتركا ذلك وقال آخرون كان ذلك الاذى أذى باللسان غير انه كان سبا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فآذوهما سبا وقال آخرون بل كان ذلك الاذى باللسان واليد ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فكان الرجل اذا زنى أوذي بالتعيير وضرب بالنعال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين بأذى الزانيين المذكورين اذا أتيا ذلك وهما من أهل الاسلام والاذى قد يقع بكل مكروه نال الانسان من قول سيئ باللسان أو فعل وليس في الآية بيان ان ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الواحد ولا نقل الجماعة الموجب مجيئها قطع العذر وأهل التأويل في ذلك مختلفون وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد وجائز أن يكون كان أذى بهما وليس في العلم بان ذلك كان من أي نفع في دين ولا دنيا ولا في الجهل به مضرة اذ كان الله جل ثناؤه قد نسخ ذلك من حكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفي اللاتي قبلهما فاما الذي أوجب من الحكم عليهم فيهما فما أوجب في سورة النور بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وأما الذي أوجب في اللاتي قبلها فالرجم الذي قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما وأجمع أهل التأويل جميعا على ان الله تعالى ذكره قد جعل لاهل الفاحشة من الزناة والزواني سبيلا بالحدود التي حكم بها فيهم وقال جماعة من أهل التأويل ان الله سبحانه نسخ بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال كل ذلك نسخته الآية التي في النور بالحد المفروض حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية قال هذا نسخته الآية في سورة النور بالحد المفروض حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن

فتفسير الشافعي أيضا يؤل الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث أن الجواري اذا كثرت فسله أن يكلفهن الكسب فينفقن على أنفسهن وعلى مولاهن أيضا فكأنه لا عيال وأيضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكن مظان قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن أي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب الناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيأ ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيأ لك النافجة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك أي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وأمر بدفع الحق الى أهله وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل أن يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد أمروا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل أن يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد أي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى أن الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمى ذلك أو لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الموهوبة قال ويجوز أن يراد الوجهان جميعا أما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد أي شريعة وديانة فيكون مفعولا له أو حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي أي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيأ لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل

منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشترك بين الزوجين ثم أمر الزوج بأن يؤتى الزوجة المهر وكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما أمرهم بايتاء الصدقات أباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن لا أنهن أنفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق أو المذكور في قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون أن يقول سمحن أو وهبن وفي قوله عن شئ منه دون أن يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعث لهن على تقليل الموهوب ولهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها أو أكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لانه لا يجوز هبة كل الصداق (١٨٦) اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شئ هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنئ ما يستلذه الآكل والمرئ ما تحمل عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المرئ لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل أصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنئ شفاء من الجرب وبالجملة فهو عبارة عن التحلل أو المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنئ مرئ وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء أو على انهما قاما مقام مصدريهما أى هنأ مرأ أو المراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة أعطت ثم أرادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم قال الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما أمر بايتاء اليتامى أموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا أوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فوردان الانسب ان لو قيل أموالهم وأجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل أنفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هذا المال شئ ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة أموال السفهاء الى أوليائهم ويحتمل أن يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة أدنى سبب وقيل خطاب للآباء نهاهم الله تعالى اذا كان أولادهم سفهاء أن يدفعوا أموالهم أو بعضها اليهم فعلى

عكرمة والحسن البصري قالا في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية نسخ ذلك بآية الجلد فقال الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فانزل الله بعد هذا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الآية جاءت الحدود فنسختها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عتبة بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول نسخ الحد هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فامسكوهن في البيوت الآية قال نسختها الحدود قوله واللذان يأتيانها منكم نسختها الحدود حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية ثم نسخ هذا وجعل السبيل لها اذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت وجعل السبيل للذكر جلد مائة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت قال نسختها الحدود وأما قوله فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما فانه يعني به جل ثناؤه فان تابا من الفاحشة التي أتيا فراجعا طاعة الله بينهما وأصلحا يقول وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما والعمل بما يرضي الله فاعرضوا عنهما يقول فاصفحوا عنهما وكفوا عنهما الاذى الذي كنت أمرتكم أن تؤذوهما به عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة ولا تؤذوهما بعد توبتهما وأما قوله ان الله كان توابا رحيما فانه يعني ان الله لم يزل راجعا لعبيده الى ما يحبون اذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته رحيما بهم يعني ذا رحمة ورأفة ۞ القول في تاويل قوله (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) يعني بقوله جل ثناؤه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما التوبة على الله لاحد من خلقه الا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ثم يتوبون من قريب يقول ما الله براجع لاحد من خلقه الى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه الا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منه الى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود الى مثله من قبل نزول الموت بهم وذلك هو القريب الذي ذكره الله تعالى ذكره فقال ثم يتوبون من قريب وبنحو ما قلنا فيه في تاويل ذلك قال أهل التأويل غير انهم اختلفوا في معنى قوله بجهالة فقال بعضهم في ذلك بنحو ما قلنا فيه وذهب الى ان عمله السوء هو الجهالة التي عناها ذكر من

قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شئ عصى به فهو جهالة عمدا كان أو غيره حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال كل من عمل بمعصية الله فذاك منه بجهل حتى يرجع عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة مادام يعصي الله فهو جاهل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل ابن غزوان عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال الجهال كل امرئ عمل شيئا من معاصي الله فهو جاهل أبدا حتى ينزع عنها وقرأ هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون وقرأ والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين قال من عصا الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال آخرون معنى قوله للذين يعملون السوء بجهالة يعملون ذلك على عمد منهم له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مجاهد يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد قال ثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد وقال آخرون معنى ذلك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا

هذا انكون اضافة الاموال اليهم تحقيقا والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب أجله يجب عليه أن يوصي بماله الى أمين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم وأجمعت الامة على أن لايحرم عليه ان يهب من أولاده الصغار ومن النسوان ماشاء من ماله وأجمعوا على انه يحرم على الولي أن يدفع الى السفهاء أموالهم وأيضا قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا هذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء وأقول لايبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة في أموالكم لاتفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية أو اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء أزواجا كن أو أمهات أو بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ماروى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة أطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الخفاف (١٨٧) العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يد له باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لاوزن لهم عند أهل الدين والعلم بصالح الدارين فيضع المال فيما لاينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لايحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان أحتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لاتؤكل ولاتشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لاحمد الا بفعال ولامجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان أدنتني فقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج أحدكم كان أول مايأكل دينه وربما رأوا رجلا في تشييع جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وقال بعض الحكماء من أضاع ماله فقد ضاد الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على أهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجذلة والبؤس مرزلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال أبو العتاهية أجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت * اليه ومال الناس حيث يميل وليس الغنى الا غنى زين الفتى * عشية يقرى أو غداة ينيل وقد اختلف أقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ماأحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال

الباقون خير الامور أوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين و يسلم من مذمة الحالين شعر

ومن كلفته النفس فوق كفافها * فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان مالم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث أمر بالكتاب والشهادة والرهان المقبوضة فمن أراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن أرادها لعينها فبالها من حسرة وندامة ثم انه سبحانه أمر بعد ذلك بثلاثة أشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم والمعنى اجعلوها مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها و يتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من أصول الاموال وصلبها فيأكلها الانفاق بل أمر بأن يجعل بعض أموالهم رزقا لهم واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب (١٨٨) المصلحة وكما يليق بحال أمثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل أن يقولوا اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك ما أنت أهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك و بارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فأما اليتيم فلا تقهر أي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج و بالجملة فكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون أموالهم فشرط في ذلك شرطين أحدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني و يدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قمرية أو يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند أبي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية ولها أمارتان أخريان الحيض أو الحبل ولطفل الكفار أمارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة وأما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا أذن له في البيع والشراء وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشراء بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشرا منه

الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الدنيا كلها جهالة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويلها انما التوبة على الله للذين يعملون السوء وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للاثم أو جاهلين بما أعد الله لاهلها وذلك انه غير موجود في كلام العرب تسمية العامد للشيء الجاهل به الا أن يكون معنيا به انه جاهل بقدر منفعته ومضرته فيقال هو به جاهل على معنى جهله بمعنى نفعه وضره فأما اذا كان عالما بقدر مبلغ نفعه وضره قاصدا اليه فغير جائز من غير قصده اليه أن يقال هو به جاهل لان الجاهل بالشيء هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه أو يعلمه فيشبه فاعله اذ كان خطأ ما فعله بالجاهل الذي يأتي الامر وهو به جاهل فيخطئ موضع الاصابة منه فيقال انه لجاهل به وان كان به عالما لاتيانه الامر الذي لا يأتي مثله الا أهل الجهل به وكذلك معنى قوله يعملون السوء بجهالة قيل فيهم يعملون السوء بجهالة وان أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله عامدين اتيانه مع معرفتهم بانه عليهم حرام لان تعلمهم ذلك كان من الافعال التي لا يأتي مثله الا من جهل عظيم عقاب الله عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة فقيل لمن أتاه وهو به عالم أتاه بجهالة بمعنى انه فعل فعل الجهال به لا انه كان به جاهلا وقد زعم بعض أهل العربية ان معناه انهم جهلوا كنه ما فيه من العقاب فلم يعلموه كعلم العالم وان علموه ذنبا فلذلك قيل يعملون السوء بجهالة ولو كان الامر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنه ما فيه وذلك انه جل ثناؤه قال انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب دون غيرهم فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوأ على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب توبة وذلك خلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان كل تائب عسى الله أن يتوب عليه وقوله باب التوبة مفتوح مالم تطلع الشمس من مغربها وخلاف قول الله عز وجل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا * القول في تأويل قوله (ثم يتوبون من قريب) اختلف أهل التأويل في معنى القريب في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك ثم يتوبون في صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثم يتوبون من قريب والقريب قبل الموت ما دام في صحته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب قال في الحياة والصحة وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل معاينة ملك الموت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي

وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيأ ليبيع او يشترى فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي يفسد ذلك يتم العقد ولو أراد وافد الزارع يختبر في أمر المزارع والانفاق على القوام بها والمحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في أمر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفأر ونحوها أشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لابد من مرتين وأكثر على ما يليق بالحال و يفيد غلبة الظن انه رشد نوعا من الرشد يختص بحاله لا الرشد من جميع الوجوه وعلى أكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لابد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على خديعته ثم ان أبا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لابد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن فرعون في قوله وما أمر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وأبو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك الخلاف فعند أصحاب أبي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند أبي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومصدران في موضع الحال أي مسرفين ومبادرين كبرهم أو مفعول لهما أي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد والامساك والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا أي أسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة أي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما يشتهون قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه وفي السين زيادة مبالغة كأنه طلب مزيد العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له أن ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له أن يأخذ قدر ما يحتاج اليه وبقدر أجرة عمله لان النهي في الآية عن الاسراف مشعر بان له أن يأكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم أما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا واني قد أنزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وأيضا قياسا على الساعي في أخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية ان له أن يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا أيسر قضاه وان مات ولم

أبي طلحة عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب والقريب فيما بينه وبين أن ينظر الى ملك الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن حدير قال قال أبو مجلز لا يزال الرجل في توبة حتى يعاين الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال القريب ما لم ينزل به آية من آيات الله تعالى وينزل به الموت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت فاذا تاب حين ينظر الى ملك الموت فليس له ذاك وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل الموت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن الضحاك ثم يتوبون من قريب قال كل شئ قبل الموت فهو قريب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة ثم يتوبون من قريب قال الدنيا كلها قريب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم يتوبون من قريب قبل الموت حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن أبي قلابة قال ذكر لنا أن ابليس لما لعن وانظر قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال تبارك وتعالى وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة قال كنا عند أنس بن مالك وثم أبو قلابة فحدث أبو قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فقال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم فقال الله تبارك وتعالى وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن أبي قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم الدين قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح قال وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح حدثني ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما رأى آدم أجوف قال وعزتك لا أخرج من جوفه ما دام فيه الروح فقال الله تبارك وتعالى وعزتي لا أحول بينه وبين التوبة ما دام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف

يشهد على القضاء فلا شيء عليه وأكثر العلماء على ان هذا الاقتراض انما يتحقق في أصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما وأما التناول من ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال وقال أبو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب أصحابنا انه لا يأخذه لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا أو فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وأجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وأجيب بان محل النزاع هو ان أكل الوصي مال اليتيم ظلم أولا قال وأن تقوموا لليتامى بالقسط وهو أيضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على أن الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط أن يشهد عليه لاظهار الامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال أبو حنيفة وأصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب ولانه أمين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفيره الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا كالشريب بمعنى الشارب وفيه تهديد للولي واليتيم أن يتصادقوا ولا يتكاذبوا والباء في بالله زائدة نظرا الى أصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان أوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك لي بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئا فدعاهما رسول الله فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكي عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعدها ان الفطام من المألوف شديد والتدرج في الامور دأب الحكيم وهكذا نزل الاحكام والتكاليف شيئا بعد شيء الى أن كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي مما قل منه أو كثر بدل مما ترك يتكرر العامل

عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال تأويله ثم يتوبون قبل مماتهم في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه وقبل أن يغلبوا على أنفسهم وعقولهم وقبل حال اشتغالهم بكرب الحشرجة وغم الغرغرة فلا يعرفوا أمر الله ونهيه ولا يعقلوا التوبة لان التوبة لا تكون توبة الا ممن ندم على ما سلف منه وعزم فيه على ترك المعاودة وهو يعقل الندم ويختار ترك المعاودة فاما اذا كان بكرب الموت مشغولا وبغم الحشرجة مغمورا فلا اخاله الا عن الندم على ذنوبه مغلوبا ولذلك قال من قال ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر العبد بنفسه فان كان المرء في تلك الحال يعقل عقل صحيح ويفهم فهم العاقل الاديب فاحدث انابة من ذنوبه ورجعة من شروده عن ربه الى طاعته كان ان شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين اليه من اجرامهم من قريب بقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ۞ القول في تأويل قوله (فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما) يعني بذلك جل ثناؤه فاولئك فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب يتوب الله عليهم دون من لم يتب حتى غلب على عقله وغمرته حشرجة ميتته فقال وهو لا يفقه ما يقول اني تبت الآن خداعا لربه ونفاقا في دينه ومعنى قوله يتوب الله عليهم يرزقهم انابة الى طاعته ويتقبل منهم أوبتهم اليه وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم وأما قوله وكان الله عليما حكيما فانه يعني ولم يزل الله جل ثناؤه عليما بالناس من عباده المنيبين اليه بالطاعة بعد ادبارهم عنه المقبلين اليه بعد التولي وبغير ذلك من أمور خلقه حكيم في توبته على من تاب منهم من معصيته وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره ولا يدخل أفعاله خلل ولا يخلطه خطأ ولا زلل ۞ القول في تأويل قوله (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) يعني بذلك جل ثناؤه وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الاصرار على معاصي الله حتى اذا حضر أحدهم الموت يقول اذا حشرج أحدهم بنفسه وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا اليه لقبض روحه قال وقد غلب على نفسه وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغرغرته اني تبت الآن يقول فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن يعلى بن نعمان قال أخبرني من سمع ابن عمر يقول التوبة مبسوطة ما لم يسق ثم قرأ ابن عمر وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ثم قال وهل الحضور الا السوق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات

ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص تقديره أعني نصيبا مقطوعا مقدرا لابد لهم أن يحوزوه أو على المصدر المؤكد كأنه قيل قسمة مفروضة

احتج بعض أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال وأولاد البنات لان الكل من الاقربين غاية ما في الباب ان مقدار انصبائهم غير مذكور ههنا الا أنا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد المقادير من سائر الدلائل وأجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا و بالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وأيضا الواجب عندهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وأيضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع أولاد آدم فيه فالمراد اذن أقرب الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدات والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه تعالى (١٩١) لما ذكر في الآية للنساء اسوة بالرجال في ان لهن حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث وفيهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة أولو القربى الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة بآية المواريث وعن أبي موسى الاشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ يستحب اذا كانت الورثة كبارا أما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول الولي اني لا أملك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما أن يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الموصي أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل أولو القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزه صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم أنهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم وأما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء أمروا بان يخشوا الله ويخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا أو أمروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد أي الصواب القصد هو أن لا يؤذوا اليتامى و يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالقول الجميل و يدعوهم بيابني و ياولدي وهذا القول أليق بما تقدم وتأخر من الآيات

السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذ تبين الموت فيه لم يقبل الله توبة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أحمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فليس لهذا عند الله توبة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت ابراهيم ابن ميمون يحدث عن رجل من بني الحرث قال ثنا رجل منا عن عبد الله بن عمر انه قال من تاب قبل موته بعام تيب عليه حتى ذكر شهرا حتى ذكر ساعة حتى ذكر فواقا قال فقال الرجل كيف يكون هذا والله تعالى يقول وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فقال عبد الله أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم قال كان يقال التوبة مبسوطة ما أخذ بكظمه واختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فقال بعضهم عني به أهل النفاق ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال نزلت الاولى في المؤمنين ونزلت الوسطى في المنافقين يعني وليست التوبة للذين يعملون السيئات والاخرى في الكفار يعني ولا الذين يموتون وهم كفار وقال آخرون بل عني بذلك أهل الاسلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال بلغنا في هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن قال هم المسلمون ألا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار وقال آخرون بل هذه الآية كانت نزلت في أهل الايمان غير انها نسخت ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فانزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر وارجأ أهل التوحيد الى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب ما ذكره الثوري انه بلغه انه في الاسلام وذلك ان المنافقين كفار فلو كان معنيا به أهل النفاق لم يكن لقوله ولا الذين يموتون وهم كفار معنى مفهوم لانهم ان كانوا هم والذين قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار فلا وجه لتفريق أحدهم في المعنى الذي من أجله بطل أن

أولاد في باب الأيتام نبههم الله على حال أنفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون ذلك أجدر ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف أحاذر أن يرين البؤس بعدى * وان يشربن رنقا بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك ولا يزالون يأمرونه بالوصية الى الاجانب الى أن يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على أولاد المريض خوفهم على أولاد أنفسهم لو كانوا وعلى هذا تكون الآية نهيا للحاضرين عن الترغيب فى الوصية والقول السديد أن يقولوا للمريض لا تسرف فى الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز أن تتصل الآية بما قبلها فيكون أمر الاورثة بالشفقة على الذين (١٩٢) يحضرون القسمة من الضعفاء وأن يتصوروا انهم لو كانوا أولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال هو الرجل الذى يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يحب أن يوصى له وعلى هذا يكون نهيا عن النهى عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم أكد الوعيد فى باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أى ظالمين أو على وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون فى بطونهم أى ملء بطونهم نارا أى ما يجر الى النار وكانه نار فى الحقيقة وقال السدى يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من النار يخرج من أسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من صلى فلان ثنا النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء فى النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد والسعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها وألهبتها فهى سعير أى مسعورة والتنكير للتعظيم أى نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة لا يجوز أن يدخل تحت هذا الوعيد آكل اليسير من ماله بل لابد أن يكون مقدار خمسة دراهم لانه القدر الذى وقع عليه الوعيد فى آية الكنز فى منع الزكاة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا أن نزيد فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهى انه أوعد مانع الزكاة بالكى وآكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد أشد والسبب فيه ان الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم أشنع وأيضا

تكون توبة واحد مقبولة وفى تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم بان سمى أحد الصنفين كافرا ووصف الصنف الآخر بانهم أهل سيئات ولم يسمهم كفارا ما دل على افتراق معانيهم وفى صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا وفساد ما خالفه ۞ القول فى تأويل قوله (ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار فموضع الذين خفض لانه معطوف على قوله للذين يعملون السيئات وقوله أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما يقول هؤلاء الذين يموتون وهم كفار اعتدنا لهم عذابا أليما لانهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبى النضر عن أبى صالح عن ابن عباس ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أبعد من التوبة واختلف أهل العربية فى معنى اعتدنا لهم فقال بعض البصريين معنى اعتدنا أفعلنا من العتاد قال ومعناها أعددنا وقال بعض الكوفيين أعددنا واعتدنا معناهما واحد فمعنى قوله اعتدنا لهم أعددنا لهم عذابا أليما يقول مؤلما موجعا ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعنى تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يقول لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرها فان قال قائل كيف كانوا يرثونهن وما وجه تحريم وراثتهن فقد علمت أن النساء موروثات كما الرجال موروثون قيل ان ذلك ليس من معنى وراثتهن اذا هن متن فتركن مالا وانما ذلك انهن فى الجاهلية كانت احداهن اذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها ان شاء نكحها وان شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فحرم الله تعالى ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهن عن النكاح وبنحو القول الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق يعنى الشيبانى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية فى ذلك وحدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنى محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن أبى امامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما توفى أبو قيس بن الاسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم فى الجاهلية فانزل الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا ابن حميد قال

الفقير يقدر على الاكتساب من وجه ما وعلى السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه أظهر وهذا من كمال عنايته تعالى بالضعفاء فنرجو أن يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التأويل ذكر الناسين بدو خلقهم بالاشباح والارواح نفلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله روحي فهو أبو الارواح وخالق من الروح زوجه وهي النفس خلقها من أدنى شعاع من أشعة أنوار روح محمد صلى الله عليه وسلم وبث منهما رجالا كثيرا أرواحا كاملين ونساء أرواحا ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به أي اتقوه أن تساءلوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم رحمتي بصلة غيري وآتوا اليتامى أموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا عظيما

ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فاحكم عن ذلك يعني ان الله نهاكم عن ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانت الانصار تفعل ذلك كان الرجل اذا مات حميمه ورث حميمه امرأته فيكون أولى بها من ولي نفسها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال كان الرجل اذا مات أبوه أو حميمه فهو أحق بامرأته ان شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها قال ابن جريج فأخبرني عطاء بن أبي رباح ان أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم فنزلت لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال ابن جريج وقال مجاهد كان الرجل اذا توفي أبوه أحق بامرأته ينكحها ان شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه قال ابن جريج وقال عكرمة نزلت في كبيشة بنت معن بن عاصم من الاوس توفي عنها أبو قيس بن الاسلت فجنح عليها ابنه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فانكح فنزلت هذه الآية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان اذا توفي الرجل كان ابنه الاكبر هو أحق بامرأته ينكحها اذا شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار مثل قول مجاهد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فان الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته فان سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها وان سبقته فذهبت الى أهلها فهم أحق بنفسها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كانوا بالمدينة اذا مات حميم الرجل وترك امرأة ألقى الرجل عليها ثوبه فورث نكاحها وكان أحق بها وكان ذلك عندهم نكاحا فان

فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك أدنى أن لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء وانما قال أموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوع واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلوا من رزق الله فاري شكر نعمته بامتثال أوامره ونواهيه والا أذيبي طعامك بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم أذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى أي قلوب

السائرين بأدنى توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يستمدوا بذلك التوسع على السير وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد أشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم أموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في ملك سيده كالعبد المأذون ولهذا قال ههنا أموالهم ولا تاكلوها اسرافا أي فان آنستم يا أولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في أصحاب الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخية ولا تجعلوا الشيخوخية مما كله لكم غيرة وغبطة عليهم أن يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد ما كل بالمعروف فلينتفع باعانته وليجزله بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم أموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فاشهدوا عليهم الله ورسوله وأرواح المشايخ وأوصوهم برعاية حقوقها

ومع الله واحدتم اخبرعن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وأنوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة أي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم أولوا القربي المنتمون اليهم والمقتبسون من أنوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب بركاتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقرير هوان الدنيا عند الله وعزة أهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين أو المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر أو موت فليتقوا الله أي يوصونهم بالتقوى وأن يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان توصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يضيعون أطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نار الحسرة والغرامة يوم لا تنفع الندامة (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف (١٩٤) ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) القراآت واحدة بالرفع أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلى

شاء أمسكها حتى تفتدي منه وكان هذا في الشرك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الوراثة في أهل يثرب بالمدينة ههنا فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه كما يرث أمه لا يستطيع أن يمتنع فان أحب أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها وان كره فارقها وان كان صغيرا حبست عليه حتى يكبر فان شاء أصابها وان شاء فارقها فذلك قول الله تبارك وتعالى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وذلك أن رجالا من أهل المدينة كان اذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها فلم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثني ابن وكيع قال ثني أبي قال ثنا سفيان عن علي بن بذيمة عن مقسم قال كانت المرأة في الجاهلية اذا مات زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبه كان أحق الناس بها قال فنزلت هذه الآية لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فتأويل الآية على هذا التأويل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرها فترك ذكر الآباء والاقارب والنكاح ووجه الكلام الى النهي عن وراثة النساء اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام اذ كان مفهوما معناه عندهم وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لكم أيها الناس أن ترثوا النساء كرها قالوا وانما قيل ذلك كذلك لانهم كانوا يعضلون أياماهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن أموالهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الرجل اذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت قبيحة حبسها حتى تموت فيرثها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال نزلت في ناس من الانصار كانوا اذا مات الرجل منهم فاملك الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت فيرثها فنزلت فيهم * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية القول الذي ذكرناه عن قال معناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أقاربكم لان الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث فذلك لاهله نحو وراثتهم اياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء

الباقون بالضم يوصي يوصى مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وأبو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتان وأرنا اللذين واشباه ذلك وأما قوله فذانك فابن كثير وأبو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وأبو بكر وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر ٭ الوقوف الانثيين ج ما ترك ج فلها النصف ط لانتهاء حكم الاولاد ان كان له ولد ج فلامه الثلث ج أو دين ط وأبناؤكم ج لتقديرهم أبناؤكم ولاحتمال كون آباؤكم مبتدا وخبره لا تدرون نفعا ج من الله ط حكيما ٭ لم يكن لهن ولد ج دين ط منهما السدس ج دين ط لان غير حال عامله يوصى مضار ج لاحتمال نصب وصية به كما يجيء من الله ط حليم ٭ ط لان تلك مبتدأ حدود الله ط خالدين فيها ط (١٩٥) لان ما بعده اعتراض مقرر للجزاء العظيم ٭ خالدا فيها ص لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين ٭ أربعة منكم ج لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا ٭ فآذوهما ج عنهما ط رحيما ٭ عليهم ط حكيما ٭ السيئات ط لان حتى اذا تصلح للابتداء وجوابه قال انى تبت وتصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار ط أليما ٭ كرها ط للعدول عن الاخبار الى النهي مبينة ج للعارض بين المتفقين بالمعروف ج كثيرا ٭ شيا ط مبينا ٭ غليظا ٭ سلف ط ومقتا ط سبيلا ٭

٭ التفسير انه تعالى لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الابيان جملة أحكام الميراث أو نقول أجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله أي يعهد اليكم ويأمركم في أولادكم في شان ميراثهم واعلم ان أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد أما النسب فكانوا يورثون الكبار به ولا يورثون الصغار والاناث كما مر وأما العهد فالحلف أو التبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهن نصيبهم وكان التوريث بالعهد مقررا في أول الاسلام مع زيادة سببين آخرين أحدهم الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان أجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من أقاربه والثاني المؤاخاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر في الاسلام ان أسباب التوريث ثلاثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء أن المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث بنت حمزة من مولى لها وراء هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلاثة فله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يحملون عنه الدية قال صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن أبي حنيفة وأحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده أشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع

فقد علم بذلك أنه جل ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثا عنهن وانه انما حظر أن يكرهن موروثات بمعنى حظر وراثة نكاحهن اذا كان ميتهم الذي ورثوه قد كان مالكا عليهن أمرهن في النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والارضين وسائر ماله منافع فابان الله جل ثناؤه لعباده ان الذي يملكه الرجل منهم من بضع زوجه معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التي تجوز اجارتها فان المالك بضع زوجته اذا هو مات لم يكن ما كان له ملكا من زوجته بالنكاح لورثته بعده كما لهم من الاشياء التي كان يملكها بشراء أو هبة أو اجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه وأما قوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن فان أهل التاويل اختلفوا في تاويله فقال بعضهم تاويله ولا تعضلوهن أي ولا تحبسوا يا معشر ورثة من مات من الرجال أزواجهم عن نكاح من أردن نكاحه من الرجال كيما تموتن فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي فتأخذوا من أموالهن اذا متن ما كان موتاكم الذين ورثتموهم ساقوا اليهن من صدقاتهن وممن قال ذلك جماعة قد ذكرنا بعضهم منهم ابن عباس والحسن البصري وعكرمة وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تعضلوا أيها الناس نساءكم فتحبسوهن ضرارا ولا حاجة لكم اليهن فتضروا بهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن من صدقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تعضلوهن يقول لا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضر بها لتفتدي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تعضلوهن يقول لا يحل لك أن تحبس امرأتك ضرارا حتى تفتدي منك قال أخبرنا معمر قال وأخبرني سماك بن المفضل عن ابن السلماني قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في أمر الجاهلية والاخرى في أمر الاسلام حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر قال أخبرنا سماك بن المفضل عن عبد الرحمن بن السلماني في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في الجاهلية والاخرى في الاسلام قال عبد الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء في الجاهلية ولا تعضلوهن في الاسلام حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ولا تعضلوهن قال لا تحبسوهن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال

مع أبوى الميت أما حال الانفراد فثلاث ذكور واناث معا أو اناث فقط أو ذكور فقط أما الحالة الاولى فبيانها قوله للذكر مثل حظ الانثيين أي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه أحكام ثلاثة أحدها خلف ذكرا واحدا وأنثى واحدة فله سهمان ولها واحد وثانيها خلف ذكورا وأناثا لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب أنثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل أحد ادخل في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكأنه قيل لهم كفى الذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة وأما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال أقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال أقل لان أزواجهن ينفقون عليهن أو لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجده (١٩٦) مفسدة للمرء أي مفسده فكيف حال المرأة وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان حواء أخذت حفنة من الحنطة وأكلت وأخذت حفنة أخرى وخبأتها ثم أخذت حفنة أخرى ورفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل وأما الحالة الثانية فهن أكثر من اثنتين أو اثنتان أو واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما أن يعود الى النساء وجاز لعدم الالباس بدليل واحدة واما أن يعود الى غائب حكمي أي ان كانت البنت أو المولودة وقراءة النصب أوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع أيضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهمة وتكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة وأما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الآية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف أيضا مشروط بالوحدة أقول ولعله نظر الى أن الاثنتين أقرب الى الواحد من الاعداد الغير المحصورة التي فوق الاثنتين سوى الثلاث فالحمل على الاقرب أولى وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالآية فيلزم أن يكون للبنتين الثلثان وأيضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد آخر أنثى هو الثلث أولى لان الذكر أقوى من الانثى وعلى هذا فكأن قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على أنثيين فذكر بعد ذلك انهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يتجاوزن الثلثين وقيل ان البنتين أمس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في آخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان أولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين

ثنا اسباط عن السدي ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اما تعضلوهن فيقول تضاروهن ليفتدين منكم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تعضلوهن قال العضل أن يكره الرجل امرأته فيضر بها حتى تفتدى منه قال الله تبارك وتعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وقال آخرون المعنى بالنهي عن عضل النساء في هذه الآية أولياؤهن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أن ينكحن أزواجهن كالعضل في سورة البقرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل المنهي عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه اياها وقالوا ذلك كان من فعل الجاهلية فنهوا عنه في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان العضل في قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج الا باذنه فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد فاذا خطبها خاطب فان اعطته وأرضته أذن لها والا عضلها قال فهذا قول الله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الآية * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى معنى العضل وما أصله بشواهد ذلك من الادلة وأولى هذه الاقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قول من قال نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة من التضييق عليها والاضرار بها وهو لصحبتها كاره ولفراقها محب لتفتدى منه ببعض ما آتاها من الصداق وانما قلنا ذلك أولى بالصحة لانه لا سبيل الى عضل امرأة الا لاحد رجلين اما الزوج بالتضييق عليها وحبسها على نفسه وهو لها كاره مضارة منه لها بذلك ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك أو لوليها الذي اليه انكاحها واذا كان لا سبيل الى عضلها لاحد غيرهما وكان الولي معلوما انه ليس ممن آتاها شيأ فيقال ان عضلها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها كان معلوما أن الذي عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها هو زوجها الذي له السبيل الى عضلها اضرارا لتفتدى منه واذا صح ذلك وكان معلوما ان الله تعالى ذكره لم يجعل لاحد السبيل على زوجته بعد فراقه اياها وبينونتها منه فيكون له الى عضلها سبيل لتفتدى منه من عضله اياها أتت بفاحشة أم لم تأت بها وكان الله جل ثناؤه قد أباح للازواج عضلهن اذا أتين بفاحشة مبينة

وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء أو خبر بعد خبر التأكيد أو ليخرج أقل الجمع وهو اثنان زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها فقالت يارسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس أو قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم أحد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك ونزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط أمهما الثمن ومابقي فلك وأما الحالة الثالثة وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الآية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا أكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وأيضا قال صلى الله عليه وسلم وما أبقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لامحالة والنص سئلت عن ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن أيضا لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل قيس ولد الولد على الولد لما أنه كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لايستحق شيأ مع أولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب رأسا أولا يأخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانهما يأخذان الثلثين واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها أنه لا يتوارث أهل ملتين والمرتد ماله في بيت المال سواء اكتسب في الاسلام أو في الردة وعند أبي حنيفة ما اكتسب في الاسلام يرثه أقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روى ان فاطمة رضي الله عنها لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ماتركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث المال ووراثة العلم أو الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في أولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا عليا وفاطمة والعباس وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلماء في الدين وأما أبو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله أنه يرث الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ هذه المسئلة الى من لاحاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها أشد الحاجة وأيضا يحتمل أن يكون قوله ماتركناه صدقة صلة لقوله لانورث والمراد ان الشئ الذي تركناه صدقة فذلك الشئ لا يورث ولعل فائدة تخصيص الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشئ فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم أجابوا بان فاطمة رضي الله عنها رضيت بقول أبي بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ماذهب اليه أبو بكر واعلم ان جميع ماذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد أما حالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في أبويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا

مبينة حتى يفتدين منه كان بينا بذلك خطأ التأويل الذي تاوله ابن زيد وتاويل من قال عني بالنهي عن العضل في هذه الآية أولياء الايامى وصحة ما قلنا فيه ولا تعضلوهن في موضع نصب عطفا على قوله أن ترثوا النساء كرها ومعناه لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن وكذلك هي فيما ذكر في حرف ابن مسعود ولو قيل هو في موضع جزم على وجه النهي لم يكن خطأ ۞ القول في تاويل قوله (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني بذلك جل ثناؤه لايحل لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضرارا منكم لهن وأنتم لصحبتهن كارهون وهن لكم طائعات لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة فيحل لكم حينئذ الضرار بهن ليفتدين منكم ثم اختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذا الموضع فقال بعضهم معناها الزنا وقال اذا زنت امرأة الرجل حل له عضلها والضرار بها لتفتدي منه بما آتاها من صداقها ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن في البكر تفجر تضرب مائة وتنفى سنة وترد الى زوجها ما أخذت منه وتاول هذه الآية ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عطاء الخراساني في الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ ما ساق اليها وأخرجها فنسخ ذلك الحدود حدثنا أحمد بن ضبيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال اذا رأى الرجل من امرأته فاحشة فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تختلع منه حدثنا ابن حميد قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرني معمر عن أيوب عن أبي قلابة في الرجل يطلع من امرأته على فاحشة فذكر نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي الا أن يأتين بفاحشة مبينة وهو الزنا فاذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الكريم انه سمع الحسن البصري الا أن يأتين بفاحشة قال الزنا قال وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان فان فعلت حل لزوجها أن يكون هو يسألها الخلع لتفتدي وقال آخرون الفاحشة المبينة في هذا الموضع النشوز ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا أن يأتين بفاحشة مبينة وهو البغض

والنشوز فاذا فعلت ذلك فقد حل له منها الفدية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن علي بن بذيمة عن مقسم في قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن ينشزن في قراءة ابن مسعود قال اذا عصتك وآذتك فقد حل لك ما أخذت منك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف بن طريف عن خالد عن الضحاك بن مزاحم الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال الفاحشة هاهنا النشوز فاذا نشزت حل له أن يأخذ خلعها منها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن ان شئتم امسكوهن وان شئتم أرسلتموهن حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال عدل ربنا تبارك وتعالى في القضاء فرجع الى النساء فقال الا أن يأتين بفاحشة مبينة والفاحشة العصيان والنشوز فاذا كان ذلك من قبلها فان الله أمره أن يضربها وأمره بالهجر فان لم تدع العصيان والنشوز فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية * قال أبو جعفر وأولى ما قيل في تأويل قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة انه يعني به كل فاحشة من بذية باللسان على زوجها وأذى له وزنا بفرجها وذلك ان الله جل ثناؤه عم بقوله الا أن يأتين بفاحشة الفواحش التي هي زنا أو نشوز فله عضلها على ما بين الله في كتابه والتضييق عليها حتى تفتدي منه بأي معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي حدثني يونس بن سليمان البصري قال ثنا حاتم بن اسمعيل قال ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الترمذي قال ثنا صدقة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة

ليتبادر انه لو قيل ولابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي أو بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاث أحوال الاولى أن يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى فههنا ثلاثة أوجه أحدها أن يحصل معهما ولد ذكر واحد أو أكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها أن يحصل معهما بنتان أو أكثر فالحكم كما ذكر وثالثها أن يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الآية والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد أكثر ونصيب الوالدين أقل فالجواب والله أعلم ان الوالدين ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا أما الاولاد فهم في زمان الصبى فاحتياجهم الى المال أكثر وأيضا كأنهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم (١٩٨) جزاء ولا شكورا وأيضا ولد الولد ولد وترفية حال الولد أهم عند الوالدين من ترفية حالهما الحالة الثانية أن لا يكون معهما أحد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه أي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بان يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه أو الى الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج أو الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شئ منه مستحقا بقي الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وأيضا الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فأشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين أنه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فاذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس أكثر مما للام وخالفه في الزوج والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة أن يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة أو الاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على أن ثلاثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما في الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية وما فوقها فصح أن يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي في الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله

عن خلاف الائمة فى ان أقل الجمع الثلاث أو ثلاثة فصله ان أقل الجمع فى الشفع اثنان وفى الوتر ثلاثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا أستطيع رد شئ كان قبلى ومضى فى البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان أظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين أو الثلاثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان أولا يكون لهم شئ من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثانى اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصى بها أو دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن أو كان لكنه قضى وفضل بعده شئ فان أوصى الميت وصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقى ميراثا على فرائض الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بالدين

قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم فى الذكر لان كلمة أو لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب فى اللفظ وفائدة هذا العكس أن الوصية تشبه الميراث فى كونها مأخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه فكان فى تقديمها ترغيب لهم فى ادائها ولهذا جىء بكلمة أو دلالة على التسوية بينهما فى الوجوب ولان كل ما ليس يحصل فيه الامران يجىء بأو الفاصلة ليدل على انه ان كان أحدهما فالميراث بعده وكذلك ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام أهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شئ دخل النقصان فى انصباء أصحاب الوصية كما فى الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره والجملة فى موضع نصب بتدرون وهى معلقة عن العمل لفظا لانها من أفعال القلوب وأقول من الجائز أن لا تكون من افعال القلوب بل تكون بمعنى المعرفة وكان أيهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة أيهم أشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض أن يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية أى لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعنى ان من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا فى الصورة الا انه فان فهو فى الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو فى الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه فى الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون فى الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف

بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا ولا يعصينكم فى معروف واذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاخبر صلى الله عليه وسلم أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدا ولا تعصينه فى معروف وأن الذى يجب لها من الرزق والكسوة عليه انما هو واجب عليه اذا أدت هى اليه ما يجب عليها من الحق بتركها ايطاء فراشه غيره وتركها معصيته فى معروف ومعلوم أن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم من حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم احدا انما هو أن لا يمكن أنفسهن من أحد سواكم واذا كان ما روينا فى ذلك صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين أن لزوج المرأة اذا أوطأت امرأته نفسها غيره أمكنت من جماعها سواه أن له من منعها الكسوة والرزق بالمعروف مثل الذى له من منعها ذلك اذا هى عصته فى المعروف واذا كان ذلك له فمعلوم أنه غير مانع لها بمنعه اياها ما له منعها حقا لها واجبا عليه واذا كان ذلك كذلك فبين انها اذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها فاخذ منها زوجها ما أعطته انه لم يأخذ ذلك عن عضل منهى عنه بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح واذ كان ذلك كذلك كان بينا انه داخل فى استثناء الله تبارك وتعالى الذى استثناه من العاضلين بقوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة واذا صح ذلك فبين فساد قول من قال قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة منسوخ بالحدود لان الحد حق الله تعالى على من أتى بالفاحشة التى هى زنا وأما العضل لتفتدى المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحق لزوجها كما عضله اياها وتضييقه عليها اذا هى نشزت عليه لتفتدى منه حق له وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر فمعنى الآية ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم فتضيقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتكم الا أن يأتين بفاحشة من زنا أو بذاء عليكم وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم مبينة ظاهرة فيحل لكم حينئذ عضلهن والتضييق عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق ان هن افتدين منكم به واختلفت القراء فى قراءة قوله مبينة فقرأ بعضهم مبينة بفتح الياء بمعنى انها قد بينت لكم وأعلنت وأظهرت وقرأه بعضهم مبينة بكسر الياء بمعنى انها ظاهرة بينة للناس انها فاحشة وهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة أمصار الاسلام فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فى قراءته الصواب لان الفاحشة اذا أظهرها صاحبها فهى ظاهرة بينة واذا أظهرت فباظهار صاحبها اياها ظهرت فلا

ان انتفاعه فى الجنة بهذا أكثر أم بذاك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدى الى كمية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الاموال فى غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض فى الدنيا من جهة الانفاق والذب عنه فلا يدرى أن الابن سيحتاج الى أن ينفق الاب عليه أو الاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز أن يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد أى فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما فى قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك أى لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم أن الوارث اما أن يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما أن يكون هو النسب أو الزوجية (٢٠٠) فهذه ثلاثة أقسام الاول قرابة التوالد الفروع والاصول وهو أشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم فى الذكر ويتلوه فى الشرف القسم الثانى لمثل ما قلنا ولهذا أردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم الى قوله توصون بها أو دين ثم بين أحوال القسم الثالث وهو الكلالة فى قوله وان كان رجل يورث كلالة فما أحسن هذا النسق ولما جعل فى الموجب النسبى حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل فى الموجب السببى وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه فى الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثمانى مرات وذكرهن على الغيبة أقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء فى الربع والثمن ولا فرق فى الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعى يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم وقال أبو حنيفة المال لا يجوز لانها ليست زوجته ولو كانت زوجته لحل له وطؤها لقوله الا على أزواجهم وأجيب بانه لو لم تكن زوجته لكان قوله ما ترك أزواجكم مجازا ولو كانت زوجته مع انه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص أولى كما بين فى أصول الفقه وكيف لا وقد علم فى صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها فى العدة عن الوطء بالشبهة وأيضا حل الوطء ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شىء من تلك المصالح فعاد الى أصل الحرمة أما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا فى تفسير الكلالة فعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله برىء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضى الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه فى رواية أخرى التوقف وكان يقول ثلاث لان يكون بينهن الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أحب الى من

تكون ظاهرة بينة الا وهى مبينة ولا مبينة الا وهى مبينة فلذلك رأيت القراءة بأيهما قرأ القارئ صوابا ۞ القول فى تأويل قوله (وعاشروهن بالمعروف) يعنى جل ثناؤه بقوله وعاشروهن بالمعروف وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن بالمعروف يعنى بما أمرتكم به من المصاحبة وذلك امساكهن بأداء حقوقهن التى فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم اليهن أو تسريح منكم لهن باحسان كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى وعاشروهن بالمعروف يقول وخالطوهن كذا قال محمد بن الحسين وانما هو وخالقوهن من العشرة وهى المصاحبة ۞ القول فى تأويل قوله (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) يعنى بذلك تعالى ذكره لا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من غير ريبة ولا نشوز كان منهن ولكن عاشروهن بالمعروف وان كرهتموهن فلعلكم ان تكرهوهن فتمسكوهن فيجعل الله لكم فى امساككم اياهن على كره منكم لهن خيرا كثيرا من ولد يرزقكم منهن أو عطفكم عليهن بعد كراهتكم اياهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا يقول فعسى الله أن يجعل فى الكراهة خيرا كثيرا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا الولد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ويجعل الله فيه خيرا كثيرا والخير الكثير أن يعطف فيرزق الرجل ولدها ويجعل الله فى ولدها خيرا كثيرا والهاء فى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا على قول مجاهد الذى ذكرناه كناية عن مصدر تكرهوا كأن معنى الكلام عنده فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولو كان تأويل الكلام فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فى ذلك الشىء الذى تكرهونه خيرا كثيرا كان جائزا صحيحا ۞ القول فى تأويل قوله (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) يعنى جل ثناؤه بقوله وان أردتم استبدال الزوج مكان زوج وان أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها وآتيتم احداهن يقول وقد أعطيتم التى تريدون طلاقها من المهر قنطارا والقنطار

المثناة وما فيها السكلالة والسلالة [illegible] كلالة كما تقول لما صحبت بنى عى قال الفرزدق ورثتم قناة الملك لا عن كلالة * عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم والمختار الصحيح من الاقوال قول أبى بكر لان الكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقى محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كلالة ضعيفة ويحتمل أن يقال هى من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالرأس بخلاف قرابة الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال نسب تتابع كابرا عن كابر * كالرمح أنبوبا على أنبوب وأيضا فانه تعالى قال فى آخر السورة قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك والجواب انه تعالى حكم فى تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك أن الاخوة والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم أن لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين وأيضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين فى الآيات المتقدمة (٢٠١) ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضى أن يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للموروث والمراد الذى يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن أن يحمل عليه بيت الفرزدق أى ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا موروث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا أشفيت منه على الموت فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى رجل لا يرثنى الا كلالة وأراد به انه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث أو الموروث كانت بمعنى ذى كلالة كما يقال فلان من قرابتى أى من ذوى قرابتى ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف أى أحمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث فيه احتمالان

الاول وهو قول عطاء والضحاك أن يكون مأخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب كلالة على الحال أو على انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز أن يكون مفعولا له أى يورث لاجل كونه كلالة والثانى وهو قول سعيد بن جبير أن يكون مبنيا للمفعول من أورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة على الوجوه المذكورة قيل ما السبب فى انه قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال وله أخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان فى معنى واحد جاز اسناد التفسير الى أيهما أريد وجاز اسناده اليهما أيضا تقول من كان له أخ أو أخت فليصله أو فليصلها والترجيح بالتذكير للشرف معارض بالتأنيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز أيضا ولعل التوحيد والتذكير فى الآية أولى لان الرجال فى الاحكام أصل والنساء تبع لهم واما بتأويل أحد المذكورين ثم ان المفسرين أجمعوا على أن المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت من الام ويدل عليه ما نسب الى أبى وسعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما أى من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على

المال الكثير وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل فى مبلغه والصواب من القول فى ذلك عندنا ولا تأخذوا منه شيئا يقول فلا تضروا بهن اذا أردتم طلاقهن لتفتدين منكم بما آتيتموهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج طلاق امرأة مكان أخرى فلا يحل له من مال المطلقة شئ وان كثر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله (أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) يعنى بقوله تعالى ذكره أتأخذونه أتأخذون ما آتيتموهن من مهورهن بهتانا يقول ظلما بغير حق واثما مبينا يعنى قد أبان أمر آخذه انه بأخذه اياه لمن أخذه منه ظالم ﴿ القول فى تأويل قوله (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) يعنى جل ثناؤه بقوله وكيف تأخذونه وعلى أى وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن اذا أردتم طلاقهن واستبدال غيرهن بهن أزواجا وقد أفضى بعضكم الى بعض فتباشرتم وتلامستم وهذا كلام وان كان مخرجه مخرج الاستفهام فانه فى معنى النكير والتغليظ كما يقول الرجل لآخر كيف تفعل كذا وكذا وأنا غير راض به على معنى التهدد والوعيد وأما الافضاء الى الشئ فانه الوصول اليه بالمباشرة له كما قال الشاعر

بلى أفضى الى لينه * بدا سيرها من باطن بعد ظاهر

يعنى بذلك ان الفساد والبلى وصل الى الحر والذى عنى به الافضاء فى هذا الموضع الجماع فى الفرج فتأويل الكلام اذ كان ذلك معناه وكيف تأخذون ما آتيتموهن وقد أفضى بعضكم الى بعض بالجماع وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الحميد بن سنان القناد قال ثنا اسحق عن سفيان عن عاصم عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال الافضاء المباشرة ولكن الله كريم يكنى عما يشاء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عاصم عن بكر عن ابن عباس قال الافضاء الجماع ولكن الله يكنى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن بكر بن عبد الله المزنى عن ابن عباس قال الافضاء هو الجماع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقد أفضى بعضكم الى بعض قال مجامعة النساء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

الاحتمال الاول وهو أن الرجل موروث منه وأما على الاحتمال الثاني وهو أن الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد من أخيه أو أخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له أو لواحد من الاخ أو الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين أن نصيبهم كيفما كانوا لا يزداد على الثلث وقد يسند الاجماع الى هذا بيانه انه قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة لو أثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا أثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم أن المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان أو من الاب وهم أولاد العلات فالكلالة لو كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا أنها في الآية خاصة كما بينا غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصي مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور أي يوصي اذ علم أن ثمة موصيا والضمير فيه وهو (٢٠٢) ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه المورث أو الى الميت الدال عليه سياق الكلام أي ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة بان يوصي بازيد من الثلث أو بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله وقد يقر بان الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه أو يبيع شيأ بثمن بخس أو يشتري شيأ بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان أن ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس أوصى على قانون العدالة وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس أن الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فاذا أوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد أو على انه مفعول مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالاولاد أن لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته أو عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم أكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من أحكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف أن يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما أن الوالد يقبل على ولده ويؤدبه في أمر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا لانه ماجريا على غير من هما له فكان يلزم حينئذ أن يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك أن التعدي في جميع الحدود محال

مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض يعني المجامعة ﴿ القول في تأويل قوله (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) أي ما وثقتم به لهن على أنفسكم من عهد واقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم من امساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان وكان في عقد المسلمين النكاح قديما فيما بلغنا ان يقال للناكح الله عليك لتمسكن بالمعروف أو لتسرحن باحسان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقد كان في عهد المسلمين عند انكاحهم الله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن باحسان واختلف أهل التأويل في الميثاق الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا فقال بعضهم هو امساك بمعروف أو تسريح باحسان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قال وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما وأخذن منكم ميثاقا غليظا فهو أن ينكح المرأة فيقول وليها انكحناكها بامانة الله على ان تمسكها بالمعروف أو تسرحها باحسان حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ الذي أخذه الله للنساء امساك بمعروف أو تسريح باحسان وكانت في عقدة المسلمين عند نكاحهن الله عليك لتمسكن بمعروف ولتسرحن باحسان حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا بكر الهذلي عن الحسن ومحمد بن سيرين في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال آخرون هو كلمة النكاح التي استحل بها الفرج ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح التي استحل بها فروجهن حدثني

المثنى

لان من حدود ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فان المراد تعدى أى حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود وأجيب بأمر من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاى مانع لنا من أن نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ أى ومن يعص الله في كذا وفي كذا وذلك لا يتحقق الا في حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلي كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده أيضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم أن المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله أعلم بمراده قوله عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه أن التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الآيات المتقدمة وفيه أن مدار الشرع (٢٠٣) على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي أن يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات اللائي بالهمزة واللواتي واللوائي فكأنهما جمعا الجمع وقد يحذف الياآت من الاربعة وقد يسهل همزة اللائي بين الهمزة والياء لكونها مكسورة لقراءة ورش واللائي يئسن من المحيض وقد يقال اللاي بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللاآت كاللاعات قال ابن الانباري العرب تقول في الجمع من غير الحيوان التي ومن الحيوان اللاتي كقوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشئ الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يأبى هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية وأجمعوا على انها الزنى ههنا قال العلماء انما خص هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وامثالها وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنى واللواط والسحق وما أشبهها وهذه أخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم أو من الحرائر أو من نسائكم المؤمنات والثيبات أقوال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم أى من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا تقبل شهادة النساء في الحدود وان شهدوا مفسرا لا مغسرا كقولهم رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشاء في البئر ولابد مع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت خلدوهن محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت أى ملائكة الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن أو يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح أو بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية أو اللائط والملوط فآذوهما بنحو التوبيخ وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله أما لكم في النكاح مندوحة عن هذه

المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن أبي هاشم المكي عن مجاهد في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال قوله نكحت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن كعب القرظي وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو قولهم قد ملكت النكاح حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق النكاح حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح قوله نكحت وقال آخرون بل عنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر وعكرمة وأخذن منكم ميثاقا غليظا قالا أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال الميثاق الذي عنى به في هذه الآية هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح من عهد على امساكها بمعروف أو تسريحها باحسان فاقر به الرجل لان الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجال في نسائهم وقد بينا معنى الميثاق فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف في حكم هذه الآية أمحكم أم منسوخ فقال بعضهم محكم وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها الا ان تكون هي المريدة الطلاق وقال آخرون هي محكمة وغير جائز له أخذ شئ مما آتاها منها بحال كانت هي المريدة الطلاق أو هو وممن حكى هذا القول عنه بكر بن عبد الله المزني حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عقبة بن أبي الصهباء قال سألت بكرا عن المختلعة أيأخذ منها شيئا قال لا وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال آخرون هي منسوخة نسخها قوله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج الى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال ثم رخص بعد

تابا وأصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم أو نحو طلب الشهود الذين عثروا على سرهما أن يهددوهما بالرفع الى الامام والحدفان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام * واعلم أن للعلماء خلافا في الآيتين فعن الحسن أن الثانية مقدمة في النزول أمروا بايذاء الزانيين أولا ثم أمروا بامساك النساء في البيوت الى أن يتبين أحوالهن وقال السدى المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن أبي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا أن يخلصهن الله والثانية في اللاثطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير الذان ولفظ منكم أى من رجالكم كما في قوله أربعة منكم وأما الزنى من الرجل والمرأة فذلك في سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شئ من الآيات ولا تكرار الشئ الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول أبي مسلم بانه قول لم يقل به أحد وبان الصحابة اختلفوا في أحكام اللواطة ولم يتمسك أحدهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا (٢٠٤) الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة وأجاب أبو مسلم بانه قول مجاهد وهو من أكابر المفسرين على انه بين في الاصول ان استنباط تأويل جديد جائز وأيضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد الوطء وكميته وليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح الحد وجمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد لذلك وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر آخرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن أصحاب أبي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز أن لا تكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ أبو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا له وصار أيضا مخصصا لعموم آية الجلد والله تعالى عليم ثم أخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله واجبة بوجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال أكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكأنه لا علم له وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد أن يكون جاهلا بكونها معصية

فقال لا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قال فنسخت هذه تلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال انها محكمة غير منسوخة وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها ولا ريبة أتت بها وذلك ان الناسخ من الاحكام ما نفى بخلافه من الاحكام على ما قد بينا في سائر كتبنا وليس في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج نفي حكم قوله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به لان الذى حرم الله على الرجل بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أخذ ما آتاها منها اذا كان هو المريد طلاقها وأما الذى أباح له أخذه منها بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فهو اذا كانت هي المريدة طلاقه وهو له كاره ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع وليس في حكم احدى الآيتين نفي حكم الاخرى واذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم لاحداهما بانها ناسخة وللاخرى بانها منسوخة الا بحجة يجب التسليم لها وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزني من انه ليس لزوج المختلعة أخذ ما أعطته على فراقه اياها اذا كانت هي الطالبة الفرقة وهو الكاره فليس بصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه أمر ثابت بن قيس بن شماس باخذ ما كان ساق الى زوجته وفراقها اذ طلبت فراقه وكان النشوز من قبلها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) قد ذكر ان هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك لم يؤاخذهم به ان هم اتقوا الله في اسلامهم وأطاعوه فيه ذكر الاخبار التي رويت في ذلك حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا مراد قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم الا امرأة الاب والجمع بين الاختين قال فانزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وان تجمعوا بين الاختين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا ان الرجل كان يخلف على حليلة أبيه ويجمعون بين الاختين فمن ثم قال الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد

سلف

... من تحصيل العلم ... اجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان النائم أو الساهي لا يستحق العقاب لانه أتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا أما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الآية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة لأن يكون واجبا على العامد أولى لانه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على ان المراد من هذا القرب حضور زمان الموت ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لأن الاجل آت وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا قيست الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب اما لابتداء الغاية أي يجعل مبتدأ توبتهم من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا لما قلنا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا (٢٠٥) الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القرب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك أو المراد بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوعه في الشدائد بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ أولى بالقبول لقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث تصير معرفته بالله ضرورية كما لأهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وأفضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان أهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا أحياء بعد ان كانوا أمواتا ويشاهدون أيضا أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا تنفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وأيضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري مانعا من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد وقبل التوبة في بعض الاوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا

سلف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف فانزل الله في أبي قيس بن الاسلت خلف على أم عبيد بنت ضمرة كانت تحت الاسلت أبيه وفي الاسود بن خلف وكان خلف على بنت أبي طلحة بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار وكانت عند أبيه خلف وفي ناجية بنت الاسود بن المطلب بن أسد وكانت عند أمية بن خلف فخلف عليها صفوان بن أمية وفي منصور بن ريان وكان خلف على مليكة ابنة خارجة وكانت عند أبيه ريان بن سيار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء بن أبي رباح الرجل ينكح المرأة ثم لا يراها حتى يطلقها أتحل لابنه قال هي مرسلة قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء قال قلت لعطاء ما قوله الا ما قد سلف قال كان الابناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية يقول كل امرأة تزوجها أبوك وابنك دخل أو لم يدخل فهي عليك حرام واختلف في معنى قوله الا ما قد سلف فقال بعضهم معناه لكن ما قد سلف فدعوه وقالوا هو من الاستثناء المنقطع وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا انكاح آبائكم بمعنى ولا تنكحوا كنكاحهم كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الاسلام انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعني ان نكاح آبائكم الذين كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا الا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الاسلام فانه معفو لكم عنه وقالوا قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كقول القائل للرجل لا تفعل ما فعلت ولا تأكل ما أكلت بمعنى ولا تأكل كما أكلت ولا تفعل ما فعلت وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقده بينهم الا ما قد سلف منهم من وجوه الزنا عندهم فان نكاحهن لكم حلال لانهن لم يكن لهم حلائل وانما كان ما كان من آبائكم منهن من ذلك فاحشة ومقتا وساء سبيلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف الآية قال الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فزاد ههنا المقت * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب على ما قاله أهل التأويل في تأويله أن يكون معناه ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم الا ما قد سلف

يسئل عما يفعل وأقول التحقيق فيه انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره حق وقد عين لعبيده دار دنيا وعقبى وقد أخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم لم يعكس الامر ثم ان اليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة والمعنى انه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت أو المراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا تقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم أي أعددنا والعتيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد لتبيين ان الامرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير (٢٠٦) للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالاولون فساق لكنهما مشتركان في العذاب الاليم فثبت ان حكمهما واحد وأجيب بان أولئك اشارة الى أقرب المذكورين ويعضده ان الكفار أشنع قولا من الفساق أو الطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها من ههنا شرع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الاول قوله لا يحل لكم أن ترثوا وفيه قولان أحدهما الوراثة تعود الى المال أي لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوهن أموالهن وهن كارهات لامساككم وثانيهما انها ترجع الى أعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي أصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدي منه بمالها أو تختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزوج لمن شاءت وأرادت لتبذل امرأة الميت ما أخذت من الميراث كما كان يفعله أهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المرأة أولا زواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه وصاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا أن يأتين بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها أو الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت صارت أسبابا للبيان كقوله انهن أضللن كثيرا من الناس لما صرن أسبابا للضلال ثم انه استثناء مما اذا قيل من أخذ

منكم فمضى في الجاهلية فانه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فيكون قوله من النساء من صلة قوله ولا تنكحوا ويكون قوله ما نكح آباؤكم بمعنى المصدر ويكون قوله الا ما قد سلف بمعنى الاستثناء المنقطع لانه يحسن في موضعه لكن ما قد سلف فمضى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان قال قائل وكيف يكون هذا القول موافقا قول من ذكرت قوله من أهل التأويل وقد علمت ان الذين ذكرت قولهم في ذلك انما قالوا أنزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء وأنت تذكر انهم انما نهوا أن ينكحوا نكاحهم قيل له وان قلنا ان ذلك هو التأويل الموافق لظاهر التنزيل اذ كانت ما في كلام العرب لغير بني آدم وانه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراما ابتدئ مثله في الاسلام بنهي الله جل ثناؤه عنه لقيل ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف لان ذلك هو المعروف في كلام العرب اذ كان من لبني آدم وما لغيرهم ولا تقل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه يدخل فيما ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم فحرم عليهم في الاسلام بهذه الآية نكاح حلائل الآباء وكل نكاح سواه نهى الله تعالى ذكره ابتداء مثله في الاسلام مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم ومعنى قوله الا ما قد سلف الا ما قد مضى انه كان فاحشة يقول ان نكاحكم الذي سلف منكم كنكاح آبائكم المحرم عليكم ابتداء مثله في الاسلام بعد تحريمي ذلك عليكم فاحشة يقول معصية ومقتا وساء سبيلا أي بئس طريقا ومنهجا ما كنتم تفعلون في جاهليتكم من المناكح التي كنتم تتناكحونها ۞ القول في تأويل قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) يعني بذلك تعالى ذكره حرم عليكم نكاح أمهاتكم فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن الثوري عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم حتى بلغ وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم

المال أى لايحل له أن يحبسها اضرارا التعدى الا اذا ثلث فيتذل لزوجها أن يبذل لها الخلع وكان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق اليها وأخرجها وقيل استثناء من العضل ثم هو امن حبسهن فى بيوت الاولياء والازواج الابعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هى النشوز وشكاسة الخلق أى الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون حينئذ فى طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة بأحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال فى القول والانصاف فى المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فهو فانه قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير فى الاستمرار على المواصلة منه الثناء فى الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب فى العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ومال كثير اليمن فى صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشؤم فى المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم فى مفارقتهن فربما جعل الله تعالى فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج يسئ العشرة وتجد زوجا آخر أوفق منه النوع الرابع من التكاليف وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك انه لما أذن فى مضارتهن اذا أتين بفاحشة بين تحريم الضرار فى غير حالة الفاحشة روى ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامرأة أخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التى يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة فى المهر روى ان عمر قال فى المنبر ألا لا تغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر كل الناس أفقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل أن يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والغرض لا الرخصة وهو موضع الحال أى وقد آتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء أدى المال اليها أم لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل أخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا أنه يفيد الملك لو خالع كما أن البيع وقت النداء منهى عنه ثم انه يفيد الملك أتأخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو أن يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو برىء منه لانه يبهت عند ذلك أى يتحير وفى الحديث الا واجهت أخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر فى موضع الحال أى باهتين وآثمين أو على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض أى ببهتان وقيل بمضمر أى تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا أو انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا يأخذه منها فاذا أخذه منها صار القول الاول بهتانا أى باطلا أو كان من عادتهم انهم اذا أرادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدى فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه فى الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان أخذ هذا المال طعن فى ذاتها من حيث انه مشعر بانها قد أتت بفاحشة وقبض على مالها بهتان من وجه وظلم من وجه آخر وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا ثم تعجب من الاخذ منهما وقال وكيف تأخذونه وقد

آباؤكم من النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل ابن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ثنا أبو أحمد الزهرى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى ذئب عن الزهرى بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال حرم عليكم سبع نسبا وسبع صهرا حرمت عليكم أمهاتكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن على بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم قال حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا ثم قرأ وأمهات نسائكم وربائبكم وأخواتكم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم مولى الانصار قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ومن الصهر أمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف واياه ٧ قال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فكل هؤلاء اللواتى حرمهن الله تعالى وبين تحريمهن فى هذه الآية محرمات غير جائز نكاحهن لمن حرم الله ذلك عليه من الرجال باجماع جميع الامة لا اختلاف بينهم فى ذلك الا فى أمهات نسائنا اللواتى لم يدخل بهن أزواجهن فان فى نكاحهن اختلافا بين بعض المتقدمين من الصحابة اذا كانت الابنة قبل الدخول بها من زوجها هل هن من المبهمات أم هن من المشروط فيهن الدخول ببناتهن فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم من المبهمات وحرام على من تزوج امرأة أمها دخل بامرأته التى نكحها أو لم يدخل بها وقالوا شرط الدخول فى الربيبة دون الام فاما أم المرأة فمطلقة بالتحريم قالوا ولو جاز أن يكون شرط الدخول فى قوله وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن موضع موصولا به قوله وأمهات نسائكم جاز أن يكون الاستثناء فى قوله والمحصنات من

الافضاء بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدى واختاره الزجاج وابن قتيبة وهو مذهب الشافعى ان المراد بالافضاء الجماع اذ الافضاء الساحة ويقال أفضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل فى الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء أن يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبى واختاره الفراء ويوافقه مذهب أبى حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعى بان الكلام ورد فى معرض التعجب وهو انما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قريبا فى حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وأيضا الافضاء لابد أن يكون مفسرا بفعل ينتهى منه الى الانتهاء كامة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذا لم يحصل فعل من أفعال أحدهما الى الآخر فان قيل على هذا يجب أن يكون التلامس والاضطجاع فى لحاف واحد كافيا فى تحقيق الافضاء وأنتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل قائلان قائل بتفسير الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وأيضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة أو الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم أكد المنع من استرداد المهر بقوله وأخذن منكم ميثاقا

غليظا قال السدى وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان ومعلوم انه اذا ألجاها الى أن بذلت المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق واليها أشار فى الحديث واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال آخرون أخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بامور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يتزوج بمزنية أبيه وقال الشافعى لا يحرم حجة أبى حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره و بالاتفاق اكان لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح أى الوطء لان أهلية العقد حاصلة أبدا ولقوله الزانى لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل فى الآية المزنية لانها منكوحة أى موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم فانكحوا ما طاب لكم من النساء و بقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى ولا شك ان الوطء من حيث انه وطء ليس سنة له و بقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف من أولاد الزنى انهم ليسوا من أولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطء يسمى بالنكاح لكن العقد أيضا يسمى به فلم كان حمل الآية على ما ذكره أولى من حملها على ما ذكرنا مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطء قالوا حقيقة فى الوطء مجاز فى العقد لانه فى اللغة الضم وهذا المعنى حاصل فى الوطء الا فى العقد وانما أطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة أولى أو مشترك بينهما ويجوز استعماله فى مفهوميه معا فتكون الآية نهيا عن الوطء وعن

النساء لا ما ملكت أيمانكم من جميع المحرمات بقوله حرمت عليكم الآية قالوا وفى اجماع الجميع على ان الاستثناء فى ذلك انما هو مما وليه من قوله والمحصنات أبين الدلالة على ان الشرط فى قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن مما وليه من قوله وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن دون أمهات نسائنا وروى عن بعض المتقدمين انه كان يقول حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتى لم ندخل بهن وان حكمهن فى ذلك حكم الربائب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن على رضى الله عنه فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج أمها قال هى بمنزلة الربيبة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن خلاس عن على رضى الله عنه قال هى بمنزلة الربيبة حدثنا حميد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت انه كان يقول اذا ماتت عنده وأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها واذا طلقها قبل أن يدخل بها فان شاء فعل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت قال اذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها حدثنا القاسم قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عكرمة بن خالد ان مجاهدا قال له وأمهات نسائكم وربائبكم التى فى حجوركم من نسائكم أريد بهما الدخول جميعا قال أبو جعفر والقول الاول أولى بالصواب أعنى قول من قال الام من المبهمات لان الله لم يشرط معهن الدخول ببناتهن كما شرط ذلك مع أمهات الربائب مع ان ذلك أيضا اجماع من الحجة التى لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه وقد روى ذلك أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم خبر غير ان فى اسناده نظرا وهو ما حدثنا به المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالابنة أم لم يدخل واذا تزوج الام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج الابنة قال أبو جعفر وهذا الخبر وان كان فى اسناده ما فيه فان فى اجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لعطاء الرجل ينكح المرأة لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها أيحل له أمها قال لا هى مرسلة قلت لعطاء

العقد معاً ولا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهياً عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهياً عن القسمين فان النهي عن التأوين يكون نهياً عن التسويد والتبييض لا محالة وأجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبأن استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبأن معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطء ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان أنكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مرقتة وعلى سبيل القهر فنهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكنا لا نسلم ان من تفيد العموم واذا لم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقداً كان صحيحاً ثم انا نستدل على جواز نكاح مزنية الأب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية هي ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد (٢٠٩) تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت أو غيرها الا ما أخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا أبناءكم الاكفاء وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء فتحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطء حمدت به ورجمت به فكيف يشتبهان أما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه أحسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكأنه قيل أنتم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غيرات سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان أمكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى أي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقر أحد على نكاح امرأة أبيه وان كان في الجاهلية وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة الى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله انه أي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة اعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان أبداً ممقوتاً عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفاً بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلاث في

أ كان ابن عباس يقرأ وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن قال لا تبرؤ قال حجاج قلت لابن جريج ما تبرؤ قال كأنه قال لا لا وأما الربائب فانه جمع ربيبة وهي ابنة امرأة الرجل قيل لها ربيبة لتربيته اياها وانما هي مربوبة صرفت الى ربيبة كما يقال هي قتيلة من مقتولة وقد يقال لزوج المرأة هو ربيب ابن امرأته يعني به هو رابه كما يقال هو جابر وجبير وشاهد وشهيد واختلف أهل التأويل في معنى قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والدخول النكاح وقال آخرون الدخول في هذا الموضع هو التجريد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قلت لعطاء قوله اللاتي دخلتم بهن ما الدخول بهن قال ان تهدى اليه فيكشف ويعس ويجلس بين رجليها قلت أرأيت ان فعل ذلك في بيت أهلها قال هو سواء وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها قلت تحرم الربيبة ممن يصنع هذا بأمها الا ما يحرم علي من أمتي ان صنعته بأمها قال نعم سواء قال عطاء اذا كشف الرجل أمته وجلس بين رجليها أنهاه عن أمها وابنتها * قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس من ان معنى الدخول الجماع والنكاح لان ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين اما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس وهو الوصول اليها بالخلوة بها أو يكون بمعنى الجماع وفي اجماع الجميع على ان خلوة الرجل بامرأته لا يحرم عليه ابنتها اذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها أو قبل النظر الى فرجها بالشهوة ما يدل على ان معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلناه وأما قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فانه يقول فان لم تكونوا أيها الناس دخلتم بأمهات ربائبكم اللاتي في حجوركم فجامعتموهن حتى طلقتموهن فلا جناح عليكم يقول فلا حرج عليكم في نكاح من كان من ربائبكم كذلك وأما قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فانه يعني وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم وهي جمع حليلة وهي امرأته وقيل سميت امرأة الرجل حليلته لانها تحل معه في فراش واحد ولا خلاف بين جميع أهل العلم ان حليلة ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح دخل بها أو لم يدخل بها فان قال قائل فما أنت قائل في حلائل الابناء من الرضاع فان

لمفعول وفى الشرع وفى العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلى لانه زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح الشرعى وساء سبيلا اشارة الى القبح العادى وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى أعلم التأويل الوراثة الدينية أيضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفاته ولا يتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية من صلبه ولا يتهم ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية المذكورة والاوثقية فى الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد أو يتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم هى النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن (٢١٠) أربعة منكم أى من خواص العناصر الاربعة التى أنتم منها مركبون وهى التراب ومن خواصها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشرة والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن فى البيوت فى سجن الدنيا وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها أى النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا فى الاعمال وباطنا فى الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة أى بصفة الجهولية وهى داخلة فى الظلومية لان الظلومية تقتضى المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضى المعصية فحسب فالعمل السوء اذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب أى عقيب المعصية قال عليه السلام اتبع السيئة بالحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل أن يقال من قريب أى قبل أن تموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهى عن التصرف فى السفليات التى هى الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهى فى ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فان الركون الى العالم السفلى يوجب مقت الحق والله أعلم (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما

الله تعالى انما حرم حلائل أبنائنا من أصلابنا قيل ان حلائل الابناء من الرضاع وحلائل الابناء من الاصلاب سواء فى التحريم وانما قال وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم لان معناه وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم قال نحدث والله أعلم انها نزلت فى محمد صلى الله عليه وسلم حين نكح امرأة زيد بن حارثة قال المشركون فى ذلك فنزلت وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ونزلت وما جعل أدعياءكم أبناءكم ونزلت ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأما قوله وأن تجمعوا بين الاختين فان معناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الاختين عندكم بنكاح فانه فى موضع رفع كأنه قيل والجمع بين الاختين الا ما قد سلف لكن ما قد مضى منكم فان الله كان غفورا لذنوب عباده اذا تابوا اليه منها رحيما بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم يخبر بذلك جل ثناؤه انه غفور لمن كان جمع بين الاختين بنكاح فى جاهليته وقبل تحريمه ذلك اذا اتقى الله تبارك وتعالى بعد تحريمه ذلك عليه فأطاعه باجتنابه رحيم به وبغيره من أهل طاعته من خلقه

4448

S/A